نُصُوصٌ وَرَسَائِلُ

مِنْ تُرَاثِ أَصفَهَان العِلمِيِّ الخَالِد

قسم الحوزة العلميّة ـ لجنة الإحتقال بمدينة أصفهان

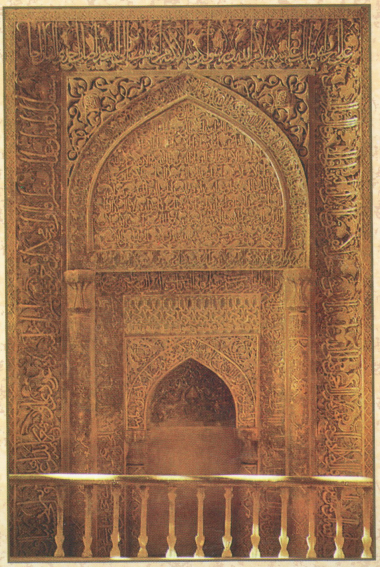

المجلد الأول

في الأدب العربي

مجموعة من المحققين
إشراف: مجيد هادي زاده

بسم الله الرحمن الرحيم

شبكة الفكر
alfeker.net

يا علي يا فاطمة

نُصُوص وَرَسَائِل

مِنْ تُرَاثِ أصفَهَان العِلمِيِّ الخَالِد

قسم الحوزة العمليّة والمؤسسات الدينيّة
لجنة الاحتفال بمدينة أصفهان
العاصمة الثقافية للعالم الإسلامي
اصفهان - ١٣٨٥ش - ١٤٢٧/١٤٢٨ق

المجلد الأول

في الأدب العربي

مجموعة من المحقّقين
إشراف: مجيد هادي‌زاده

نصوص ورسائل

من تراث أصفهان العلميّ الخالد

المجلد الأول

في الأدب العربي

مجموعه من المحققين

اشراف: مجيد هادى زاده

اعداد : مكتب الاعلام الاسلامي في حوزة قم العلميّة – فرع محافظة اصفهان.
تصميم الغلاف: محراب أولجايتو، المسجد الجامع في اصفهان.
الناشر: هستي نما
الطباعة: مطبعة نگارش
الطبعة الأولى: ١٤٢٨ ق / ٢٠٠٧م
الكمية: ١٠٠٠ نسخة
السعر: ٦٠٠٠ تومان (سحر الدورة ٢٤٠٠٠ تومان)

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الهاتف: ٠٩١٢١٥٢١٠٣٨
ص . ب: ١٣١٤٥/٧٥٣
البريد الالكتروني: hastinama@Gmail.com

هادي زاده، مجيد، ١٣٤٤ –
نصوص و رسائل، من تراث اصفهان العلمي الخالد/ مجموعة من المحقّقين؛ اشراف مجيد هادي زاده؛ اعداد، مكتب الاعلام الاسلامي في حوزة قم العلمية فرع محافظة اصفهان. – تهران: هستي نما، ١٤٢٨ ق – ٢٠٠٧ م – ١٣٨٦
٢٤٠٠٠ ريال (دورة) ISBN: 978-964-8214-30-7
٦٠٠٠ ريال (ج ١) ISBN: 978-964-8214-31-4
٦٠٠٠ ريال (ج٢) ISBN: 978-964-8214-32-1
٦٠٠٠ ريال (ج ٣) ISBN: 978-964-8214-33-8
٦٠٠٠ ريال (ج ٤) ISBN: 978-964-8214-34-5
فهرستنويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه.
١. دانشمندان اسلامى – ايران – اصفهان – سرگذشتنامه. ٢. مجتهدان و علما – ايران – اصفهان – سرگذشتنامه. ٣. مشاهير ايران – اصفهان – سرگذشتنامه. الف. مكتب الاعلام الاسلامي في قم العلمية، فرع محافظة اصفهان. ب. عنوان.
٢ هـ ٧٢٥ص/DSR٢٠٧٣ /٩٣٢ /٩٥٥
١٣٨٦

دليل
المجلد الأول

تصدير ٧

مقدِّمة المُشرِف على المجموعة ١٣

الأمثالُ السائرة من شعر المتنبِّي ٢٧
للصاحب اسماعيل بن عبَّاد
اعداد: مجيد هادي‌زاده

الواضِح في مشكلات شعر المُتَنبِّي ٥٩
لأبي‌القاسم عبداللّه بن عبدالرَّحمن الإصفهانيّ
تحقيق: الأستاذ محمَّد الطاهر ابن‌عاشور
اعداد: مجيد هادي‌زاده

رسالةٌ في ذكر الواحد والأحد ٨٣
للإمام العلَّامة الرَّاغب الإصفهانيّ
تصحيح: الدكتور محسن محمَّدي الفشاركيّ

أطباقُ الذَّهب ٩٣
للشَّيخ الأديب شرف‌الدِّين عبدالمؤمن الإصفهانيّ
تصحيح: مجيد هادي‌زاده

رسالة القَوس ١٦٣
لكمال‌الدِّين أبي‌الفضل إسماعيل الإصفهانيّ
تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن‌الرَّسول

القَوسيَّة النِّظاميَّة ١٨١
لقاضي نظام‌الدِّين أبي‌سعد محمَّد بن إسحاق الإصفهانيّ
تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن‌الرَّسول

قصيدة الفوز والأمان في مديح مولانا صاحب‌الزمان ﷺ ١٩٩
للعَلَم العلّامة الشَّيخ بهاءالدين العامِلي ﷺ
اعداد: مجيد هادي‌زاده

قصيدة على طرز الطَّنطرانيَّة في مديح الإمام العلّامة آقا حسَين الخوانساريّ ﷺ ٢٠٩
للعلّامة شيخ‌الإسلام جعفر القاضي الأصفهانيّ ﷺ
تحقيق: مجيد هادي‌زاده

جزء من ديوان المنشآت ٢١٥
للأديب الأريب العلّامة محمَّد مسيح بن إسماعيل الكاشانيّ
تصحيح: مجيد هادي‌زاده

جَوابُ مَكتُوبِ الشَّرِيفِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ ٢٢٣

جَوابُ كِتابِ السَّيِّدِ عَبدُالْمحسِنِ الْمَكِّيِّ ٢٢٨

جَوابٌ لِمَكْتُوبٍ اٰخَرَ مِنَ السَّيِّدِ عَبدُالْمحسِنِ الْمَكِّيِّ ٢٢٩

قُراحُ الإقتراح ٢٣٧
للإمام العلّامة بهاءالدين محمَّد بن الحسن الإصفهانيّ
تصحيح: أمير صالح معصومي

الحاشية على شرح الواحدي لديوان المُتنبِّي ٢٩٩
للفقيه الأديب المتفنِّن الشَّيخ أبي المجد محمَّدرضا الإصفهانيّ
تصحيح: ليلى نجمي

قصيدة تَنَصُّر ٣٤٩
للفقيه الأديب المتفنِّن الشَّيخ أبي المجد محمَّدرضا الإصفهانيّ
اعداد: مجيد هادي‌زاده

الآيات المَنظُومة ٣٥٥
للميرزا حبيب‌اللّٰه بن محمَّدباقر النَّيِّر الإصفهانيّ
تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن‌الرَّسول

تصدير

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام على بشير رحمته ونذير نقمته، أبي القاسم المصطفى محمّد، وعلى آله وأهل بيته، لا سيّما بقيّة الله في أرضه وحجّته على عباده.

وأمّا بعد؛ قال الله تبارك وتعالى:

﴿والبلد الطيّب يخرج نباته بإذن ربّه والذي خَبُث لا يخرج إلّا نكداً كذلك نصرّف الآيات لقومٍ يشكرون﴾[1].

تعتبر إصفهان من المدن التي تشرّف أهلها باعتناق الدين الإسلامي الحنيف طواعية، فأقبلوا عليه زرافاتٍ ووحداناً، حيث كان كلام الوحي الإلهي قد نفذ في نفوسهم وعقولهم بمجرّد بلوغ نسيم الرسالة المحمّديّة إلى أصقاعهم وفيافيهم، فأبناء هذه المدينة العريقة كانوا قد أدركوا حقيقة الإسلام منذ الوهلة الأُولى لانطلاقته، فحثّوا الخُطى نحوه، يستقون من معينه، ويهتدون بهديه، فالعبد الصالح المسمّى بـ(روزبه) الذي أنجبته هذه الأرض المعطاء، كان قد تحمّل الأعباء الكبيرة بحثاً عن الرسول الموعود الذي بشّرت به التوراة والإنجيل، حتّى بلغ مراده، فارتمى في أحضان النبيّ الأعظم مصدّقاً به، وداعياً إليه بإخلاصٍ ووفاء، لينال شرف الانتساب إلى بيت النبوّة، فقال فيه الحبيب المصطفى: «سلمان منّا أهل البيت».

كما تميّزت هذه المدينة بحبّها وولائها المطلق لآل بيت النبيّ ﷺ، لا سيّما تمسّكها بولاية أمير المؤمنين ومولى المتّقين، عليّ بن أبي طالب ؑ، ممّا جعلها ترفل ببركات

---

١. الأعراف (٧): ٥٨.

هذه المودّة الخالصة، فقد أسبغ الله عليها من نعمه العديدة ما تغبطها عليه سائر المدن والأمصار.

إنّ التزام أبناء مدينة إصفهان بالثقافة الإسلاميّة يعكس بصورةٍ جليّة رغبتهم العميقة في التمسّك بقيم الحقّ والعدل، وكان هذا الالتزام الصادق سبباً في تفوّقهم في مختلف مجالات المعرفة، ورفدهم العالم الإسلامي بكبار العلماء والأُدباء ممّن أثروا الفكر والأدب والثقافة والفنّ. ويمكن القول بأنّ مفكّري وعلماء هذه المدينة لم ينصرفوا إلى طلب العلم ونشره فحسب، بل إنّهم بذلوا قُصارى جهدهم لاستثمار الطاقات العلميّة الكبيرة التي ذاع صيتها في أقطار العالم الإسلامي القريبة والبعيدة، فحثّوا حكوماتهم المتعاقبة على استقدامهم إلى مدينتهم، ليستمدّوا منهم ما أنعم الله عليهم من علوم وفنون وقدرات. فغدت إصفهان موئل العلماء، وكعبة المتعلّمين من كلّ حدبٍ وصوب؛ لذلك حفلت إصفهان بكبار أهل الإسلام وعيونهم من أُدباء ومفسّرين وفقهاء ومحدّثين وفلاسفة وعرفاء، أسّسوا لمدارس عظيمة في جميع حقول المعرفة، وأنتجوا ما لا يمكن أن يُعدّ أو يُحصى من الكتب، التي ملأت الآفاق في كلّ علمٍ وفنّ.

ومن النجوم اللامعة في سماء العلم، التي تلألأت في سماء هذه المدينة، يمكن الإشارة إلى هذه الأسماء التي هي أشهر من نارٍ على علم في التاريخ الإسلامي، كالشيخ الرئيس ابن سينا، والمحقّق الكركي، والميرداماد، والميرفندرسكي، والصاحب بن عبّاد، والحافظ أبو نعيم، والراغب الإصفهاني، وأبي الفرج الإصفهاني، وابن مسكويه، والشيخ البهائي، والعلّامة المجلسي، وغيرهم ممّن لا يحصون عدداً، وسوف لن ينساهم التاريخ أبداً.

وعلى الرغم ممّا تعرّضت له هذه الحركة العلميّة المباركة من عقبات، بسبب ما مرّت به هذه المدينة من أحداث تاريخيّة عصيبة، إلّا أنّ ذلك ـ ولله الحمد ـ لم يَفُتّ في عضدها، ولم ينل من عطائها، بل بقيت ولا زالت تحثّ الخطى نحو الأمام بوتائر متسارعة. وتقطف

المدينة حالياً ثمار تلك الحركة العلميّة الواسعة، حيث تشهد نشاطاً علمياً كبيراً، فإلى جانب الجامعات العديدة والعريقة التي تمارس فعّالياتها الأكاديميّة، تقف حوزتها العلميّة ـ التي تعتبر بحقّ إحدى أهمّ الحوزات العلميّة الشيعيّة في العالم الإسلامي ـ شامخةً متألّقة، لتؤكّد حضورها الفاعل في الأوساط العلميّة، تحت رعاية العالم الجليل، والمرجع الفقيه سماحة آية الله الشيخ حسين المظاهري دامت بركاته، حيث يتلقّى العلوم الدينيّة والعقليّة فيها آلاف الطلبة، على يد مئات الأساتذة الأجلّاء، وذلك في عشرات المدارس العلميّة المنتشرة في أنحاء المدينة. كما يقوم الآلاف من رجال الدين المتخرّجين من هذه الحوزة الشريفة بالعديد من النشاطات والفعّاليّات العلميّة، كالتدريس في الجامعات والأكاديميّات العلميّة، وممارسة التحقيق والبحث العلمي، وإدارة شؤون المساجد والمدارس الدينيّة، وتقديم الإرشادات الدينيّة، ونشر التوعية الثقافيّة في الدوائر الحكوميّة المدنيّة والعسكريّة، وممارسة القضاء في المحاكم الشرعيّة والجزائيّة. هذا إضافةً إلى ما يضطلعون به من مسؤوليّات دينيّة تجاه المواطنين.

وعندما قرّرت منظمّة العلوم والثقافة التابعة لمنظّمة المؤتمر الإسلامي ـ الآيسيسكو ـ اعتبار مدينة إصفهان عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي للعام ٢٠٠٦ ميلاديّة، تلقّت الحوزة العلميّة هذا الخبر بشوقٍ وارتياح كبيرين، إلّا أنّ أوّل ردّ فعل صدر منها عقب اتّخاذ هذا القرار هو أنّها أعربت عن أسفها البالغ بسبب اعتماد رؤساء الدول الإسلاميّة التاريخ الميلادي بدلاً من التاريخ الهجري، واعتباره أساساً في تحديد بداية ونهاية العام. لذا قامت بإجراء مراسم بدء هذا العام في عيد الأضحى المبارك بدلاً من عيد الفصح أو رأس السنة الميلاديّة، ومن أجل الاحتفال بهذه السنة فقد تمّ تشكيل لجنة عليا من مختلف المجالات والتخصّصات، لتأخذ على عاتقها مهمّة الاحتفال بمدينة إصفهان عاصمةً ثقافيّةً للعالم الإسلامي.

وانطلاقاً من أهمّيّة هذه المناسبة فإنّ ممثّل الوليّ الفقيه وإمام جمعة إصفهان ومدير الحوزة العلميّة في إصفهان سماحة آية الله السيّد يوسف طباطبائي نژاد، أوعز بتشكيل لجنة مؤلّفة من عدد من رجال الدين المرموقين، إضافةً إلى بعض مسؤولي الحوزة العلميّة ومكاتب التبليغ في المحافظة، ومن ثمّ باشرت هذه اللجنة عملها في مكتب الإعلام الإسلامي التابع للحوزة العلميّة، وقد أخذت الحوزة العلميّة في إصفهان على عاتقها القيام بجملة من المشاريع العلميّة، بمناسبة اعتبار إصفهان عاصمة الثقافة في العالم الإسلامي، ولعلّ بعض أهمّ ما أنجزته بهذا الخصوص هو إحياء وتحقيق عدد من الرسائل العلميّة ذات الموضوعات الإسلاميّة المختلفة والمدوّنة في القرون الماضية في هذه المدينة. وما تمّ تحقيقه من هذه الرسائل الخطّيّة هو نزرٌ يسير من كمٍّ هائل من المخطوطات التي ما زالت تنتظر من ينتشلها من غرف النسيان لينشرها بين أهل العلم ومريديه.

وقد أُنيطت مسؤوليّة هذا العمل الكبير إلى المحقّق القدير والأُستاذ الفاضل حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ مجيد هادي زادة ـ صاحب الفكرة ـ ولقد بذل هو ومجموعة من خيرة المحقّقين ما في وسعهم، فقاموا بتحقيق خمس وثمانين رسالة علميّة تشتمل على موضوعات عديدة في الأدبين العربي والفارسي وفي التفسير والحديث والفقه والأُصول والفلسفة والكلام والعرفان، انتظمت في أربعة مجلّدات، وقد تمّ إنجاز هذا المشروع في غضون أربعة أشهر من العمل الجدّي المتواصل.

وهنا نرى من الواجب تقديم شكرنا إلى حجّة الإسلام والمسلمين السيّد حسين بهشتي‌نژاد المدير العام للإعلام الإسلامي في محافظة إصفهان، وحجّة الإسلام والمسلمين السيّد أحمد السجّادي رئيس مركز التحقيقات الكومبيوتريّة في الحوزة العلميّة في إصفهان، وكلّ الإخوة الأعزّاء في لجنة الاحتفال بمدينة إصفهان الذين مدّوا يد العون لنا في إنجاز هذه المهمّة.

إنّنا إذ نشكر الله تعالى على توفيقه في إخراج هذا المنجز، الذي يشير إلى مسيرة ألف عام من الحياة العلميّة في مدينة إصفهان، يشرّفنا أن نهديه إلى جميع محبّي العلم والحقيقة في العالم الإسلامي، كما ونهدي ثوابه وأجر ما بذل في سبيل إنجازه إلى روح فقيد الأُمّة، ومؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة الإمام الخميني أعلى الله مقامه الشريف، وفاءً وتقديراً لذلك الرجل العظيم الذي بعث الحياة في جسد الأُمّة الإسلاميّة، وأعاد إليها مجدها وعزّتها وعظمتها، والذي قضى كلّ حياته منادياً وداعياً للوحدة بين المسلمين. والسلام.

أحمد زادهوش
رئيس قسم الحوزة العلميّة والمؤسّسات الدينيّة
لجنة الاحتفال بمدينة إصفهان
العاصمة الثقافيّة للعالم الإسلامي
ذي الحجّة ١٤٢٧ هـ‌ق / دي ١٣٨٥ هـ‌ش

مقدِّمة المُشرِف على المجموعة

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

الحمد للَّه، والصَّلاة والسَّلام على رسول اللَّه، وعلى آله آل اللَّه.

وبعد؛ فهذه «نصوصٌ ورسائل من تراث إصفهان العلميِّ الخالد»، قمتُ بتدوينها لِـ«ذكرىٰ إصفهان عاصمة العالم الإسلاميّ الثقافيَّة لسنة ١٤٢٧» من الهجرة المقدَّسة.

وهذا المختصر لايُمثِّل شيئاً من ثقافة إصفهان إلَّا اليسير منها، حيث كانت معهداً علميّاً ظهر منها جملةٌ من الكبار والفحول في مختلف مجالات العلم والمعرفة، بين مفسِّرٍ ومحدِّثٍ وأديبٍ وفقيهٍ وحكيمٍ وعارفٍ وغيرها. أضفْ إلى ذلك مَن هاجر إليها ليحصِّل حظَّه من العلم فيها، فمنهم مَن استوطنها، ومنهم مَن غادرها إلى حيث شاء.

وكيف كان فقد قدَّر اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ لهذه البلدة المباركة أن تكون من أحسن البلاد طينةً وطبيعةً، كما أنَّها كانت من أنفع البلاد خدمةً لساحة العلم الإسلاميّ.

أمَّا هذه المجموعة القصيرة ـ وقد قلتُ أنَّها لاتُمثِّل شيئاً عن ثقافة إصفهان ـ، فقد اقترحتُ تدوينها بعد أن عُيِّنت عاصمةً ثقافيَّةً للعالم الإسلاميّ لسنة ١٤٢٧؛ فأردتُ أن تكون ذكرىٰ لها؛ نظمتُها في أربعة مجلَّدات كالتَّالي:

١ ـ المجلَّد الأوَّل: في الأدب العربيّ؛

٢ ـ المجلَّد الثاني: في التَّفسير والحديث؛

٣ ـ المجلَّد الثالث: في الفقه والأصول؛

٤ ـ المجلَّد الرابع: في الحكمة والكلام.

إليك تفصيل كلٍّ واحدٍ منها:

١ ـ المجلّد الأوّل: في الأدب العربيّ

أمّا المجلَّد الأوّل من المجموعة فخصَّصتُه بجملةٍ من نصوص الإصفهانيِّين الأدبيَّة، مختارًا بعضها له. و«الاختيار» هيهنا أمرٌ لابدَّ منه، إذ إصفهان كانت معهدًا للأدب العربيّ منذ قديم الزمن. فكفى بها فخرًا أن تكون مولدًا أو مدرسًا لأبي القاسم إسماعيل المشتهر بصاحب بن عبَّاد؛

ولأبي الفرج الإصفهانيّ، صاحب الأغاني؛

ولعِماد الكاتب، صاحب خريدة القصر؛

وللرَّاغب الإصفهانيّ، صاحب محاضرات الأدباء؛

ولأبي عليّ أحمد بن محمَّد المرزوقيّ الإصفهانيّ، شارح ديوان الحماسة؛

ولأبي محمَّد القاسم بن محمَّد الديمتري الإصفهانيّ، من شرَّاحه أيضًا؛

ولمؤيِّدالدِّين أبي إسماعيل الحسين الإصفهانيّ الطُّغرائيّ، ناظم لامية العجم؛

ولقوام الدِّين البُنداريّ الإصفهانيّ، مترجِم شاهنامه إلى العربيَّة؛

ولأبي محمَّد عبدالله بن محمَّد الخازن الإصفهانيّ، الشاعر؛

وللقاضي ناصح الدِّين الأُرَّجانيّ، الشاعر الكبير؛

ولابن طباطبا، صاحب عيار الشِّعر؛

ولأبي عبدالله الحسين بن إبراهيم النَّطنزيّ الإصفهانيّ اللغويّ، صاحب دُستور اللغة؛ ولآخرين لايسع هذا المختصر حتَّى الإشارة إلى أسمائهم.

نعم! «الاختيار» أمرٌ لابدَّ منه، إذ البحر واسعٌ والمجال ضيِّقٌ؛ فاخترتُ نبذًا من نصوص أعلامها في نطاق الأدب العربيّ حسب تسلسل الزمن مراعيًا في التدوين أعوام وفيات أصحابها. فتمَّ العمل باختيار هذه الرَّسائل والنُّصوص؛ نذكرها هيهنا مع الإشارة إلى مؤلِّفيها ومحقِّقيها اكبارًا لعظمة المؤلِّفين واعظامًا لجهود المحقِّقين:

١. الأمثالُ السائرة من شعر المتنبِّي، للصاحب اسماعيل بن عبَّاد، من عملي.

٢. الواضِح في مشكلات شعر المُتنبِّي، لأبي القاسم عبدالله بن عبدالرَّحمن الإصفهانيّ، تصحيح: الشيخ محمَّدالطَّاهر ابن عاشور، مراجعة: مجيد هادي زاده.

٣. رسالةٌ في ذكر الواحد والأحد، للإمام العلَّامة الرَّاغب الإصفهانيّ، تصحيح: الدُّكتور محسن محمّدي الفشاركي.

٤. أَطباقُ الذَّهب، للشَّيخ الأديب شرف الدِّين عبدالمؤمن الإصفهانيّ، من عملي.

٥. رسالة القَوس، لكمال الدِّين أبي الفضل إسماعيل الإصفهانيّ، تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن الرَّسول.

٦. القَوسيَّة النِّظاميَّة، لقاضي نظام الدِّين أبي سعد محمَّد بن إسحاق الإصفهانيّ، تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن الرَّسول.

٧. قصيدة الفوز والأمان، للعَلَم العلَّامة الشَّيخ بهاء الدين العامِلي، من عملي.

٨. قصيدة على طرز الطِّغطرانيَّة، للعلَّامة شيخ الإسلام جعفر القاضي الأصفهانيّ، من عملي.

٩. جزء من ديوان المنشآت، لأديب الأريب العلَّامة محمَّد مسيح بن إسماعيل الكاشانيّ، من عملي.

١٠. قُراحُ الاِقتراح، للإمام العلَّامة بهاء الدين محمَّد بن الحسن الإصفهانيّ، تصحيح: الباحث أمير صالح معصومي

١١. الحاشية على شرح الواحدي لديوان المُتنبِّي، للفقيه الأديب المتفنِّن الشَّيخ أبي المجد محمَّدرضا الإصفهانيّ، تصحيح: الباحثة ليلى نجمي.

١٢. قصيدة تَنَصَّر، للفقيه الأديب المتفنِّن الشَّيخ أبي المجد محمَّدرضا الإصفهانيّ، من عملي.

١٣. الآيات المَنظُومة، للميرزا حبيب الله بن محمَّدباقر النَّيِّر الإصفهانيّ، تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن الرَّسول

٢ ـ المجلّد الثاني: في التّفسير والحديث

أمَّا المجلَّد الثاني، فهو مخصّصٌ بقسمٍ من نُصوص الإصفهانيِّين في مجالَي التفسير والحديث وما إليهما.

لايخفى ما لكتاب اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ من الأهمِّيَّة البالغة؛ حيث إنَّه العروة المتَّصلة بين الأرض والسَّماء وذريعة النجاة؛ ولايخفى أيضًا جلالة عِدله المقدَّس، أعني به سنَّة سيِّدنا الرَّسول الأعظم خاتم الأنبياء محمَّد المصطفىٰ، ووصيِّه وأولاده المعصومين النُّجباء الإثنىعشر ـ صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين ـ، خيرة اللَّه ـ تعالى ـ لتفسير كتابه ولهداية أمَّته المرحومة.

وإصفهان كانت معهد التَّفسير والحديث منذ أن دخلها الدِّين الحنيف، فكم نشأ وترعرع فيها من مفسِّرٍ ومقرىءٍ ومحدِّثٍ بين الحاكم والحافظ والشَّيخ والمُملي والمُستملي وغيرها.

نذكر من قرَّاءها على سبيل المثال:

وثَّاب بن أبي يحيى الإصفهانيّ المقرىء؛

وأبا رويم نافع بن عبدالرَّحمن الإصفهانيّ القارىء؛

وأباعبداللَّه محمَّد بن عيسى المقرىء؛

ومحمَّد بن عيسى بن إبراهيم، من المصنِّفين في القراءات؛

وأباعبداللَّه محمَّد بن الحسين الخشوعيّ الإصفهانيّ القارىء؛

وأحمد بن الفضل بن محمَّد الباطرقانيّ المقريء؛

وعبداللَّه بن محمَّد بن محمَّد الإصفهانيّ، المعروف بالقباب المقرىء؛

وأبامسلم محمَّد بن عليّ الإصفهانيّ؛

ومحمَّد بن عبداللَّه بن أحمد الإصفهانيّ المقرىء، المعروف بأبي الشَّيخ؛ وهم كثيرون جدًّا.

ونذكر من مفسِّريها:

أبامسلم محمَّد بن بحر الإصفهانيّ المفسِّر الكبير؛

وأباالقاسم إسماعيل بن محمَّد بن فضل التيمي الإصفهانيّ المفسِّر؛
وأباالعبَّاس الوليد بن أبان الإصفهانيّ المفسِّر؛
ومحمَّد بن الحسن بن فورك الإصفهانيّ المفسِّر؛
وأباالحسن عليّ بن الحسين بن عليٍّ الباقوليّ الإصفهانيّ المفسَّر؛
وأباالثناء شمس الدِّين محمود بن عبدالرَّحمن الإصفهانيّ المفسِّر المتكلِّم؛
والإمام الرَّاغب الإصفهانيّ المفسِّر الكبير.

ومن مفسِّرينا المتأخِّرين والمعاصرين:

المفسِّر الحجَّة العلَّامة الشَّيخ محمَّدحسين الإصفهانيّ، صاحب مجد البيان في تفسير القرآن؛
والمفسِّر المتكلِّم الحجَّة السَّيِّد عبدالحسين طيِّب، له أطيب البيان بالفارسيَّة في تفسير القرآن الكريم؛ في ١٤ مجلَّدات؛
والمفسِّرة المحدِّثة الفقيهة السَّيِّدة أمين، لها مخزن العرفان بالفارسيَّة أيضًا في التفسير، في ١٧ مجلَّدات.

ومن محدِّثيها الكبار:

أحمد بن خالد البرقيّ؛
وابن همام الإسكافيّ؛
وأباطاهر أحمد بن عيسى بن زيد بن سيِّدنا السَّجَّاد عليٍّ بن سيِّدنا سيِّدالشُّهداء الحسين بن سيِّد المسلمين عليٍّ بن أبي طالب ـ عليه وعلى آبائه وأولاده آلاف التحيَّة والثَّناء ـ؛ الهارب إلى إصفهان والمُتوفَّى والمدفون فيها؛
وإبراهيم بن حامد بن شياب الإصفهانيّ؛
وبشر بن الحسين الإصفهانيّ؛
وعبدالملك بن حميد بن أبي غنية الإصفهانيّ؛
وأباعليّ محمَّد بن سليمان بن عبدالرحمن الإصفهانيّ؛
وأباعبداللَّه محمَّد بن يوسف بن معدان، المعروف بعروس الزُّهاد؛

وأبامحمَّد الحسين بن حفص الإصفهانيّ ؛
وأبايحيى محمَّد بن عبدالوهَّاب الغفَّار الإصفهانيّ ؛
وأباالشَّيخ الإصفهانيّ ؛
وابن مردويه ؛
وابن المقرىء ؛
وأبانُعيم الإصفهانيّ ؛
وأباموسى المديني الإصفهانيّ ؛
وآل ابن مندة ، وهم بيتٌ فيه جمعٌ من كبار المحدِّثين.

ومنهم في القرون المتوسِّطة:

العلَّامة الشَّيخ محمَّدتقي المجلسي ، من شرَّاح كتبنا الأربعة الحديثيَّة ؛
وولده الجليل الإمام العلَّامة الشَّيخ محمَّدباقر ، مدوِّن بحار الأنوار من أكبر وأعظم ما صُنِّف في الحديث الشريف في العالَم الإسلاميّ ؛
والسَّيِّد نعمةاللَّه الجزائريّ ؛
والفيض الكاشانيّ ، صاحب الوافي ؛ وغيرهم.

وكيف كان فقد اخترتُ لهذا المجلَّد قسطًا من متون التفسير والحديث وعلومهما ، منها إجازتان روائيَّتان لعَلَمين من أعلام هذه البلدة المباركة.

إليك تفصيل أسامي هذه النُّصوص ومؤلِّفيها ومحقِّقيها ـ شكر اللَّه تعالى سعيهم ـ :

١. الأربعُون حديثًا في المهديّ ، للحافظ أبي نُعَيم أحمد بن عبداللّه الإصفهانيّ ، تصحيح: جويا جهانبخش.

٢. جزءٌ من كتاب الإيضاح في التفسير ، للشَّيخ أبي القاسم اسماعيل بن محمَّدٍ الإصفهانيّ ، من عملي.

٣. شرح حديث تمثيل عليٍّ بسورة التَّوحيد ، للمعلِّم الثَّالث الأمير محمَّدباقر الدَّامـاد ، من عملي.

٤. إجازةٌ روائيّة، أصدرها العلّامة المحقّق الشّيخ محمّدتقيّ المجلسيّ الأوّل، تصحيح: جويا جهانبخش.

٥. جزءٌ من الفَرائد الطَّريفة في شرح الصَّحيفة الشَّريفة، للشّيخ الإمام العلّامة محمّدباقر المجلسيّ الثّاني، من عملي.

٦. جزءٌ من نور الأنوار في شرح كلام خير الأخيار، للمحدّث الفقيه الكبير السَّيِّد نعمةاللّه الجزائريّ، من عملي.

٧. مناقِب الفُضلاء، المير محمّدحُسَين الحسينيّ الخاتونآباديّ، تصحيح: جويا جهانبخش.

٨. جزءٌ من مَجالبيَان في تفسير القُرآن، للمُفسِّر الفقيه العارف الشّيخ محمّدحُسين الإصفهانيّ النجفيّ، من عملي.

٩. التعريف بمدينة إصفهان في كتاب روضات الجنّات، للإمام العلّامة السَّيِّد محمّدباقر الموسويّ، تصحيح وشرح: سماحة الحجّة الأية السَّيِّد محمّدعليّ الروضاتيّ.

١٠. رسالةٌ في حكم الأغلاط الواقعة في المصاحف من الكُتّاب و...، العلّامة آيةاللّه الحاج آقا مُنيرالدِّين البروجرديّ الإصفهانيّ، تصحيح: مهدي باقري سيَّاني.

٣ـ المجلّد الثالث: في الفقه والأصول

أمّا في مجالَي الفقه والأصول، فلها عددٌ هائلٌ من رجالهما، وهذه الكثرة تمنعنا من الإشارة إلى أساميها. فنذكر منهم فقط:

الداود الظاهريّ الإصفهانيّ؛

وأباالشَّيخ الإصفهانيّ؛

وآلَي خجند وصاعد، وفي هذين البيتين نشأ كثيرٌ من الفقهاء الإصفهانيِّين؛

وأباالفتوح العِجلي؛

والإمام المحقِّق الكركيّ؛

والشَّيخ بهاءالدِّين العامليّ ؛
والمحقِّق الآقا حُسين الخوانساريّ ؛
وولده الآقا جمال‌الدِّين الخوانساريّ ؛
والفاضل الإصفهانيّ، الشهير بالهنديّ ؛
والعلَّامتين الهمامين المجلِسيَّين ؛
والوحيد الإصفهانيّ، المعروف بالبهبهانيّ ؛
وحجَّةالإسلام الشفتيّ.

ومن متأخِّريهم ومعاصريهم:

شيخ‌الشريعة الإصفهانيّ ؛
والشَّيخ محمَّدحسين الكمبانيّ ؛
والسَّيِّد أبوالحسن الإصفهانيّ المديسه‌ايّ.

ومن بيوتاته الجليلة:

بيت الكرباسي، آل الشَّيخ الفقيه محمَّدإبراهيم الكرباسيّ ؛
وبيت الروضاتيّ، آل الفقيه السَّيِّد محمَّدباقر الموسويّ الچهارسوقيّ ؛
وبيت النجفيّ، آل الفقيه الشَّيخ محمَّدتقي الإصفهانيّ النجفيّ. وفي هذه البيوت ترعرع جمٌّ غفيرٌ من كبار المجتهدين والفقهاء والأصوليِّين فيهم مَن كان في الطبقة الأولى من هذين العِلمين الشريفين.

والمختار لهذا المجلَّد من نصوصهما:

١. **الخيارُ في البيع**، للشَّيخ الإمام عليِّ بن الحُسين المحقِّق الكَرَكيِّ، من عملي.

٢. **فصُولُ الأذان والإقامة**، العلّامه محمّد بن عبدالفتّاح التُّنِكابُني، تصحيح: الباحث الشَّيخ مهدي باقري سيَّاني.

٣. **رسالةٌ في جواز قراءة مَلِك في الصَّلاة**، للفقيه الحكيم ملَّاإسماعيل الخواجوئيّ، تصحيح: الباحث رحيم قاسمي.

٤. رسالةٌ في الإستصحاب، للعلّامة المجدِّد الأستاذ الأكبر وحيد البهبهانيّ، من عملي.

٥. جزءٌ من كتاب تَبصِرة الفُقهاء، العلّامة أستاذ الأصوليِّين الشَّيخ محمَّدتقي الإصفهانيّ النجفيّ، تصحيح: الباحث السَّيِّد صادق الحُسينيّ الأشكوريّ.

٦. جزءٌ من كتاب الفُصول الغَرَويَّة في الأصول الفقهيَّة، للأصول الكبير والفقيه النِّحرير الشَّيخ محمَّدحُسين الإصفهانيّ الحائريّ، من عملي.

٧. جزءٌ من كتاب مِنهاجُ الهدايَة، للفقيه الكبير العلَّامة الحاج محمَّدإبراهيم الكَرباسي الإصفهانيّ، تصحيح: الباحث مهدي رضوي.

٨. جزءٌ من جَنَّة المأوىٰ، للفقيه الأديب السَّيِّد محمَّد الشَّهشهانيّ الإصفهانيّ، من عملي.

٩. وجيزةٌ عزيزةٌ في تحقيق المطالب الأصوليّة، للعلَّامة الفقيه الأصولي السَّيِّد محمَّدهاشم الجهارسوقي الإصفهانيّ، من عملي.

١٠. رسالةٌ في الغناء، تقريراً لما أفاده آيةاللّه السيِّد محمَّدباقر الموسويّ الدرچهايّ، بقلم تلميذه آيةاللّه السيّد علي أصغر البرزانيّ، تصحيح: الباحث الشَّيخ مهدي باقري سيَّاني.

١١. إماطةُ الغَين عن استعمال العين في معنيَين، للشَّيخ العلَّامة أبي المجد محمّدرضا الأصفهانيّ، من عملي.

٤ـ المجلّد الرابع: في الحكمة والعرفان

أمَّا في علمي الحكمة ـ ونعني بها هيهنا مجموع العلوم العقليَّة، من المنطق والكلام والفلسفة ـ والعرفان، فإنَّ إصفهان تُعدُّ بحقٍّ عاصمة الفلسفة الإسلاميَّة، بل هي مهد الحكمة فيها ترعرت وتكاملت ومنها انتشرت في سائر البلاد.

ومن أعلامها:

جمعٌ من الحكماء والأطبَّاء ـ من كبار العصر ـ هاجروا إليها قبل القرن الثالث من الهجرة المقدَّسة؛

وعامر بن أحمد الشونيزيّ ؛
وابن‌مندويه ؛
والشَّيخ الرئيس ابن‌سينا ، حيث قطن بها خمس‌عشرة سنة ، مدرِّسًا ومحقِّقًا ومصنِّفًا ؛
وأبومنصور ابن‌زيلة الإصفهانيّ ؛
وبهمنيار بن مرزبان ، تلميذاه ؛
وأبوالفتح الإصفهانيّ ؛
وصدرالدِّين محمَّد التُّركه الإصفهانيّ ؛
وصائن‌الدِّين عليّ التُّركه الإصفهانيّ ؛
وثالث المعلِّمين الميرداماد ؛
والميرفندرسكيّ ؛
وصدرالمتألِّهين وأعظمهم صدرالدِّين محمَّد الشيرازيّ ؛
وصهره الفيض ؛
وصهره الآخر الفيَّاض ؛
والحكيم السَّيِّد أحمد العلويّ.
ومتأخِّروهم كثيرون ، كمعاصِرَينا الجليلين الحكيم الشَّيخ محمَّد الخراسانيّ ؛
والشَّيخ المفيد.

ولستُ غاليًا في القول لوقلتُ أنَّ للحكمة الإلهيَّة سلسلةً متَّصلةً من قديم الزمن إلى يومنا هذا احتفظ بها مهد الحكمة إصفهان ، وليس هيهنا مجالٌ للتوسُّع فيه.

وكيف كان فقد اخترتُ لهذا المجلَّد جملةً من النصوص تمثِّل جزءً من تلك السِّلسلة القويمة ؛ إليك قائمةً تسرد أسامي النُّصوص والرسائل ، وأسامي مؤلِّفيها ومحقِّقيها:

١. خطبة التّوحيد ، للشّيخ الرّئيس أبي‌عليٍّ حسَين بن عبداللّه بن سينا ، تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابنُ‌الرَّسول.

٢. ترجمة خطبة التّوحيد بالفارسيّة ، للحكيم الخيّام النّيشابوريّ ، تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابنُ‌الرَّسول.

٣. قواعد التَّوحيد، للحكيم العارف الكبير أبي‌حامد صدرالدِّين محمَّد التُّركة الإصفهانيّ، من عملي.

٤. شرح الثَّانيَّة الكُبرى، للعارف الحكيم الكبير صائن‌الدِّين عليّ بن محمَّد التُّركة الإصفهانيّ، من عملي.

٥. إعتقادات الإماميَّة، للشَّيخ العلَّامة الكبير بهاءالدِّين محمَّد العامليّ، تصحيح: الباحث جويا جهانبخش.

٦. حدوث العالَم، أو الجمع بين الرَّأيَين للحَكيمين، للمعلِّم الثالث الأمير محمَّدباقر الدَّاماد الحُسينيّ، من عملي.

٧. أصالة جعل الوجود، لصدرالحكماء المتألِّهين صدرالدِّين محمَّد بن إبراهيم الشِّيرازيّ، تصحيح: الدُّكتور حامد ناجي إصفهانيّ.

٨. تعليقةٌ على عبارةٍ من كتاب الشِّفاء، للحبر الجامع الحَكيم الإلهي الأمير السَّيِّد أحمد العلويّ، تصحيح: الدُّكتور حامد ناجي إصفهاني.

٩. فائدةٌ في توقُّف عدمِ الكلِّ على عدمِ الجزء، للعلَّامة الحَكيم الفقيه محمَّد بن الحسن الشِّيروانيّ، من عملي.

١٠. خُلاصة المَنطق، لبهاءالدِّين محمَّد بن الحسن الإصفهانيّ، من عملي.

١١. الرِّسالة الهَمَّتيَّة، للعارف الكبير الآقا محمَّد البيدآباديّ الإصفهانيّ، تصحيح: الدُّكتور علي كرباسي‌زاده اصفهاني.

١٢. رسالةٌ في المَعارف الإلهيَّة، للعارف الكبير المُلَّا عليّ أكبر الإژهايّ الإصفهانيّ، من عملي.

١٣. شرح حديث الزِّنديق، للعارِف الكبير الشَّيخ آقا محمَّدرضا القمشهايّ، تصحيح: الدُّكتور حامد ناجي إصفهاني.

١٤. الرَّقيمة النُّوريَّة، للفَيلسوف الأعظم الملَّا عليّ النوريّ الإصفهانيّ، تصحيح: الدُّكتور حامد ناجي إصفهاني.

١٥. رسالةُ الوجود، للحكيم المتألّه العلّامة الشّيخ عليّ النُّوريّ، تصحيح: الدُّكتور حامد ناجي إصفهاني.

١٦. رسالةٌ في كيفيّة إطلاق أسماء اللّه على غيره، للحَكيم الخَبيرالحاجّ ملّا هادي السَّبزواريّ، من عملي.

١٧. تحقيقٌ في بيان إستجابة الدُّعاء، للحَكيم النِّحرير الميرزا أبي الحسَن الجِلوة الإصفهانيّ، من عملي.

١٨. تُحفةُ الحكيم، للعلّامة آية اللّه الحَكيم الشّيخ محمّدحسين الإصفهانيّ، من عملي.

* * *

هذا؛ ولا يفوتني الإشارة إلى نكاتٍ هامّةٍ:

١. كان المجال في هذا العمل ضيّقًا جدًّا، حيث قرّرنا طبع هذه المجموعة في العام الحالي اكرامًا لإصفهان في هذه السَّنة الّتي عيَّنها «آيسسكو» العاصمة للقطر الإسلامي الثقافيّة. فاقترحتُ تنظيم هذه المجموعة وتحقيق رسائلها وطبعها على فضيلة حجّةالإسلام الشّيخ أحمد زادهوش ـ مدير مكتب الإعلام الإسلامي فرع إصفهان، والأمين العام للُجنة جامع إصفهان العلمي لتكريم هذه السنة ـ؛ فوافق مبتغاي. فبدأتُ بهذا العمل وواصلتُ فيه الليل بالنهار والنهار بالليل، حتّى تمَّ ـ والحمد للّه ـ في أقلٍّ من ستّة أشهرٍ.

٢. ضيق الوقت قد منعنا عن التوسُّع في مجلّدات المجموعة، فتمَّ أطروحة هذا العمل العلميّ في هذه المجلّدات الأربعة. والمرجوُّ من اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ أن يوفّقنا لتتميمه في فرصةٍ مقبلةٍ؛ وما ذلك على اللّه بعزيزٍ!

٣. نظرًا إلى كِبر بعض تلك النُّصوص آثرنا طبع جزءٍ منها لكيلا يخلو هذه المجموعة منها؛ والمختار من تلك النُّصوص أجزاء مستقلّة بحيث لاتضرُّ بها وقوع الإختيار فيها.

٤. وفي الختام يجب عليَّ أن أشكر لمَن وازرني في هذا العمل المتواضع، أخصُّ منهم بالذكر أوّلًا الأعزّاء المحقّقين الكرام، حيث بذلوا جهدهم في إنجاز العمل في أقلّ ما يمكن

من الزمن؛ ساعدهم اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ ووفّقهم لما فيه الخير.

وثانيًا أشكر للأمين العالم للُّجنة، سماحة الشَّيخ زادهوش ـ دام توفيقه ـ، حيث وافقني في هذا العمل أوّلًا كما وأنّه سيتمُّ العمل بطبعه بحلّةٍ قشيبةٍ، إن شاء اللّه.

* * *

وبعد؛ فهذا عملٌ متواضعٌ بذلتُ فيه ستّة أشهرٍ من عمري ليلاً ونهارًا، والمأمول من اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ أن يقع موقع قبوله. والآن وأنا أضع اللمسات الأخيرة على هذه التقدمة القصيرة لايبقى عليَّ شيءٌ إلّا أن أشكر للّه ـ سبحانه وتعالى ـ الموفِّق على الإطلاق، حيث وفّقني لانجاز ما كنتُ بصدده، فالحمد له، ثمَّ الحمد له، ثمَّ الحمد له.

وصلوات اللّه وسلامه على نبيِّنا سيِّد الأنبياء والمرسلين
وعلى أهل بيته أئمّتنا الكِرام المعصومين
وكتبَ
خادم علومهم، المُشرِف على المجموعة
مجيد هادي زاده
في ١٢ / ١٠ / ١٤٢٧
الموافق لـ ١٣ / ٨ / ١٣٨٥

الأمثالُ السائرة من شعر المتنبِّي

للصاحب اسماعيل بن عبّاد

اعداد: مجيد هادي‌زاده

كلمة المحقّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه، والصّلوة والسّلام على رسول اللّه وعلى آله آل اللّه.

وبعد؛ فهذه رسالة الأمثال السائرة من شعر المتنبّي، والّتي «جمعها الصاحب كافي الكُفاة لمخدومه فخرالدولة». ابتدأتُ بها هذا المجلَّد نظراً إلىٰ قدمتها وبُعد عهدها بالنسبة إلينا؛ مضافاً إلىٰ ما لها من الأهمّيّة البالغة.

أمّا الرسالة فهي مجموعةٌ ممّا اختارها الصاحبُ إسماعيل بن عباد من الأمثال السائرة من شعر الفائق في صناعته المتنبي أبي‌الطَّيِّب أحمد بن الحسين الجُعفي‌الكِندي (٣٠٣، ٣٥٤هـ.ق.). وقد دفع جامعَها على جمعها وتنسيقها ما رأى من كثرة استشهاد الملك الفارسيّ فخرالدولة الديلميّ بشعر المتنبّي في كلامه، فألّفها ليهديها إليه. وقد اختار الملِك جملةً منها ميَّزها بحرف «خـ»؛ كما هو المشاهَد في متن الرِّسالة.

جامع الرسالة

هو كافي‌الكُفاة أبوالقاسم إسماعيل بن أبي‌الحسن عباد الطالقاني ـ نسبةً إلىٰ طالقان من

أعمال قزوين ـ. وُلد بها لأربع‌عشرة ليلةٍ بقيت من ذي‌القعدة سنة ٣٢٦هـ.ق. ونشأ في بيت علمٍ وفضلٍ. سمع من أبيه وجماعةٍ، وتتلمذ لأحمد بن فارس وأخذ عن ابن‌العميد، وكان يحضرهما في الري، فصار من كُتَّاب ابن‌العميد بعد أن بلغ مبلغاً عظيماً من علم الأدب ومايحتاج إليه الكاتب. ثمَّ رحل إلى إصفهان بعد أن استكتبه ابن‌العميد لمؤيِّدالدولة، وكان الصاحب حينئذٍ ابن عشرين سنة. ثمَّ صار وزيراً له من سنة ٣٦٦هـ.ق.؛ ثمَّ في سنة ٣٧٣هـ.ق. أخذ بزمام الوزارة للملك فخرالدولة بعد أن استولى على عرش السلطنة بإشارةٍ منه، وبقي وزيراً له حتَّى توفِّي في ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر من سنة ٣٨٥هـ.ق.، ودفن بإصفهان؛ ومزاره الآن معروفٌ يُزار؛ وقد قارب الستِّين من عمره[1].

الرسالة وعملي في إعدادها للطبع

مضتْ منَّا الإشارة إلىٰ أنَّ الصاحب جمعَ الرسالة للملك فخرالدولة، وأشرنا أيضاً إلى أنَّه كان وزيراً له من سنة ٣٧٣هـ.ق. إلىٰ أن قضى نحبه في سنة ٣٨٥هـ.ق.؛ فلاريب في أنَّ الرسالة مؤلَّفةٌ في هذه الفترة من الزمن، فهي وليدة النصف الثاني من القرن الرابع للهجرة المقدَّسة.

ثمَّ إنِّي لمَّا قمتُ بإعدادها للطبع في هذه المجموعة فحصتُ عن مخطوطاتها في فهارس المكتبات، ولكن لم‌أعثر على أيِّ مخطوطةٍ منها؛ ولا ضير! حيث إنَّ الديوان الَّذي اختار منه الصاحب هذه الأبيات موجودٌ، والمحقِّق اليوم يتمكَّن من الرجوع إليه. هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ الإمام الأديب العلَّامة السَّيِّد صدرالدِّين عليّ المدني قد أورد الرسالة بتمامها في موسوعته الكبرى في علم البديع، والَّتي أسماها أنوار الربيع في علم البديع[2].

---

١. استفدنا في هذه الترجمة القصيرة ممَّا كتبه الأستاذ إبراهيم شمس‌الدِّين في التقديم على ديوان الصاحب بن عباد؛ وانظر للتفصيل في ترجمته: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٠٦؛ معجم الأدباء ـ لياقوت ـ، ج ٢، ص ٢١٣؛ يتيمة الدَّهر، ج ٣، ص ٢٢٥؛ أعيان الشِّيعة، ج ١١، ص ٤٢٠؛ صاحب بن عباد للأستاذ الكبير أحمد بهمنيار؛ هدية العباد شرح حال صاحب بن عباد للعلَّامة الحجَّة الشَّيخ عبَّاسعلي اديب، والأخيران بالفارسيَّة.

٢. انظر أنوار الربيع في علم البديع، ج ٢، ص ١١٨، ١٤٢.

فركنتُ إلىٰ نقله، ثمَّ قابلتُ بين روايته ورواية البرقوقيّ في شرحه للديوان، وأشرتُ إلىٰ مواضع الأبيات فيه وما بينهما من الاِختلاف.

وقد طبع الرسالة من ذي قبل الأستاذ الشَّيخ محمَّدحسين آل ياسين في مكتبة الصاحب، ونقلها إلىٰ الفارسيَّة الدكتور فيروز حريرجي؛ فعلى اللَّه أجرهما.

وللَّه الحمد أوَّلًا وآخراً

مجيد هادي زاده

ليلة القدر ١٩ من رمضان المبارك لسنة ١٤٢٧

[بسم الله الرحمن الرحيم]

الأمثال السائرة من شعر المتنبِّي
جمعها الصاحب كافي الكفاة لمخدومه فخرالدولة

قال الصاحب كافي الكفاة اسماعيلُ بن عبَّاد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ:

الحمد للَّه الَّذي ضربَ الأمثالَ للناس، ﴿لَايَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوقَهَا﴾[1]؛ وصلَّى اللَّه على أفصح العرب وسرِّ عبدالمطَّلب ـ صلَّى اللَّه عليه وعلى اٰله أخيار الأمم وأنوار الظلم! ـ.

كم مثلٍ ضرب فيه الحجَّة الواضحة والحكمة البالغة، ثمَّ إنَّ اللَّه قد أحيا بالأمير السيِّد شاهنشاه فخرالدولة وفلك الأمَّة ـ أطال اللَّه بقاه ونصر لواه! ـ دائر العلوم والآداب وأقام برأيه ورايته أسواقها، وكانت في يد الكساد بل الذهاب؛ فهو يقدم على المعرفة ويقرب على التبصرة، لا كالملوك الَّذين يُقال لهم:

دَعِ المكارِمَ لاتنهَضْ لبُغيتِهَا ... واقعُدْ فإنَّك أنت الطاعمُ الكاسِي[2]

ومِن نِعَم اللَّه عليه ـ أدام اللَّه النِعَم لديه! ـ أنَّ اللَّه قرن ألفاظه بفضل المقال ووشَّح كلامه بضرب الأمثال، وسمعته ـ أعزَّ اللَّه نصره! ـ يتمثَّل كثيراً بفصوصٍ من شعر المتنبِّي، وهي لبُّ اللبِّ، يضع فيه الهناء مواضع النقب.

---

١. كريمة ٢٦ البقرة.

٢. البيت لحُطَيْئَة؛ راجع: ديوانه، ص ٥٣؛ ويُروى:

ذرِ المآثرَ لاتذهبْ لمطلبها ... و اجلس فإنَّك أنت الآكلُ الكاسي

وهذا الشاعر مع تميُّزه وبراعته وتبريزه في صناعته، له في الأمثال خصوصاً مذهبٌ سبق به أمثاله؛ فأمليتُ ما صدر عن ديوانه من مثلٍ واقعٍ في فنِّه، بارعٍ في معناه ولفظه، ليكون تذكرةً في المجلس العالي، تلحظها العين العالية وتعيها الأذن الواعية. ثمَّ إن أمر ـ أعلى اللَّه أمره! ـ أمليتُ ـ بمشيئة اللَّه ـ ما وقع من الأمثال في كلِّ ديوانٍ جاهليٍّ أو مخضرمٍ أو اسلاميٍ؛ فما أجد من الأدباء مَن عمل في ذلك كتاباً مقنعاً أو جمعاً مشبعاً؛ قرن اللَّه السعادات بأيّامه والمناجح بأعلامه!

* * *

قال المتنبِّي:

فَعُدْ بِهَا لَا عَدِمتُهَا أبَداً ... خَيرُ صِلَاتِ الكَرِيمِ أعوَدُهَا[1]

* * *

إِنِّي لَأَعْلَمُ وَاللَّبِيبُ خَبِيرُ ... أَنَّ الْحَيَاةَ وَإِنْ حَرِصْتُ غُرُورُ[2]

* * *

صَبْراً بَنِي إِسْحَاقَ عَنْهُ تَكَرُّماً ... إِنَّ الْعَظِيمَ عَلَى الْعَظِيمِ صَبُورُ

يَمَّمْتُ شَاسِعَ دَارِهِمْ عَنْ نِيَّةٍ ... إِنَّ الْمُحِبَّ عَلَى الْبِعَادِ[3] يَزُورُ[4]

* * *

فَمَوتِي فِي الْوَغَى عَيْشِي لِأَنِّي ... رَأَيْتُ الْعَيْشَ فِي أَرَبِ النُّفُوسِ[5]

* * *

خَ أَهْوِنْ بِطُولِ الثَّوَاءِ وَالتَّلَفِ ... وَ السِّجْنِ وَالْقَيْدِ يَا أَبَادُلَفِ

خَ لَوكَانَ سُكْنَايَ فِيهِ مَنْقَصَةً ... لَمْ يَكُنِ الدُّرُّ سَاكِنَ الصَّدَفِ

---

١. راجع: شرح البرقوقي على ديوان المتنبّي، ج ٢، ص ٣٧.
٢. المصدر، ج ٢، ص ٢٣١.
٣. المصدر: المحبُّ لمَن يحبُّ.
٤. المصدر، ج ٢، ص ٢٣٥، ٢٣٧.
٥. المصدر، ج ٢، ص ٣٠١.

خـ غَيْرَ اُخْـتِيَارٍ قَـبِلْتُ بِـرَّكَ بِـي وَالسِّجْنُ وَالْـقَيْدُ يَـا أَبَـادُلَفِ[١ و ٢]

* * *

خـ إذَا قِيلَ رِفْقًا قَـالَ لِـلحِلْمِ مَـوضِعٌ وحِلمُ الفَتَى فِي غَيرِ مَـوضِعِهِ جَـهلُ[٣]

* * *

يَـفنَى الكَـلَامُ ولَايُـحِيطُ بِـوَصفِكُمْ أَ يُـحِيطُ مَـا يَـفنِي بِـمَا لَايَـنفَدُ[٤]

* * *

يَفْدِي بَنِيكَ عُـبَيدَاللّٰـهِ حَـاسِدُهُمْ بِجَبْهَةِ العَيرِ يُفدَى حَافِرُ الفَـرَسِ[٥]

* * *

خَيرُ الطُّيُورِ عَـلَى القُـصُورِ وشَـرُّهَا يَأْوِي الخَـرَابَ ويَسْكُـنُ النَّـاوُوسَا

* * *

ومَا الكَـرَمُ[٦] الطَّـرِيفُ وإنْ تَـقَوَّى بِـمُنتَصِفٍ مِـنَ الكَـرَمِ التِّـلَادِ
وإنَّ الجُـرْحَ يَـفشِيءُ[٧] بَـعدَ حِـينٍ إذَا كَـانَ البِـنَاءُ عَـلَى فَسَـادِ[٨]

* * *

يَـجْنِي الغِـنَى لِـلِئَامِ لَـوعَقَلُوا مَا لَيسَ يَـجْنِي عَـلَيهِمِ العَـدَمُ
هُـمُ لِأَمْـوَالِـهِمْ ولَسْـنَ لَـهُمْ والعَارُ يَبقَى والجُـرْحُ يَـلتَئِمُ[٩]

* * *

---

١. المصدر:

غـيراخـتيارٍ قـبلتُ بـرّك لي والجوعُ يرضى الأُسودَ بـالجِيَفِ

٢. المصدر، ج ٣، ص ٢٣، ٢٤.
٣. المصدر، ج ٣، ص ٣٠٥.
٤. المصدر، ج ٢، ص ٦٢.
٥. المصدر، ج ٢، ص ٢٩٨.
٦. المصدر: الغضبُ.
٧. المصدر: ينفِر.
٨. المصدر، ج ٢، ص ٨٣.
٩. المصدر، ج ٤، ص ١٨٠، ١٨١.

ودَهْـــرٌ نَـاسُهُ نَـاسٌ صِـغَارٌ وإنْ كَـانَتْ لَـهُمْ جُثَثٌ ضِخَامُ
ومَـا أَنَـا مِـنهُمُ بِـالعَيشِ فِـيهِمْ ولَكِـنْ مَـعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَـامُ
خَـلِيلَكَ أَنْتَ لَا مَـنْ قُـلتَ خِـلِّي وإنْ كَـثُرَ التَّـجَمُّلُ والكَـلَامُ
ولَـو جِـيزَ الحِـفَاظُ بِـغَيرِ عَـقلٍ تَـجَنَّبَ عُـنْقَ صَـيقَلَةِ الحُسَـامُ
وشِـبْهُ الشَّـيءِ مُـنْجَذِبٌ إِلَـيْهِ وأَشْـبَهُنَا بِـدُنيَانَا الطَّـغَامُ
ولَـولَمْ يَـرعَ إِلَّا مُـستَحِقٌّ لِـرُتبَتِهِ أَسَـامَهُمُ المُسَـامُ
ولَـولَمْ يَـعْلِ إِلَّا ذُومَـحلٍّ تَـعَالَى الجَـيشُ وانْـحَطَّ القَـتَامُ
ومَـنْ خَـبَرَ الغَـوَانِي فَـالغَوَانِي ضِـيَاءٌ فِـي بَـوَاطِـنِهِ ظَـلَامُ
تَـلَذُّ لَـهُ المُـرُوءَةُ وهْـيَ تُـؤذِي ومَـن يَـعشَقْ يَـلَذُّ لَـهُ الغَـرَامُ
وقَـبضُ نَـوَالِـهِ شَـرَفٌ وعِـزٌّ وقَـبضُ نَـوَالِ بَـعضِ القَـومِ ذَامُ
أَقَـامَتْ فِـي الرِّقَـابِ لَـهُ أَيَـادٍ هِـيَ الأَطـوَاقُ والنَّـاسُ الحَـمَامُ[1]

* * *

ومَا الفِـضَّةُ البَـيضَاءُ والتِّـبرُ وَاحِـدٌ نُفُوعَانِ لِلْمُكدِي وبَـينَهُمَا صَـرْفُ[2]

* * *

وزَارَكَ بِـي دُونَ المُـلُوكِ تَـحَرُّجٌ إِذَا عَنَّ بَـحْرٌ لَـمْ يَجُزْ لِـي التَّـيَمُّمُ[3]

* * *

ولِكُلِّ عَـينٍ قُـرَّةٌ فِـي قُـربِهِ حَـتَّى كَأَنَّ مَـغِيبَهُ الأَقْـذَاءُ[4]

* * *

خـ ولَكِنَّ حُبًّا خَامَرَ القَـلبَ فِـي الصِّبَا يَـزِيدُ عَـلَى مَـرِّ الزَّمَـانِ ويَشْـتَدُّ

---

١. المصدر، ج ٤، ص ١٩٠.
٢. المصدر، ج ٣، ص ٣٢.
٣. المصدر، ج ٤، ص ٢١٣.
٤. المصدر، ج ١، ص ١٤٨.

خـ وأَصبَحَ شِعرِي مِنهُمَا فِي مَكَانِهِ وفِي عُنُقِ الحَسنَاءِ يُستَحسَنُ العِقدُ[١]

* * *

فِي سَعَةِ الخَافِقَينِ مُضطَرَبٌ وفِي بِلَادٍ مِن أُختِهَا بَدَلُ
أَبلَغُ مَا يُطلَبُ النَّجَاحُ بِهِ الطَّـ ـبْعُ وعِندَ التَّعَثُّرِ الزَّلَلُ[٢]

* * *

ومَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ يَجِدْ مُرًّا بِهِ المَاءَ الزُّلَالَا[٣]

* * *

مَا كُلُّ مَن طَلَبَ المَعَالِي نَافِذاً فِيهَا ولَا كُلُّ الرِّجَالِ فُحُولاً[٤]

* * *

خـ الحُبُّ مَا مَنَعَ الكَلَامَ الأَلسُنَا وأَلَذُّ شَكوَى عَاشِقٍ مَا أَعلَنَا
خـ وأَنَهُ المُشِيرَ عَلَيكَ فِيَّ بِظَلَّةٍ وَالحُرُّ مُمتَحَنٌ بِأَولَادِ الزِّنَا
خـ ومَكَائِدُ السُّفَهَاءِ وَاقِعَةٌ بِهِم وعَدَاوَةُ الشُّعَرَاءِ بِئسَ المُقتَنَى
لُعِنَتْ مُقَارَنَةُ اللَّئِيمِ فَإِنَّهَا ضَيفٌ يَجُرُّ مِنَ النَّدَامَةِ ضَيفَنَا[٥]

* * *

وأَنفَسُ مَا لِلفَتَى لُبُّهُ وذُواللُّبِّ يَكرَهُ إِنفَاقَهُ[٦]

* * *

لَاافتِخَارٌ إِلَّا لِمَن لَايُضَامُ مُدرِكٍ أَو مُحَارِبٍ لَايَنَامُ
خـ ذَلَّ مَن يَغبِطُ الذَّلِيلَ بِعَيشٍ رُبَّ عَيشٍ أَخَفُّ مِنهُ الحِمَامُ

---

١. المصدر، ج ٢، ص ١٠٥، ١١١.
٢. المصدر، ج ٣، ص ٣٢٧، ٣٣٦.
٣. المصدر، ج ٣، ص ٣٤٤.
٤. المصدر، ج ٣، ص ٣٦٢.
٥. المصدر، ج ٤، ص ٢٣٧، ٢٣٨.
٦. المصدر، ج ٣، ص ٩.

خـ كُـلُّ حِـلمٍ أَتَـى بِـغَيرِ اقْـتِدَارٍ حُـجَّةٌ لَاجِـئٌ إِلَـيهَا اللِّـئَامُ
مَـن يَـهُنْ يَسهُلِ الهَـوَانُ عَـلَيهِ مَـا لِـجُرحٍ بِـمَيِّتٍ إِيـلَامُ
إِنَّ بَـعْضاً مِـنَ القَـرِيضِ هُـذَاءٌ لَـيسَ شَـيْئاً وَبَـعضُهُ أحكَـامُ[1]

* * *

ورُبَّـمَا فَـارَقَ الإِنسَـانُ مُـهجَتَهُ يَومَ الوَغَى غَيرَ قَالٍ خَشيَةَ العَارِ[2]

* * *

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغـرَاضٌ لِـذَا الزَّمَـنِ يَخلُو مِنَ الهَمِّ أَخـلَاهُم مِـنَ الفِـطَنِ
فَـقرُ الجَـهُولِ إِلَـى عَـقْلٍ بِـلَا أَدَبٍ فَقرُ الحِـمَارِ إِلَـى رَأْسٍ بِـلَا[3] رَسَـنِ
لَا يُـعجِبَنَّ مَـضِيمًا حُسْـنُ بَـزَّتِهِ وهَلْ يَـرُوقُ دَفِـينًا جَـودَةُ الكَـفَنِ[4]

* * *

إِلَى مِثلِ مَا كَانَ الفَـتَى يَـرجِـعُ الفَـتَى يَعُودُ كَمَا يُبدِي[5] ويُكْرِي كَمَا أَرمَـى[6]

* * *

إِنْـعَمْ ولَـذَّ فَـلِلأُمُورِ أَوَاخِـرٌ أَبَـدًا كَـمَا كَـانَتْ لَـهُنَّ أَوَائِـلُ
وإِذَا أَتَـتْكَ مَـذَمَّتِي مِـنْ نَـاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِـي بِأَنِّـي كَـامِلُ[7]

* * *

خـ فِي النَّـاسِ أَمـثِلَةٌ تَـدُورُ حَـيَاتُهَا كَـمَمَاتِهَا وَمَـمَاتُهَا كَـحَيَاتِهَا[8]

* * *

---

١. المصدر، ج ٤، ص ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٥.
٢. المصدر، ج ٢، ص ٢٤٥.
٣. المصدر: إلى.
٤. المصدر، ج ٤، ص ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤.
٥. المصدر: أبدِي.
٦. المصدر، ج ٤، ص ٢٢٧.
٧. المصدر، ج ٣، ص ٣٧٠، ٣٧٦.
٨. المصدر، ج ١، ص ٣٥٧.

خـ ومَن يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِـي جَـمعِ مَـالِهِ ... مَـــخَافَةَ فَـقْرٍ فَـالَّذِي فَـعَلَ الفَـقرُ
خـ ولَايَـنفَعُ الإمكَـانُ لَـولَا سَـخَاوُهُ ... وهَـلْ نَـافِعٌ لَـولَا الأَكُـفُّ القَـنَا السُّـمْرُ[1]

* * *

ضُـرُوبُ النَّـاسِ عُشَّـاقٌ ضُـرُوبَا ... فَأَعْـــذَرُهُم أَشَـقُّهُمُ حَـبِيبًا[2]

* * *

خـ ومِنْ نَكَدِ الدُّنيَا عَـلَى الحُـرِّ أَنْ يَـرَى ... عَـدُوًّا لَـهُ مَـا مِـن صِـدَاقَـتِهِ بُـدُّ
وأُكْـــبِرُ نَـفسِي عَـن جَـزَاءٍ بِـغَيْبَةٍ ... وكُـلُّ اغْـتِيَابٍ جُـهدُ مَـن لَا لَـهُ جُـهْدُ
فَـمَا فِـي سَـجَايَاكُـمْ مُـنَازَعَةُ العُـلَى ... ولَا فِـي طِـبَاعِ التُّـربَةِ المِسْكُ وَالنَّـدُ[3]

* * *

خـ مِنَ الحِلمِ أَنْ تَسْـتَعمِلَ الجَـهلَ دُونَـهُ ... إِذَا اتَّسَـعَتْ فِـي الحِـلْمِ طَـرْقُ المَـظَالِمِ[4]

* * *

خـ إِذَا لَـمْ تَكُنْ نَـفْسُ النَّسِـيبِ كَأَصْـلِهِ ... فَـمَا ذَا الَّـذِي تُـغْنِي كِـرَامُ المَـنَاسِبِ[5]

* * *

لَوكَانَ يُمكِنُنِي سَـفرْتُ عَـنِ الصِّـبَا ... فَـالشَّيبُ مِـن قَـبلِ الأَوَانِ تَـلَثُّمُ
والهَـمُّ يَـختَرِمُ الجَسِـيمَ نَـحَافَةً ... ويُشِـيبُ نَـاصِيَةَ الصَّـبِيِّ ويُـهرِمُ
ذُوالعَـقلِ يَشْـقَى فِـي النَّـعِيمِ بِـعَقلِهِ ... وأَخُو الجَـهَالَةِ فِـي الشَّـقَاوةِ يَـنعَمُ
والنَّاسُ قَد نَـبَذُوا الحِـفَاظَ فَـمُطلَقٌ ... يَـنسِي الَّـذِي يُـولِي وعَـافٍ يَـندَمُ
لَاتَـخْدَعَنَّكَ مِـن عَـدُوِّكَ دَمْـعَةٌ ... وَارْحَمْ شَـبَابَكَ مِـنْ عَـدُوٍّ تَـرحَـمُ
لَايَسلَمُ الشَّـرَفُ الرَّفِـيعُ مِـنَ الأَذَى ... حَـتَّى يُـرَاقَ عَـلَى جَـوانِـبِهِ الدَّمُ

---

١. المصدر، ج ٢، ص ٢٥٥، ٢٥٩.
٢. المصدر، ج ١، ص ٢٦٤.
٣. المصدر، ج ٢، ص ٩٢، ٩٥، ١٠٢.
٤. المصدر، ج ٤، ص ٢٣٨.
٥. المصدر، ج ١، ص ٢٨٣.

يُـوْذِي القَـلِيلُ مِـنَ اللِّـئَامِ بِـطَبْعِهِ ... مَـن لَايَـقِلُّ كَـمَنْ يَـقِلُّ ويَـلؤَمُ
والظُّلْمُ مِن شِيَمِ النُّفُوسِ فَـإنْ تَـجِدْ ... ذَاعِـفَّةٍ فَـلِعِلَّةٍ لَايَـظلِمُ
ومِـن البَـلِيَّةِ عَـذلُ مَـن لَايَـرعَوِي ... عَن جَـهلِهِ[1] وخِـطَابُ مَـن لَايَـفهَمُ
والذُّلُّ يُـظهِرُ فِـي الذَّلِـيلِ مَـوَدَّةً ... وأَوَدُّ مِـنهُ لِـمَنْ يَـوَدُّ الأرقَـمُ
خـ ومِـنَ العَـدَاوَةِ مَـا يَـنَالُكَ نَـفعُهُ ... ومِـنَ الصَّـدَاقَـةِ مَـا يَـضُرُّ ويُـؤلِمُ
أفـعَالُ مَـن تَـلِدُ الكِـرَامُ كَـرِيمَةٌ ... وفَعَالُ مَـن تَـلِدُ الأعَـاجِمُ أعـجَمُ[2]

* * *

خـ ولَكِـنَّ الغُـيُوثَ إذَا تَـوَالَتْ ... بِأَرضٍ مُسَـافِرٍ كَـرِهَ الغَـمَامَا[3]

* * *

خـ فَـطَعمُ المَـوتِ فِـي أمـرٍ حَـقِيرٍ ... كَـطَعمِ المَـوتِ فِـي أمـرٍ عَـظِيمِ
يَـرَى الجُـبَنَاءُ أنَّ العَـجزَ عَـقْلٌ[4] ... وتِـلكَ خَـدِيعَةُ الطَّـبعِ اللَّـئِيمِ
خـ وكُلُّ شَجَاعَةٍ فِـي المَـرءِ تُـغْنِي ... ولَامِـثْلَ الشَّـجَاعَةِ فِـي الحَكِـيمِ
خـ وكَمْ مِن عَـائِبٍ قَـولًا صَـحِيحًا ... وآفَـتُهُ مِـنَ الفَـهمِ السَّـقِيمِ
ولَكِـنْ تَأخُـذُ الأذهَـانُ مِـنهُ ... عَـلَى قَـدرِ القَـرَائِحِ والفُـهُومِ[5]

* * *

كَـلَامُ أكـثَرِ مَـن تَـلقَى ومَـنظَرُهُ ... مِمَّا يَشُقُّ عَلَى الأذهَانِ والحَـدَقِ[6]

* * *

إلْـفُ هَـذَا الهَـوَاءِ أوقَـعَ فِـي الأنْـ ... ـفُسِ إنَّ الحِـمَامَ مُـرُّ المَـذَاقِ
والأَسَـى قَـبلَ فُـرقَةِ الرُّوحِ عَـجْزٌ ... والأَسَـى لَايَكُـونُ بَـعدَ الفَـرَاقِ

---

١. المصدر: غيِّه.
٢. المصدر، ج ٤، ص ٢٥١.
٣. المصدر، ج ٤، ص ٢٦٢.
٤. المصدر: فخرٌ.
٥. المصدر، ج ٤، ص ٢٤٥، ٢٤٦.
٦. المصدر، ج ٣، ص ١.

والغِـنَى فِـي يَـدِ اللَّـئِيمِ قَـبِيحٌ قَدرَ قُـبحِ الكَـرِيمِ فِـي الامْـلَاقِ[١]

* * *

ومِن قَـبلِ النِّـطَاحِ وقَـبْل يَأْنِـي تَبِينُ لَكَ النَّـعَاجُ مِـنَ الكِـبَاشِ[٢]

* * *

خـ ويُظهِرُ الجَـهلَ بِـي وأَعـرِفُهُ والدُّرُّ دُرُّ بِـرَغمِ مَـن جَـهِلَه
فَـصِرتُ كَـالسَّيفِ حَـامِدًا يَـدَهُ لَايَحمَدُ[٣] السَّيفُ كُلَّ مَن حَمَلَه[٤]

* * *

وَفَـاؤُكُـمَا كَـالرَّبْعِ أشجَاهُ طَـاسِمُه بِأنْ تُسـعِدَا والدَّمـعُ أَشـفَاهُ سَاجِمُه
وقَـد يَـتَزَيَّا بِـالهَوَى غَـيرُ أهـلِهِ ويَستَصحِبُ[٥] الإنْسَانُ مَن لَايُـلَائِمُه
قِفَّى تَغْرَمِ الأُولَـى مِـنَ اللَّـحظِ مُـهجَتِي بِـثَانِيَةٍ والمُـتلِفُ الشَّـيءَ غَـارِمُه
ومَـا خَـضَّبَ النَّـاسُ البَـيَاضَ لأنَّـهُ قَـبِيحٌ ولَكِـن أحْسَـنُ الشِّعرِ فَـاحِمُه
ومَـا كُـلُّ سَـيفٍ يَـقطَعُ الهَـامَ حَـدُّهُ وتَـقطَعُ لَـزبَاتِ الزَّمَـانِ مَكَـارِمُه[٦]

* * *

خـ وإذَا كَـانَتِ النُّـفُوسُ كِـبَارًا تَـعِبَتْ فِـي مُـرَادِهَـا الأجسَـامُ
فَكَـثِيرٌ مِـنَ الشُّـجَاعِ التَّـوَقِّي وكَـثِيرٌ مِـنَ البَـلِيغِ السَّـلَامُ[٧]

* * *

خـ ولَوجَازَ الخُـلُودُ خَـلَدتَ فَـرْدًا ولَكِـن لَـيسَ لِـلدُّنيَا خَـلِيلُ[٨]

* * *

---

١. المصدر، ج ٣، ص ١٠٨، ١٠٩.
٢. المصدر، ج ٢، ص ٣٢٠.
٣. المصدر: ما يحمد.
٤. المصدر، ج ٣، ص ٣٨٧، ٣٩٢.
٥. المصدر: ويصطَحِب.
٦. المصدر، ج ٤، ص ٤٣، ٤٥، ٤٧، ٥٢، ٦١.
٧. المصدر، ج ٤، ص ٦٤، ٦٧.
٨. المصدر، ج ٣، ص ١٤٠.

خـ ومَـن لَـمْ يَعشَقِ الدُّنـيَا قَـلِيلٌ ... ولَكِـن لَاسَـبِيلَ إلَـى الوِصَـالِ
خـ نَـصِيبُكَ فِـي حَـيَاتِكَ مِـن حَـبِيبٍ ... نَـصِيبُكَ فِـي مَـنَامِكَ مِـن خَـيَالِ
خـ ولَـوكَانَ النِّسَـاءُ كَـمَنْ فَـقَدنَا ... لَـفُضِّلَتِ النِّسَـاءُ عَـلَى الرِّجَـالِ
خـ ومَا التَّأْنِيثُ لِاسْمِ الشَّمسِ عَـيْبٌ ... ولَا التَّـذكِيرُ فَـخْرٌ لِـلهِلَالِ
خـ فَـإنْ تَـفِقِ الأَنَـامُ وأَنتَ مِـنهُمْ ... فَـإنَّ المِسكَ بَـعضُ دَمِ الغَـزَالِ[1]

* * *

إلَامَ طَـمَاعِيَةُ العَـاذِلِ ... ولَارَأْيَ فِـي الحُبِّ لِـلعَاقِلِ
خـ يُـرَادُ مِـنَ القَـلبِ نِسـيَانُكُمْ ... وتَأْبَـى الطِّـبَاعُ عَـلَى النَّاقِلِ
خُذُوا مَـا أَتَـاكُـم بِـهِ واغْـنمُوا ... فَـإنَّ الغَـنِيمَةَ فِـي العَـاجِلِ[2]

* * *

خـ أعلَى المَمَالِكِ مَا يُـبنَى عَـلَى الأَسَـلِ ... والطَّـعْنُ عِـندَ مُـحِبِّيهِنَّ كَـالقُبَلِ
ولَايُـجِيرُ عَـلَـيهِ الدَّهْـرُ بُـغيَتَهُ ... ولَاتُـحَصِّنُ دِرْعٌ مُـهجَةَ البَـطَلِ
بِـذِي الغَـبَاوَةِ مِـن إنْشَـادِهَا ضَـرَرٌ ... كَـمَا تَـضُرُّ رِيَـاحُ الوَردِ بِـالجُعَلِ[3]

* * *

إذَا مَـا تَأَمَّـلْتَ الزَّمَـانَ وصَـرفَهُ ... تَيَقَّنتَ أنَّ المَوتَ ضَرْبٌ مِنَ القَتلِ
هَـلِ الوَلَـدُ الـمحبُوبُ إلَّا تَـعِلَّةٌ ... وهَلْ خَلْوَةُ الحَسنَاءِ إلَّا أذَى البَعلِ
ومَا الدَّهـرُ أهـلٌ أنْ تُـؤَمَّلَ عِـندَهُ ... حَيَاةٌ وأنْ يُشتَاقَ فِيهِ إلَى النَّسْـلِ[4]

* * *

ورُبَّـمَا قَـالَتِ العُـيُونُ وقَـدْ ... يَصْدُقُ فِيهَا ويَكـذِبُ النَّـظَرُ

---

١. المصدر، ج ٣، ص ١٤٠، ١٤١، ١٤٩، ١٥١.
٢. المصدر، ج ٣، ص ١٥٢، ١٥٣، ١٥٩.
٣. المصدر، ج ٣، ص ١٦٣، ١٦٧، ١٦٨.
٤. المصدر، ج ٣، ص ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩.

أعَـاذَكَ اللّـهُ مِـن سِـهَامِهِمِ ومُخْطِيءٌ مَن رَمِـيُّهُ القَـمَرُ[١]

* * *

وإذَا وَكَـلتَ إلَـى كَـرِيمٍ رَأيَـهُ فِي الجُودِ بَانَ مَذِيقُهُ مِن مَحضِهِ[٢]

* * *

إنَّ الرِّيَـاحَ إذَا عَـمَدْنَ لِـنَاظِرٍ أغـنَاهُ مُـقبِلُهَا عَـنِ اسْتِعجَالِهِ
دُونَ الحَـلَاوَةِ فِـي الزَّمَـانِ مَـرَارَةٌ لَاتُـخْتَطَى إلَّا عَـلَى أهـوَالِـهِ[٣]

* * *

وهَل تُغنِي الرَّسَـائِلُ فِـي عَـدُوٍّ إذَا مَـا لَـم يَكُنْ ظُـبًى رِقَـاقَا[٤]

* * *

وإنْ جَـزِعنَا لَـهُ فَـلَاعَجَبٌ ذَا الجَزرُ فِي البَحرِ غَـيرُ مَـعهُودِ
فَمَا تُـرَجَّى النُّـفُوسُ مِـن زَمَـنٍ أحـمَدُ حَـالَيهِ غَـيرُ مَـحمُودِ[٥]

* * *

مَن يَعرِفُ الشَّـمسَ لَايُـنكِر مَـطَالِعَهَا أو يُبصِرِ الخَـيلَ لَايَسـتَكرِمِ الرَّمَكَـا[٦]

* * *

خـ ومَا ذَاكَ بُخْلًا بِـالنُّفُوسِ عَـلَى القَـنَا ولَكِـنَّ صَـدمَ الشَّـرِّ بِـالشَّرِّ أحـزَمُ[٧]

* * *

أهـلُ الحَـفِيظَةِ إلَّا أنْ تُـجَرِّبَهُم وفِي التَّجَارِبِ بَعدَ الغَيِّ مَا يَـزَعُ

---

١. المصدر، ج ٢، ص ١٩٣، ١٩٤.
٢. المصدر، ج ٢، ص ٣٢٦.
٣. المصدر، ج ٣، ص ١٨٥، ١٨٩.
٤. المصدر، ج ٣، ص ٤٧.
٥. المصدر، ج ١، ص ٣٨٥، ٣٨٦.
٦. المصدر، ج ٣، ص ١١٣.
٧. المصدر، ج ٤، ص ٧٨.

لَيسَ الجَمَالُ لِوَجهٍ صَحَّ مَارِنُهُ ... أنفُ العَزِيزِ بِقَطعِ العِزِّ يُجتَدَعُ
والمَشرِفِيَّةُ مَازَالَتْ[1] مُشَرَّفَةً ... دَوَاءُ كُلِّ كَرِيمٍ أو هِيَ الوَجَعُ
خُلِّاتَحسَبُوامَنأَسرتُمْكَانَذَارَمَقٍ ... فَلَيسَ تَأكُلُ إلَّا المَيِّتَ الضَّبُعُ
خُمَنكَانَفَوقَمَحَلِّالشَّمسِمَوضِعُهُ ... فَلَيسَ يَرفَعُهُ شَيءٌ ولَايَضَعُ
خُ فَقَدْ يُظَنُّ شُجَاعاً مَن بِهِ خَرَقٌ ... وقَد يُظَنُّ جَبَانًا مَن بِهِ زَمَعُ
إنَّ السِّلَاحَ جَمِيعُ النَّاسِ تَحمِلُهُ ... ولَيسَ كُلُّ ذَوَاتِ المِخلَبِ السَّبُعُ[2]

* * *

ومَا الخَوفُ إلَّا مَا تَخَوَّفَهُ الفَتَى ... ومَا الأَمْنُ إلَّا مَا رَآهُ الفَتَى أمْنًا[3]

* * *

خُ وَحِيدٌ مِنَ الخُلَّانِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ ... إذَا عَظُمَ المَطلُوبُ قَلَّ المُسَاعِدُ
بِذَا قَضَتِ الأَيَّامُ مَا بَينَ أهلِهَا ... مَصَائِبُ قَومٍ عِندَ قَومٍ فَوَائِدُ
وكُلٌّ يَرَى طُرْقَ الشَّجَاعَةِ وَالنَّدَى ... ولَكِنَّ طَبْعَ النَّفسِ لِلنَّفسِ قَائِدُ
فَإنَّ قَلِيلَ الحُبِّ بِالعَقْلِ صَالِحٌ ... وإنَّ كَثِيرَ الحُبِّ بِالجَهْلِ فَاسِدُ[4]

* * *

وقَد فَارَقَ النَّاسُ الأحِبَّةَ قَبلَنَا ... وأَعيَا دَوَاءُ المَوتِ كُلَّ طَبِيبِ
وللتَّركُ لِلْإحسَانِ خَيْرٌ لِمحسِنٍ ... إذَا جَعَلَ الإحسَانَ غَيرَ رَبِيبِ
فَرُبَّ كَثِيبٍ لَيسَ تَندَى جُفُونُهُ ... ورُبَّ كَثِيرِ الدَّمعِ غَيرُ كَثِيبِ
وفِي تَعَبٍ مَنْ يَحسُدُ الشَّمسَ ضُوءَهَا ... ويَجهَدُ أن يَأتِي لَهَا بِضَرِيبِ[5]

* * *

---

١. المصدر: لازالت.
٢. المصدر، ج ٢، ص ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٣.
٣. المصدر، ج ٤، ص ٣٠٢.
٤. المصدر، ج ١، ص ٣٩٣، ٣٩٤.
٥. المصدر، ج ١، ص ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١.

ومَن صَحِبَ الدُّنيا طَويلاً تَقَلَّبَتْ عَلَى عَينِهِ حَتَّى يَرَى صِدقَهَا كِذْبَا
ومَن تَكُنِ الأُسْدُ الضَّوَارِي جُدُودَهُ يَكُنْ لَيلُهُ صُبْحًا ومَطعَمُهُ غَصْبَا[1]

* * *

خـ أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنكَ صَادِقَةً أنْ تَحسِبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحمُهُ وَرَمُ
خـ ومَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنيَا بِنَاظِرِهِ إذَا اسْتَوَتْ عِندَهُ الأنوَارُ والظُّلَمُ
خـ إذَا رَأَيتَ نُيُوبَ اللَّيثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّنَّ أنَّ اللَّيثَ يَبتَسِمُ
إنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لِجُرْحٍ إذَا أَرضَاكُمُ أَلَمُ
وبَينَنَا لَو رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةٌ إنَّ المَعَارِفَ فِي أَهْلِ النُّهَى ذِمَمُ
شَرُّ البِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وشَرُّ مَا يَكسِبُ الإنسَانُ مَا يَصِمُ
وشَرُّ مَا قَنَصَتْهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شُهبُ البُزَاةِ سَوَاءٌ فِيهِ والرَّخَمُ[2]

* * *

وإنْ كَانَ ذَنبِي كُلَّ ذَنْبٍ فَإنَّهُ مَحَا الذَّنْبَ كُلَّ المَحوِ[3] مَنْ جَاءَ تَائِبَا[4]

* * *

ومَا صَبَابَةُ مُشتَاقٍ عَلَى أَمَلٍ مِنَ اللِّقَاءِ كَمُشتَاقٍ بِلَا أَمَلِ
والهَجْرُ أَقتَلُ لِي مِمَّا أُرَاقِبُهُ أَنَا الغَرِيقُ فَمَا خَوفِي مِنَ البَلَلِ
خُذْ مَا تَرَاهُ ودَعْ شَيْئاً سَمِعتَ بِهِ فِي طَلعَةِ الشَّمسِ مَا يُغنِيكَ عَن زُحَلِ
إنْ كُنتَ تَرضَى بِأنْ يُعطُوا الجِزَى بَذَلُوا مِنهَا رِضَاكَ ومَن لِلْعُورِ بِالحَوَلِ
خـ لَعَلَّ عُتبَكَ مَحمُودٌ عَوَاقِبُهُ فَرُبَّمَا[5] صَحَّتِ الأجسَامُ بِالعِلَلِ
لِأنَّ حِلمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلُّفَهُ لَيسَ التَّكَحُّلُ فِي العَينَينِ كَالكَحَلِ

---

١. المصدر، ج ١، ص ١٨٢، ١٨٥.
٢. المصدر، ج ٤، ص ٨٣، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠.
٣. المصدر: كلُّ الذنب.
٤. المصدر، ج ١، ص ٢٠٠.
٥. المصدر: وربُّما.

وَمَا ثَنَاكَ كَلَامُ النَّاسِ عَن كَرَمٍ ... وَمَن يَسُدُّ طَرِيقَ العَارِضِ الهِطَلِ[١]

* * *

خ وَلَيسَ يَصِحُّ فِي الأَفْهَامِ شَيءٌ ... إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ[٢]

* * *

خ وَمَا كَمَدُ الحُسَّادِ شَيءٌ قَصَدتُهُ ... وَلَكِنَّهُ مَن يَزْحَمِ البَحْرَ يَغرَقِ

خ وَإِطْرَاقُ طَرْفِ العَينِ لَيسَ بِنَافِعٍ ... إِذَا كَانَ طَرفُ القَلبِ لَيسَ بِمُطرِقِ[٣]

* * *

وَمَن كُنتَ بَحْرًا لَهُ يَا عَلِـ ... ـيُّ لَا يَقبَلُ الدُّرَّ إِلَّا كِبَارَا[٤]

* * *

لَيَالِيَّ بَعدَ الظَّاعِنِينَ شُكُولُ ... طِوَالٌ وَلَيلُ العَاشِقِينَ طَوِيلُ

وَبِتْنَ بِحِضْنِ الرَّانِ رَزْحَى مِنَ الوَجَى ... وَكُلُّ عَزِيزٍ لِلْأَمِيرِ ذَلِيلُ

فَإِنْ تَكُنِ الأَيَّامُ أَبْصَرنَ صَولَةً[٥] ... فَقَدْ عَلَّمَ الأَيَّامُ كَيفَ تَصُولُ[٦]

* * *

أَيَدْرِي مَا أَرَابَكَ مَنْ يُرِيبُ ... وَهَل تَرقَى إِلَى الفَلَكِ الخُطُوبُ

يُجَشِّمُكَ الزَّمَانُ أَذًى[٧] وَحُبًّا ... وَقَد يُؤْذَى مِنَ المِقَةِ الحَبِيبُ[٨]

* * *

---

١. المصدر، ج ٣، ص ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١.
٢. المصدر، ج ٣، ص ٢١٥.
٣. المصدر، ج ٣، ص ٥٨.
٤. المصدر، ج ٢، ص ١٩٩.
٥. المصدر: صوله.
٦. المصدر، ج ٣، ص ٢١٧، ٢٢٥، ٢٢٩.
٧. المصدر: هوًى.
٨. المصدر، ج ١، ص ٢٠١.

خـ لِكُـلِّ امْـرِىءٍ مِـن دَهْـرِهِ مَـا تَـعَوَّدَا وعَادَاتُ سَيفِ‌الدَّولَةِ الطَّعنُ[١] فِـي العِـدَى
خـ ومَـا قَـتَلَ الأحـرَارَ كَـالعَفوِ عَـنهُمُ ومَـن لَكَ بِـالحُرِّ الَّـذِي يَـحفَظُ اليَـدَا
إذَا أنْتَ أَكْـرَمتَ الكَـرِيمَ مَـلَكتَهُ وإنْ أنتَ أكْـرَمتَ اللَّـئِيمَ تَـمَرَّدَا
ووَضعُ النَّدَى فِـي مَـوضِعِ السَّيفِ بِـالعُلَى مُضِرٌّ كَـوَضعِ السَّيفِ فِـي مَـوضِعِ النَّـدَى
وقَـيَّدْتُ نَـفسِي فِـي ذَرَاكَ مَـحَبَّةً ومَـن وَجَـدَ الإحسَـانَ قَـيْدًا تَـقَيَّدَا[٢]

* * *

وأتعَبُ مَـن نَـادَاكَ مَـنْ لَاتُـجِيبُهُ وأغيَظُ مَن عَادَاكَ مَنْ لَاتُشَاكِـلُ[٣]

* * *

ومَـا تَـرَكُـوكَ مَـعصِيَةً ولَكِـنْ يُـعَافُ الوِردُ والمَـوتُ الشَّـرَابُ
تَـرَفَّقْ أيُّـهَا المَـولَى عَـلَيهِمْ فَـإنَّ الرِّفـقَ بِـالجَانِي عِـتَابُ
خـ ومَـا جَـهِلَتْ أيَـادِيكَ البَـوَادِي ولَكِـنْ رُبَّـمَا خَـفِيَ الصَّـوَابُ
خـ وكَـمْ ذَنبٍ مُـوَلِّدُهُ دَلَالٌ وكَـمْ بُـعْدٍ مُـوَلِّدُهُ اقـتِرَابُ
خـ وجُـرْمٍ جَـرَّهُ سُـفَهَاءُ قَـومٍ وحَـلَّ[٤] بِـغَيرِ جَـارِمِهِ العَـذَابُ[٥]

* * *

عَلَى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتِـي العَـزَائِـمُ وتَأْتِي عَلَى قَـدرِ الكِـرَامِ المَكَـارِمُ
تُـفِيتُ اللَّـيَالِي كُـلَّ شَـيْءٍ أخَـذتَهُ وهُـنَّ لِـمَا يَأخُـذْنَ مِـنكَ غَـوَارِمُ
ومَـنْ طَـلَبَ الفَـتحَ الجَـلِيلَ فَـإنَّمَا مَفَاتِيحُهُ البِـيضُ الخِـفَافُ الصَّـوَارِمُ
أَ يُـنكِرُ رِيـحَ اللَّـيثِ حَـتَّى يَـذُوقَهُ وقَد عَرَفَتْ رِيحَ اللُّيُوثِ البَـهَائِمُ[٦]

* * *

---

١. المصدر: الفَتك.
٢. المصدر، ج ٢، ص ٣، ١١، ١٥.
٣. المصدر، ج ٣، ص ٢٣٧.
٤. المصدر: فحلّ.
٥. المصدر، ج ١، ص ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٠.
٦. المصدر، ج ٤، ص ٩٤، ٩٧، ١٠٤، ١٠٥.

وما تَـنفَعُ الخَـيلُ الكِـرَامُ ولَا القَـنَا ... إذَا لَـم يَكُن فَـوقَ الكِـرَامِ كِـرَامُ
فَإنْ كُنتَ لَا تُـعطِي الذِّمَـامَ طَـوَاعَـةً ... فَـعَـوذُ الأَعَـادِي بِـالكَرِيمِ ذِمَـامُ
وشَـرُّ الحِـمَامَينِ الزُّؤَامَـينِ عَـيشَةٌ ... يَـذِلُّ الَّـذِي يَـختَارُهَا ويُـضَامُ[1]

* * *

خـ ومَا الحُسنُ فِي وَجهِ الفَـتَى شَـرَفًا لَـهُ ... إذَا لَـم يَكُنْ فِـي فِـعلِهِ[2] والخَـلَائِقِ
ومَـا بَـلَدُ الإنسَـانِ غَـيرُ المُـوَافِـقِ ... ومَـا أَهـلُهُ الأَدْنُـونَ غَـيرُ الأَصَـادِقِ
ومَـا يُـوجِعُ الحِـرمَانُ مِـنْ كَـفِّ حَـارِمٍ ... كَـمَا يُـوجِعُ الحِـرمَانُ مِـن كَـفِّ رَازِقِ[3]

* * *

ولَـولَمْ تُـبقِ لَـمْ تَعشِ البَـقَايَا ... وفِي المَاضِي لِمَنْ يَـبْقَى اعْـتِبَارُ
لَـعَلَّ بَـنِيهِمِ لِـبَنِيكَ جُـنْدٌ ... فَأَوَّلُ قُـرَّحِ الخَـيلِ المِـهَارُ
ومَا فِي سَـطْوَةِ الأَربَـابِ عَـيْبٌ ... ولَا[4] فِـي ذِلَّـةِ العُـبْدَانِ عَـارُ[5]

* * *

لَكَ إِلْـفٌ يَـجُرُّهُ وإِذَا مَـا ... كَـرُمَ الأَصلُ كَـانَ لِـلْإِلْفِ أَصْـلَا
إِنَّ خَـيرَ الدُّمُـوعِ عَـيْنًا لِـدَمعٍ ... بَـعَثَتْهُ رِعَـايَةٌ فَـاستَهَلَّا
وإِذَا لَـم تَجِدْ مِـنَ النَّـاسِ كُـفْؤًا ... ذَاتَ خِـدْرٍ تَـمَنَّتِ المَـوتَ بَـعْلَا
ولَـذِيذُ الحَـيَاةِ أَنـفَسُ لِـلنَّفْـ ... ـسِ وأَشْهَى مِـن أَنْ يُـمَلَّ وأَحْـلَى
وإِذَا الشَّـيخُ قَـالَ أُفٍّ فَـمَا مَـ ... ـلَّ حَـيَاةً وإِنَّـمَا الضَّعفَ مَـلَّا
آلَـةُ العَـيشِ صِـحَّةٌ وشَـبَابٌ ... فَـإِذَا وَلَّـيَا عَـنِ المَـرءِ وَلَّا
أَبَـدًا تَسـتَرِدُّ مَـا تَـهَبُ الدُّنْـ ... ـيَا فَـيَا لَـيتَ جُـودَهَا كَـانَ بُـخلَا

---

١. المصدر، ج ٤، ص ١١٠، ١١١.
٢. المصدر: طبعه.
٣. المصدر، ج ٣، ص ٦٢، ٦٣، ٦٥.
٤. المصدر: وما.
٥. المصدر، ج ٢، ص ٢١١، ٢١٥، ٢١٦.

وهْيَ مَعشُوقَةٌ عَـلَى الغَـدْرِ لَا تَـحْـ ـــفَظُ عَـهدًا ولَا تُـتَمِّمُ وَصْـلَا
كُـلُّ دَمـعٍ يَسِـيلُ مِـنهَا عَـلَيهَا وبِـفَكِّ اليَـدَينِ عَـنهَا تَـخَلَّى[1]

* * *

رُبَّ أمـرٍ أتَـاكَ لَاتَـحمَدُ الفُـعَّـ ـــالَ فِـيهِ وتَـحمَدُ الأفـعَالَا
والعَـيَانُ الجَـلِيُّ يُـحدِثُ لِـلظَّـ ـــنِّ زَوَالًا ولِـلمُرَادِ انـفِعَالَا[2]
وإذَا مَـا خَـلَا الجَـبَانُ بِـأرْضٍ طَـلَبَ الطَّـعنَ وَحـدَهُ والنِّـزَالَا
أقْسَـمُوا لَا رَأَوكَ إلَّا بِـقَلبٍ طَـالَمَا غَـرَّتِ العُـيُونُ الرِّجَـالَا
إنَّـمَا أنْـفُسُ الأنِـيسِ سِـبَاعٌ يَـتَفَارَسْنَ جَـهْرَةً واغْـتِيَالَا
مَـن أرَادَ[3] الِـتمَاسَ شَـيْءٍ غِـلَابًا واغْـتِصَابًا لَـمْ يَلْتَمِسهُ سُـؤَالَا
كُـلُّ غَـادٍ لِـحَاجَةٍ يَـتَمَنَّى أنْ يَكُـونَ الغَـضَنفَرَ الرِّئْـبَالَا[4]

* * *

ورَفَلْتَ فِي حُـلَلِ الثَّـنَاءِ وإنَّـمَا عَـدَمُ الثَّـنَاءِ نِـهَايَةُ الإعْـدَامِ[5]

* * *

الرَّأْيُ قَـبلَ شَـجَاعَةِ الشُّـجعَانِ هُـوَ أوَّلٌ وهْـيَ الَـمحَلُّ الثَّـانِي
ولَـرُبَّمَا طَـعَنَ الفَـتَى أقْـرَانَـهُ بِـالرَّأْيِ قَـبلَ تَـطَاعُنِ الأقْـرَانِ
لَـولَا العُـقُولُ لَكَـانَ أدْنَـى ضَـيغَمٍ أدنَـى إلَـى شَـرَفٍ مِـنَ الإنْسَـانِ
وتَوَهَّمُوا اللَّـعْبَ الوَغَـى والطَّـعْنُ فِـي الـ ـــهَيجَاءِ غَـيرُ الطَّـعنِ فِـي المَـيْدَانِ[6]

* * *

---

١. المصدر، ج ٣، ص ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١.
٢. المصدر: انتقالا.
٣. المصدر: أطاق.
٤. المصدر، ج ٣، ص ٢٥٨، ٢٦٢، ٢٦٦.
٥. المصدر، ج ٤، ص ١٢٤.
٦. المصدر، ج ٤، ص ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩.

عُقْبَى اليَمِينِ عَـلَى عُـقبَى الوَغَـى نَـدَمُ ... مَـاذَا يَـزِيدُكَ فِـي إقْـدَامِكَ القَسَـمُ
لَاتَـطْلُبَنَّ كَـرِيمًا بَـعدَ رُؤْيَـتِه ... إنَّ الكِـرَامَ بِأسْـخَاهُمْ يَـدًا خُـتِمُوا
ولَاتُـبَالِ بِشِـعْرٍ بَـعدَ شَـاعِرِهِ ... قَدْ أُفسِدَ القَـولُ حَـتَّى أُحـمِدَ الصَّـمَمُ[1]

* * *

ومَا عَـاقَنِي غَـيرُ قَـولِ الوُشَـاةِ ... وإنَّ الوِشَـايَاتِ طُـرْقُ الكَـذِبْ
ومَـنْ رَكِبَ الثَّـورَ بَـعدَ الجَـوَادِ ... أنْكَـرَ أظْـلَافَهُ والغَـبَبْ[2]

* * *

وإذَا خَـامَرَ الهَـوَى قَـلْبَ صَبٍّ ... فَـعَلَيهِ لِكُـلِّ عَـيْنٍ دَلِـيلُ
زَوَّدِينَا مِنْ حُسْـنِ وَجـهِكَ مَـا دَا ... مَ فُـحُسْنُ الوُجُـوهِ حَـالٌ تَـحُولُ
إنْ تَـرَانِـي[3] أَدِمتُ بَـعدَ بَـيَاضٍ ... فَـحَمِيدٌ مِـنَ القَـنَاةِ الذُّبُـولُ
وكَـثِيرٌ مِـنَ السُّـؤَالِ اشْـتِيَاقٌ ... وكَـثِيرٌ مِـن رَدِّهِ تَـعلِيلُ
مَـا الَّـذِي عِـندَهُ تُـدَارُ المَـنَايَا ... كَـالَّذِي عِـندَهُ تُـدَارُ الشَّـمُولُ[4]

* * *

غَدَرتَ يَا مَوتُ كَمْ أفـنَيتَ مِـن عَـدَدِ ... بِمَن أصَـبتَ وكَـمْ أسكَتَّ مِـن لَـجَبِ
وإنْ تَكُـن تَـغلِبُ الغَـلبَاءَ عُـنصُرَهَا ... فَإنَّ فِي الخَمرِ مَعنًى لَيسَ فِـي العِـنَبِ
وعَـادَ فِـي طَـلَبِ المَـتْرُوكِ تَـارِكُهُ[5] ... إنَّـا لَـنَغفَلُ والأيَّـامُ فِـي الطَّـلَبِ
فَـلَا تَنَلْكَ اللَّـيَالِي إنَّ أيْـدِيَهَا ... إذَا ضَـرَبْنَ كَسَـرنَ النَّـبعَ بِـالغَرَبِ
ولَايُـعِنَّ عَـدُوًّا أنتَ قَـاهِرُهُ ... فَـإنَّهُنَّ يَـصِدنَ الصَّـقرَ بِـالخَرَبِ
وإنْ سَـرَرنَ بِـمَحبُوبٍ فَـجَعنَ بِـهِ ... وقَـد أتَـينَكَ فِـي الحَـالَينِ بِـالعَجَبِ

---

١. المصدر، ج ٤، ص ١٢٩، ١٤٢.
٢. المصدر، ج ١، ص ٢٢٥، ٢٢٧.
٣. المصدر: ترِيني.
٤. المصدر، ج ٣، ص ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٨.
٥. المصدر: طالبُه.

وربما احتسب الانسان غايتها ... وفاجأته بامر غير محتسب
ومَا قَضَى أحَدٌ مِنهَا لُبَانَتَهُ ... ولَاانْتَهَى أرَبٌ إلَّا إلَى أَرَبِ
تُخَالِفَ النَّاسَ حتَّى لَا اتِّفَاقَ لَهُم ... إلَّا عَلَى شَجَبٍ والخُلفُ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ تَخلُصُ نَفسُ المَرءِ سَالِمَةً ... وقِيلَ تَشرَكُ جِسمُ المَرءِ فِي العَطَبِ
ومَن تَفَكَّرَ فِي الدُّنيَا ومُهجَتِهِ ... أقَامَهُ الفِكرُ بَينَ العَجزِ والتَّعَبِ[1]

* * *

كَفَى بِكَ دَاءً أنْ تَرَى المَوتَ شَافِيَا ... وحَسبُ المَنَايَا أنْ يَكُنَّ أمَانِيَا
تَمَنَّيتَهَا لَمَّا تَمَنَّيتَ أنْ تَرَى ... صَدِيقًا فَأعْيَا أو عَدُوًّا مُدَاجِيَا
فَلَاينفَعُ الأُسْدَ الحَيَاءُ مِنَ الطَّوَى ... ولَاتُتَّقَى حَتَّى تَكُونَ ضَوَارِيَا
فَإنَّ دُمُوعَ العَينِ غُدْرٌ بِرَبِّهَا ... إذَا كُنَّ أثَرَ[2] الغَادِرِينَ جَوَارِيَا
إذَا الجُودُ لَمْ يُرزَقْ[3] خَلَاصًا مِنَ الأذَى ... فَلَا الحَمْدُ مَكْسُوبًا ولَا المَالُ بَاقِيَا
ولِلنَّفسِ أخلَاقٌ تَدُلُّ عَلَى الفَتَى ... أكَانَ سَخَاءً مَا أتَى أمْ تَسَاخِيَا
خُلِقتُ الوَفَا لَورَحَلتُ إلَى الصِّبَا ... لَفَارَقتُ شَيبِي مَوجَعَ القَلبِ بَاكِيَا
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيرِهِ ... ومَن قَصَدَ البَحرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا[4]

* * *

حُسْنُ الحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةٍ ... وفِي البَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيرُ مَجلُوبِ
فَمَا الحَدَاثَةُ مِن حِلْمٍ بِمَانِعَةٍ ... قَد يُوجَدُ الحِلمُ فِي الشُّبَّانِ والشِّيبِ[5]

* * *

أبَى خُلُقُ الدُّنيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ ... فَمَا طَلَبِي مِنهَا حَبِيبًا تَرُدُّهُ

---

١. المصدر، ج ١، ص ٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥.
٢. المصدر: خَلفَ.
٣. المصدر: لم يُكسَب.
٤. المصدر، ج ٤، ص ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٣.
٥. المصدر، ج ١، ص ٢٩١، ٢٩٣.

وأسْـــرَعُ مَـــفعُولٍ فَـــعَلتَ تَـــغَيُّرًا ... تَكَـلُّفُ شَـيْءٍ فِـي طِـبَاعِكَ ضِـدُّهُ
وأَتْـعَبُ خَـلْقِ اللّـهِ مَـنْ زَادَ هَـمُّهُ ... وقَـصَّرَ عَـمَّا تَشْـتَهِي النَّفْسُ وُجْـدُهُ
خـ فَـلَامَجْدَ فِـي الدُّنـيَا لِـمَن قَـلَّ مَـالُهُ ... ولَامَـالَ فِـي الدُّنـيَا لِـمَنْ قَـلَّ مَـجدُهُ
وفِي النَّاسِ مَن يَـرضَى بِـمَيسُورِ عَـيشِهِ ... ومَـــركُوبُهُ رِجـلَاهُ والثَّـوبُ جِـلدُهُ
ومَـــا الصَّـــارِمُ الهِـــندِيُّ إلَّا كَـغَيرِهِ ... إذَا لَـــمْ يُفَارِقهُ النِّـــجَادُ وغِـــمدُهُ[1]

* * *

ومَـا مَـنزِلُ اللَّـذَّاتِ عِـندِي بِـمَنزِلٍ ... إذَا لَـــمْ أُبَجَّلْ عِـــندَهُ وأُكَـــرَّمِ
إذَا سَـاءَ فِـعلُ المَـرءِ سَـاءَتْ ظُـنُونُهُ ... وصَـــدَّقَ مَـــا يَـعتَادُهُ مِـن تَـوَهُّمِ
أُصَـادِقُ نَـفْسَ المَـرءِ مِـن قَـبلِ جِسمِهِ ... وأُعَـــرِفُهَا فِـــي فِـــعلِهِ والتَّكَـلُّمِ
وأَحـــلُمُ عَـــن خِـــلِّي وأَعـــلَمُ أنَّـــهُ ... مَـتَى أَجْـزِهِ حِـلْمًا عَـلَى الجَـهْلِ يَـندَمِ
وإنْ بَـذَلَ الإنسَـانُ لِـي جُـودَ عَـابِسٍ ... جَـــزَيتُ بِـــجُودِ البَـــاذِلِ[2] المُـــتَبَسِّمِ
ومَـــا كُـــلُّ هَـــاوٍ لِـــلجَمِيلِ بِـــفَاعِلٍ ... ولَاكُـــلُّ فَـــعَّالٍ لَـــهُ بِـــمُتَمِّمِ
ولَـــمْ أَرجُ إلَّا أَهـــلَ ذَاكَ ومَـــنْ يُـــرِدْ ... مَـــوَاطِـــرَ مِـــن غَـــيرِ السَّـحَائِبِ يَـظلِمِ
فَأَحْسَنُ وَجـهٍ فِـي الوَرَى وَجـهُ مُـحْسِنٍ ... وأَيـــمَنُ كَـــفٍّ فِـــي الوَرَى كَـــفُّ مُـنعِمِ
خـ وأَشـــرَفُهُم مَـــن كَـــانَ أشـرَفَ هِـمَّةً ... وأكـثَرُ[3] إقـدَامًـا عَـلَى كُـلِّ مُـعظَمِ
خـ لِـمَن تَـطلُبُ الدُّنـيَا إذَا لَـمْ تُـرِدْ بِـهَا ... سُـــرُورَ صَـــدِيقٍ[4] أو إسَـــاءَةَ مُـــجرِمِ
ولَكِـنَّ مَـا يَـمضِي مِـنَ الدَّهـرِ فَـائِتٌ ... فَـــجُدْ لِـــي بِـــحَظٍّ البَـــادِرِ المُـــتَغَنِّمِ[5]

* * *

إنَّمِا تُـنجِحُ المَـقَالَةُ فِـي المَـرْ ... ءِ إذَا وَافَقَتْ هَوىً فِـي الفُـؤَادِ

---

١. المصدر، ج ٢، ص ١١٩، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٩.
٢. المصدر: التارك.
٣. المصدر: أكبر.
٤. المصدر: محبٍّ.
٥. المصدر، ج ٤، ص ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢.

قَد يُصِيبُ الفَتَى المُشِيرُ ولَمْ يَجْـ ـهَدْ ويَشوَى الصَّوَابُ[1] بَعدَاجتِهَادِ
وإذَا الحِلمُ لَمْ يَكُنْ فِي طِبَاعٍ لَـ ـمْ يُحَلِّمْ تَـقَدُّمُ المِـيلَادِ
خُـ وأطَاعَتْكَ أُسدُ دَهرِكَ والطَّـ ـاعَةُ لَيسَتْ خَلَائِقَ الآسَادِ
وإذَا كَانَ فِي الأَنَابِيبِ خُلْفٌ وَقَعَ الطَّيشُ فِي صُدُورِ الصِّعَادِ
كَيفَ لَا يُترَكُ الطَّرِيقُ لِسَيْلٍ ضَيِّقٍ عَن أتِيِّهِ كُلُّ وَادِ[2]

* * *

خُـ ومَا الخَيلُ إلَّا كَالصَّدِيقِ قَلِيلَةٌ وإنْ كَثُرَتْ فِي عَينِ مَن لَا يُجَرِّبُ
إذَا لَمْ تُشَاهِدْ غَيرَ حُسنِ شِيَاتِهَا وأعضَائِهَا[3] فَالحُسْنُ عَنكَ مُغَيَّبُ
لَحَى اللَّهُ ذَي الدُّنيَا مُنَاخًا لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدِ الهَمِّ فِيهَا مُعَذَّبُ
وكُلُّ امْرِىءٍ يُولِي الجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وكُلُّ مَكَانٍ يُنبِتُ العِزَّ طَيِّبُ
ولَوجَازَ أنْ يَحوُوا عُلَاكَ وَهَبتَهَا ولَكِنْ مِنَ الأشيَاءِ مَا لَيسَ يُوهَبُ
وأظلَمُ أهلِ الظُّلمِ مَن بَاتَ حَاسِدًا لِمَن بَاتَ فِي نَعمَائِهِ يَتَقَلَّبُ
وقَد يَترُكُ النَّفسَ الَّتِي لَا تَهَابُهُ ويَختَرِمُ النَّفسَ الَّتِي تَتَهَيَّبُ[4]

* * *

فَمَا يُدِيمُ[5] سُرُورٌ مَا سُرِرتَ بِهِ ولَا يَرُدُّ عَلَيكَ الفَائِتَ الحَزَنُ
يَا مَن نُعِيتُ عَلَى بُعْدٍ بِمَجلِسِهِ كُلٌّ بِمَا زَعَمَ النَّاعُونَ مُرتَهَنُ
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّي المَرءُ يُدرِكُهُ تَجرِي الرِّيَاحُ بِمَا لَا تَشتَهِي السُّفُنُ[6]

* * *

---

١. المصدر: يخطىء المراد.
٢. المصدر، ج ٢، ص ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٩.
٣. المصدر: لِبَّاتها.
٤. المصدر، ج ١، ص ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠.
٥. المصدر: فلَايديم.
٦. المصدر، ج ٤، ص ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦.

غَـــيرَ أنَّ الفَـتَى يُـلَاقِي المَـنَايَا ... كَـــالِحَاتٍ ولَا يُـــلَاقِي الهَـوَانَـا
ولَـــوأنَّ الحَـــيَاةَ تَـبقَى لِـحَيٍّ ... لَـــعَدَدْنَا أَضَـــلَّنَا الشُّـــجعَانَا
خـ وإذَا لَـم يَكُنْ مِـنَ المَـوتِ بُـدٌّ ... فَـــمِنَ العَـجزِ أنْ تَكُـونَ جَـبَانَا
كُلُّ مَا لَم يَكُنْ مِنَ الصَّعبِ فِي الأَنْـ ... ـــفُسِ سَـهْلٌ فِـيهَا إذَا هُـو كَـانَا[1]

* * *

فَـإنْ يَكُ إنْسَـانًا مَـضَى لِسَـبِيلِهِ ... فَـإنَّ المَـنَايَا غَـايَةُ الحَـيَوَانِ[2]

* * *

قَـــالَ الزَّمَـــانُ لَـهُ قَـولًا فَأَسْـمَعَهُ ... إنَّ الزَّمَـــانَ عَـلَى الإمْسَـاكِ عَـذَّالُ
القَـاتِلِ السَّـيْف فِـي جِسمِ القَـتِيلِ بِـهِ ... ولِـــلسُّيُوفِ كَـــمَا لِـلنَّاسِ آجَـالُ
يَـــرُوعُهُمْ مِـنهُ دَهْـرٌ صَـرفُهُ أَبَـدًا ... مُـــجَاهِرٌ وصُـــرُوفُ الدَّهـرِ تَـغتَالُ
خـ لَـطَّفْتَ رَأْيَكَ فِـي وَصْـلِي وتَكْـرِمَتِي ... إنَّ الكَـــرِيمَ عَـــلَى العَـلْيَاءِ يَـحتَالُ
لَـــولَا المَشَـقَّةُ سَـادَ النَّـاسُ كُـلُّهُمُ ... الجَـــودُ يُـــفقِرُ والإقْـــدَامُ قَـتَّالُ
وإنَّـــمَا يَـــبلُغُ الإنسَـــانُ طَـاقَتَهُ ... مَـــا كُـــلُّ مَـاشِيَةٍ بِـالرَّحلِ شِـمْلَالُ
إنَّـــا لَـفِي زَمَـنٍ تَـركُ القَـبِيحِ بِـهِ ... مِـن أكْـثَرِ النَّـاسِ إحسَـانٌ وإجمَالُ
ذِكْـرُ الفَـتَى عُـمرُهُ الثَّـانِي وحَـاجَتُهُ ... مَـــاقَاتَهُ وفُـضُولُ العَـيْشِ أشْـغَالُ[3]

* * *

ولَـمَّا صَـارَ وُدُّ النَّـاسِ خِـبًّا ... جَـزَيتُ عَـلَى ابْـتِسَامٍ بِـابْتِسَامِ
وصِـرتُ أشُكُّ فِـيمَنْ أصْـطَفِيهِ ... لِـــعِلمِي أنَّـهُ بَـعضُ الأنَـامِ
خـ وآنَفُ مِن أخِـي لِأبِـي وأُمِّـي ... إذَا مَـا لَـمْ أجِدهُ مِـنَ الكِـرَامِ
أرَى الأجْـــدَادَ تَـغلِبُهَا كَـثِيرًا ... عَـــلَى الأولَادِ أخْـلَاقُ اللِّـئَامِ
عَـجِبتُ لِـمَن لَـهُ قَـدٌّ وخَـدٌّ ... ويَـنبُو نَـبْوَةَ العَـضْبِ الكَـهَامِ

---

١. المصدر، ج ٤، ص ٣٧٢.
٢. المصدر، ج ٤، ص ٣٧٤.
٣. المصدر، ج ٣، ص ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٠٧.

ومَن يَجِدِ المَطِيَّ[١] إلَى المَعَالِي ... فَلَا يَذَرُ المَطِيَّ بِلَا سَنَامِ
ولَمْ أَرَ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا ... كَنَقصِ القَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ
ويَصدُقُ وَعدُهَا والوَعدُ شَرٌّ ... إذَا أَلقَاكَ فِي الكُرَبِ العِظَامِ
فَإِنَّ لِتَالِثِ الحَالَينِ مَعْنًى ... سِوَى مَعنَى انْتِبَاهِكَ والمَنَامِ[٢]

* * *

ولِلسِّرِّ مِنِّي مَوضِعٌ لَا يَنَالُهُ ... نَدِيمٌ[٣] ولَا يُفضِي إلَيهِ شَرَابُ
ومَا العِشْقُ إلَّا غِرَّةٌ وطَمَاعَةٌ ... يُعَرِّضُ قَلبٌ نَفْسَهُ فَيُصَابُ
وغَيرُ فُؤَادِي لِلغَوَانِي رَمِيَّةٌ ... وغَيرُ بَنَانِي لِلزُّجَاجِ رِكَابُ
خ أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنَى سَرْجُ سَابِحٍ ... وخَيرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ
خ أَيَا أُسَدًا فِي جِسمِهِ رُوحُ ضَيْغَمٍ ... وكَمْ أُسُدٍ أَروَاحُهُنَّ كِلَابُ
وقَد تُحدِثُ الأَيَّامُ عِندَكَ شِيمَةً ... وتَنعَيرُ الأَوقَاتُ وهِيَ يَبَابُ
إذَا نِلْتُ مِنكَ الوُدَّ فَالمَالُ هَيِّنٌ ... وكُلُّ الَّذِي فَوقَ التُّرَابِ تُرَابُ
ولَكِنَّكَ الدُّنيَا إلَيَّ حَبِيبَةً ... فَمَا عَنكَ لِي إلَّا إلَيكَ ذَهَابُ[٤]

* * *

أَنُوكُ مِن عَبْدٍ ومِن عِرْسِهِ ... مَن حَكَّمَ العَبدَ عَلَى نَفسِهِ
مَا مَن يَرَى أَنَّكَ فِي وَعْدِهِ ... كَمَن يَرَى أَنَّكَ فِي حَبسِهِ
ولَا يُرَجَّى الخَيرُ عِندَ امْرِئٍ ... مَرَّتْ يَدُ النُّخَّاسِ فِي رَأْسِهِ
فَقَلَّ مَا يَلُومُ فِي ثَوبِهِ ... إلَّا الَّذِي يَلُومُ فِي غِرسِهِ[٥]

* * *

---

١. المصدر: الطريق.
٢. المصدر، ج ٤، ص ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٠.
٣. المصدر: صديقٌ.
٤. المصدر، ج ١، ص ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٢٧.
٥. المصدر، ج ٢، ص ٣١١، ٣١٢، ٣١٣.

خـ لَا شَيْءَ أقبَحُ مِن فَـحْلٍ لَـهُ ذَكَـرُ تَـقُودُهُ أَمَـةٌ لَـيْسَتْ لَـهَا رَحِـمُ[1]

* * *

إذَا أتَتِ الإسَـاءَةُ مِـن وَضِـيعٍ وَلَمْ أَلُمِ المُسِـيءُ فَـمَن أَلُـومُ[2]

* * *

مَـاذَا لَـقِيتُ مِـنَ الدُّنْـيَا وأعْـجَبُهَا أنِّـي بِـمَا أنَـا بَـاكٍ مِـنهُ مَـحْسُودُ
جُـودُ الرِّجَـالِ مِـنَ الأيْـدِي وُجُـودُهُمُ مِـنَ اللِّسَـانِ فَـلَا كَـانُوا ولَا الجُـودُ
العَـبدُ لَـيسَ لِـحُرٍّ صَـالِحٍ بَأخٍ لَـوانَّهُ فِـي ثِـيَابِ الحُـرِّ مَـولُودُ
لَاتَشْـتَرِ العَـبدَ إلَّا والعَـصَا مَـعَهُ انَّ العَـبِيدَ لأنْـجَاسٌ مَـنَاكِـيدُ
إنَّ امْـرَءً أمَـةٌ حُـبلَى تُـدَبِّرُهُ لَـمُستَضَامُ سَـخِينُ العَـينِ مَـفْؤُودُ
خـ مَنْ عَلَّمَ الأسْـوَدَ المَخْصِيَّ مَكرُمَةً أقُـومُهُ البِـيضُ أمْ آبَـاؤُهُ الصِـيدُ
خـ أمْ أُذْنُـهُ فِـي يَـدِ النَّخَّاسِ دَامِيَةً أمْ قَـدرُهُ وهـوَ بِـالفَلْسَينِ مَـردُودُ
خـ وذَاكَ أنَّ الفُـحُولَ البِـيضَ عَـاجِزَةٌ عَنِ الجَـمِيلِ فَكَـيفَ الخِـصْيَةُ السُّـودُ[3]

* * *

فَتًى زَانَ فِي عَـيْنَيَّ أقْـصَى قَـبِيلِهِ وكَـمْ سَـيِّدٍ فِـي حِـلَّةٍ لَايَـزِينُهَا[4]

* * *

ومَـا كُـلُّ مَـن قَـالَ قَـولًا وَفَـى ومَـا كُـلُّ مَـن سِيمَ خَسْـفًا أبَـى
ولَابُـدَّ لِـلقَلبِ مِـن آلَـةٍ ورَأْيٍ يُـصَدِّعُ صُـمَّ الصَّـفَا
وكُـلُّ طَـرِيقٍ أتَـاهُ الفَـتَى عَـلَى قَـدَرِ الرِّجْـلِ فِـيهِ الخُـطَى
خـ لَقَد كُـنتُ أحْسِبُ قَـبلَ الخَـصِـ ـيِّ أنَّ الرُّؤُوسَ مَـحَلُّ[5] النُّـهَى

---

١. المصدر، ج ٤، ص ٢٨١.
٢. المصدر، ج ٤، ص ٢٨٣.
٣. المصدر، ج ٢، ص ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨.
٤. المصدر، ج ٤، ص ٣٨٣.
٥. المصدر: مقرُّ.

خـ فَـلَمَّا نَـظَرتُ إلَـى عَـقلِهِ رَأَيتُ النُّـهَى كُـلَّهَا فِـي الخُـصَى
ومَـن جَـهِلَتْ نَـفسُهُ قَـدرَهُ رَأَى غَـيرُهُ مِـنهُ مَـا لَايَـرَى[1]

* * *

خـ الحُـزنُ يُـقلِقُ والتَّـجَمُّلُ يَـردَعُ والدَّمـعُ بَـينَهُمَا عَـصِيٌّ طَـيِّعُ
خـ إنِّـي لَأَجْـبُنُ مِـن فَـرَاقِ أحِـبَّتِي وتُـحِسُّ نَـفسِي بِـالفِرَاقِ فَأشْـجُعُ
خـ ويَـزِيدُنِي غَـضَبُ الأعَـادِي قَـسوَةً ويُـلِمُّ بِـي عَـتبُ الصَّـدِيقِ فَأجْـزَعُ
تَـصفُو الحَـيَاةُ لِـجَاهِلٍ أو غَـافِلٍ عَـمَّا مَـضَى فِـيهَا[2] ومَـا يُـتَوَقَّعُ
ولِـمَن يُـغَالِطُ فِـي الحَـقِيقَةِ نَـفسَهُ ويَسُـومُهَا طَـلَبَ الُـمحَالِ فَـتَطمَعُ
أيـنَ الَّـذِي الهَـرَمَانِ مِـن بُـنيَانِهِ مَـا قَـومُهُ مَـا يَـومُهُ مَـا المَـصرَعُ
بأبِـي الوَحِـيدَ وجَـيشُهُ مُـتَكَاثِرٌ يَـبكِي ومِـن شَـرِّ السِّـلَاحِ الأدْمَـعُ
وإذَا حَصَلْتَ مِـنَ السِّـلَاحِ عَـلَى البُكَـا فَـحَشَاكَ رُعْتَ بِـهِ وخَـدُّكَ تَـقْرَعُ
خـ قُـبحًا لِـوَجهِكَ يَـا زَمَـانُ فَـإنَّهُ وَجْـهٌ لَـهُ مِـن كُـلِّ قُـبحٍ بُـرقَعُ[3]

* * *

ومَنْ ضَـاقَتِ الأرْضُ عَـن نَـفسِهِ حَـرَى أنْ يَـضِيقُ بِـهَا جِسمُهُ[4]

* * *

تُسَـوِّدُ الشَّـمسُ مِـنَّا بِـيضَ أوجُـهِنَا ولَاتُسَـوِّدُ بِـيضَ العُـذرِ واللِّـمَمِ
وكَـانَ حَـالُهُمَا فِـي الحُكمِ وَاحِـدَةً لَـواحـتَكَمنَا مِـنَ الدُّنـيَا إلَـى حَكَـمِ
خـ حتَّى رَجِعتُ وأقْلَامِي قَـوَائِـلُ لِـي الَـمجدُ لِـلسَّيفِ لَـيسَ الَـمجدُ لِـلقَلَمِ
تَـوَهَّمَ القَـومُ أنَّ العَـجزَ قَـرَّبَنَا وفِـي التَّـقَرُّبِ مَـا يَـدعُو إلَـى التُّـهَمِ

---

١. المصدر، ج ١، ص ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨.
٢. المصدر: منها.
٣. المصدر، ج ٣، ص ١٢، ١٣.
٤. المصدر، ج ٤، ص ٢٨٥.

خـ ولَـمْ تَزَلْ قِـلَّةُ الإنْـصَافِ قَـاطِعَةً ... بَـينَ الرِّجَـالِ وإنْ كَـانُوا ذَوِي رَحِـمِ
هَـوِّنْ عَـلَى بَـصَرٍ[1] مَـا شَـقَّ مَـنظَرُهُ ... فَـإنَّمَا يَـقَظَاتُ العَـينِ كَـالحُلُمِ
ولَاتشَكَّ إلَـى خَـلقٍ فَـتُشمِتَهُ ... شَكوَى الجَـرِيحِ إلَـى العِـقبَانِ والرَّخَـمِ
وكُـنْ عَـلَى حَـذَرٍ لِـلنَّاسِ تَسـتُرُهُ ... ولَايَـغُرَّكَ مِـنهُمْ ثَـغرُ مُـبتَسِمِ
غَـاضَ الوَفَـاءُ فَـمَا تَـلقَاهُ فِـي عِـدَةٍ ... وأَعوَزَ الصِّدقُ فِـي الإخْـبَارِ والقَسَـمِ[2]

* * *

إنْ أَوحَشَـتْكَ المَـعَالِي ... فَـإنَّهَا دَارُ غُـربَةْ[3]

* * *

كَـدَعوَاكِ كُـلُّ يَـدَّعِي صِـحَّةَ العَـقلِ ... ومَن ذَا الَّـذِي يَـدرِي بِـمَا فِـيهِ مِـنْ جَـهلِ
ذَرِيـنِي أَنَـلْ مَـا لَايُـنَالُ مِـنَ العُـلَى ... فَصَعبُ العُلَى فِي الصَّعْبِ والسَّهلُ فِي السَّهلِ
خـ تُـرِيدِينَ لُـقيَانَ المَـعَالِي رَخِـيصَةً ... ولَابُـدَّ دُونَ الشَّـهدِ مِـن إبَـرِ النَّـحلِ
ولَـيسَ الَّـذِي يَـتَّبِعُ الوَبْـلَ رَائِـدًا ... كَـمَنْ جَـاءَهُ فِـي دَارِهِ رَائِـدُ الوَبْـلِ
ومَـا أَنَـا مِـمَّن يَـدَّعِي الشَّـوقَ قَـلبُهُ ... ويَـحتَجُّ فِـي تَـركِ الزِّيَـارَةِ بِـالشُّغلِ
تُـحَاذِرُ هَـزلَ المَـالِ وهْـيَ ذَلِـيلَةٌ ... وأشـهَدُ أنَّ الذُّلَّ شَـرٌّ مِـنَ الهَـزلِ[4]

* * *

قَدْ كُنتُ أحذَرُ بَينَهُم مِن قَبلِهِ ... لَوكَانَ يَنفَعُ حَاذِراً أنْ يَحذَرَا[5]

* * *

إنَّ فِـي المَـوجِ لِـلغَرِيقِ لَـعُذرًا ... وَاضِـحًا أنْ يَـفُوتَهُ تَـعدَادُه

---

١. المصدر: بصري.
٢. المصدر، ج ٤، ص ٢٨٦، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥.
٣. المصدر، ج ١، ص ٣٣٤.
٤. المصدر، ج ٤، ص ٣، ٤، ١٠، ١١، ١٣.
٥. المصدر، ج ٢، ص ٢٦٨.

مَـا سَـمِعنَا بِـمَن أَحَبَّ العَـطَايَا وَاشْتَهَى[١] أنْ يَكُونَ فِيهَا فُـؤَادُه[٢]

* * *

خـ وغَيْظٌ عَلَى الأيَّـامِ كَـالنَّارِ فِـي الحَشَـا ولَكِـنَّهُ غَـيظُ الأسِـيرِ عَـلَى القِـدِّ
خـ ولَيسَ حَـيَاءُ الوَجـهِ فِـي الذِّئْبِ شِيمَةٌ ولَكِـنَّهُ مِـن شِـيمَةِ الأسَـدِ الوَرِدِ
خـ يُـعَلِّلُنَا هَـذَا الزَّمَـانُ بِـذَا الوَعـدِ ويَـخدَعُ عَـمَّا فِـي يَـدَيهِ مِـنَ النَّقدِ[٣]

* * *

كُلُّ جَرِيحٍ تُـرجَـى سَـلَامَتُهُ إلَّا فُـؤَادًا دَهَـتْهُ عَـينَاهَا[٤]

* * *

وخَلِّ زِيًّـا لِـمَنْ يُـحَقِّقُهُ مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ عَـابِدُ[٥]

* * *

لَابُـدَّ لِـلْإنسَانِ مِـنْ ضَـجْعَةٍ لَاتُـقلِبُ المُـضجَعَ عَـنْ جَـنبِهِ
يَـنسَى بِـهَا مَـا كَـانَ مِـن عُـجبِهِ ومَـا أذَاقَ المَـوتُ مِـن كَـرْبِهِ
نَـحنُ بَـنُوا المَـوتَى فَـمَا بَـالُنَا نَـعَافُ مَـا لَابُـدَّ مِـن شُـربِهِ
تَـبخَلُ أيـدِينَا بِأرْوَاحِـنَا عَـلَى زَمَـانٍ هُـنَّ مِـن كَسبِهِ
فَـهَذِهِ الأرْوَاحُ مِـن جَـوِّهِ وهَـذِهِ الأجْسَـامُ مِـن تُـربِهِ
لَـوفَكَّرَ العَـاشِقُ فِـي مُـنتَهَى حُسْـنِ الَّـذِي يَسـبِيهِ لَـم يَسْبِهِ
لَـمْ يُرَ قَـرنُ الشَّـمْسِ فِـي شَـرقِهِ فَشَكَّتِ الأنـفُسُ فِـي غَـربِهِ
يَـمُوتُ رَاعِـي الضَّأْنِ فِـي جَـهلِهِ مِـيتَةَ جَـالِينُوسَ فِـي طِـبِّهِ
خـ ورُبَّـمَا زَادَ عَـلَى عُـمرِهِ وزَادَ فِـي الأمْـنِ عَـلَى سِربِهِ

---

١. المصدر: فاشتهى.
٢. المصدر، ج ٢، ص ١٥٦.
٣. المصدر، ج ٢، ص ١٦٢، ١٦٣، ١٧٠.
٤. المصدر، ج ٤، ص ٤٠٦.
٥. المصدر، ج ٢، ص ١٨٠.

خـ وغـايَةُ المُـفرِطِ فِـي سِـلْمِهِ كَـغَايَةِ المُـفرِطِ فِـي حَـرْبِهِ
فَـلَاقَضَى حَـاجَتَهُ طَـالِبٌ فُـؤَادُهُ يَـخفِقُ مِـنْ رُعـبِهِ
مَـا كَـانَ عِـندِي أنَّ بَـدرَ الدُّجَـى يُـوحِشُهُ المَـفقُودُ مِـن شُـهبِهِ[1]

* * *

إنَّ النُّفُوسَ عَدَدُ الآجَالِ[2]

ورُبَّ قُـبحٍ وحُـلَي ثِـقَالِ أحسَنُ مِنهَا الحُسْنُ فِي المِعطَالِ
فَـخرُ الفَـتَى بِـالنَّفسِ والأفـعَالِ مِـن قَـبْلِهِ بِـالعَمِّ والأخـوَالِ[3]

---

١. المصدر، ج ١، ص ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٠.

٢. تمامه:

سقيًا لدَشتِ الأرزنِ الطُّوال

٣. المصدر، ج ٤، ص ٣١، ٤١، ٤٢.

الواضِح في مشكلات شعر المُتَنبِّي

لأبي القاسم عبدالله بن عبدالرّحمن الإصفهانيّ

تحقيق: الأستاذ محمَّد الطاهر ابن عاشور
اعداد: مجيد هادي زاده

كلمة المحقِّق

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه، والصَّلوة والسَّلام على محمَّدٍ رسول اللَّه، وعلى آله آل اللَّه.

وبعد؛ فهذا جزءٌ من كتاب «الواضح في مشكلات شعر المتنبّي، للأديب الأريب الإمام أبي القاسم عبداللَّه بن عبدالرَّحمن الإصفهاني»؛ وهذا الجزء المختار يقرب من ثلث الكتاب.

الكتاب ومؤلّفه

أمَّا الكتاب فهو حاشيةٌ على شرحي أبي الفتح عثمان بن جنِّيٍّ لديوان المتنبّي ـ أعني: الفسر الصغير والفسر الكبير ـ. وقد قام بتحقيقه الأستاذ الشَّيخ محمَّد الطاهر ابن عاشور من على مخطوطةٍ وحيدةٍ له توجد في خزانة كتب جامع الزيتونيَّة بتونس، ونشره في ١٢٣ صفحات؛ وقد طبعتْها الدار التُّونسيَّة للنشر سنة ١٩٦٨ م. ومن الغريب ما ذكره الناشر قبل تقديم المحقِّق: «طُبع من هذا الكتاب مائتا نسخة مرقَّمة من ١ إلىٰ ٢٠٠»! وهذا هو السبب

في قلَّة نسخ الكتاب. فأخذنا جزءً منه ـ وكانت بيدي مصوَّرةٌ منه ـ وطبعناه في هذه المجموعة، ليعمَّ نفعه، ولما يُستفاد منه من مدى اهتمام مثقِّفي إصفهان من قديم الزَّمن بالأدب العربيِّ عامَّةً وبديوان المتنبِّي وشروحه خاصَّةً.

أمَّا مؤلِّف الكتاب فهو ـ على حدِّ ما رسمه محقِّقه ـ: الشَّيخ أبوالقاسم عبداللّه بن عبدالرَّحمن الإصفهاني. ولانعلم من فترة حياته شيئًا إلَّا أنَّه كان يعيش في منتصف القرن الرابع إلىٰ مبتدء العَشر الثاني من القرن الخامس؛ حيث أشار المؤلِّف في ديباجة الكتاب وأواخره إلىٰ أنَّه حدَّث عن الحلبيِّ عبدالواحد اللُّغوي ـ المتوفَّى سنة ٣٥١ هـ. ق. ـ وقد تمَّم الرسالة وألحق بها أشياء بعد تمام سنة ٤١٠ هـ. ق.. أمَّا تفصيل أخبار حياته وسوانحها فلانعلم اليوم منه شيئًا[1].

والكتاب ـ كما وصفناه ـ حاشيةٌ على فسري الصغير والكبير، وقد أجاد به يراعة المؤلِّف ـ ولاأقلَّ من جزءٍ منه ـ في بلاد العجم، كما أشار إليه في ما نأتي به من النصِّ؛ فعليه فإنَّه مؤلَّفُ إصفهانيٌّ في بلاد العجم، ولايبعد القول بأنَّه أُلِّف فيها.

عملي في إعداد الكتاب

إنَّ الشَّيخ الأستاذ محمَّدالطاهر ابن عاشور قد أخرج الكتاب لأوَّل مرَّةٍ إلىٰ عالم النور، وعلَّق عليه بعض التعاليق، فللّه درُّه وعليه أجره. ثمَّ إنِّي بعد تنضيد الحروف وتصحيح التجارب المطبعيَّة ـ وكان ذلك كلُّه وفقًا لما دوَّنه محقِّق الكتاب ـ قمتُ بتسديد ما يخلو منه الكتاب وتحقيقُه، فقارنتُ بين الأبيات وبين ديوان المتنبِّي أوَّلًا، وأرجعتُها إليه مع الإشارة إلىٰ مواضع الخلاف بين روايتي الكتاب والديوان، ثمَّ أشرتُ إلىٰ مواضع ما نقله أبوالقاسم عن أبي الفتح في الفسر الكبير، كما وأن أشرتُ إلىٰ مصادر الشَّواهد الشِّعريَّة في دواوين أصحابها. وقد ميَّزتُ بين تعليقاتي وتعليقات المحقِّق بكلمة: «المُراجِع»، حيث راجعتُ

---

١. هذه الترجمة القصيرة اقتبسناها من تقديم المحقِّق للكتاب.

الرسالة وبذلتُ ما في وُسعي في سبيل إكمال تحقيقها؛ وليس ذلك شيئًا في جنب ما كابده المحقِّق من العناء في سبيل تحقيق نصِّها. وقد أرجعتُ الأبيات المشروحة إلىٰ «الفسر الكبير»، طبعة الدكتور رضا رجب، وهي طبعةٌ نفيسةٌ ذات تحقيقٍ أنيقٍ قد خدم به محقِّق الكتاب المكتبة الإسلاميَّة ـ شكَّر اللَّهُ سعيه ـ، وهي تقع في ستَّة مجلَّداتٍ كبار.

وبعد؛ فلايخفى ما للواضح من الأهمِّيَّة البالغة في الأبحاث والدِّراسات الأدبيَّة، ولعلَّ اللَّه يوفِّق محقِّق الكتاب لأن يطبعه مرَّةً أخرى، ليعمَّ نفعه وليكون متداولًا بين أيدي الباحثين.

والحمد للَّه ربِّ العالمين
ليلة ٢٠ من رمضان المبارك لسنة ١٤٢٧
مجيد هادي‌زاده

[بسم اللّه الرحمن الرحيم]

... ثمَّ انتهينا إلىٰ الابتداء بما فسَّره أبوالفتح عثمان بن جنّيٍّ في قول المتنبِّي:

أَ أُحِـبُّهُ وَأُحِبُّ فِـيهِ مَـلَامَةً إِنَّ المَلَامَةَ فِيهِ مِن أَعْـدَائِـهِ[1]

: «كأنَّه ناقض أباالشِّيص في قوله:

أَجِدُ المَلَامَةَ فِـي هَـوَاكِ لَـذِيذَةً حُبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِي اللُّـوَّمُ»[2و3]

قالَ الشَّيخُ: أمَّا معنى المتنبِّي فبخلاف قول أبي‌الشِّيص، وإنَّما يريد المتنبِّي: إنِّي أحبُّ حبيبي واللُّوَّام ينهَونَ عنهُ فكيف نأتلف ؟! وأبوالشِّيص يريد بقولِه: أحِبُّ اللَّوم لَالنهيِ عن هَوَاك، بل لتكرّرِ ذِكْرِك في تضاعيف الكلام وأثناء الملام.

وقال المتنبِّي:

عَـجِبَ الوُشَـاةُ مـن اللِّـحَاةِ وقـولهم دَعْ مَا نَـرَاكَ ضَـعُفْتَ عـن إخـفائِه[4]

قال أبوالفتح: «يقول: ليس حوله إلَّا واشٍ أو لاحٍ، كقول قيسٍ[5]:

تَكَـنَّفَنِي الوُشَـاةُ فأزعَـجوني فَـيا لِـلَّهِ لـلـوَاشِـي المُـطَاعِ»[6]

---

١. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٣٥٠. المُراجِع.

٢. انظر: كتاب الصناعتين، ص ١٣٥. والبيت أورده ابن أبي‌حجلة في ديوان الصبابة أيضاً؛ وروايته: «... فـتلمني اللؤم». المُراجِع.

٣. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٤١. المُراجِع.

٤. البيت من نفس المنظومة الَّتي أخذ منها البيت السابق عليه؛ راجع: ديوان المتنبّي، ص ٣٥٠. المُراجِع.

٥. هو قيس بن ذريح الكناني، أحد عشّاق العرب وصاحبته لُبنى ـ بضمّ اللام وباءٍ موحّدةٍ ـ. شاعرٌ أموي.

٦. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٤٢. المُراجِع.

قال الشَّيخ: المعنى محجوبٌ، وإذا جاءت العبارة ولم تَكْشِفْه بقي المعنى في حجابه. وقول أبي الفتح مُشَاكِلٌ للفظ المتنبِّي بلا تفسيرٍ!

وإنَّما المعنى: إنَّ الوُشَاةَ عَجبُوا من اللَّاحِينَ حيثُ كلَّفوه الصبر عن خُلَّتِه وهو لا يستطيعه، فكانَ عجَبُهُمْ أنَّهم طلبُوا منه ما لا يقدر عليه. ومثله قول البُحْتُري:

يُكَلِّفُني عنك العُذولُ تَصَبُّرًا وَأَعْوَزُ شَيْءٍ مَا يُكَلِّفُنِيهِ[1]

قال المتنبِّي:

إنَّ المُعينَ على الصَّبابةِ بالأَسَى أَوْلَى بِرَحْمَةِ رَبِّهَا وإخَائِهِ[2]

قال أبو الفتح: «أي: على ما بي من الصبابة[3] بالأَسَي، أي: لَامَعُونَةَ /B9/ لِي عِنْدَهُ غير أنَّه يُحزِنُني فهذا مَعُونَتُهُ إيَّاهُ، ومِثلُ «على الصبابة» قول الأعشى:

وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدًا[4] و[5]

أي: على ما أنا فيه من الزمانة. وليس معنى «على الصبابة» هيهنا كقولك: أعنت زيدًا على عمرٍو» لأنَّه لو أعانه على الصبابة لكان معه لَا عليه؛ وأنت قد تراه يَتَظَلَّمُ في هذا البيت منه إلَّا على الصبابة بأن زادني عليها تحزُّنًا»[6].

---

١. راجع: ديوان البحتري، ج ٢، ص ١٢٩٠، القطعة ١٠٢٨، البيت ٢. المُراجِع.

٢. البيت من نفس المنظومة أيضاً؛ راجع: ديوان المتنبّي، ص ٣٥٠. المُراجِع.

٣. يريد: أنّ «على» هنا بمعنى «مع»، وأنّ «بالأسى» متعلِّقٌ بـ«المعين». وابن جنّيٍّ يكرّر التنبيه على مثل هذا البيان؛ ومن ذلك كلامه في إعراب أبيات الحماسة في قول الأحوص:

إنِّي على ما قد علمت محسد أنمي على البغضاء والشنآن

وأبو القاسم جعل «على» لتعدية «المعين»؛ ومحمل أبي القاسم أوضح.

٤. «أصفدني»: أعطاني، و«قائدًا» مفعوله.

٥. صدر البيت:

تَصَيَّفْتُهُ يَومًا فَقَرَّبَ مَقعَدِي

راجع: ديوان الأعشى الكبير، ص ٩٨، القطعة ١٦، البيت ٨. المُراجِع.

٦. راجع: الفسر، ج ١، ص ٤٦. المُراجِع.

قال الشَّيخ: معنى بيت المتنبِّي: إنَّ الَّذي يصبِّرني على ما بي من الشوق والهوى ولَاأستطعيه هو أولى بأن يرقّ لي ويساعدني على شجوي.

قال المتنبِّي:

فَتَبِيتُ تُسْئِدُ مُسْئِدًا فِي نَيِّها إِسْآدَهَا فِي المَهْمَهِ الإِنْضَاءُ[1]

قال أبوالفتح: «الإسآدُ: إغْذَاذُ السير، ويقال لسير الليل خاصَّةً. والنَّيُّ: الشحم. ومُسئدًا منصوبٌ على الحال من الضمير في تُسئد، وهي حالٌ مؤكِّدةٌ لعاملها، وفاعله المرفوع الأَنضاءُ؛ أي: فتبيتُ تسير سائرًا في نِيِّها الأضناء سيرًا مثل سيرها في المهمه؛ أي: تقطعُ الفلاةُ شحمَها كما تقطع هِي الفلاةَ. وهذا الَّذي حصَّلته عن أبي الطيِّب»[2].

قال أبوالقاسم: تفسير هذا البيت قول أبي تمَّام الطائي، ومنه أخذ المتنبِّي، إلَّا أنَّه عَقَّد الألفاظ وعوَّصها وأظلم المعنى! وبيت أبي تمَّام:

رعته الفيافي بعد ما كان حِقْبَةً رعاها وماءُ الروض ينهَلُّ سَاكِبُه[3]

وأبوتمَّام أخذ هذا المعنى من بيتِ العرب أنشده أبوسعيد السِّيرَافي عن أبي بكر محمَّد بن دُريدٍ في كتاب الأبيات للأُشْنَانْدَانِي[4]؛ وهو:

---

١. راجع: ديوان المتنبِّي، ص ١٢٦. المُراجِع.

٢. راجع: الفسر، ج ١، ص ٨٤. المُراجِع.

٣. البيت من مشهور شعره، ولم أعثر عليه في ديوانه؛ وانظر ملحقات الديوان، ص ٥١١. المُراجِع.

٤. قال ابن الأثير في اللباب: «الأشناندانى ـ بضمّ الهمزة وسكون الشين وبعد الألف نونٌ ساكنةٌ ودالٌ مهملةٌ، وبعد الألف نونٌ أخرى ـ. هذه النسبة إلىٰ أشناندان، ومعناه بالفارسيّة: موضع الأشنان، وهو اسم محلّةٍ ببغداد. عرف بهذه النسبة أبوعثمان الأشناندانى صاحب كتاب المعاني. أخذ العلم عن أبي محمَّدٍ التوزي، وروى عنه أبوبكر بن دريدٍ ـ... إلىٰ آخره ـ». (الأُشنان ـ بضمّ الهمزة، وقد تكسر ـ، نبتٌ يغسل به وتقصر به الثياب، ويسمّى العصفرا).

وفي الفهرست لابن النديم، ص ٨٩ في ذكر علماء البصريّين: «والأشناندانى ويكنّى أباعثمان، روى عنه ←

وَذَاتِ مَاءَيْنِ قَـد غَـيَّضْتُ مَـاءَهما بِحَيْثُ تُسْتَمْسَكُ الأَزْمَاقُ بِـالحَجَرِ[١]
رَدَّتْ عَوَارِيَّ غِيطانِ الفَـلَا وَنَـجَتْ بِـمِثْلِ إِبِّـالَةِ مِـنْ يَـابِسِ العُشَـرِ[٢]

قال المتنبِّي:

حَـتَّى إِذَا لَمْ يَـدَعْ لي صِـدْقُه أَمَـلًا شَرِقْتُ بالدَّمع حتَّى كَـادَ يَـشرَقُ بِي[٣]

قَالَ أبوالفتح: «أي: كثُرَ دمعِي حتَّى صغرتُ أنا بجنبه وبالإضافة إليه»[٤].

قال أبوالقاسم: معنى هذا البيت أنَّه لمَّا أتانِي نَعِيُّ المتوفَّاةِ نَزَفْتُ دمعِي بـالبكاء حـتَّى لم يكد يجري وبقي حائرًا في الجفن فكدتُ أقضِي نَحْبِي فَيَجِفُّ الدمْعُ بي. وليس للكـثرة والقِلَّة معنًى كما ذكره أبوالفتح.

وللشعراء في ذكر الدمع والعين /B10/ أساليبُ حِسَانٌ، فمِنْ أحسـنِ مـا ذكـروا قـولُ أبي حيَّة النُّمَيري، وهو أوَّل من افْتَرَعَه:

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِـن وَرَاءِ زُجَـاجَةٍ إِلىٰ الدَّارِ من فَرْطِ الصَّبابَةِ أَنظُرُ[٥]

وقال بعض العرب:

وَمِمَّا شجاني أَنَّـها يـومَ أَعْـرَضَتْ[٦] تولَّتْ وَماءُ العينِ في الجفنِ حـائِرُ[٧]

← أبوبكر بن دريد ولقبه بالبصرة، وله من الكتب: كتاب معاني الشعر، كتاب الأبيات ـ... إلى آخره ـ».
قلت: اسمه سعيد بن هارون، وهو بصريٌّ. توفّى سنة ٢٨٨. وطبع أولهما دارالثقافة في بيروت سنة ١٩٦٣.

١. كذا ضبط في الأصل؛ والمعنى: إنّ أرماق الركب مشدودةٌ بحجر تلك العين، فإن بضت لهم بماء حيوا وإلّا هلكوا عطشًا. و«ذات ماءين» عينٌ، وتثنيته ـ: ماءين ـ للتكثير، كما في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾؛ وقولهم: «لبَّيك وسعديك».

٢. ضمير «ردّت» عائدٌ إلى ناقة أو راحلة، دلّ عليها سياق الكلام أو تقدّم ذكرها في بيتٍ قبل هذا.

٣. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٣٣. المُراجِع.

٤. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٢٩٦. المُراجِع.

٥. البيت أورده ياقوت في ترجمة أحمد بن إبراهيم بن حمدون؛ وروايته: ... من ماء الصبابة؛ راجع: معجم الأدباء ج ٢، ص ٢١٣. المُراجِع.

٦. رواية الديوان: ودُّعت. المُراجِع.

٧. راجع: ديوان مجنون وليلى، ص ٧٧، القطعة ٧٤، البيت ١. المُراجِع.

وتبعه بشّار فقال:

أَقُولُ وَقَدْ غَصَّتْ جُفُونِي بِمَائِهَا[١]

وقال ابن حُبَيْبَاتٍ:

أُلِمُّ بِـالبابِ كـي أَشْكُـو فَـيَمْنَعُنِي فيضُ الدُّموع على خَدِّي من النَّظَر
أَقْـبَلتُ أَطْـلُبُهَا وَالقَـلْبُ مَـنزِلُها أَعْجِبْ بِمُقْتَرِبٍ مِنِّي عـلَى سَـفَر[٢]

وقال البحتري:

وَقَـفْنَا وَالعُـيُونُ مُـثَغَّلَاتٌ[٣] يُـغالِبُ دَمْـعَهَا نَـظَرٌ كَـلِيلُ
نَهَتْهُ رِقْـبَةُ الْـوَاشِـينَ حـتَّى تَعَلَّقَ لَايَـغِيضُ وَلَايَسِـيلُ[٤]

وقال المتنبّي:

عشِيَّةَ يَعدُونَا عـن النَّـظرِ البُكـا وعن لذَّة التَّوديعِ خوفُ التفرُّقِ[٥]

فهؤلاء كلُّهم وصفوا حيرة الدمع وكلُّهم قاصرون عن أبي حيَّة!

وأمّا في معنى تدارُك سَيَلَانِه فليس فوق قول قيس[٦] شيءٌ؛ أنشـدَناهُ المَـرْزُبَانِي عـن عُمر بن شَبَّةَ عن الأصمعيّ، قال:

اخترتُ من شعر العرب في نعْت الوجوه قولَ المُخَبَّل:

وَتُـرِيكَ وَجْـهًا كَـالوَذِيلَة لَا ظَـمآنُ مُـخْتَلِجٌ وَلَاجَـهْمُ[٧]

---

١. صدر بيتٍ لم أقف على عجزه. وهو غير موجودٍ في الموجود عندنا من ديوانه، ولا فيما اطلعنا عـليه مـن كـتب الأدب. وهذا المصراع أبلغ في وصف امتلاء الجفون بالدمع لما فيه من بديع استعارة فعل غـصت لمـعنى شـدّة الفيضان. ونظيره قول بشّار:

تـروح بـعيني غـصة مـن دمـوعها وتصبح احشآءي تـطير مـن الوجـد

(انظر صفحة ٢ من الجزء الثالث من ديوان بشّار).

٢. لم أعثر عليه فيما عندي من مصادر الأدب العربي. المُراجِع.

٣. رواية الديوان: مُشَغَّلَاتٌ. المُراجِع.

٤. راجع: ديوان البحتري، ج ٢، ص ٩٠٧، القطعة ٧٢٨، البيت ٥. المُراجِع.

٥. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٣٤٦. المُراجِع.

٦. هو قيس بن الملوّح (مجنون ليلى)، وهذان البيتان منسوبان إليه في الأغاني.

٧. لم أعثر عليه فيما عندي من مصادر الأدب العربي. المُراجِع.

واخترتُ في صفة العيون قولَ عَدِيٍّ[١]:

وكأنَّـها بـينَ الظـباء[٢] أعـارَهَا عَـيْنَيْه أَحْـوَرُ مِـن جَآذِرِ جَـاسِمِ

وَسْـنَانُ أَقْـصَدَهُ النُّعاسُ فَـرَنَّقَتْ فِـي عـينِه سِـنَةٌ وليس بِـنَائِمِ[٣]

واخترت في نعت الدمع قول قيس:

وَإِنِّي لَأَبْكِي الْـيومَ مِـن حَـذَرِي غَـدًا فَـرَاقَك وَالحَـيَّانِ مُـخْتَلِفَانِ[٤]

سِـجَالًا وَتَسْكـابًا وَسَـحًّا وَدِيـمَةً وَ هَـطْلًا وَتَـهْتَانًا وَبِـالْهَمَلَانِ[٥ و٦]

وطردَهُ البُحتريُّ على سَبيل التورية إلىٰ المدح فقال:

تَجُودُ عـلَى الطُّلَّابِ سَحًّا وَدِيـمَةً وَهَـطْلًا وَإِرْهَـامًا وَوَبْـلًا وَرَيِّـقًا[٧]

وأمَّا في الاعتدار في الدمع فبشَّار ابْتدَع فيه، وهو قوله:

يَـقُلْنَ لَـقد بَكَـيْت فـقلتُ كَـلَّا وَهل يَبكِي من الطَّـرَبِ[٨] الجَـلِيدُ

وَلَكِـنِّي أَصَـابَ سَـوَادَ عَـيْنِي عُـوَيْدُ قَـذًى لهُ طَـرَفٌ حَـدِيدُ

/A10/ فَـقَالُوا مـا لِـدَمْعِهِمَا سَـوَاء أَكِلْتَيْ[٩] مُـقْلَتَيْكَ أَصَـابَ عُـودُ[١٠]

---

١. هو عدي بن مالك ويعرف بابن الرقاع ـ بكسر الراء وتخفيف القاف، اسم جدٍّ من أجداده ـ. وهو من بني عاملة شاعرٌ أموي.

٢. المصدر: وسط النِّساء. المُراجِع.

٣. البيتان هما ٨، ٩ من منظومةٍ تحتوي على ٣٧ أبيات؛ ولم أعثر على ديوانه. المُراجِع.

٤. رواية الديوان: مؤتلفان. المُراجِع.

٥. رواية الديوان:

سـجَالًا وتَـهتَانًا ووَبـلًا وديـمةً وسَـحًّا وتسـجَامًا إلىٰ هَـمَلانِ

المُراجِع.

٦. راجع: ديوان مجنون ليلى، ص ١٩٢، القطعة ٢٣٢. المُراجِع.

٧. راجع: ديوان البحتري، ج ٢، ص ٨٠٤، القطعة ٦٣٥، البيت ٤٦. المُراجِع.

٨. رواية الديوان: الشوق. المُراجِع.

٩. رواية الديوان: أكلتا. المُراجِع.

١٠. هذه هي الأبيات ٤، ٥، ٦ من منظومةٍ ذات ٧ أبيات؛ ولم أعثر على ديوانه. المُراجِع.

وتبعه أبُوالعتاهية وأحسنَ حيث يقول:

كَـمْ مِـنْ خَـلِيلٍ لِـي أُسَـا ... رِقُـهُ البُكَـاءَ مِـنَ الحَـيَاءِ
فَـــإذَا تَأمَّـــلَ لَامَـنِي ... فَأقُول مَـا بِـي مِـنْ بُكَـاءِ
لَكِـنْ ذَهَـبتُ لِأَرْتَـدِي ... فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِـالرِّدَاءِ[1و2]

وقال المتنبِّي:

وتَغْبِطُ الأرضُ منهَا حيثُ حَـلَّ بِـهِ ... وَتَحْسُدُ الخَـيْلُ مِـنهَا أَنَّهـا رَكِـبَا[3و4]

قال أبوالفتح: «إنَّما جعل الأرض تَغبِط والخيلَ تحسُد، لأنّ الأرض وإن كُثِرَتْ بِقَاعُهَا فهي كالمكان الواحد لاتِّصَال بعضها ببعضٍ، والخيلُ ليست كذلك، لأنَّها متفرّقة، فاستعمل للأرض لفْظَ الغِبْطَةِ وللخَيْلِ لفظَ الحسدَ، لأنَّه أقبح»[5].

قال أبوالقاسم: أمّا الفرق بين الغبطة والحسد فقد فرَّق بينهما النبيُّ ﷺ حيث قال: «المؤمن يَغبِط والمنافق يحسُد»[6]؛ والعرب تقول: غَبَطتُ الرجُلَ إذا تمنيتَ مثلَ حاله مع بقائها له، وحَسَدتُهُ: إذا تمنَّيتَ زوال حاله إليك ـ... إلىٰ آخره ـ.

وسُئل النبيُّ ﷺ: «هل يضرُّ الغَبْط؟

---

١. وفي أبيات أبي‌العتاهية قصّةٌ في ثناء بشّار عليه وجواب أبي‌العتاهية بأنّه ما لاذ إلّا بمعنى بشّار؛ انظر الأغاني في ترجمة أبي‌العتاهية.

٢. راجع: ديوان أبي العتاهية، ص ٢٦، القطعة ١٢. المُراجِع.

٣. «حيث» هنا اسم مكانٍ متصرّفٍ على المختار، وهو قول أبي‌عليٍّ الفارسي؛ فيجوز أن يكون مفعولاً به لفعل «تغبط» ـ كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتَهُ﴾. ويجوز أن يكون بدل بعضٍ من قوله: «الأرض»؛ وهو أظهر.

٤. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٩٨. المُراجِع.

٥. راجع: الكنز، ج ١، ص ٣٩١. المُراجِع.

٦. ذكره الغزالي في الإحياء بلفظ: «إنّ المؤمن ـ... إلىٰ آخره ـ». وقال زين‌الدين العراقي: «لم أجد له أصلًا مرفوعًا، وإنّما هو من قول الفضيل بن عياض».
[وانظر أيضاً: كشف الريبة، ص ٥٧. المُراجِع.]

فقال: كَمَا يَضُرُّ العِضَاهَ الخَبْط»[١]؛ معناه: أنَّ الإنسان إذا رَأى نعمة بغيره لَا يدْخُلُ التَمَنِّي ولَا يستفتح بَابَهُ وإنَّما يسترزق اللَّه من فضلِه العميم.

ومعنى بيت المتنبِّي[٢]: أنَّ الأرض كلُّ بقعة منها يتمنَّى أن يكون يحلُّ بها لفضله وكرمه، وإذا ركب من الخيل ما ركب فكلُّ فرسٍ يتمنَّى أن يزول عن ظهره إليه. وقال الحسن بن هانىء في الأمين:

تَتَحَاسَدُ الآفَاقُ وَجْهَكَ بَينَها فَكأنَّهُنَّ بحيثُ كنتَ ضَرَائِرُ[٣]

وقال المتنبِّي:

مِنَ الجآذِرُ فِي زيِّ الأعَارِيبِ حُمْرَ الحِلَى وَالمَطَايَا وَالجلابِيبِ[٤]

قال أبوالفتح: «جعل كَونَهُنَّ جآذِرَ حقيقةً وجعل كونهنَّ أعاريبَ مجازًا، وذلك للمبالغة في الصنعة»[٥].

قال أبوالقاسم: ليس للمجاز والحقيقة محلٌّ في هذا البيت ولامدخلٌ، وإنَّما جعَلَهنَّ جَآذِرَ لنَجلِ العيون وَحَورِهَا وهُنَّ في الخِلْقةِ نِساء[٦].

قال أبوالفتح: «حُمْرُ الحلى أي: هنّ شِرَاف، وكذلك الجلابيب»[٧و٨].

---

١. ذكره ابن الأثير في النهاية بلفظ قال: «لَا إلَّا كما يضرّ ـ... إلىٰ آخره ـ». قال ابن الأثير: «أراد انّ الغبط لَا يضرّ ضرّ الحسد وإنّما يلحق الغابط من الضرّ راجعٌ إلىٰ نقصان الثواب، مثل العضاه إذا خبطت سقط ورقها دون قطعها».

٢. لم يأت أبوالقاسم بطائلٍ في وجه جعل ما للأرض غبطةً وما للخيل حسدًا. وقد أشار إليه أبوالفتح بما بيانه: انّ الغبطة هنا الاحتفاظ بالشيء النفيس. وبهذا يترجّح أن يكون «حيث» بدلًا من «الأرض».

٣. راجع: ديوان أبي نواس، ص ٣٠٦، القطعة ٥٦٦. المُراجِع.

٤. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٤٨. المُراجِع.

٥. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٥٣٤. المُراجِع.

٦. لعلّ فهم أبي الفتح أرشق ممّا قاله أبوالقاسم، لأنّ الشاعر لمّا استفهم عن كونها في زيّ الأعاريب قد أوغل في تخيّلهنّ جآذر حقيقةً، فالإستهام ترشيحٌ للاستعارة. ولا وجه لتخصيص أبي القاسم وجه تشبيههنّ بالجآذر أنّه نجل العيون.

٧. أراد أنّ الحلى الحمر والجلابيب الحمر تلبسهنّ النساء الشراف، لغلاتها لحسن صبغها.

٨. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٥٣٤. المُراجِع.

قال أبوالقاسم: ليس هذا بشيءٍ، إنَّما المعنى: /A11/أنَّهن حِسان يَلْبَسْنَ حِسَانَ المَلَابِس اسْتضَافَةَ جمالٍ إلىٰ جَمَال.

وروى الأصمعي في كتاب الأجناس أنَّ العرب تقول: إنّ الخمار الأسود يَشُبّ لون المرأة، أي: ينَوِّرُهُ ويَجْلُوه، وكلَّما ازدادت الظلمةُ سَوَادًا ازدادت الأنوارُ ضياءً. والعرب تقول: الحُسْنُ أحْمَرُ؛ ومنه قول بشّار:

وَخُذِي مَلَابِسَ زِينَةٍ وَمُصَبَّغَاتٍ هُنَّ أَنْوَرْ
فَإِذَا دَخَلْنَا فَادْخُلِي فِي الحُمْرِ إنَّ الحُسْنَ أَحْمَرْ[1]

وقد ذكر ابن‌الرومي هذا البيت في قوله:

قل للمليحة فِي الخمَار المُذْهَبِ أفسدتِ نُسْكَ أخي التُّقَى المُتَرَهِّبِ
وَجَمَعْتِ بَيْنَ الْمُذْهَبَيْنِ فَلَمْ يَكُنْ للحُسْنِ فِي ذَهَبَيْهِمَا مِنْ مَذْهَبِ[2]

والعلماء يقولون في قولهم: «الحسن أحمر» وجهًا آخر، وهو: أنَّه يُخاض فيه الشَّدَائدُ حتَّى أنَّ الدّم يرَاق فيه، كما يقولون: الموت أحمر، وهو الَّذي يراق فيه الدم ـ... إلىٰ آخره ـ.

قال المتنبِّي:

أُغَالِبُ فِيكِ الشوقَ والشوقُ أغلبُ وَأعْجَبُ من ذَا الهَجْرِ وَالوَصْلُ أعْجَبُ[3]

قال أبوالفتح: «أغلب أي: أغلب مِنِّي؛ ويجوز أن يكون أغلب أي: غليظُ العُنُق من القلب[4]، فيرجع إلىٰ الأوَّل. والقول الأوَّلُ على كلّ حَال أشبَه.

---

١. من مقطوعةٍ تشتمل على هذين البيتين فقط؛ ولم أعثر على ديوانه. المُراجِع.

٢. راجع: ديوان ابن‌الرومي، ج ١، ص ٩٢. ولابن معصوم المدنيّ:

قل للمليحة في القباء الأطلس أفسدتِ عقل أخي التُّقى المتقدّس

... المُراجِع.

٣. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٦٦. المُراجِع.

٤. كذا كتب لفظ «القلب» بقافٍ وضبط اللام بعد القاف بسكونٍ، وهو خطأٌ، وصوابه أنّه بفتحٍ ومجمعةٍ على اللام، مصدر غلب ـ بكسر اللام، من باب فرح ـ: إذا غلظ عنقه.

والوصلُ أعجب لأنّ من عادتها أن تَهْجُر، فقد صار الهجر هو المعهود»[١].

قال الشَّيخ: معنى البيت: أنّي أغالب الشوق بالصبر وهو غالبني بسلطانه، وأعجبُ من وصلكِ لي خَيَالًا بالليل، وَهَجْرُكِ صباحًا أعجب. وهذا معنى قول البحتري:

وَلَمْ نرَ[٢] مِثلَيْنَا وَلَامثلَ حَالِنَا[٣] نُعَذَّبُ أيْقَاظًا وَنَنْعَمُ هُجَّدًا[٤]

وقد تقدّمه قيس بن الخطيم في معناه حيث يقول:

مَا تَمْنَعِي يَقْظَى فَقَدْ تُولِينَهُ فِي النَّوْمِ غيرَ مُصَرَّدٍ مَحْسُوبِ[٥]

وقال المتنبّي:

مُنِّيَ كُنَّ لي أنَّ البَيَاضَ خِضَابُ فَيَخْفَى بِتَبْيِيضِ القُرُونِ شبابُ[٦]

قال أبوالفتح: «يقول: شيبي هذا كان منّي لي قديمًا. وإنّما تمنَّيْتُ الشيب ليخفَى شبابي بابيضَاض شعري. وآثَر الشيبَ على الشباب لما فيه من الوقارِ»[٧].

قال أبوالقاسم: ثاني هذا البيت يرُدّ ما ذكره أبوالفتح من تمنّي الوقار، وهو:

ليالِيَ عندَ البيضِ فَوْدَايَ فِتنةٌ وفخرٌ وذاك الفخرُ عِنْدِيَ عَابُ[٨]

/B11/ وإنّما المعنى: أنّي مصْرُوفُ الهمّة إلىٰ اكتساب المعالِي والمآثِر[٩]، كقوله في عدَّة قصائد:

ضُرُوبُ النَّاسِ عُشَّاقٌ ضُرُوبَا فَأعذَرُهم أشَفُّهُمُ حَبِيبَا

---

١. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٥٦٣. المُراجِع.
٢. رواية الديوان: ولم أر. المُراجِع.
٣. رواية الديوان: شأننا. المُراجِع.
٤. راجع: ديوان البحتري، ج ١، ص ٢٨٤، القطعة ٢٤١، البيت ٦. المُراجِع.
٥. البيت هو الثاني من مقطوعةٍ ذات أربعة أبيات؛ راجع: الأمالي ـ لأبي عليٍّ القالي ـ، ج ٢، ص ٢٧٣. المُراجِع.
٦. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٧٨. المُراجِع.
٧. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٥٨٧. المُراجِع.
٨. راجع: نفس المصدر. المُراجِع.
٩. معني أبي الفتح ومعنى أبي القاسم متقاربان، وإن كان معنى أبي القاسم أصرح.

وَمَا سَكَنِي سِوَى قَتْلِ الأعادِي فَهَلْ من زَوْرَةٍ تَشْفي القُلُوبَا[١]

وقال في أخْرَي:

مُحِبٌّ كَنَى بِالبِيض عن مُرْهَفَاتِهِ وَبالحُسْنِ فِي أجسادِهِنَّ[٢] عن الصَّقْلِ

وَبِالسُّمْرِ عَن سُمرِ القَنَا غيرَ أنَّنِي جَنَاهَا أحِبَّائِي وَأطْرَافُهَا رُسُلِي[٣]

* * *

.. ثمَّ اتَّفَقَ بعدها في بلدان العجم وقوعي إليها بعد تتمَّة الأربع مائة والعَشْر، فاختلف إليَّ طائفةٌ من كُتَّاب الإنشاء كلُّهم نظروا في الفَسْر الكبير، فكانوا يُجارُونَنِي في عوَارض أبيات المعاني الَّتي فسَّرها؛ فَقَرَنْتُهَا بالمشكلات.

فأوَّل ذلك قول المتنبّي:

أُنَاسٌ إذَا لَاقَوا عِدًى فكأنَّمَا سلاحُ الَّذي لَاقَوا غُبارُ السَّلاهِبِ[٤و٥]

قال أبوالفتح: «أي: سلاح عدوّهم كغبار الخيل لايَعْبَؤون بهِ ولَايلتفتون إليه. وخصَّ «السلاهبَ» لأنَّها أسرع، فغبارُها ألْطَف»[٦].

قال أبوالقاسم: ليس هذا بشيءٍ! وإنَّما المعنى: إذا لاقوا النَّاس في الحرب وَلَّوا هاربين، فكان سلاحُهم الفرَّ اغتنامًا للسلامة؛ كما قال في أخرىٰ لسيف‌الدولة يصف بَنِي نُمَيْر:

فَلَزَّهم الطِّرَادُ إلىٰ قِتالٍ أحدُّ سلاحِهِم فيه الفرارُ[٧]

---

١. راجع: ديوان المتنبّي، ص ١٩٣. المُراجِع.

٢. رواية الديوان: أجسامهنّ. المُراجِع.

٣. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٥١٨. المُراجِع.

٤. هذا البيت من قصيدةٍ في مدح طاهر بن الحسين.

٥. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٢٢٧. المُراجِع.

٦. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٥١٥. المُراجِع.

٧. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٠٠. المُراجِع.

وقال المتنبّي:

وأَمــقَّ لوخـدَتِ الشَّمالُ بـرَاكبٍ في عَـرْضِهِ لأَنـاخَ وَهـوَ طَـلِيحُ[١]

قال أبوالفتح: «يصف فرسًا، وهو الطويل؛ وقالوا: الواسع الفروج»[٢].

قال أبوالقاسم: «الأمقُّ» هو البلد الطويل البسِيطَة؛ وعَنَى المتنبّي المفازة، لأنَّه يقول: لو أنَّ الشّمال سارت براكبها لبَقِي حَسِيرًا.

ثمَّ البيت الثاني يدلُّ عليه:

نَـازَعتُهُ قُـلُصَ الرِّكـابِ وَرَكـبُها خَوفَ الهَلاكِ حُدَاهُمُ التَّسبِيحُ[٣ و٤]

وقال المتنبّي:

فِي مِـثلِ ظَـهرِ المِجـنِّ مُـتَّصِلٍ بِمِثلِ بَـطنِ المِجـنِّ قَـردَدُها[٥ و٦]

قال أبوالفتح: «أي: أعلو أرضًا وأهبط أرضًا»[٧].

قال أبوالقاسم: تفسيرُه البيت الثاني:

مُـرتَمِياتٌ بِـنَا إِلىٰ ابـنِ عُـبَيـ ـدِ اللَّـهِ غِيطَانُهَا وَفَدْفَدُهَا[٨]

---

١. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٦٧. المُراجِع.

٢. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٧٣٤. المُراجِع.

٣. «ركبها» مبتدءٌ، وجملة «حداهم التسبيح» خبرٌ عن المبتدء؛ والمعنى: التسبيح ـ وهـو قـول «سـبحان اللّـه» ـ جعلوه ديدنهم في سيرهم عوضًا عن الحداء، لشدَّة خوفهم الهلاك. وانتصب «خوفَ الهلاك» على المفعول لأجله مقدَّمًا على عامله ـ وهو: التسبيح ـ. وتقديم المفعول لأجله على عامله جائزٌ، كقول الكميت:

طربت وما شوقا إلىٰ البيض اطرب.

٤. راجع: نفس المصدر. المُراجِع.

٥. هذا البيت من الصبويات.

٦. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٩. المُراجِع.

٧. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٨٥٥. المُراجِع.

٨. راجع: نفس المصدر. المُراجِع.

والحسن بن هانىء قد ذكر الهبوط والصعود في مسيره، فقال:

طَـافِيَاتٍ رَاسِيَاتٍ خوْمها عنقًا عنقًا[١ و٢]

إلَّا أنَّه ذهب غير هذا المذهب.

وقال المتنبّي:

فَـرَأَيتُ قَـرْنَ الشَّـمسِ فِي قَـرِ الدُّجَـى مُـتأوِّدًا غُـصنٌ بِـهِ يَـتأوَّدُ[٣]

قال أبوالفتح: «أي: جمعتْ حُسْن الشَّمس والقمر، وشبَّه قدَّها بالقضيب»[٤].

قال أبوالقاسم: البيت الأوَّل يعني خَوْضَ صُفْرَتِهَا في بياض وجـهها، فشـبَّهه بـالفضّة والعَسْجَد، ثمَّ مثَّلَه بقَرْن الشَّمس في اصفراره بَدْء طلوعه خائِضًا في بياض القمر.

/A28 وقال المتنبّي:

أَبـلَتْ مَـوَدَّتَنا[٥] اللَّـيالي بـعدَنَا ومَشَى عليها الدَّهْرُ وهو مُـقَيَّدُ[٦]

قال أبوالفتح: «المقيّد يتقارب خطوه، يريد: أنَّ الدهر دبَّ إليها فغيَّرها»[٧].

---

١. كذا كتب في الأصل، وكذلك ضبط ونقط ما ضبط ونقط منه؛ وفيه تحريفٌ ونـقصٌ أفـضى إلىٰ اخـتلال الوزن. وصواب البيت:

طـــافيات راســبات جـبتها عـنقا فـعنقا

«راسبات» بموحّدةٍ بعد السين، كذا في ديوانه. ولعلّ كلمة «خومها» تحريف «خوفها» بخاءٍ معجمةٍ وبفاءٍ أخت القاف بعد الواو، وهي روايةٌ في البيت عوض «جبتها». وانتصب «عنقا فعنقا» على البدل من ضمير الغائب فـي «جبتها» بدل مفصّلٍ من مجملٍ، كما تقول: قرأت الكتاب بابًا فبابًا. «والعنق» رأس الجبل من الرمل. والبيت من مجزوء الرمل، شبّه الصعود بالطفو والهبوط بالرسوب؛ وفي البيت محسن الطِّباق.

٢. راجع: ديوان أبي نواس، ص ٣٧٢، القطعة ٦٤٦. وصحيح البيت ما ذكـره مـحقّق الكـتاب فـي التـعليق عـليه. المُراجِع.

٣. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٧. المُراجِع.

٤. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٨٩٧. المُراجِع.

٥. الرواية: مودَّتها.

٦. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٨. المُراجِع.

٧. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٨٩٩. المُراجِع.

قال أبو القاسم: أي: وطئها الدَّهر بشدَّةٍ، يعني مَوَدّتها فعفَا آثارها. ومثله بيت الحماسة:

وَوَطِئْتَنَا وَطْأً عَلَى حَنَقٍ وَطْأَ المُقَيَّدِ نَابِتِ الهَرْمِ[1]

أي: وَطأً بشِدّةٍ.

وقال المتنبِّي:

كَأَنَّ سُؤَالَكَ بَعضُ القَضَاء فَمَا تُعْطِ مِنهُ تَجِدهُ[2] جُدُودَا[3]

قال أبو الفتح: «إذا وصلتَ أحدًا ببرٍّ سعد ببركتك وتشرَّف بعطيَّتك، فصار جَدًّا له؛ ومثله قول أبي تمَّام:

مَا زلتُ مُنتظرًا أُعجُوبَةً عَنَّا حَتَّى رَأيتُ سؤالًا يُجتَنَى كَرَما»[4 و5]

قال: قال أبو القاسم: معنى البيت: أنَّ من أعطيتَه جُدَّ في دنياه، إمَّا لغِنَاه بك، أو لاقتداء الغير في إجزال العَطاء بعَطائِكَ.

وأمّا قول أبي تمَّام فروايته كما أُنشده:

ما زلتُ مُنتظرًا أُعجُوبَةً عَنَّا حَتَّى رَأيتُ سؤالًا يُجتَنَى شَرَفَا

وأوَّل القصيدة:

أمَّا الرُّسومُ فقد أَذْكَرنَ ما سَلَفَا[6]

ومعناه: أنَّ سائِلَك يَشْرُف بسؤالك لجلالة قدرك وعُظْمِ محَلِّك، فلاغضاضة تلحقه

---

١. البيت للحارث الذهلي على ما في المستصفى في أمثال العرب، ذيل «أذلّ من هردة»؛ ولم أجده في ديوان الحماسة. المُراجِع.

٢. رواية الديوان: نجده. المُراجِع.

٣. راجع: ديوان المتنبّي، ص ١٣٣. المُراجِع.

٤. راجع: ديوان أبي تمّام، ج ١، ص ٤٢١، القطعة ٩٦، البيت ٢٠؛ ورواية الديوان ما يذكره أبو القاسم. المُراجِع.

٥. راجع: الكنز، ج ١، ص ٩٦٨. المُراجِع.

٦. راجع: نفس المصدر، ص ٤١٨. المُراجِع.

في نفسه ولا هضيمة في حقّه؛ كما قال البحْتري:

عَلَّمْتَنِي الطَّلَبَ الشَّريفَ ولمأَزل[١] كُنتُ الوضيعَ مِن اتِّضَاع مَطالِبي
وَأَرَيْتَنِي أنَّ السؤَال مَحَلَّهُ[٢] فيهَا اختلافُ مَنَازِلٍ وَمَراتِب[٣]

وقال المتنبِّي:

فَمَا فِي سجَايَاكم مُنَازَعةُ العُلَى ولَا فِي طِباعِ التُّربَة المِسكُ والنَّدُّ[٤]

قال أبوالفتح: «أي: أين التراب من المِسك؛ ومعناه: أين أنتم منه؟!»[٥].

قال أبوالقاسم: معنى البيت: أنَّه يذكر ممدوحه بالرفعةِ وطلبِ المعالِي، ويذمُّ أعداءه باللؤم وَالدَّناءةِ؛ ويقول لهم: خَلُّوا المكارم له فما في طباعكم مُسَاوَرَتُها والنُّهُوضُ إليهَا، كما ليس في طبع التربة ضَوع المِسك وروائح الطِّيب. فمثَّل الأطياب بالمعالِي ومثَّل طباعهم بالتراب.

وقال المتنبِّي:

مَا يَقبِضُ المَوتُ نَفْسًا مِن نفوسِهمُ إلَّا وَفِي يدِهِ مِن نَتنِهِ[٦] عُودُ[٧]

/B28 قال أبوالفتح: «أي: لايباشر الموت أنفسهم وقت قبضه إيَّاها، ضربَه مثلًا»[٨].

قال أبوالقاسم: معناه: أنَّ الرجل إذا عثر بعُنتِنٍ أخذ خشَبَة يُحرِّكه بها استقدارًا له؛ فضربه مثلًا للخِصْيان وَأنَّهم مَنَاتِين أقذار.

---

١. رواية الديوان: وربّما. المُراجِع.
٢. رواية الديوان: محلَّةٌ. المُراجِع.
٣. راجع: ديوان البحتري، ج ١، ص ١٥٨، القطعة ١٢١، البيتان ٣٩، ٤٠. المُراجِع.
٤. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٢٠١. المُراجِع.
٥. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ١٠١٣. المُراجِع.
٦. رواية الديوان: نتنها. المُراجِع.
٧. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٥٠٧. المُراجِع.
٨. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ١٠٩٧. المُراجِع.

وقال المتنبِّي:

يَـنـثَنِي عَـنكَ آخِـرَ الدَّهـرِ مِـنه نـاظِرٌ أنتَ طَـرفُه ورُقَـادُه[١]

قال أبوالفتح: «أي: إذا انصرف يوم النَّيروز عنك إلىٰ آخر اليـوم خـلَّف عـندك طـرفَه ورُقَادَه، فبقي عندك بلالحظٍ ولانوم»[٢].

قال أبوالقاسم: معناه: أنَّ يوم النَّيْرُوز يلحظك كلَّ سنةٍ مرَّةً فتكون زينةً له وَأُنْسًا كالرّقاد وفتح الجفن».

وقال المتنبِّي:

تَـعـرَّضُ لِـلـزُّوَّارِ أعـنَاقُ خَـيْلِهِ تَعَرُّضَ وَحشٍ خَائفَاتٍ مِن الطَّـرْد[٣]

قال أبوالفتح: «أي: تنظر شزرًا إلىٰ زُوَّاره تَخَوُّفًا من أنْ يَهَبَهَا كوحشٍ خافتٍ طرْدًا»[٤].

قال أبوالقاسم: معنى البيت: أنَّ خَيلَ ابـن‌العـميد اعـتادتْ قَـودَها إلىٰ الزُّوَّار وهـبتها للسُّؤال، فإن أبصرت زائدًا تعرَّضَتْ ومدَّت إليه أعناقها على العادة المألوفة، كما تتعرَّض الوحشُ النافرة لكلِّ ما مرَّتْ به[٥].

وقال المتنبِّي:

فَـتًى يَـمـلأُ الأزمـانَ[٦] رَأْيًـا وحِـكمَةً وبَـادِرةً أَيَّـانَ[٧] يَـرضَى ويَـغضَبُ[٨]

---

١. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٥٢٧. المُراجِع.
٢. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ١١١١. المُراجِع.
٣. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٥٣٥. المُراجِع.
٤. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ١١٥٤. المُراجِع.
٥. في موقع التشبيه على هذا التفسير بعدٌ.
٦. رواية الديوان: الأفعال. المُراجِع.
٧. رواية الديوان: ونادرةً أحيانَ. المُراجِع.
٨. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٦٨. المُراجِع.

قال أبوالفتح: «البادرة: البديهة»[١].

قال أبوالقاسم: البادرة: العقوبة والشديدة[٢]، يُنْزلها الرجل بالمسيء والمجرم؛ ومنه قول المتنبِّي في أُخري: ...[٣].

وقال المتنبِّي:

أَنَــا صَـخرَةُ الوَادِي إذا مَـا زُوحِمَتْ فَـــإذَا نَـطَقتُ فَـإنَّنِي الجَـوزَاءُ[٤]

قال أبوالفتح: «أي: قـد جـمعت الأمـرين: أنـا كـهذه الصـخرة وفـي عـلوِّ المـنطق كالجوزاء»[٥].

قال أبوالقاسم: معنى البيت: أنَّ الجوزاء بيت عطاردٍ وهو كاتب الشمس[٦]، وهـو نـجم اللَّسَن[٧] والفصاحة والكتابة والبلاغة وآثار دقائق محاسن اليد واللسان.

وقال المتنبِّي:

تَـفضَحُ الشَّـمسَ كـلَّما ذَرَّتُ الشَّـمـ ـــــسُ بِشَـمسٍ مُـنِيرةٍ سَـودَاء[٨]

قال أبوالفتح: «تَهَزَّوَّ به!»[٩].

قال أبوالقاسم: معناه: أنَّ كافورًا في إشراق أفعاله ووضوح مكارمه شمسٌ تغلب ضياءَ الشمس وهو أسود اللون؛ ويتلوه قوله: /A29/

---

١. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٥٧٢. المُراجِع.
٢. لعلّ «الواو» سهوٌ.
٣. كذا في الأصل، ولم يذكر المقول.
٤. راجع: ديوان المتنبّي، ص ١٢٥. المُراجِع.
٥. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٨٢. المُراجِع.
٦. أي: في اصطلاح المنجّمين وفي عقائد القدماء؛ وهو ربُّ الحكمة عند اليونان.
٧. «اللَّسَن» ـ بفتح اللام وفتح السين ـ: الفصاحة والبيان، وفعله كفَرِحَ.
٨. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٤٤٧. المُراجِع.
٩. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ١٣٧. المُراجِع.

إنَّما الجلدُ مَلبَسٌ وَابيِضاضُ الـ ـنَّفسِ خيرٌ من إبيِضاضِ القَبَاءِ[١]

وقد تقدَّمه في هذا المعنى عَبدُ بني الحَسْحَاس حيث يقول:

إنْ أَكُ[٢] عَبْدًا فَـنَفْسِي حُـرَّةٌ كَـرَمًا أو أسوَدَ اللَّونِ إنِّي أبيَضُ الخُـلُقِ[٣]

وقال المتنبِّي:

تَذُمُّ[٤] السَّحابَ الغُرَّ في فِعلها بها[٥و٦و٧]

قال أبو الفتح: «الغرّ لكثرة مائِها»[٨].

قال أبو القاسم: إنَّما السحاب يَسْوَدُّ لكثرة مائِه، ويقولون: السَّوَاري الرُّبْد والغَوَادِي الغُرُّ.

وقول[٩] المتنبِّي:

حَـاوَلْنَ تَـفدِيَتِي وَخِـفْنَ مُـراقِـبا فَوَضَعْنَ أَيدِيَهُنَّ فَـوقَ تَـرَائِبَا[١٠]

قال أبو الفتح: «أي: أشرنَ من بعيدٍ ولم يَجهَرْنَ بالسلام خوفَ الرقباء»[١١].

---

١. راجع: نفس المصدر. وقوله: «يتلوه قوله»، فيه مسامحةٌ؛ حيث وقع بين البيتين بيتٌ آخر. المُراجِع.
٢. رواية الديوان: كنتُ.
٣. اسمه سحيم. وقبل البيت:

أشعار عبد بني الحساس قمن له يوم الفخار مقام الأصل والورق

وانظر العقد الفريد، فصولٌ من البلاغة، ج ٣، ص ٧٩. المُراجِع.
٤. رواية الديوان: نذمّ. المُراجِع.
٥. رواية الديوان: به. المُراجِع.
٦. تمام البيت:

و نعرض عنها كلَّما طلعت عتبا

٧. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٣٢٥. المُراجِع.
٨. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٢١٢. المُراجِع.
٩. لعلّه: «وقال».
١٠. راجع: ديوان المتنبّي، ص ١٠٩. المُراجِع.
١١. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٤١١. المُراجِع.

قال أبوالقاسم: معناه: وضعنَ الأيديَ على الأكباد لَهَفًا حيث لم‌يَجْسُرْنَ خشيةَ الرقباء على مُفادَاتِي. ومثله بيت الحماسة[١]:

لَمَّا رَأَوهُمْ لَمْ‌يُحِسُّوا مُدْرِكًا[٢] وَضَعُوا أَنَامِلَهُم عَلَى الأَكْبَادِ

أي: حَسرَةً علَى مَوتِه.

وقال المتنبِّي:

أَدمَنَا طعنَهُم وَالقَتلَ حَتَّى خَلَطْنا فِي عِظَامِهِم الكُعُوبَا[٣]

قال أبوالفتح: «أَدمنا أي: خلطنا»[٤].

قال أبوالقاسم: أدمنا من الإدامة، يُقال: دَامَ الشَّرُّ وأَدَمتُهُ، لأنَّه قد ذكر «خلَطنَا» بعده.

وقال المتنبِّي:

كأنَّ نجُومَه حَلْيٌ عَلَيه وقَد حُذِيَتْ قَوَائِمُهُ الجَبُوبَا[٥]

قال أبوالفتح: «كأنَّ الليلَ جعلت له النُّجوم حَليًا ـ كما قال اللّه تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾[٦] ـ؛ وجعل له قوائم على الاتِّساع»[٧].

قال أبوالقاسم: يريد بالنُّجوم: حَلْيَ الحِبِّ المستَزَار، وأَنَّ قوَائم الليل راسيةٌ في الأرض لاتزول؛ كما قال في بيت الحماسة:

---

١. كذا؛ ولم‌أعثر عليه في ديوان الحماسة. المُراجِع.
٢. اسم المرثي.
٣. راجع: ديوان المتنبّي، ص ١٩٣. المُراجِع.
٤. راجع: الفسر، ج ١، ص ٤٦٣. المُراجِع.
٥. راجع: ديوان المتنبّي، ص ١٩٤. المُراجِع.
٦. كريمة ٦ الصافّات. المُراجِع.
٧. راجع: الفسر، ج ١، ص ٤٧٠. المُراجِع.

لَيْلٌ تَحَيَّرَ مَا يَنحَطُّ فِي جِهَةٍ كأَنَّهُ فوقَ مَتنِ الأرضِ مَشكُولُ[١]

وقال المتنبِّي:

أُقَلِّبُ فِيهِ أجفَانِي كأَنِّي أَعُدُّ بِهِ علَى الدَّهرِ الذُّنُوبا[٢]

قال أبوالفتح: «يعني: أنَّ ذنوب اللَّيل يحسبُها ولَا تَفنَى»[٣].

قال أبوالقاسم: شبَّه تقليب أجفانه في الإطْباق وَالرَّفع بِعَقْد الحساب رفعًا وَوَضعًا وَعَقدًا وبَسطًا سُرعَةَ حركاتٍ.

/B29 وقال المتنبِّي:

أَعيدُوا صَبَاحِي فَهوَ عِندَ الكَواعِب وَرُدُّوا رُقَادِي فَهوَ لَحظُ الحَبَائِبِ[٤]

قال أبوالفتح: «المعنى: لاأهتدي لرُشْدي ولاأبصر أمري، فرُدُّوه لأبصِرَ أمْرِي ويَرجِعَ نَدَمِي»[٥].

قال أبوالقاسم: ليس للرشد والأمر مدخلٌ في البيت، وإنَّما المعنى: أنَّ نهاري ظلمةٌ وغمَّةٌ منذ فارقتُ أحِبَّتي؛ والبيتُ الثانِي يفسِّرُه حيث يقول:

فَإِنَّ نَهارِي لَيلةٌ مُدْلَهِمَّةٌ علَى مُقْلةٍ مِن فَقْدِكُم[٦] فِي غَيَاهِب

قال المتنبِّي:

وَتَنسُبُ أَفعَالُ السُّيوفِ نُفُوسَهَا إِلَيهِ ويَنْسُبْنَ السُّيُوفَ إِلَى الهِنْدِ[٧]

---

١. راجع: ديوان الحماسة، ص ٣٨١، القطعة ٨٤٠، البيت ٣. المُراجِع.
٢. راجع: ديوان المتنبّي، ص ١٩٤. المُراجِع.
٣. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٤٧٤. المُراجِع.
٤. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٢٢٥. المُراجِع.
٥. راجع: الفَسْر، ج ١، ص ٥٠١. المُراجِع.
٦. رواية الديوان: بعدكم. المُراجِع.
٧. راجع: ديوان المتنبّي، ص ٥٣٥. المُراجِع.

قال أبوالقاسم: معنى البيت: أنَّ أفعال السيوف الَّتي هي المضَاء في ضرابها وَإِعْـزَازُهـا للمعتصي[١] بهَا منسوبةٌ إلىٰ الممدوح لاستعماله إيَّاها؛ ونفس السُّيوف هي حدائد مـنسوبة إلىٰ الهند، لأنَّها تطبع بها[٢].

وباللَّه التوفيق[٣].

---

١. «المعتصي»: القاطع؛ يقال: عصا بالسيف يعصو، ويقال: عصي بالسيف يعصى ـ كرضي ـ؛ وفي القاموس: «أو عصوت بالسيف وعصييت بالعصا، أو عكسه، أو كلاهما في كليهما».

٢. راجع: الفسّر، ج ١، ص ١١٥٦، المُراجِع.

٣. هذه نهاية كتاب الواضح على مشكل المتنبّي؛ وقد كتب كاتبُ في ءاخرتها: «قراءةٌ على أبي القاسم مـؤلّفه فـي شهر شوّال عام ستّة عشر وثلثمائة ببغداد». وكنتُ كتبتُ تحت هذا كلمة «تدليس»، كيلا يغترَّ به المـطالع، لأنّ ذلك لايلاقي العصر الَّذي عاش فيه المؤلّف. قاله محمَّد الطاهر ابن عاشور.

رسالةٌ في ذكر الواحد والأحد

للإمام العلّامة الرّاغب الإصفهانيّ

تصحيح: الدكتور محسن محمّدي الفشاركيّ

كلمة المحقّق

الراغب الإصفهاني ورسالته «في ذكر الواحد والأحد»

هذه الرسالة الّتي نقدّمها اليوم لروّاد الأدب العربي تعدّ رسالةً من رسائل العلّامة الإمام الراغب[1] الإصفهاني؛ ولا بأس بنا لوذكرنا شيئاً عن حياته المؤلّف أوّلاً، ثمّ أجملنا القول حول تأليفاته، ثمّ أشرنا إلى هذه الرسالة وما لها من القيمة الأدبيّة.

الراغب الإصفهاني

هو ابوالقاسم الحسين بن محمّد بن المفضّل، الملقّب بالراغب الإصفهاني، المتوفّى في أوائل المأة الخامسة. أديبٌ ومفسّرٌ ولغويٌ وحكيمٌ متكلّمٌ. يقول صاحب أعيان الشيعة في وصفه: «فضله أشهر من أن يُوصف، ووصفه أرفع من أن يُعرف؛ وكفاه منقبةً أنّ له قبول العامّة والخاصّة، ومؤلّفاته سائرةٌ مسير الشمس والقمر»[2].

مؤلّفاته

له مؤلّفاتٌ حسنةٌ منها ما تعدّ من المراجع عند الباحثين؛ ومن أهمّها:

---

١. ما عثرت على وجه تلقيبه بـ«الراغب» في كتب التراجم، فيمكن أن يرجع هذا التلقيب إلى رغبته عن الدنيا واعراضه عنها.

٢. أنظر أعيان الشيعة، ج ٦، ص ١٦٠.

١. مفردات ألفاظ القرآن ؛ ٢. تحقيق البيان ؛ ٣. تفسير القرآن ومقدّمته ؛ ٤. تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ؛ ٥. الذريعة إلى مكارم الشريعة ؛ ٦. محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء[١].

التعريف بالنسخة المخطوطة

توجد هناك مجموعةٌ من آثار الراغب في مكتبة سليمانيّة في استانبول رقمها «٣٦٥٤» (ممّا يتعلّق بمكتبة اسعد افندي). وفي هذه المجموعة المخطوطة أربع من رسائل الراغب؛ وهي:

١. رسالةٌ في أنّ فضيلة الإنسان بالعلوم ؛ ٢. رسالةٌ في أدب مخالطة الناس ؛ ٣. رسالةٌ في مراتب العلوم ؛ ٤. رسالةٌ في ذكر الواحد والأحد.

والرسالة الثانية الّتي نقدّمها اليوم تشتمل على ثلاثة أوراقٍ ـ ستّ صفحاتٍ ـ في كلّ صفحةٍ ١٧ سطراً، خطّها تعليقٌ، وكاتبها مجهولٌ، كُتبت حوالي القرن التاسع الهجري تخميناً.

شأن الرسالة

إنّ موضوع الفرق بين لفظتي «الواحد والأحد» من المواضع الرئيسيّة في المعارف الإلهيّة اهتمّ به المتكلّمون والفلاسفة والصوفيّة، كما انّ المهتمّين بالعلوم العربيّة لم يغفلوا عنه. ومن المعتنين بالموضوع العلّامة الراغب الإصفهاني، فيبحث حوله في عدّة آثاره، كمفردات ألفاظ القران، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ومقدّمته التفسيريّة. ولكنّه في هذه الرسالة قام بالبحث عن دقائقه خاصّةً. وإذا نظرنا بعين التسامح يمكننا أن ندّعي أنّ هذه الرسالة من أقدم الرسائل في هذا الموضوع[٢].

والسّلام عليكم ورحمة اللّه
محسن محمّدي الفشاركيّ

---

١. وانظر بغية الوعاة، ج ٢، ص ١٧٢.

٢. وجب عليّ أداء الشكر واظهار الامتنان لصديقي الفاضل سماحة الأستاذ سيّد محمّد رضا ابن الرسول حيث أمعن النظر في الرسالة ونبّه على بعض دقائق حول المغلق من الجملات وإعرابها.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

ربِّ يسِّر ولا تعسِّر![1]

كنَّا تذاكرنا ـ أطال الله بقاء الشَّيخ الفاضل[2] وأدام تأييده ـ في لفظ «الواحد» و«الأحد» وتحقيقهما، فسأل أن أُثبِت ذلك كتابةً ايجابًا له.

فليُقَدَّم إلى مَن يقرأه عليه، وليَتَفضَّل بتنبيهي على ما يعثِر منه بسهوٍ أو غلطٍ، ورأيُه في ذلك موفَّقٌ ـ إن شاء الله تعالى! ـ.

[«التحقيق في كلمة «الواحد»»]

جملة القول أنَّ الَّذي قاله المحصِّلون في لفظ «الواحد» هو: أنَّ موضوعَه في الأصل لِما يتركَّبُ منه العددُ، وقالوا في حدِّه أو رسمه: «هو الشيء الَّذي لاجزء له البتَّة»، هذا اصل موضوعه؛ ثمَّ يُطلق على كلِّ موجودٍ ـ قديمًا أو حادثًا، بسيطًا كان أو مركَّبًا ـ، ولذلك ما من شيءٍ يوصف بالوجود إلَّا وهو يوصف بالوحدة.

ولذلك قال بعض الحكماء[3]: «الوحدة هي الوجود الخاصُّ الَّذي ينماز به كلُّ موجودٍ، فلأجل أن لا موجود إلَّا ويصحّ أن يوصف كلُّ عددٍ به يُقال[4]: عشرةٌ واحدةٌ، وألفٌ واحدٌ.

---

١. المخطوط: + وبه.

٢. الشَّيخ الَّذي كتب له هذه الرسالة مجهولٌ عندنا، وهو طلب من الراغب تأليفها ـ كما يجيء ـ.

٣. راجع: شرح فصوص الحكم ـ للقيصري، مع حواشي الحكيم جلوه ـ، ص ١٨٩. حيث يقول المحشِّي في شرح قول الماتن: «ولها وحدةٌ لا تقابل كثرةً»: «أي: لا يكون وحدتها وحدةً عدديَّةً منشأ الأعداد والتكثُّر، بل جميع الوحدات العدديَّة؛ مع أنَّه ليس له وحدةٌ عدديَّةٌ فله وحدةٌ ذاتيَّةٌ، وهي أصل الوحدة الأسمائيَّة».

٤. المخطوط: فيقال.

و«الواحد» لفظٌ مشتركٌ يُستعمل على ستَّة أوجهٍ:

أوَّلها: ما كان واحدًا في الجنس أو في النوع، كقولنا: الإنسان والفَرَس واحدٌ في الجنس؛ و: زيدٌ وعمروٌ في النوع[١].

الثاني: ما كان واحدًا بالاتِّصال، إمَّا من حيث الخلقة ـ كقولك: شخصٌ واحدٌ ـ، وإمَّا من حيث الصناعة ـ كقولك: حرفةٌ[٢] واحدةٌ ـ.

الثالث: ما كان واحدًا لعدم النظير؛ إمَّا في الخلقة ـ كقولك: الشمس واحدةٌ ـ، وإمَّا لدعوى الفضيلة ـ كقولك: فلانٌ واحدٌ في الدهر، أي: هو نسيج وحده ـ.

الرابع: ما كان واحدًا لامتناع التجزئة فيه، إمَّا لصِغَره ـ كالهَبَاء ـ، وإمَّا لصلابته ـ كالألماس ـ.

الخامس: للمبدأ؛ إمَّا لمبدأ العدد ـ كقولنا: واحدٌ اثنين[٣] ـ، وإمَّا لمبدأ الخطِّ ـ كقولنا: النقطة الواحدة ـ.

فهذه خمسة أوجهٍ الوحدةُ في كلِّها عارضةٌ[٤].

ولا يصحُّ أن يُستعمل شيءٌ منه في اللَّه، لتنزيهه عن كون الكثرة فيه. ولكن الكثرة موجودةٌ في كلٍّ منها، فإنّ الجنس وإنْ كان واحدًا من وجهٍ فكثيرٌ بأنواعه؛ والنوع كثيرٌ بأشخاصه، والمتَّصل وجوه الكثرة فيه ظاهرةٌ[٥ و٦]، فإنَّ الشَّمس وإن كانت بالشَّخص

---

١. في «المفردات»، مادَّة «وحد» ذكر نفس هذا التعريف مع قليل اختلافٍ.

٢. المخطوط: حزمة.

٣. كذا في المخطوط.

٤. في «المفردات» يتمُّ مدخل «حد» على هذه الصوره: «وإذا وصف اللَّه ـ تعالى ـ بالواحد فمعناه هو الَّذي لا يصحُّ التجزِّي ولا التكثُّر فيه***. ولصعوبة هذه الوحدة قال ـ تعالى ـ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾. والوحد المفرد يُوصف به غير اللَّه ـ تعالى ـ، كقول الشاعر:

عَلَى مُسْتَأْنِسٍ وَحِدِهِ

وأحد مطلقًا لا يوصف به غير اللَّه ـ تعالى ـ؛ وقد تقدَّم فيها مضى. ويقال: فلانٌ لا واحد له، كقولك: هو نسيج وحده؛ وفي الذمِّ يُقال: هو عبير وحده؛ وإذا أريد ذمٌ أقلّ من ذلك قيل: رُجَيل وحده.

٥. المخطوط: ظاهر.

٦. كذا في النسخة، والظاهر وقوع سقطٍ فيها.

والذَّات، فجرمُها ذوأبعاضٍ؛ وكذا من وُصِف بأنَّه واحدُ دهرِه. وكذا ما فيه التجزئة لصغره أو لصلابته؛ وكذا النُّقَطُ والواحد في العدد، فإنَّهما وإن لم يصحَّ فيهما التجزئة، فهما يُعرَضَان للتَكثُّر؛ ألَا ترى أنَّ الأعداد كلَّها أعدادٌ متكاثرةٌ؟! والخطُّ نقطٌ مترادفةٌ؟!

والمراد بـ«الواحد» إذا وُصف به الباري ـ سبحانه وتعالى ـ: أنَّه هو الَّذي لا يصحُّ عليه التجزئة ولا التكثُّر ـ أي: ليس هو واحدٌ يصحُّ أن يتركَّب منه شيءٌ ـ.

وقال بعض الحكماء: «أقرب الوحدات إلى اللَّه ـ تعالى ـ إذا استُقرِيَتْ وتُؤُمِّلَتْ، الواحد[1] الَّذي هو أصل الأعداد، وذلك كلّ ما يقال عليه لفظ الواحد غيره، فإنَّه يصحُّ عليه التجزئة والتّضعيف، إلَّا الواحد المستعمل في العدد فإنَّه وإن صحَّ عليه التّضعيف، فإنَّه لا يصحُّ عليه التجزئة والتضعيف؛ والباري ـ تعالى ـ لا يصحُّ عليه التجزئة والتَّضعيف.

وأيضاً فالواحد هو أصل العدد، وليس في العدد وهو بعد كلِّ عددٍ ولا بعده عددٌ، والعدد منه ينشأُ وإليه ينحلُّ، وهو يستولي على المعدودات.

وكما أنَّ الواحد ليس هو العدد ومنه ينشأُ العدد وإليه يرجع؛ فذلك الخالق ـ تعالى ـ ليس شيئًا من هذا الأشياء، ومنه بدء الموجودات وإليه يرجع؛ كما قال: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾[2] ـ تعالى اللَّه عن التشبيه[3]! ـ.

فهذه وجوه ما يُستعمل فيه لفظ «الواحد».

[التحقيق في كلمة «الأحد»]

وأمَّا الأحد فإنَّه يُستعمَلُ على ضربين:

أحدهما: في النفي فقط، فموضوعٌ لاستغراق جنس الناطقين؛ ويتناول القليل والكثير[4] على طريق الاجتماع والافتراق؛ كقولهم: ما في الدار أحدٌ، أي: ما في الدار واحدٌ ولا اثنان

---

١. المخطوط: الواحدي.

٢. كريمة ٣ الحديد.

٣. أي: اعتقاد المشبِّهة.

٤. المخطوط: + و الكثير.

ولا ثلاثةٌ فصاعدًا، لا مجتمعين ولا متفرِّقين.

وكونه موضوعًا على هذا الوجه هو المقتضى أن[١] لا يستعمل إلَّا في النفي، وذاك أنَّه يصحُّ نفي المتضادَّين ولا يصحُّ اثباتهما.

ونحن متى قلنا: «ما في الدار أحدٌ» ننفي الواحد والجميع مجتمعين ومتفرِّقين، فلوقلنا: «في الدار أحدٌ» لكان في ذلك اثباتُ واحدٍ منفردٍ، واثبات ما فوق الواحد مجتمعين ومفترقين[٢]؛ وذلك ظاهر الاحالة[٣].

ولكون ذلك متناولًا للواحد فما فوق يصحُّ أن يقال: ما من أحدٍ فاضلٌ، و: ما من أحدٍ فاضلين، كقوله: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾[٤].

وأمّا المستعمَل في الاثبات ثلاثة[٥] أوجهٍ:

الأوَّل: وذلك في الواحد المضموم إلى العشرات؛ نحو: أحد عشر، وأحد وعشر؛

الثاني: يُستعمل مضافًا أو مضافًا إليه بمعنى الأوَّل؛ كقوله: ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾[٦]، وقولهم: «يوم الأحد»، ومعناه: يوم الأوَّل ـ بدلالة قولهم: يوم الاثنين ـ؛

والثالث: أن يُستعمل في الإثبات مطلقًا وصفًا، وليس ذلك إلَّا في وصف اللَّه ـ تعالى ـ، كقوله: ﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[٧].

[«الفرق بين «الواحد» و«الأحد»]

والفرق بين الواحد[٨] في وصف اللَّه ـ تعالى ـ، هو أنَّهما وإن كانا يُقصد بهما معنًى واحدٌ من

---

١. كذا في المخطوط؛ والظاهر: لأن.
٢. كذا في المخطوط؛ والظاهر: متفرِّقين.
٣. كذا في المخطوط.
٤. كريمة ٤٧ الحاقَّة.
٥. كذا في المخطوط؛ والظاهر: فله ثلاثة.
٦. كريمة ٤١ يوسف.
٧. كريمة ١ الاخلاص.
٨. كذا في المخطوط؛ والظاهر: + والأحد.

وصف اللَّه ـ تعالى ـ فموضوعهما في أصل الوضع مختلفان؛ وذلك:

أنَّ الواحد لفظه لفظ فاعلٍ، فيدلُّ من حيث الوضع على شيئين: ذاتٌ، ووحدةٌ، كما أنَّ «الأسود» يدلُّ على شيئين: ذاتٌ، وسوادٌ؛ فالواحد واحدٌ بالوحدة كما أنَّ الأسود أسودٌ بالسَّواد. فمتى قيل: واحدٌ تُراءَى منه شيئان، كما يُتَراءَى في قولهم: أسودُ وأبيضُ وما يجرى مجراهما؛

والأحد يدلُّ على الوحدة المحضة، فإنَّه مصدرٌ ـ وأصله: «وحد»، فأُبدل الواو همزةً ـ. وخُصَّ في الاطلاق بوصف اللَّه ـ تعالى ـ بعد الإبدال منه؛

وأمَّا «وحد» فقد يقال في صفة غيره، ومعناه: المفرد ـ كما قال الشاعر:

من وحش وجرةَ موشى اكارعه طاوى المصير كسيف الصيقل الفرد[1]

ولم يُستعمل في غيره إلَّا مقيَّدًا بما أُضيف إليه، أو بما عُطف عليه ـ كما تقدَّم ـ.

فإن قال قائلٌ: فقد قال الشَّاعر:

وقَدْ بَهَرْتَ فَمَا تَخْفَى عَلَى أَحَدٍ إلَّا عَلَى أَحَدٍ لَا يَعْرِفُ الْقَمَرَا[2]

فقوله: «إلَّا على أحدٍ» اثباتٌ وقد استعمله في غير وصف اللَّه ـ تعالى ـ! استعماله في هذا المكان لتقدُّم النفي عليه وكونه متعقِّبًا له، ولولا ذلك لم يصحَّ استعماله؛ والَّلفظ قد يُستعمل على وجهٍ لتقدُّم لفظٍ عليه لولاه لم يصحَّ ـ كقوله: ﴿ومِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾[3]، فاستعمل «من» في البهائم، لما[4] كان ذلك متعقِّبًا لمَا يصحُّ أن يُستَعمل فيه ـ.

---

١. البيت للنابغة الذُّبياني، ومطلع القطعة:

يا دار ميَّةَ بالعلياء فالسندِ أقوت وطالَ عليها سالفُ الأبدِ

راجع: ديوان النابغة الذُّبياني، ص ٣١.

٢. البيت من شعر ذي الرُّمَّة، ومطلع القصيدة:

يا دارمية بالخلصاء غيرها ساقى العجاج على ميثانها الكدرا

ورواية الديوان:

حتى بهرت فها تخفى على أحد

راجع: ديوان ذي الرُّمَّة، ص ٤٠٤.

٣. كريمة ٤٥ النور.

٤. كذا في المخطوط؛ والظاهر: لولا.

فإن قيل: لولم يصحَّ استعمال «أحد» في الإنسان لما قال الشَّاعر:

إنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيسُوا مِنْ أَحَد[١]

ولمَا قيل: فلانٌ ليس بأحدٍ!

قيل: إنّ «أحد» ههنا هو المستعمل في النفي، وذلك مختصٌّ بالإنسان ـ كما تقدَّم ـ، ومعناه: ليس هو بإنسانٍ يدخل في عموم قولهم: لا أحد يفعل كذا، وليس أحدٌ يقول كذا، كقول من قال:

[حَولِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمُ خَلْقٌ] تُخْطِي إذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا بِمَنِ[٢]

وكقولهم: فلانٌ ليس بإنسانٍ، وهو «الفلانُ» لا «فلانٌ»، تنبيهًا [على][٣] أنَّه بهيمةٌ لا إنسانٌ، لِما كان «فلانٌ» و«فلانةٌ» يُعبَّر بهما عن الإنسان، و«الفلان» و«الفلانة» يُعبَّر بهما عن الحيوانات.

وأمَّا قوله ـ تعالى ـ: ﴿أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾[٤]، وقوله: ﴿أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾[٥] فقد ذُكر في تفسيره وجهان:

أحدهما: انَّ «أحد» ههنا هو المذكور في قوله ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، ومعناه: أيحسب أن لم يره اللَّه ـ تعالى ـ؟! والإشارة بالمعنى إلى نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[٦] ـ... الآية ـ؛

والثاني: إنَّه المستعمل في النفي، والمعنى: لا يُقَدِّرُ الإنسانُ أنَّ ما يُخفيه الا[٧] يعلمه أحدٌ،

---

١. لم يُسمَّ قائله، وفي جمهره اللغة مادَّة «درم»: «قال الراجز:

إنَّ بـني الأدرم ليسـوا مـن أحـد ليسوا إلى قيسٍ وليسوا من أسـد

ولا توفَّاهم قريشٌ في العدد

٢. من أبيات أبي الطيِّب المتَّنبي؛ راجع: ديوان ـ بشرح العكبري ـ، ج ٤، ص ٢١.

٣. المخطوط: ـ[على]؛ وهي زيادةٌ يقتضيها السِّياق.

٤. كريمة ٧ البلد.

٥. كريمة ٥ البلد.

٦. كريمة ٧ المجادلة.

٧. كذا في المخطوط؛ والظاهر: لا.

فإنَّ اللَّه ـ تعالى ـ والكرام الكاتبين [١] يطَّلعون عليه؛ إشارةً إلى نحو قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [٢].

وهذا القدر كافٍ فيما قُصد من بيان لفظ «الواحد» و«الإحد»، وإن كان في تحقيق معنى الوحدة وكونها من أوائل فَيض الباري على الوجودات، حكمةٌ بالغةٌ وعجائب جُملةٌ!

فإنَّ اللَّه ـ تعالى ـ جعل الوحدة سبب الاتِّفاق والائتلاف، والكثرة سبب الافتراق والاختلاف، ولذلك قال بعض الحكماء: «الخَير وجودٌ في الوحدة، والشرُّ عدمٌ في الكثرة»؛

وقيل: «لا خير في كثرة الرُّؤساء، فكلُّ التئامٍ فهو ظلٌّ للوحدة وكلُّ اختلافٍ ففعلٌ للكثرة».

ولولا أنَّ الشَّيخ الفاضل ابن بَجْدَةِ المعارف والحكمة لأمسَكتُ عن الإشارة إلى مثل هذا الموضوع؛ على أنِّي امسكتُ عنان الكلام لمَّا انتهَيتُ إليه، مُتأدِّبًا أنَّه ربَّما تساقِط إلى مَن يَعشَى بصيرتُه عن إدراكه فأضلَّهُ [٣]، ولا يجب أن يُنسى [٤] ما رُوي عن النَّبيِّ ﷺ: «ما تكلَّم أحدٌ بكلمةٍ بين قومٍ لا يبلُغها فهمُهم إلَّا صارت فتنةً لبعضهم» [٥]؛ أسأل اللَّه ـ تعالى ـ أن يخلِّصنا!؛ فمَن عرف قدره وعرف قصوره وعجزه فما ترك قول اللَّه ـ تعالى ـ: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [٦ و٧].

---

١. إشارةٌ إلى كريمة ١١ الانفطار.

٢. كريمة ١٨ ق.

٣. المخطوط: فاصلة.

٤. كذا في المخطوط؛ والظاهر: ويجب أن لا يُنسى.

٥. المرويُّ من الحديث: «ما أنت بمحدث قومٍ حديثًا لا تبلغه عقولهم إلَّا كان لبعضهم فتنةً»؛ راجع: صحيح مسلم المقدِّمة.

٦. كريمة ٨٥ الإسراء.

٧. المخطوط: + «تمدحا ومصححا»؛ ولم أعرف المراد من العبارة.

أَطباقُ الذَّهب

للشَّيخ الأديب شرف‌الدِّين عبدالمؤمن الإصفهانيّ

تصحيح: مجيد هادي‌زاده

كلمة المحقِّق

بسم اللَّه الرَّحمن الرَّحيم

الحمد للَّه والصَّلوة، والسَّلام على محمَّدٍ رسول‌اللَّه، وعلى آله آل اللَّه.

وبعد؛ فهذا كتاب أطباق الذَّهب، لشرف‌الدِّين عبدالمؤمن الإصفهاني، والَّذي قابل به كتاب أطواق الذَّهب لفخر خوارزم أبي‌القاسم الزمخشريّ.

المؤلِّف والمؤلَّف في سطورٍ

هو شرف‌الدِّين عبدالمؤمن بن هبة اللَّه المغربيّ الإصفهاني، وذكر بعضُهم أنَّ اسمه فضل‌اللَّه[1].

وُلد بشفروة من مضافات إصفهان، وكان من أقران الشاعر الكبير جمال‌الدِّين عبدالرزَّاق الإصفهانيّ.

لانعلم منه شيئًا كثيرًا، إلَّا أنَّه كان من أحذق شعراء عصره ومن أملحهم بيانًا، حتَّى صار ملك‌الشُّعراء في حضرة أتابك شيرگير أخي السلطان أتابك أرسلان من ملوك السلاجقة بالعراق. وكان يعيش هذا الملك في النصف الأوَّل من القرن السادس؛ ومدح شرفُ‌الدِّين أيضًا طغرل بن أرسلان، وقد حظى حظَّه من السلطنة في الرُّبع الأخير من نفس القرن، فعليه فعمَّر الشاعرُ عمرًا طويلًا، وقيل: مات سنة ٥٩٨[2].

---

١. انظر: آتشكدهٔ آذر ـ طبعة هند ـ، ص ١٧٨، نقلًا عن تاريخ ادبيات در ايران ـ للدكتور صفا ـ، ج ٢، ص ٧٤٠.

٢. للتفصيل في ترجمته راجع: تاريخ ادبيات در ايران ـ للدكتور صفا ـ، ج ٢، ص ٧٤٠؛ ريحانة الأدب، ج ٣، ص ١٩٢؛ الذريعة، ج ٢، ص ٢١٦، ج ٩، ص ٥١٣؛ نزهة المجالس ص ٧٤٥؛ يادداشتهاى قزويني، ص ١٢٩٤.

أمَّا المؤلَّف فهو كتابٌ أدبيٌّ يُستشمُّ منه روائح الوعظ والعرفان، وقد قابل به كتاب «أطواق الذَّهب للزمخشريّ ـ م. ٥٣٨ هـ. ق. ـ، الَّذي يحتوي على مائة مقالةٍ في العظة والنُّصح. وقد حثَّ المؤلفَ على تدوينه طلبُ بعض أصدقائه؛ وقد وصفه بكونه وليًّا من أولياء اللَّه، قال: «فقد أشار إليَّ وليٌّ من أولياء اللَّه ـ تعالى ـ ... القطب السالك ... أحمد بن محمود بن عليّ الخويّ ـ زاده اللَّه توفيقًا ـ ... أمرني أن أجمع له مائة مقالةٍ في الوعظ والنصيحة ... أسلك فيها مسلك العلّامة ... الزمخشريّ في مقالاته المسمَّاة بأطواق الذَّهب»[1].

والأطواق قد طُبع من ذي‌قبل مرَّاة عديدة في لاهور وبيروت وقاهرة وغيرها؛ وبيدي نسخةٌ محقَّقةٌ منه طبعتْها مكتبة الثَّقافة الدِّينيَّة بتحقيق الأستاذ محمَّدسعيد الرَّافعي، وقد راجعتُ إليها في سبيل تحقيق «الأطباق» بين حينٍ وحينٍ. أمَّا «الأطباق» فمطبوعٌ أيضًا، ولكنَّه لم‌ينل من الشُّهرة ما ناله «الأطواق». وقد استعنتُ في تحقيق الكتاب من نسخةٍ مطبوعةٍ منه طُبعتْ في سنة ١٣٠٠ هـ. ق. بعناية الشَّيخ يوسف أفندي نبهاني في بيروت بالمطبعة الأدبيَّة؛ كما وقد كانت بيدي مخطوطةٌ منه تشتمل على «الأطواق» و«الأطباق» معًا، وقد تفضَّل بها سيِّدي الأستاذ العلّامة الحاج السَّيِّد محمَّدعليّ الرَّوضاتي آل صاحب الرَّوضات ـ دام مجده وعلاه ـ من خزانة كتبه العامرة. والنسخة غير مؤرَّخةٍ، وأكثر الظَّنّ أنَّها من وثائق القرن التاسع للهجرة المقدَّسة، وكاتبها محمَّدعليّ بن الحُسين الإصفهانيّ.

ويجب عليَّ أن أشير إلىٰ أنَّ المطبوعة تحتوي على مائة مقالةٍ، كما أنَّ المصنِّف قد أشار إليها في صدر كتابه؛ ولكن المقارنة بين المخطوط والمطبوع الجأتْنا إلىٰ تنظيم الكتاب في مائة مقالةٍ ومقالتين وخاتمةٍ. ولا‌يسع هذا المختصر التفصيل حول عدد المقالات والتَّحقيق فيه، فلو أتاح اللَّه ـ سبحانه وتعالى ـ لنا الفرصة سنفصِّل القول فيه في مجالٍ آخر.

والحمد للّٰه ربِّ العالمين
ليلة ٢٠ من رمضان المبارك لسنة ١٤٢٧
مجيد هادي‌زاده

---

١. راجع: نصُّ الكتاب.

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

أللَّهمَّ إنَّا نحمدُك علَى ما أسبَلتَ علَينَا مِن جَلَابيبِ نِعَمِك، وسبَّلتَ من شآبيبِ كرمِك؛ ونشكركَ على ما أفدتَ من كلماتِك التامَّة، ورفدتَ من هِباتك العامَّة؛ وأفضتَ من لَذَاذَاتِ معرفتِك، ونَفَضْتَ من رَذَاذَاتِ عارفتِك؛ ونُثنِي عليكَ بما أسْلَتَ لنا من ضَحضَاحِ العلوم، وغَسَلْتَ عنَّا من أَوسَاخِ اللُّوم؛ وكحَلتَنَا ببرودِ يقينِك، ونحلتَنا من جودِ يمينِك؛ شكرًا يملأُ حاضرةَ المجهودِ، وحمدًا يليقُ بالحامدِ دونَ المحمودِ؛ أنتَ كرَّمتَنا بسلامةِ الفطرَة، وخصَصتَنا /B1/ بإصابةِ الفكرَة؛ وأعزَزْتَنا بالنَّفسِ الناطقَة، وميَّزتَنا بالفِراسةِ الصَّادقَة؛ وأنطقتَنا بالحِكَم البالغَة، وأيَّدتَنا بالبراهينِ الدامغَة؛ فاصرِفْنَا عن مذاهبِ الشهواتِ، وأرشِدنا عن غَياهِبِ الشُّبَهات؛ وبنُورِ وجهِك ـ اللَّهمَّ! ـ اهدِنا، كما ربَّيتَنا في مهدِنا؛ وقنِّعنا من رزقِك بالكَفاف، كما أبدَعتَنا بالنون والكاف؛ وابعَثنَا مِن فِراشِ الغفلَة مُتَنَبِّهينَ، واجعَلنا من الصَّالِحين أو بهِم مُتَشَبِّهينَ.

وصلِّ على أفضلِ خلقِك وأشرفِهم، وأعلمِهم بكَ وأعرفِهم؛ وأذكاهُم عِرْقًا وأطهرِهم؛ وأصفاهُم خُلقًا وأزهَرِهم؛ وأسمَحِهم يدًا وأجوَدِهم، وأحسنِهم سيرةً وأجودِهم.

وعلى أصحابِه /A2/ وأنصارِه المُوَاسِين، وعِترتِه من الْيَس؛ وعلَى خلفَائِه المَيامِين، وعلى من يقول آمِّين!

وبعد؛ فقد أشار إليَّ وليٌّ من أولياءِ اللَّهِ ـ تعالى ـ أمرُه قِلادةُ الرِّقابِ، وطاعَتُه عوذَةُ العِقابِ؛ أخٌ شقيقٌ، وصنوٌ رفيقٌ؛ طالَمَا تراكَضنَا فِي مَهبلِ الطِّينِ، وتساقَطنَا في مَثبِرِ الدينِ؛ وتَسابَقنَا فِي رَحْبَةِ الأرواحِ، قَبلَ تَعَاقُبِ الصَّبَاحِ والرَّوَاحِ؛ وتَذَارَعنَا مَفاوِزَ القُدسِ، وتقَاسَمنَا جَوائِزَ الأُنسِ؛ وقَلَّبنَا أرضَ الجنَّةِ ظهرًا وبطنًا، حتَّى أُخرِجنا وهَبطنَا؛ هو القطبُ

السَّالكُ، والحيُّ الهالكُ، والنَّملُ النَّاسكُ؛ والنجمُ الزَّاهرُ، والشَّمعُ الساهرُ، والعَاكِفُ السَّائِرُ، والطالعُ /B2/ الغائرُ، والواقعُ الطائرُ؛ ظهيرُالدِّينِ وظَهْرُه، وظهيرةُ الحقِّ وظُهْرُه؛ أَحمدُ بنُ محمودِ بنِ عليٍّ الخويِّ ـ زاده اللَّه توفيقًا، وحشرَهُ مع الصدِّيقينَ وحَسُنَ أولَئِكَ رفيقًا[1] ! ـ؛ أمرَني أن أجمَعَ له مائةَ مقالةٍ في الوعظ والنصيحة، والخُطَب الفصيحة؛ أسلُك فيها مَسلكَ الإمَامِ العلَّامة جارِاللَّهِ محمودِ بنِ عمرَ الزمخشريِّ في مقَالَتِه المُسمَّاة بـأطواق الذهب.

والَّذي ساغَهُ الزمخشريُّ، هو الَّذي يضيقُ عنه الطوقُ البَشريُّ؛ والقولُ المرضيُّ، والعطاءُ الفيضيُّ. مددُه سماويٌّ، وأَتِيُّه أتاويٌّ، كأنَّما يُوحىٰ إليهِ إيحاءً، فيُحيىٰ بِه السَّامِعُ /A3/ إحياءً؛ وأينَ الثَّمدُ مِن الخَضْرِم؟ وأينَ السُّلَافُ مِن مَاءِ الحِصْرِمِ؟ وأين دَوِيُّ الزُّنبورِ من نِغَمِ الزَّبورِ؟؟ وكَم بَينَ بَسُوسٍ يُستَدَرُّ بعَنيفِ الحَلْبِ، ورُفُودٍ رِسْلُهَا يَنبَعُ من القِليبِ ويقعُ فِي القَلبِ؛ وكَم بَينَ جَمُومٍ يُروِي الرِّجالَ، ويملأُ السِّجالَ؛ وبينَ ناكدٍ يُنازِعُ النازعَ، ويُتعِبُ الكارِعَ؟ ومَن سلَكَ اللآليَ نَسِيَ الجاجَة، ومَن ملَكَ اليواقيتَ نبذَ الزُّجاجَة؛ ومن وَرَدَ البطيحةَ لم يُقِلَّ العراقِي، ومَن رَكِبَ البحرَ استقلَّ السَّواقِي[2].

وأنا أحْكِي لكَ حالِي وحالَه: هويقولُ وأنا أتقوَّلُ، وهو أكحَلُ[3] وأنَا أتَكَحَّلُ؛ قَمَرِيٌّ نخشَبِيٌّ، وفرَسِيٌّ خشَبِيٌّ؛ والضَّيغَمُ المجَصَّصُ غيرُ صائلٍ، وفرسُ الشِّطرَنجِ غيرُ صَاهِلٍ. /B3/ ولكنِّي رأيتُ طاعةَ هذا الأمرِ فرضًا مؤدًّى، ولم أجِد لحُكمِه مَرَدًّا.

فأخذتُ في جَمْعِهِ مُستظهِرًا بـالظَّهيرِ، استظهارَ الرَّضيعِ بـالظِّئرِ؛ فتكلَّفتُ وألَّفتُ وسارعتُ وشرعتُ فيهِ بقلبٍ يَجِبُ، ورتَّبتُه وكتَبتُه كما استَيسَرَ لا كمَا يَجِبُ؛ وسمَّيتُه بـأطباقِ الذَّهَبِ وحذوتُ حَذْوَه، واقتفيتُ أثرَه وخَطْوَه؛ وهي مائةُ مقالةٍ صيغَتْ دَمَاليجَ للعَضُدِ ومَخَانقَ للجيدِ، وخَلْخَلتُ كلَّ مقالةٍ منها بآيةٍ من كتابِ اللَّهِ المجيدِ؛ جعلتُهَا كَوكَبَةً

---

١. مقتبسٌ من كريمة ٦٩ النساء.

٢. قال المتَنبّي:

قواصدَ كافورٍ توارِكَ غيرِه ومَن قصدَ البحرَ استقلَّ السَّواقيَا

راجع: شرح البرقوقي على ديوان المتنبّي، ج ٤، ص ٤٢٣.

٣. كذا؛ والظاهر: يكحل.

ثاقبةٌ لمَغْرِبِها، وكلمةٌ باقيةٌ في عَقِبِهَا؛ فهِيَ لأقدَامِهَا عَقِبٌ، ولختَامِهَا مِسكٌ عبقٌ.

ولا أبتَغِي إلَّا وجهَ اللَّهِ فيما فصَّلتُ وقطعتُ، وإن أريدُ إلَّا الإصلاحَ /A4/ ما استَطعتُ؛ واستغفِرُ ربِّي وإليهِ المصيرُ، وأتوَكَّلُ عليهِ وهو نِعمَ المولىٰ ونِعمَ النَّصيرُ.

* * *

المقالة الأولى

يا أربَابَ القُوَّةِ والطَّاقَة، انظُرُوا بعَينِ الإفاقَةِ إلىٰ أهلِ الفَاقَة؛ ويا رُكْبانَ النَّاقَة، رِفقًا بضُعفاءِ السَّاقَة؛ ويا حمَلةَ الأوزارِ، وخَزَنةَ المالِ المُستعَارِ؛ لاتجرُّوا ذَيْلَ الإفتخارِ، على أربابِ الإفتقارِ؛ فقلوبُهم خيرٌ من قلوبِكم، ومطلوبُهم أعزٌّ من مطلوبِكم؛ شغَلَكُم الصَّفقُ بالأسواقِ، عن تنسُّمِ قبولِ الأشواقِ، وألهاكُم حبُّ الرِّزقِ عن الرَّزَّاقِ؛ فَيا عُمَّارَ الخرابِ، ويَا شُرَّابَ السَّرابِ؛ لَاتَعْمُرُوا هذِه القريةَ الجَلْحاءَ، ولاتسكُنُوا هذهِ المهلكةَ الفيحَاءَ؛ ولاتتَّخِذوا الدنيَا الفانيةَ سوقًا، ﴿إِنَّ /B4/ ٱلْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1].

* * *

المقالة الثانية

ابنُ آدمَ عُجِنَ من الصَّلْصَالِ، وابتُلِيَ بالحَمْلِ والفِصالِ، ثمَّ تاهَ بشرائفِ الخصالِ؛ وما دَرىٰ أنَّ الخصالَ الحميدةَ من مواهبِ الرَّحمن، لا مِن مكاسبِ الإنسانِ؛ ما العقلُ إلَّا عطيَّةٌ مِن عطايَاه، وما النفسُ إلَّا مَطيَّةٌ مِن مطايَاه؛ فإن شاءَ زمَّهَا بزِمَامِ الهُدَى، وإن شاءَ ترَكَها سُدًى؛ فمَن يستطيعُ لنفسِهِ خَفْضًا أو رَفْعًا، ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ٨١ الإسراء.

٢. كريمة ١١ الفتح.

المقالة الثالثة

العُمرُ وإن طالَ فمَا تحتَهُ طَائِلٌ، وكلُّ نَعيمٍ لَا مُحالَةَ زائِـلٌ [١]؛ سَـفينَةٌ تَسـرِي، ولَاتَـدرِي؛ فَتَرَصَّدْ للموتِ فلِكلِّ طَالِعٍ أُفُولٌ، وتزَوَّد لدارِ الإقامَةِ فلكُلِّ غائبٍ قُفُولٌ؛ اتَّخِذِ /A5/ الدُّنيَا سُوقًا مسلُوكًا، لَا بَيتًا مملُوكًا؛ فهيَ حـانُوتٌ لَايُـطرقُ إلَّا للـتِّجارَة، ومَـبِيتٌ لَايُسكـنُ إلَّا بالإجارَة؛ ما هذهِ الحياةُ الفانيةُ إلَّا أنفاسٌ تتردَّدُ وستنقَطِعُ، وقامَاتٌ تتمدَّدُ وستنقَلِع؛ فـهَل أدرَكَ الآملُ أملَه، قبلَ أن يبلُغَ الكِتابُ أجلَه؛ وهل ملأَ الحيُّ أذيَالَه، إلَّا ملأَ الأجلُ مِكيالَه؟ فَاغتَنِمْ الخمسَ قبلَ الخمسِ، وأدرِك عـصرَك قـبلَ غُـروبِ الشَّـمسِ؛ تُشـبِعُك قُـرصَةٌ، فلَاتفوتَنَّكَ فُرصَةٌ؛ فَإن أدرَكتَها فهيَ النَّيلُ كلَّ النَّيلِ، وإن فاتَتْكَ فهي الوَيلُ كلَّ الوَيلِ؛ هو الزَّمانُ لَايَعطِفُ فِي مسيرِه، والدهرُ لايرؤُفُ بأسيرِه؛ قال اللَّهُ ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [٢]، يُغشِي اللَّيلُ النَّهَارَ يَطلُبُهُ حَثِيثًا.

* * *

المقالة الرابعة /B5/

قدٌّ كالنَّخلِ البَاسِقِ، وقلبٌ مثلُ اللَّيلِ الغاسِقِ؛ ورأسٌ حُشِيَ كِـبْرًا، وصَـدرٌ مُسِـخَ خِـبْرًا؛ وطَرْفٌ ينظُرُ شَزْرًا، ويرجمُ الغيبَ حَزْرًا؛ حِرصٌ كامِلٌ وهمَّةٌ ناقِصةٌ، وذَيلٌ مُسْبَلٌ ونَـفسٌ قالِصةٌ؛ فيَا هذَا! تركَنُ إلى الدُّنيَا وعَن قليلٍ تقلَعُك، وترفُلُ علَى وجهِ الأرضِ وعمَّا قَريبٍ تبلَعُك؛ اقْتَصِدْ فِي مَشيكَ فإنَّكَ تمشِي فِي عَرينِ الآسادِ، وخَـفِّفِ الوَطءَ فَـمَا أظُـنُّ أديَـمَ الأرضِ إلَّا من هذِه الأجسَادِ؛ ولَعَمرِي! مَن عايَنَ تَلوُّنَ اللَّيلِ والنَّهارِ لايَغتَرَّ بدَهرِه، ومَـن

---

١. قال لبيدٌ:

ألَا كلُّ شيءٍ ما خلَا اللّٰه باطل وكـلُّ نـعيمٍ لَامـحالَة زائـل

راجع: ديوان لبيد بن ربيعة بشرح الطوسي، ص ١٤٥.

٢. كريمة ٨٧ النساء.

عَرَفَ أنَّ بطنَ الثَّرَى مَضْجَعُه لَا يَمْرَحُ علَى ظَهرِه؛ ومَن عَرَفَ الدَّهرَ حقَّ العِرفانِ يَزْهَدْ فيهِ، ومَن شغَلَه ذكرُ المَوتِ لَا يَضحَكْ مِلءَ فيهِ؛ فيَا قَومِ! لَا تَركُضُوا خَيلَ الخُيَلاءِ فِي /A6/ مَيَدَانِ العَرَضِ، ﴿أَأَمِنتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ﴾[1].

* * *

المقالة الخامسة

خَـلِيلَيَّ هُـبَّا طَـالَمَا قَـدْ رَقَـدتُمَا أَلَا تَنْشُدَانِ ٱلْعَهدَ مَا قَدْ فَـقدْتُمَا؟[2]

أينَ إخوانٌ عاشَرْنَاهُم وخُلَّانٌ، أينَ زَيدٌ وعمرٌ وفلانٌ وفلانٌ؟ أينَ رُضَعَاءُ الكُؤُوسِ، وقِدْمًا بَقِي نَسيمُ ريَّاهُمْ فِي الرُّؤُوسِ، وآثارُ رؤيَـاهُم فِـي النُّـفوسِ؟ أمَـا يَـردَعُنَا مَـوتُ الآبَـاءِ والأُمَّهاتِ، عن الأباطِيلِ والتَّرَّهَاتِ؟ ألَا إنَّ المَرءَ غافِلٌ مُطرِقٌ، والمَوتُ واعِظٌ مُفلِقٌ؛ يُنادِي أقوامًا تَظُنُّهم قيامًا وهُم قُعودٌ، ﴿وتَحْسَبُهُم أيْقَاظًا وهُمْ رُقُودٌ﴾[3]؛ تكرهُونَ جُرَعَ المَوتِ فَإنَّه ساقِيكُم، ﴿قُلْ إنَّ المَوتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنهُ فَإنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾[4].

* * *

المقالة السادسة

يَا رافِعَ اليدِ بالدُّعاءِ، ويَا داعِيَ الحَقِّ /B6/ بـالنِّدَاءِ؛ إنَّـه لَا يَسـمَعُ بـالصِّمَاخِ، فـاقصِرْ مِـن الصُّرَاخِ؛ أَ تُنادِي باعِدًا؟ أم تُوقِظُ راقِدًا؟ تعَالَى اللَّـهُ المَـلِكُ لَا تَأخـذُه السِّـنَةُ، ولَا تُـغَلِّطُهُ الأَلسِنَةُ؛ يَعلَمُ رُموزَ البَكْمِ والخُرْسِ، كمَا يَفهَمُ لُغةَ التُّركِ والفُـرْسِ؛ يَسـمَعُ دَبـيبَ الَّـنملَةِ

---

١. كريمة ١٦ الملك.

٢. ولقُسّ بن ساعدة:

خليليَّ هُبَّا طالَما قد رقَدتُما أجدُّكُما لَا تقضيانِ كرَاكُما

٣. كريمة ١٨ الكهف.

٤. كريمة ٨ الجمعة.

الخَرسَاءِ، علَى الصَّخرَةِ المَلسَاءِ، فِي لُجَّةِ الماءِ؛ كمَا يسمَعُ بُغامَ الظَّبيَةِ الجَيْدَاءِ، علَى صَحنِ البَيدَاءِ؛ ألَا إنَّ رفعَ اليدِ بالدُّعاءِ سُمْعَةٌ، ورَفعَ الصَّوتِ بالشِّكايةِ شُنْعَةٌ؛ فمَا هذِهِ الشَّهْقَةُ والنِّداءُ؟ ومَا هذِهِ الصَّيْحَةُ الشَّنعَاءُ؟ أَ مِن الضَّربِ تتَألَّمُ؟ أمْ من الرَّبِّ تتَظَلَّمُ؟ أمْ معَ أكفَائِكَ تتكَلَّمُ؟ أَ تَحسبُهُ قسَّامًا نسِيَ قِسمَك؟ أمْ رزَّاقًا جَهلَ اسمَك؟ أَ نامَ، مَن خلَقَ الأنَامَ؟ أمْ رقَدَ، مَن أنشَأَ الذِّئبَ /A7/ والنَّقَدَ؟ معَاشرَ الضَّعَفَةِ أَ تظُنُّونَ أن لاتَأْكُلوا أقوَاتكُم، دونَ أن تَرفَعُوا أصوَاتَكُم؟ ﴿لَاتَدعُوا اليَومَ ثُبُورًا﴾[1]، ﴿لَقَدْ ظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوءِ وكُنتُمْ قَومًا بُورًا﴾[2].

* * *

المقالة السابعة

طوبىٰ للتقِيِّ الخَامِلِ، الَّذِي سَلمَ مِن إشَاراتِ الأنَامِلِ!؛ وتَعْسًا لمَن قَعَدَ فِي الصَّوامِعِ، ليُعرَفَ بالأصَابِعِ! خزَائنُ الأُمَناءِ مَكتُومةٌ، وكنُوزُ الأولِيَاءِ مختُومَةٌ؛ والكامِلُ كَائِنٌ يتَضَاءَلُ، والنَّاقصُ قَصيرٌ يتطَاوَلُ؛ والعَاقِلُ قُبعَةٌ، والجاهِلُ طُلعَةٌ؛ فاقْبَعْ قُبوعَ الحَيَّاتِ، واكْمُنْ فِي الظُّلُماتِ كُمونَ ماءِ الحَياةِ؛ وصُنْ كنزَكَ فِي التُّرابِ، وسيفَكَ فِي القُرَابِ؛ وعَفِّ آثارَكَ بالذَّيلِ المَسحُوبِ، واستُرْ رُواءَكَ بِسفعَةِ الشحُوبِ /B7/؛ فالنَّبَاهةُ فِتنَةٌ، والوَجَاهةُ مِحنَةٌ؛ فكُنْ كَنزًا مَستُورًا، ولاتَكنْ سَيفًا مَشهُورًا؛ إنَّ الظَّالِمَ جَديرٌ أن يُقبَرَ ولَايُحشَرَ، والبَالِي خَليقٌ أن يُطوَى ولَايُنشَرَ؛ ولَوعلِمَ الجِذْلُ صَولَةَ النجَّارِ، وعَضَّةَ المِنشَارِ؛ لمَا تطَاولَ شِبرًا، ولاتَخايَلَ كِبرًا؛ وسيقُولُ البُلبلُ المعتَقَلُ لَيتَنِي كُنتُ غُرابًا، ﴿ويَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾[3].

* * *

---

١. كريمة ١٣ الفرقان.
٢. كريمة ١٢ الفتح.
٣. كريمة ٤٠ النبأ.

المقالة الثامنة

ما أقوَم قنَاتَك، لواستعمَلتَ فِي أمرِكَ أَناتَك؛ وما أَصلَحَ شأنَكَ لورأَيتَ فِي مِرآةِ الاِعتبَارِ مَا شَأنكَ؛ ومَا أقرَبَ سَفرَتَك، لوهَيّأْتَ سُفْرَتَك؛ لكنَّكَ وَسْنَانُ كَسْلَان، بطِيءٌ كأنَّكَ ثَهلَان؛ تَمُرُّ بكَ سوَانِحُ الظِّبَاءِ وتَنامُ كالفَهْدِ! وتَهتِفُ بكَ حَمائِمُ الصُّبحِ وتَغُطُّ فِي المَهدِ /A8/؛ لقَد أنذَرَكَ نَذيرُ المَوتِ، وتتَصَامَمُ عَن الصَّوتِ؛ وقَد سطَعَ الصُّبحُ وهَبَّتِ النَّعَامَى، فكأنَّكَ أخشم أو تَتَعَامَى؛ أَلِيَّةً! مِنِّي لومَلكتَ زِمامَ الشَّمسِ، لضَمَمتَ اليومَ إِلَى الأمسِ لتَحْسِبَ اليَومَ يومَين، وتَجعَلَ الوَقتَ وَقتَين؛ فيَا غافِلُ! الرحيلُ! الرحيلُ! فقَد غَبَرتْ قَوافلُ العُمرِ، والنَّجَا النَّجا فقَد انْكَسرتْ عوَاملُ السُّمرِ؛ تَتَتَبَّطُ عن حَلْبةِ السِّباقِ كَرَذَايَا الأُتُنِ، وتَساقُ فَتَنساقُ ولكِن مِن خَلفِ الأُذنِ؛ فَسِرْ قبلَ أن يُسرَى بكَ، وأَطِعْ مَن يُريدُ اليُسرَى بكَ؛ وسابِقْ تُبْصِرْ مَرتَعًا وَثيرًا ودَعَةً، ﴿ومَنْ يُهَاجِرْ في سَبِيلِ اللَّهِ تَجِدْ فِي الأَرضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وسَعَةً﴾[1].

* * *

المقالة التاسعة

الشقِيُّ مَن يتقَلَّبُ فِي البِلَادِ، ويَعصِي اللَّهَ فِي الأولَادِ /B8/؛ يقَاسِي بلِيَّةَ البَردِ والحَرِّ، ويَركبُ مطِيَّةَ البَحرِ والبَرِّ، ويَجمَعُ الذَّرَّ إِلَى الذَّرِّ؛ فيَركَمُهُ جميعًا، ويترُكُه سريعًا. البَخيلُ كُلُّ البَخيلِ مَن يَبذلُ نفسَهُ، ويَخزُنُ فَلسَهُ؛ والشَّحيحُ كلُّ الشَّحيحِ، مَن يشفَقُ علَى الدِّرهمِ الصَّحيحِ؛ فلَايَكسِرُه مُصَارَفَةً، ثمَّ يُقْسَمُ بعدَه مُجَازَفَةً؛ والسَّعيدُ حقُّ السَّعيدِ، مَن يَتجَهَّزُ للسَّفرِ البَعيدِ؛ ثمَّ إن رُزِقَ مالًا، فرَّقَهُ يَمينًا وشِمالًا؛ يُغنِي بِهِ جيرانَه، ويُطفِيءُ بِه نيرانَه؛ لايُمسِكُه فِي يدِهِ، ولَا يدَّخِرُه لغَدِه، ولَايَدْخُرُه لوَلَدِه؛ إنَّما هُو الزَّادُ يقدِّمُه لمَسرَاه، والمَالُ يأخُذُه بيُمنَاه ويرُدُّه بيُسرَاه؛ تَعْسًا للبُخلَاءِ بمَا تَحوِي جيُوبُهُم، ﴿يَومَ يُحْمَى عليْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا

---

١. كريمة ١٠٠ النساء.

جِبَاهُهُمْ وجُنُوبُهُمْ﴾[١]؛ أَلَا أُخبِرُكَ عنهُم، وأقُولُ لكَ مَن هُم؟ /A9/ ؛ هُمُ الجَمَّاعُونَ الطَّمَّاعُونَ، ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * ويَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾[٢].

* * *

المقالة العاشرة

نِعْمَ العونُ علَى الطَّريقِ، صُحبَةُ الرَّفيقِ؛ ليسَ الأخُ مَن يَستَمسِكُ بِعُروةِ الإخاءِ، فِي زَمَنِ الرَّخَاءِ؛ لِيَستَغنِي بِدِينارِك، ويَصْطَلِي بِنارِك؛ يتَبرَّكُ بِعِرفَانِك، لِيَبْرُكَ علَى رُغْفَانِك؛ يَطوُفُ حَولَك، ويَسوفُ بَولَك، لِيرُومَ طَولَك؛ ثمَّ إنْ زلَّتْ بكَ قدَمُك، أو زَالَتْ عنكَ نِعمَتُك؛ قَابَلَ إحسانَكَ بالإسَاءَة، ونكاحَكَ بالبَراءَة؛ يَطرقُكَ محشُودًا فيَرحَمُك، ويَترُكُك وَحيدًا فلَايَرحَمُك؛ يَشتُمُك إنْ بَدَتْ منكَ ضُرْطَةٌ، ويَشمَتُ بكَ إنْ عرَضتْ لكَ وَرطةٌ؛ يَهوَاكَ مَا دَارَتْ رَحاكَ، ويَرضاكَ ما هَبَّتْ صَبَاك؛ حتَّى إذا تغيَّرَ رُواؤُك، وتَغَيَّمَ هَواؤُك /B9/ ؛ ارتَدَّ عن دينِهِ، وحنِثَ فِي يَمينِهِ؛ إنَّما الصَّديقُ الصَّادقُ الَّذِي لايُصاحِبُك عَبثًا، والظَّهُورُ الظَّاهرُ ما لَايحتمِلُ خُبثًا؛ هو الَّذِي يَصحبُكَ فقِيرًا وغَنيًّا، ويَأكُلُكَ نضيجًا وَنِيًّا؛ لَايُغادرُك راكِبًا أو راجِلًا، ولَايُوَدِّعُك نازِلًا وراحِلًا؛ يُعادِلُكَ إنْ أسهَلتَ أو أَحزَنتَ، ويُساوِقكَ إنْ جرَيتَ أو حَزَنْتَ؛ يُثافِنك إذَا هوَيتَ، ويُعاونكَ إذَا أقوَيتَ؛ يَنصَحُك إذَا عَلَا أمرُك، ويَصحَبُك إذَا خَمَدَ جَمرُك، ويَسرُّ بكَ إذَا حَمُضَ خَمرُك؛ أولَئكَ خِيارُ الخُلصَاءِ، وكِرامُ الجُلسَاءِ، وأَخلَافُ الصَّباحِ وسُمَّارُ المسَاءِ، ﴿والمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إذَا عَاهَدُوا /B10/ والصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾[٣].

* * *

---

١. كريمة ٣٥ التوبة.

٢. كريمتان ٧، ٦ الماعون.

٣. كريمة ١٧٧ البقرة.

المقالة الحادية عشرة

العاقِلُ قَصِيٌّ مَرامي النَّظرِ، فَسيحٌ مَوامِيُّ العِبَرِ، علَى مَرامِ الخَطرِ؛ فيَقرَأُ مَكنُونَ أسرارِ الغَدِ مِن عنوانِ اليَومِ، ويَقْطِفُ أثمارَ أشْجَارِ الغَيبِ مِن صنوانِ النَّومِ؛ يرَى موعُودَ اللَّـهِ نَـاجِزًا، ومكنُونَه بارِزًا؛ فكُنْ يَقِظًا حَاذِرًا، ومثْلِ الغَائِبَ حاضِرًا؛ وإذَا رأيتَ لُقَطَةً تَـجمَعُهَا عُـصبَةٌ مُستَكِفَّةٌ، فَلَا تَلقُطهَا فَلَعلَّ تَحتَ الحَـبَّةِ كِـفَّةً؛ وإذَا مَـلَكتَ فَـاذْكُـرِ القَـادِرَ وقُـدرَتَه، وإذَا بَغَمتَ فاذكِرِ الصائِدَ وفُترتَهَ. واعلَم! أنَّ مسَرَّاتِ الأيَّامِ مـقرونَةٌ بـالغَمِّ، وحـلَاواتِ الدُّنـيَا معجُونَةٌ بالسَّمِّ؛ فَالمَرَحُ تقَلُّبُ الدَّهرِ بعَينِ الذَّكاءِ، وإذَا ضَحكتَ فَاجْهَشْ لِلبُكاءِ؛ وإيَّاكَ /B10 أن تَفنَعَ منَ العُلومِ بالقُشُورِ، ومِن الرَّقِّ المَنشُورِ بالدَّوائِرِ والعُشُورِ؛ أولَئكَ قَومٌ نـزَلُوا بـهَذِهِ الدَّنيَّة وغفَلُوا عَن المَرحلَةِ الثَّانيَةِ، وشُغِلُوا بالدُّنيَا الدَّنيَّة عن القُطُوفِ الدَّانيَةِ؛ فهُم فِي مهَابِطِ الغَيِّ سافِلُونَ، وفِي مبَاذِلِ العَيشِ رَافِلُونَ، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الحَيَاةِ الدُّنيَا وهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[1].

* * *

المقالة الثانية عشرة

ليسَ الشَّريفُ مَن تطَاولَ وتَكَاثَرَ، إنَّما الشَّريفُ مَن تطَوَّلَ وآثَرَ؛ وليسَ المُحسِنُ مَـن روَى القُرآنَ، إنَّما المُحسِنُ مَن أروَي الظَّمآنَ؛ وليسَ البِرُّ إبانَةَ الحُروفِ بالإمالَةِ والإشبَاعِ، إنَّـما البِرُّ إغاثَةُ المَلهُوفِ بالإنَالَةِ والإشبَاعِ؛ ولاخَيرَ فِي زَكوةٍ لَاتُسدِي معرُوفًا، ولَابرَكةَ فِي لَبَنَةٍ لاتُشبِعُ خَرُوفًا؛ فوَاهًا لَك! لِمَنْ /A10 تدَّخِرُ أموَالَك؟!؛ أنْفِقْ أَلْفَك، قبلَ أن يُقسَمَ خَلفَك؛ إنَّ منَازلَ الخَلقِ سَواسِيَة، إلَّا مَن لَه يَدٌ مُوَاسـيَة؛ فأرفَـعُهم، أنـفَعُهم؛ وأسـوَدُهم، أجـوَدُهم؛ وأفضَلُهم، أبذَلُهم؛ وخَيرُ النَّاسِ مَن سقَى مِلْوَاحًا، ونَصِبَ لِلجَنَّةِ مِلوَاحًا؛ والكَرَمُ نـوعَانِ،

---

١. كريمة ٧ الروم.

أحسَنُهمَا إطعَامُ الجَوعَانِ، وإروَاءُ العَطشَانِ؛ والحَازِمُ مَن قدَّمَ الزَّادَ لعَقَبَةِ العَـقبَى، ﴿وآتَـى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُربَى﴾[1].

* * *

المقالة الثالثة عشرة

أيُّها السَّائلُ كُفَّ يدَكَ السُّفلَى؛ واجعَلْ علَى بابِ الَّتمنِّي قُفلًا، ولَاتُصافِ لِـيمًا أوتِـيَ مِـن العاجِلَةِ نُفلًا؛ ولَاترضَ لنَفسِك رِقًّا، لِتملأَ زِقًّا؛ مَا ملأَهُ سابِقٌ إلَّا ونَى، ولَاسارِقٌ إلَّا زنَـى؛ فَاجمِلْ فِي الطَّلَبِ فإنَّك لَن تبيتَ /B12/ حتَّى تملأَ زِقَّك، ولنْ تَموتُ حتَّى تَستَوفِيَ رِزقَك؛ تَطلبُ الرِّزقَ وهوَ طالِبُك، وتَستَطِيءُ حُصولَه وهوَ مُصاحِبُك؛ وتَشـتَاقُهُ جَـمِيعُك، وهُـو ضَجِيعُك؛ وتَستَقبِلُ قَادِمَه وهو فِي بلَدِك، وتَنْشُدُ ضالَّتَه وهُو فِي يدِك؛ فَاختَرْ لنَفسِك دِينَ الأدَبِ، وأدْغِمْ فِي تَصَارِيفِ شَكوَاكَ أنِينَ السَّغَبِ؛ واحذِفْ مِن تَضَاعُفِ كَلَامِكَ حرفَ الجَرِّ وسينَ الطَّلَبِ؛ تَبًّا لمُعتَدٍّ، لاستِجْلابِ رِزقٍ معتَدٍّ؛ فلَاتهتَمَّ لِرِزقِك، فإنَّ الرِّزقَ مُهَيَّءٌ لكَ قبلَ خلقِك؛ فإن جرستَ كنَحلٍ أو التَقَمتَ كفِيلٍ، فاللَّهُ كَـفِيلُك وكـفَى بـهِ مِـن كَـفِيلٍ؛ فـارقَعْ خصَاصَتَك بجِلبَابِ الفُتُوَّة، ﴿إنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُوالقُوَّةِ﴾.[2]

* * *

المقالة الرابعة عشرة

انْتبِه يَا ضُجَعَةُ، وانتَعِسْ /A13/ يا قُبَعَةُ، واستَمسِك فإنَّ الهَوَى صُرَعَةٌ؛ شمِّرْ ذَيلَك للإسرَاءِ، وضمِّر خَيلَك للإجرَاءِ؛ أمرٌ ذُوتَبعَاتٍ، وقَفرٌ ذُوتَلَعَاتٍ؛ ونَشْوةٌ بـعدَها حسَـرَاتٌ، وسَكـرَةٌ دونَها سكَرَاتٌ؛ مَوتٌ وغَرَاءٌ، وحَشرٌ وجزَاءٌ؛ نَزعٌ وهَولُ المُطَّلَعِ، وقَبرٌ وضِيقُ المُـضطَجَعِ؛

---

١. كريمة ١٧٧ البقرة.

٢. كريمة ٥٨ الذاريات.

ووِزْرٌ والنَّفسُ عاجِزةٌ، وعِرْضٌ والأَرضُ بارِزَةٌ؛ والنَّفخَةُ الفَاجِئةُ والنَّاسُ نِيامٌ، والصَّيحَةُ الوَاحِدةُ فإِذَا هُم قِيامٌ؛ هَيْلَتَ! أَ لِلنَّومِ جُبِلتَ؟ بَعُدتَ! أ لِلَّهوِ شهدت؟ سَمُومٌ وزَمهَريرٌ، ويَومٌ عبُوسٌ قمطَرِيرٌ؛ والصِّراطُ طَرِيقَانِ، والنَّاسُ فرِيقانِ؛ سَعِيدٌ ومَا أدرَاكَ؟! وشقِيٌّ وعسَاكَ!؛ أ تَرُدُّ بِيدِ الظُّنُونِ، كيدَ المنُونِ؟!؛ أم تَنفُذُ بهذَا الفِكرِ المُهوَّسِ، فِي هذَا السَّقفِ المُقوَّسِ؟!؛ أم لِلإِنسانِ مَا تمنَّى؟! ﴿أَ حَسِبَ النَّاسُ أنْ يُترَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا﴾.[1]

* * *

المقالة الخامسة عشرة

مِنَ النَّاسِ /B13/ مَن يَستَطِيبُ رُكوبَ الأخطَارِ، ووُرُودَ التَّيَّارِ؛ ولُحُوقَ العَارِ والشَّنَارِ، ويستَحِبُّ وَقْدَ النَّارِ؛ وعَقْدَ الزُّنَّارِ، لأجلِ الدِّينَارِ؛ ويستَلِذُّ سَفَّ الرَّمادِ، ونقلَ السَّمادِ؛ وطَيَّ البِلَادِ، لأجلِ الأَولادِ؛ ويَصْبِرُ علَى نَسْفِ الجِبالِ، ونَتفِ السِّبالِ، لِشَهوَةِ المَبَالِ؛ ورُبَّما يُبَدِّلُ الإيمانَ بالكُفرِ، ويَحفِرُ الجِبالَ بالظُّفرِ، للدَّنَانيرِ الصُّفرِ؛ ويلجُ مَا ضَغَّى الأُسُودَ، للدَّرَاهِمِ السُّود؛ لايَكرهُ صُدَاعًا، إذَا نالَ كُرَاعًا؛ ويَلقَى النَّوائِبَ بقَلبٍ صابرٍ، فِي هَوَى الشَّيخِ أبِي جابِرٍ؛ يأبَى العِزَّ طبِيعَةً، ويرَى الذُّلَّ شرِيعةً؛ وإنْ رُزِقَ لَعِيعَةً، عدَّهَا صَنِيعَةَ /A14/. ومنَ النَّاسِ مَن يختَارُ العَفافَ، ويَعافُ الإسعَافَ؛ يدَعُ الطَّعامَ طاوِيًا، ويذَرُ الشَّرابَ صَادِيًا، ويرَى المَالَ رائِحًا وغادِيًا؛ يترُكُ الدُّنيَا لِطُلَّابِها، ويَطْرَحُ الجِيفَةَ لِكِلَابِهَا؛ لايستَرزِقُ لِئَامَ النَّاسِ، ويَقنَعُ بالخُبزِ النَّاسِّ؛ يكرَهُ المَنَّ والأذَى، ويَعَافُ المَاءَ علَى القَذَى؛ إنْ أَثْرَى جعَلَ مَوجودَه معدُومًا، وإن أقوَى حَسِبَ قِفارَهُ مَأْدُومًا؛ جَوفٌ خالٍ، وثَوبُ بالٍ؛ ومَجدٌ عالٍ؛ ووَجهٌ مُصفَرٌّ، علَيهِ فَرٌّ؛ وثَوبُ أسمَالٌ، وراءَهُ عِزٌّ وجمَالٌ؛ وعَقِبٌ مَشقُوقٌ، وذَيلٌ مَفتُوقٌ؛ يجُرُّه فتىً مَغبُوقٌ.

لِلَّهِ تَحتَ قِبَابِ ٱلعِزِّ طَائِفَةٌ أخفَاهُمُ فِي رِداءِ ٱلفَقرِ إجلَالَا /B14/

---

١. كريمة ٢ العنكبوت.

هُمُ ٱلسَّـلَاطِينُ فِـي أَثـوَابِ مَسْكَـنَةٍ استَعبَدُوا مِـن مُـلُوكِ ٱلْأَرضِ أقـيَالَا
غُـبْرٌ مَـلَابِسُهُم شُـمٌّ مَـعَاطِسُهُم جَـرُّوا عـلَى قُـلَلِ ٱلخَـضرَاءِ أذيَـالَا
هٰـذِى السَّـعَادةُ لَاثـوبَانِ مِـن عَـدَنٍ خِـيطَا قَـمِيصًا فـصَارَا بَـعْدُ أسـمَالَا
تِـلكَ ٱلمَـنَاقِبُ لَاقَـعْبَانِ مِـن لَـبَنٍ شِـيبَا بِـمَاءٍ فَـعَادَا بَـعْدُ أبـوَالَا

هم الَّذين جُبِلُوا بُرَآءَ مِن التكَلُّفِ، ﴿يَحْسَبُهُمُ الجَاهِلُ أغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾[1].

* * *

المقالة السادسة عشرة

طَبعُ الكَرِيمِ لَايَحتَمِلُ حُمَّةَ الضَّيمِ، وهَواءُ الصَّـيفِ لَايَـقبلُ غُـمَّةَ الغَـيمِ؛ والنَّـبِيلُ يَـرضَى النِّبَالَ والحُسَامَ، ويأبَى أن يُسامَ؛ ولَإِنْ يُـقتَلُ قَـهْرًا، ويُـودَعُ قَـبرًا؛ خَـيرٌ مِـن أن يُـصِيبَهُ جفيرُ الجَفاءِ، بنُشّابِ الأكفَاءِ؛ يهوَى المَنِيَّةَ، ولَايَرضَى الدَّنِيَّةَ؛ يَستقبِلُ السَّيفَ، ولَايَـقبلُ الحيفَ؛ إنْ سِيمَ أخذَتْه الهزَّةُ، وإنْ ضِيمَ أخذَتْه العِزَّةُ؛ إنْ عاشَرتَه سَالَ عَذبًا، وإنْ عَاسَرتَه سلَّ عَضبًا؛ إنْ شارَبتَه لخَمَّرَ، وإنْ حارَبتَه تَنَمَّرَ؛ يـرَى العِـزَّ مَـغنَمًا، والذُّلَّ مـغرَمًا، وكـانَ كأنفِ اللَّيثِ لَايَشُمُّ مَرغَمًا. فيَا هذَا! كُـنْ فِـي الدُّنـيَا حَـمِيَّ الأنـفِ مَـنيعَ الجَـنابِ، أبِـيَّ النَّفسِ طَرِيرَ الثَّابِ؛ ولَاتَصحَبِ الدُّنيَا صُحبَةَ بعالٍ، ولاتَـنظُر إلَـى أنـبَائِهَا إلَّا مِـن عَـالٍ؛ ولَاتخفَضْ جَنَاحَكَ لِبَنيهَا، ولاتضَعضِعْ رُكنَكَ لبَانيهَا؛ ولَاتـمُدَّنَّ عـينيكَ إلَـى زخـارِفِها، ولَاتَبسُطْ يَديكَ إلَى مخارِفِها، وكُنْ مِن الأكيَاسِ، واتْلُ علَى اللِّئامِ سُورةَ اليَاسِ؛ ﴿ولَاتُصَعِّرْ خَدَّكَ /B15/ لِلنَّاسِ﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ٢٧٣ البقرة.
٢. كريمة ١٨ لقمان.

المقالة السابعة عشرة

الوَقَاحَةُ بِضاعَةٌ صالِحةٌ، وتِجارَةٌ رابِحةٌ؛ تُضعِفُ المالَ، وتُسْعفُ الآمالَ؛ تُفيدُك مَا أَرَدتَ، وتطلقُ مِن لسانِك الأَرَتَّ؛ وتَفتَحُ لكَ الأبوابَ المُقفَّلةَ، وتَحلبُ لكَ الضُّرُوعَ المُحَفَّلَةَ؛ فإن نِلْتَها ونَعِمتَ الحَبَالَةُ، حيزَتْ لكَ الدُّنيَا وبَسْبَسَتِ الحُثالَةُ؛ فتُصْبِحُ وقَد انتهَيتَ، إلى مَا اشتَهيتَ؛ واجتَنيتَ، ما تمَنَّيتَ؛ وغَلَبتَ، علَى ما طَلَبتَ؛ ونِلْتَ ما قَصدتَ، وكِلْتَ ما حصَدتَ؛ لكنَّها أُحْبُولَةُ العاجِلَةُ، وحَمُولَةُ الهِمَّةِ الرَّاجِلَةِ؛ ولَعَمرِي ما الوَقَاحَةُ إلَّا جَمْرٌ وهَّاجٌ، وما الحَياءُ إلَّا غَمْرٌ رَجراجٌ؛ وما الوغْدُ المُتَوَاقِحُ، إلَّا الكَلبُ الفَاقِحُ؛ والوَقَاحَةُ غريزَةُ الذُّوْبَانِ، /A16/ وشيمَةُ الذِّبَّانِ؛ والحياءُ نَصْحٌ رَشَّحَ مِن رَقْمَتَي الحَيَاةِ، والوَقَاحَةُ شرٌّ أودعَ في طُفْيَتَي الحَيَّاتِ. ولعلَّكَ تقولُ: الحياءُ لا يأتِي بخَيرٍ ومَيرٍ، كلَّا! إنَّه لا يأتِي إلَّا بخَيرٍ!؛ فلَاتَغبِطَنَّ وَقِحًا علَى حُطامٍ يَحفِظُه، وجَنًى يَقطِفُهُ؛ وقُرَاضَاتِ الدِّنَا، يَجمَعُهَا مِن ثَمَّ وهُنَا؛ ولَاتَحسُدْهُ علَى طعَامٍ يُصيبُه من تَهَاوُشٍ، ويَنُوشُه وأنَّى لهُ التَّناوُشُ؟ فمَن زَهِدَ فِي الدُّنيَا قنَعَ بقوتِه منهَا، ﴿ومَنْ يُرِدْ ثَوابَ الآخِرَةِ نُؤتِهِ مِنْهَا﴾[1]؛ فلَايغُرَّنَّك تقَلُّبُهُم فِي الجِلَادِ، وتقَلُّبُهُم فِي البِلَادِ؛ متاعٌ قلِيلٌ، ثمَّ صُداعٌ طويلٌ؛ إنَّما يُجَاهِدُونَ فِي سَبيلِ الطَّاغوتِ وبِئسَ الجِهَادُ، ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وبِئْسَ المِهَادُ﴾[2].

* * *

المقالة الثامنة عشرة

رُتبَةُ الشَّرفِ، /B16/ لاتُنالُ بالتَّرَفِ؛ والسَّعادةُ أمرٌ لايُدرَكُ، إلَّا بعَيشٍ يُفرَكُ، وطيبٍ يُترَكُ؛ ونومٍ يُطرَدُ، وصومٍ يُسرَدُ؛ وسرُورٍ عازِبٍ، وهَمٍّ لازِبٍ؛ ومَن عَشِقَ المعَالِيَ أَلِفَ الغَمَّ، ومَن طَلَبَ اللَّآلِيَ رَكِبَ اليَمَّ؛ ومَن قنَصَ الحِيتَانَ ورَدَ النَّهرَ، ومَن خطبَ الحِسَانَ نقدَ المَهرَ؛ كلَّا!

---

١. كريمة ١٤٥ آل عمران.

٢. كريمة ١٩٧ آل عمران.

أنَّ السَّحُوقَ جبَّارٌ وأنتَ قاعِدٌ، والفَيلَقُ جرَّارٌ وأنتَ واحِدٌ؛ العَـقلُ يُـنادِيكَ وأنتَ أصـلَخُ، ويُدنِيكَ ويَحولُ بينَكُما البَرزَخُ؛ لقَد أزِفَ الرَّحيلُ فَاجهَدْ جهدَك، وأكْـثِـبَ الصَّـيدُ فَـضَمِّرْ فَهْدَك؛ فالحَذِرُ يترَصَّدُ للانتِهازِ، والحَازِمُ يُهَيِّءُ أسبابَ الجِهَازِ؛ تَجرَّعْ مَرارَاتِ النوَائِبِ فِي أيَّامِ مَعدودَة، لحَلَاوةٍ مَوعُودَة؛ إنَّما هيَ مِحنَةٌ بائِدةٌ، تَتلُوها فَائدَةٌ؛ /A17/ وكُربَةٌ نافِدَةٌ بَعدَها نِعْمَةٌ خالدَةٌ، وغَنيمَةٌ باردَةٌ؛ فَلَاتُكرِهَنَّ صَبرًا وصَابًا، يَغسِلْ عنكَ أوصَابًا؛ ولَاتَشرَبَنَّ وِردًا يُعقِبُكَ سِقَامًا، ولَاتشُمَّنَّ وَرْدًا يورِثُكَ زُكامًا؛ مَا ألْيَنَ الرَّيحانَ لولَا وَخْزُ البُهْمَى، ومَا أطيَبَ المَاذِيَّ لولَا حُمَةُ الحُمَّى؛ فلَاتهولنَّكَ مَراراتٌ ذاقَهَا عُصْبةٌ إنَّما يريدُ اللَّـهُ أنْ يـهَذِّبَهم بـهَا، ولَايَرُوقَنَّكَ حَلَاوَاتٌ نالَهَا فِرقةٌ ﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾[1].

* * *

المقالة التاسعة عشرة

أطيَبُ النَّاسِ طينَةً، أحسَنُهُم طمأْنِينَةً؛ وأمرُّهُم عَيشًا، أشدُّهُم طيشًا؛ وأبـعَدُهُم هَـلاكًـا، أثبَتُهُم مَلَاكًا، وأضبَطُهُم استِمسَاكًا؛ والموَفَّقُ مَن سقَى مُجذِيَةَ السَّفَه بساريَةِ العِلمِ، واستَدفَعَ زَلْزلَةَ الغَضَبِ برَاسِيةِ الحِلمِ؛ ألَا إنَّ الغَضَبَ رَجْفةٌ /B17/ والحِلمُ عِـمَادُها، والجَـزَعُ مِـدَّةٌ والصَّبرُ ضِمَادُها؛ فكُنْ كالطَّودِ لَاتُزَعزِعهُ العَواصِفُ، ولَا بَل فَوقَ مَا يَصِفُه الواصِفُ؛ ولَاتكُنْ كالقِدْرِ المُرَبَّدَةِ يَجِيشُ، والسِّهمِ العائِرِ يطيشُ؛ وإيَّاكَ وزَفرَةَ الشِّرارِ، وطَفرَةَ الشَّرارِ؛ وأعيذُكَ باللَّهِ مِن أنْ تَكونَ كلِيًا كالعَضُوضِ، أو نزقًا كـالبَعُوضِ؛ أو فـاتِرًا كـالمَخَانِيثِ، أو طـامِرًا كالبَرَاغِيثِ؛ أو ثقِيلَ الوَطأَةِ فِي الحقِّ، أو خَفِيفَ النزوَةِ فِي السَّفَهِ كالبَقِّ؛ لاسُكونَ فِي تَوانٍ، ولاحِلمَ يُشعِرُ بِهَوَانٍ؛ ولا جُمُوحَ يُؤذِنُ بطُغيَانٍ، ولاإغضَاءَ كـإغضَاءِ العُـمَيَان؛ ولَاتَـحَالُمَ يُحسَبُ غَبَاوةً، ولَاتغَافُلَ يُظَنُّ رَخاوَةً؛ ولاغضَبٌ يُخَالُ أنَّك جـاهِلٌ، ولَاكَـظمٌ يُـقالُ أنَّك ذاهِلٌ؛ بل سَخَطٌ /A19/ معَه عَفوٌ، وخَرَقٌ بعدَه رَفوٌ؛ ودَجْنٌ يُعقِبُهُ صَحوٌ؛ وجَرْحٌ يُخلِفُه أسْوٌ؛

---

١. كريمة ٥٥ التوبة.

إبعَادٌ ولَاحرْبَ، وإشْمامُ سَيفٍ ولَاضَربَ؛ وعَذْلٌ ولَازَجْرَ، وعَتبٌ ولَاهَجْرَ؛ وعَضٌّ لَايُدمِي، ورَميٌ لَايُصمِي؛ لُدُونَةٌ فِي خُشونَة، وبُرودَةٌ فِي سخُونَة؛ وسهُولَةٌ فِي حزُونَة؛ وحَرٌّ بعدَهُ بَردٌ، وشَوكٌ معَه وَردٌ؛ حَربٌ فِي سِلمٍ، وغضَبٌ فِي حِلمٍ؛ وقَيظٌ فِي ظِلٍّ، وغَيظٌ بِلَاغِلٍّ؛ وغُبارٌ لَايَعودُ قتَامًا، وقَتَامٌ لَايُثيرُ غمَامًا؛ وتقَاطُعٌ يَبقَى أيَّامًا ولَايدُومُ أعوامًا، وكانَ بينَ ذلكَ قَوَامًا؛ فَإذَا جأشَ قَلبُك فاحفَظْ حدَّكَ، وفُلَّ خدَّك؛ فإنَّكَ ماءٌ مَهِينٌ، ﴿وكُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]؛ وإذَا استَنْسَرتَ فلَاتُوحِشِ الكِرامَ بفَلَتَاتِ قَولِك، وإذَا /B19 استَأْسَدتَ فلَاتفرُسِ الآرامَ بصَولِك؛ وابرَأْ إلَى اللَّهِ مِن حَولِك، ﴿ولَوكُنتَ فَظًّا غَلِيظَ القَلبِ لَانْفَضُّوا مِن حَولِكَ﴾[2].

* * *

المقالة العشرون

مَالُ اللَّهِ أنفَسُ الأعلَاقِ، والجُودُ بِهِ أحسَنُ الأخلَاقِ؛ وإذَا أسعَدَ اللَّهُ عَبدًا أغنَاهُ بِالحَلَالِ وأرفَقَه، ثُمَّ وَفَّقَه حتَّى أنفَقَه؛ والعَفَاء علَى دِرهَمٍ لَايَنفعُكَ حتَّى تُفارِقَه، ولَايُشبِعُك حتَّى تُفرِّقَه؛ وأنفَعُ المَالِ مَا بُذِل ولَم يُكنَز، وأطيَبُ الطَّعامِ مَا أُكِلَ ولَم يُحتَز؛ فَكُلْ رِزقَك قَبلَ أن تَأكُلَك الحَيَّاتُ والعَقارِبُ، وفَرِّقْ مالَك قَبلَ أن تَقسِمَهُ الأَقارِبُ؛ وأفرِغْ علَى الأحبَابِ تِبرَك فَالتِّبرُ ذَخيرَةُ الفَسقَة، والنِّبرُ حَقِيرَةُ الفُوَيسَقَة؛ وحرَاسَةُ المَالِ، شُغلُ الأوغَادِ /A20 الأرذَالِ؛ كُنْ سخِيًّا فإنَّ اللَّهَ آخِذٌ بيَدِه، وتقَرَّب إلَى اللَّهِ بخَيرٍ فإنَّ اللَّهَ آخِذٌ بيَدِه؛ وإن أمكَنَتْك فُرصَةُ السَّخاءِ فَاسْخُ، فقِسمَةُ الرِّزقِ لَايَلحقُها الفَسْخُ؛ واكْسِرْ كأسَكَ وأَفِقْ، وافتَحْ كِيسَك وأنفِقْ؛ وفارِقْ دنَانِيرَكَ فإنَّها زَبانِيةٌ، وطلِّقْ دُنيَاكَ فإنَّها زَانِيةٌ؛ المَالُ رِزقٌ أتِيحَ، ونُزُلٌ أُبِيحَ؛ فمَن ضَنَّ بِه، فقَد اتَّهَمَ الرَّزَّاقَ وأسَاءَ الظَّنَّ بِه؛ ومَن حَلَّ عُقدَةَ فَلْسِه فقَد حَازَ مُلْكًا عَقِيمًا، ﴿ومَن يُوقَ شُحَّ نَفسِهِ فَقَدْ فَازَ فَوزًا عَظِيمًا﴾[3]. طُوبَى لِكُلِّ غَنِيٍّ نَفَّاعٍ للغَيرِ، وتَبًّا لكُلِّ دَنِيٍّ

---

١. كريمة ٢١ الطور.

٢. كريمة ١٥٩ آل عمران.

٣. مقتبسٌ من كريمة ٩ الحشر.

منَّاعٍ لِلخَيرِ ؛ أنَّى يَنفَعُ البُخَلاءَ مَا أُوتُوا، وهُم حَفَظَةٌ حتَّى يَمُوتُوا؛ سيَعَضُّونَ علَى يَدِ الشُّحِّ بِنَابِ النَّدامَة، ويُطَوَّقُونَ /B20/ مَا بَخِلُوا بِهِ يَومَ القِيَامَة.

* * *

المقالة الحادية والعشرون

يَا مَن يَسعَى لقَاعِدٍ، ويَسهَرُ لرَاقِدٍ؛ ويَا مَن يَحرُسُ لراصِدٍ، ويَزرَعُ لحاصِدٍ؛ ويَبخَلُ لباذِلٍ، ويجمَعُ لآكِلٍ؛ تَبنَى الإيوَانَ وعَن قليلٍ يَنهَدِم رُكنَاك، وتَبسُطُ الرِّواقَ وفِي الجَدَثِ سُكنَاك؛ قَلبٌ كقُلوبِ الكُفَّارِ، وحِرصٌ كِحرصِ الفَارِ؛ تَنقُبُ بالأظفَارِ، ولَاتُبقِي علَى المأدُومِ والقَفَارِ؛ قُلْ لِي ﴿إذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾[١]، وقَرعَت القَارِعَةُ؛ وأزِفَ لكَ الرَّحِيلُ، واختَلَفَ الطَّبِيبُ والعَلِيلُ، واجتَمَعَ الغَسَّالُ والغَسِيلُ؛ والعائِدُ يَغمِزُ عَينَيهِ، والطَّبِيبُ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ؛ حتَّى إذَا انقطَع نفَسُك، وخفَى جرَسُك؛ وانطَوَى زمَانُك، وخَوَى جُثمَانُك؛ تَبقَى /A21/ فِي مَنزِلِك الَّذي ابتَنَيتَه، ومالِكَ الَّذِي اقتَنَيتَهُ؛ كضَيفٍ مَلُومٍ، فأذَلُّوه؟ أ يَنفَعُك حِينَئذٍ حَلالٌ أصَبتَه، أَم حرَامٌ غَصبتَه؟ أم نَشَبٌ حَرشتَه، أو وَلدٌ حضَنتَه؟ أو رَبْعٌ أسَّستَه، أو نَبْعٌ غرَستَه؟ أو حُطامٌ حرَستَه، أو قَفرٌ حرَثتَه؟ أو وَفرٌ أورَثتَه؟ كلَّا! لايَنفَعُك فَيْءٌ قَد غَنِمتَه، ولَايضرُّكَ شيءٌ عدِمتَه؛ ولايُنجِيكَ إلَّا خَيرٌ أمضَيتَه، أو خَصمٌ أرضَيتَه. فانتَبِه يَا نَائِما واستَقِم يَا هائِما؛ لقَد تُهتَ فِي بادِيَةٍ لايَبلُغُك نِدائِي، وتَردَّيتَ فِي هاوِيَةٍ لايَبلُغُها ردَائِي؛ تُغَيِّمُ هوَاؤُك وسَيُصحِي، حِينَ لايَنفَعُك نُصحِي؛ فَلَاتَعصَ اللَّهِ فِي أولَادِ سُوءٍ إذَا حضَرَكَ المَوتُ غابُوا، ومَا حَزَنُوا لمَا أُصِيبُوا بَل فَرِحُوا بمَا أصَابُوا؛ ﴿وإنْ تَدعُوهُمْ لَايَسمَعُوا دُعَاءَكُمْ ولَوسَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا﴾[٢].

* * *

---

١. كريمة ١ الواقعة.

٢. كريمة ١٤ فاطر.

المقالة الثانية والعشرون

يَا مَن يَتقَلَّبُ فِي أودِيَةِ الغَفَلَاتِ، تَقَلُّبَ الرِّيشةِ فِي الفَلَاةِ!؛ أ يُقنِعُكَ مِن الدُّنيَا طُعمٌ تَهضمُهُ، ومِن الإسلَامِ شَيءٌ تَقضِمُهُ؟ أ تَرضَى مِن العُمرِ بحُطَامٍ تَطعَمُه، وطعَامٍ تَـطعَمُه؟ فَـإنْ كُـنتَ تَرضَاهُ أيُّها النَّائِمُ النَّاسِي، فاقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطَّاعِمُ الكَاسِي[1]؛ لَا واللَّهِ! لَا لِهذَا فُطِرتَ، ولَا بِهذَا أُمِرتَ؛ إنَّ اللَّهَ طَبعَكَ ذَهبًا طَرِيًّا فلاتَعودَنَّ زَيْفًا، وخَلَقَكَ بَشرًا سَوِيًّا فلاتَصيرَنَّ طَيْفًا؛ وحَلَّاكَ واضِحَ الغُرَّةِ فَلَايُسَوِّدَنَّك هوَاكَ، ووُلِدتَ علَى الفِـطرَةِ فـلَايُهَوِّدَنَّك /A22/ أبـوَاك؛ ويْلكَ! وُلِدتَ حَنيفًا فتَمَجَّسْتَ، وأنـزَلَتَ طَـهُورًا فـتَنَجَّستَ؛ وقَـدِمتَ قُـدسِيًّا فـتَلوَّثتَ، وخَرجتَ سيَّاحًا فتَلَبَّثتَ؛ ونُسِجتَ دِيبَاجًا فَصِرتَ مَسْحًا، وهَبَطتَ عَذبًا فَعُدْتَ مِـلْحًا؛ إنَّ اللَّهَ خلقَك فَسوَّاكَ فلَاتنحَرِف، ونوَّرَك وصَفَّاكَ فلَاتَنكسِفْ؛ مَا خَلقَك لَعِبًا، ولَا وَعدَك كَذِبًا؛ أحسَنَ كُلَّ شَيءٍ خَلْقَه، ووفَّى كلَّ حَيٍّ حقَّه؛ فقُلْ لِمَن يَشتري الضَّلَالةَ بِالهُدَى، ﴿أَ يَحْسَبُ الإنسَانُ أنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾[2]؟

* * *

المقالة الثالثة والعشرون

أَهلُ التَّسبِيحِ والتَّقدِيسِ، لايُؤمِنونَ بالتَّربِيعِ والتَّسدِيسِ؛ والإنسَانُ بَعدَ عُلُوِّ النَّفسِ، يَـجِلُّ عَن مُلَاحَظَةِ السَّعدِ والنَّحسِ؛ وأنَّ فِي الدِّينِ القَوِيمِ، /B22/ لَشُغلًا عَـنِ الزِّيـجِ والتَّـقوِيمِ؛ والإيمَانُ بالكَهَانَةِ، بَابٌ مِن أبوَابِ المَهَانَة. فأَعرِضْ عَن الفَلَاسفَة، وغُضَّ بَصَرَكَ عَن تِلكَ الوُجوهِ الكَاسِفَة!؛ فأكثَرُهُم عَبَدَةُ الطَّبعِ، وحرَسَةُ الكَواكِبِ السَّبعِ؛ فَمَا للمُنجِّمِ الغَبِيِّ، والعِلم

---

١. قال الحُطيئة:

دعِ المكـارمَ لَاتـنهَضْ لبُـغيتها ... واقعُدْ فإنَّك أنت الطَّاعمُ الكـاسي

راجع: ديوان الحطيئة، ص ٥٣.

٢. كريمة ٣٦ القيامة.

الغَيبِيِّ ؟ ومَا للكَاهِنِ الأجنَبِيِّ، وسِرٌّ حُجِبَ عَن غَيرِ النَّبِيِّ ؟ وفَائِدَةُ التَّقوِيمِ، وعَائِدَةُ التَّنجِيمِ؛ تَعجِيلُ هَمٍّ، وتَأخِيرُ مُهِمٍّ؛ وهَل يُنخَدَعُ بِالفَالِ، إلَّا قُلوبُ الأطفَالِ ؟ وإنَّ امْرءَ جَهِلَ حَالَ قَومِه، ومَا يَجرِي علَيهِ فِي يَومِه؛ كَيفَ يَعلَمُ حَالَ الغَدِ وبَعدَه، ونَحسَ الفَلَكِ وسَعْدَه ؟ وإنَّ قَومًا يَأكُلونَ مِن قُرصِ الشَّمسِ لَمَهزُولونَ، وانَّهُم عنِ السَّمعِ لمَعزُولُونَ؛ مَا السَّمَواتُ إلَّا /A23 مَجاهِلُ خَالِيَةٌ والكَواكِبُ صُوَاهَا، والنُّجُومُ إلَّا هيَاكِلُ عالِيَة ومِن اللَّهِ قُواهَا؛ سَبعَةٌ سيَّارَةٌ نيِّرَةٌ، خَمسَةٌ منهَا مُتَحيِّرة، شِرَارَةٌ وخَيِّرَةٌ، طِبَائِعُها مُتَغَيِّرَةٌ؛ كُلٌّ يَسرِي لأمرٍ مُعَمًّى، و﴿كُلٌّ يَجرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[1].

* * *

المقالة الرابعة والعشرون

أدرِكْ عُمرَكَ قَبلَ المَوتِ، وهَيِّءْ أمرَكَ قَبلَ الفَوتِ؛ واغتَنِمْ بَياضَ النَّهَارِ قَبلَ العَشِيَّة، فَاللَّيلَةُ حُبلَى وجَنِينُها فِي مَشيمَةِ العَشِيَّة؛ ولَاتَغتَرَّ بِكَثرةِ أسبَابِك فلعَلَّ هذَا السَّمَنُ ورَمٌ، ولَاتَبطَرْ بنَضرَةِ شَبابِك فَبَعدَه شَيبٌ وهَرَمٌ؛ وتَنَبَّهْ قَبلَ أن يُمسَخَ نَسرُكَ عُصفُورًا، وتشَمَّرْ قَبلَ أن يَصيرَ مِسكُكَ كَافُورًا؛ وكُلْ رِزقَكَ بأسنَانِك قَبلَ أن تَضرَسَ، وأَدِرْ /B23 بِالحَقِّ لِسانَك قَبلَ أن تَخرَسَ؛ فَسَوفَ تَرَى هذَا اللِّسانَ مُنعَقِدًا، وهَذَا النَّابَ نَقدًا؛ وهذِه اللَّهواتِ قَوَاءً، وهذِه السُّنوخَ سَوَاءً؛ فَاعْمَلْ قَبلَ أن يَصيرَ العَمَلُ أُمنِيَّةً، واستَقِم قَبلَ أن يَصيرَ الظَّهرُ حَنِيَّةً، وقَعُودُ هَذِه المَنِيَّةِ مَنِيَّةً؛ وأُتجُرْ قَبلَ أن تُطرَدَ عَن سُوقِ تُسَامُ طَرَفُها فلَايَبيعُونَ، واجتَهِد قَبلَ أن يُكشَفَ عَنْ سَاقٍ ﴿ويُدْعَونَ إلَى السُّجُودِ فَلَايَستَطِيعُونَ﴾[2].

* * *

---

١. كريمات ٢ الرعد، ١٣ فاطر، ٥ الزمر.

٢. كريمة ٤٢ القلم.

المقالة الخامسة والعشرون

مَن ثبتَ في مخاوفِ الآفاتِ، وتخلَّقَ بشرائفِ الصِّفاتِ، لَم تقرَعْهُ غاشيَةُ الوَفاةِ؛ ومَن علِمَ أنَّ الدُّنيا سِجِّينٌ، وحُطامُها سِرجينٌ؛ استقبَلَ رائدَ الأجَلِ، بقَدَمِ العَجَلِ؛ فيا غافِلًا لا يغُرَّنَّك /A24/ مِن الدُّنيا طُرَفُها ومطَارِفُهَا، ولا يُعجِبنَّك تليدُها وطارِفُها؛ إنَّما هو ضَوءُ الحُباحِبِ، وضَيفُ الحَبَائِبِ، وصَوتُ الذُّبابذِبِ؛ إغسِلْ منهَا يَدَيكَ، ولا تُصَعِّرْ لهَا خَدَّيكَ؛ فَسُرُورُها بَرقٌ، وغرُورُها زَرقٌ؛ فاستَعدَّ للموتِ قَبلَ هُجومِه، وارْتَقِبْهُ فلعلَّ هذَا إبَّانُ نُجُومِه؛ واعلَمْ! أنَّ مَن أحبَّ لقاءَ اللَّهِ أحبَّ اللَّهُ لقاءَه[1]، ومَن رامَ رَوحَ الرُّوحِ جَعلَ الجِسمَ وِقاءَه؛ يتلقَّى سَاقِيَ المَوتِ ويَأخذُ الكَأسَ غيرَ حَابِسٍ، ويَشربُه غيرَ عابِسٍ؛ ويتلقَّاهُ المَلَكُ بِنُخَبِ التَّسنِيمِ، وتُحَفِ التَّسلِيمِ؛ ويَحمِلُ إليه ضبَائرَ الرَّيحَانِ، علَى ضَفَائِرِ الغِلمَانِ؛ وبَشائِرِ الأُنسِ، من حَظائِرِ القُدسِ؛ يُحَيِّيهِ خَازنُ الجَنَّةِ /B24/ بِثِمارِها، وتَنشَّقُ الحُورُ نَضحَه بِخِمَارِها؛ ويُؤنسُهُ الكَرِيمُ بلَطائِفِ العُذرِ، ويُجلِسُه علَى رَفارِفِ الخُضرِ؛ ويُنَوِّمُهُ اللَّهُ نومةَ العَروسِ، ويُروِّحُهُ بأجنِحَةِ الطَّاووسِ؛ فهُو ممَّن ﴿سَقَاهُمْ رَبُّهُم شَرَابًا طَهُورًا﴾[2]، ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[3].

* * *

المقالة السادسة والعشرون

العَرَافَةُ، عَرٌّ وآفةٌ؛ والزَّعامَةُ أوَّلُها عَرَامَةٌ، وآخِرُها غَرَامَةٌ؛ والعَريفُ عارِمٌ، والزَّعِيمُ يَومَ القِيامَةِ غَارِمٌ؛ فلَا يَفتخِرَنَّ الزَّعيمُ برِعايَةِ العَامَّةِ، فوِزرُ الدَّارِينِ فِي الزَّعامَةِ، وعِبءُ السُّقوفِ علَى الدعَامَة؛ ألَا انَّ العَريفَ طَعَمَ شَرَّ مَطْعَمٍ، والزَّعِيمُ زَعَمَ غَيرَ مَزْعَمٍ؛ فهُو تَمَامٌ، ما لَهُ ذِمَامٌ؛ يَحرِصُ علَى المُؤاخَذاتِ، ولَا يَقْضِي علَى العَذَابِ ويُعاقَبُ علَى الزَّلَّاتِ، ويؤاخَذُ بالتَّعِلَّاتِ؛ يُحاسِب الضَّعيفَ علَى العَثَرَاتِ، ويُطالِبُ الآحادَ بالعَشَراتِ؛ /A25/ يُناقِشُ علَى القِطْمِيرِ،

---

١. حديثٌ شريف؛ راجع: الكافي الشريف، ج ٣، ص ١٣٤، الحديث ١٢؛ معاني الأخبار، ص ٢٣٦.
٢. كريمة ٢١ الإنسان.
٣. كريمة ١١ الإنسان.

ويَرفَعُ علَى الأمِيرِ، والفَتيلِ والنَّقيرِ؛ نَهْمَتُه جَلْبُ النَّعيمِ، فهُو كَـلْبُ الجَـحيمِ؛ يَـموتُ عَـن أجرَأسوءٍ فأورثَهُم الدِّينارَ، و﴿يَقْدُمُ قَومَهُ يَومَ القِيَامَةِ فَأَورَدَهُمُ النَّارَ﴾[1].

* * *

المقالة السابعة والعشرون

أشرَفُ الأنفَاسِ أحرُّها، وأفضَلُ الأذكارِ أسرُّها؛ ورَاءُ الجَهرِ بالدُّعاءِ لَامٌ، والَّذِي يَـحسنُ إفشاؤُهُ سَلَامٌ؛ تَركُ الذِّكرِ يُشبِهُ الكِبرِياءَ، وإعلَانُه يُوجِب الرِّياءَ، وإخفَاؤُه سُنَّةُ زكرِيَّاءَ[2]؛ فإذَا دَعوتَ اللَّهَ فَعُمَّ، ولَاتَجهَر فإنَّك لَاتُنادِي الصُّمَّ؛ انَّه لَايَسمَعُ بالعُضرُوفِ، ولَايَحتاجُ مِنكَ إلَى الأصواتِ والحُروفِ؛ هوَ رَاحِمُ النِّمالِ العُمْشِ، ورَازِقُ النَّعامِ فِـي العُشِّ؛ يـعلَمُ خَـطرَاتِ الأوهَامِ، /B25/ كمَا يَحصُرُ قَطَراتِ الرَّهامِ؛ فيَا أيُّها المُلِحُّ فِي الدُّعاءِ، ويَا جَهوَرِيَّ الصَّوتِ بِالنِّداءِ؛ أَ تَسترزِقُ بالإلحَاحِ والإرهَاقِ؟ كَالحُمْرِ تَتَقَاضَى القَـضِيمَ بـالنُّهاقِ؟ لِـلعَجُولِ إذَا حَرِصَ جُوَّارٌ، ولِلعَجولِ إذَا نَهِمَ خُوارٌ؛ ولِلأَتَانِ علَى الأرِيِّ نَهيقٌ، وللضَّفدَعِ فِي الأدِيِّ نَقيقٌ؛ والحَرِيصُ سَريعُ السَّغَبِ، كَثيرُ الشَّغَبِ؛ والقَانِعُ لَايَستَنبِطُ المَاءَ بنَقَراتِ المِعوَلِ، والمُخلِصُ يَدعُو بِسِرِّه لَابحَرَكاتِ المِقوَلِ؛ والصَّبرُ مِن الهُلَعِ أجمَلُ، والنِّيَّةُ أبلَغُ وأعمَلُ؛ والصَّمتُ مِن الصُّراخِ أنفَعُ، والفِيلُ مِن العُصفُورِ أشبَعُ؛ والحُوتُ الصَّمُوتُ أقنَعُ، وزِعَاقُ الضَّفادِعِ أشـنَعُ؛ ولسَانُ الحَالِ أفصَحُ، وبِسَاطُ الرَّحمَةِ أبْسَطُ وأفسَحُ؛ فسَبِّحْ تَسبِيحَ الحِيتَانِ /A26/ فِي النَّهرِ، ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وخِيفَةً ودُونَ الجَهْرِ﴾[3]؛ واقْلِلْ مِن سُؤالِك فهُوَ ﴿فَعَّالٌ لِـمَا يُرِيدُ﴾[4]، واخفِضْ مِن ندَائِك فهُو أقرَبُ إلَيكَ مِن حَبلِ الوَرِيدِ[5].

* * *

---

١. كريمة ٩٨ هود.
٢. اشارةٌ إلى كريمة ٣٨ آل‌عمران.
٣. كريمة ٢٠٥ الأعراف.
٤. كريمة ١٦ البروج.
٥. تلميحٌ إلى كريمة ١٦ ق.

المقالة الثلاثون

المُؤمِنُ وثَّابٌ إلَى المسَاجِد، ثوَّابٌ إلَى المَشاهِد؛ طُوبَى لِسُبَّاقٍ يَعْرُجُونَ إلَى بِقَاعِ أمرَ اللَّهُ أن تُفْرَعَ، ويَعْرَجُونَ علَى بُيوتٍ أذِنَ اللَّهُ أن تُرفَعَ؛ هُمُ القَومُ يُصلُّونَ، ويَسجُدُونَ وهُم الأعلَونَ؛ يَسهَرُونَ إذَا نَامَ لَيلُ الهَوجَلِ، ويُغَنُّونَ بدَوِيِّ الزَّجَلِ؛ ويُنحِنُونَ كقِسِيِّ المِنْجَلِ، ويَفرَقُونَ لنَعيِ الأجَلِ؛ ويَسرَقُونَ بِرِيقِ الخَجلِ، ويَغرَقُونَ فِي طَرِيقِ الوَجَلِ؛ ولهُم أزِيزٌ كأزِيزِ المِرجَلِ. فيَا أيُّها المُصلِّي /B26/ كُنْ مِن المُصلِّينَ الُمخبِتِينَ، ولا تَكُ مِن المُضِلِّين الُمخبِثِينَ؛ وكُنْ منَ المُناجِين، تَكنْ منَ النَّاجينَ؛ ولْتَشغُلْكَ لَذَّةُ المُناجَاةِ، عَن عَرضِ الحَاجاتِ؛ فقَبِيحٌ أن تَدعُوَ ربَّك تضَرُّعًا وخِيفَةً، ليَرزُقَك جِيفَةً؛ إن مُنِحتَها فكَلبٌ يُشَدِّقُ، أو مُنِعتَها فتِيسٌ يُحَدِّقُ؛ فالْبَسْ فِي صلَاتِكَ حُلَّتَيكَ الخشيَةَ والأدَبَ، ولَا تُدافِع أخْبَثَيكَ الشَّهوةَ والغَضبَ؛ أجهَلُ المصَلِّينَ مَن زيَّنَ صلَاةَ الُمجمِعِ، والأمُّ العَبيدِ مَن حمَل فيهَا مخلَاةَ المَطمَعِ؛ وَيلٌ لَهُم إذَا هَجَدُوا وتكَبَّرُوا، وتَبًّا لهُم إذَا سجَدُوا وكبَّرُوا؛ إن حَرَّمُوا فالتَّحرِيمةُ جَرِيمَةٌ، وإن كبَّرُوا فالتَّكبِيرةُ كَبِيرَةٌ؛ وإذَا قامُوا إلَى الصَّلَاةِ قامُوا قيَامًا عَليلًا، ﴿يُرَاؤُنَ النَّاسَ /A27/ ولَا يَذكُرُونَ اللَّهَ إلَّا قَلِيلًا﴾[1].

* * *

المقالة الحادية والثلاثون

الدَّهرُ أحوَالٌ وأدوَارٌ، والأرضُ أنجَادٌ وأغوَارٌ؛ واللَّيالِي أورَاقٌ علَيهَا أثمَارٌ، والنَّاسُ أسوَاقٌ فِيهَا أسعَارٌ؛ فاحْمَلْ مِن الصَّبرِ تُرسًا، واتَّخِذْ فِي كُلِّ مَأتَمٍ عُرسًا؛ واعلَمْ! أنَّ الأيَّامَ لَا تدُورُ بإدَارَتِك، والأحكَامُ لَا تَمُورُ بإرَادَتك؛ فانْقُرْ بِمَارِها نَقرَ العَصافِيرِ، ولَا تَرقبْها رِقْبَةَ النَّواظِيرِ؛ مَا نشَأتْ نَفْسٌ إلَّا هلَكتْ، ولَا طَلعَتْ شَمسٌ إلَّا دَلكَتْ؛ فلَا تطمَعِ الدَّوامَ، وابصِرِ الأقوَامَ؛ هَل ينَالُونَ مِن الدُّنيَا دُوَلًا؟ ﴿لَا يَبغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ١٤٢ النساء.

٢. كريمة ١٠٨ الكهف.

المقالة الثانية والثلاثون

قَلبُكَ قُلَّبٌ منقَلِبٌ، ونَفسُك كَلْبٌ كَلِبٌ؛ نابُهُ سَهمٌ /B27/ واقِعٌ، ولُعَابُهُ سَمٌّ ناقِعٌ؛ يُدِيرُ لَحظَهُ المُصْفَرَّ، وإنْ خَاضَ غَديرَ العِلمِ فَرَّ؛ تَقتُلُكَ الدُّنيَا وتَعشقُهَا، ويُؤذِيكَ نَتنُهَا وتَنشقُهَا؛ تُفَرِّقُكَ وتَضُمُّها، وتَأكُلُ شَعيرَهَا وتَذُمُّها؛ تَتبَعُ الدُّنيَا وتَصُدُّ، وتُعطَى الجنَّةَ وتَردُّ؛ تَرضَى بهَذِه المَنَازِلِ، وتَصبِرُ علَى هذِه الزَّلَازِلِ، ولَا تُقادُ إلَى الجَنَّةِ بالسَّلَاسِلِ؛ مَا هَذا مِن سُنَنِ المُرسَلينَ ودَأْبِهِم، ولَا مِن شِيَمِ الخُلَّصِينَ وآدَابِهِم!؛ نَفْسُ المُؤمِنِ عَنِ المَعَازِفِ عازِفَةٌ، وقِيامَةُ المُوقِنِ آزِفَةٌ؛ يَشغَلُه تَصفِيةُ الصِّفاتِ، وتَزكِيةُ الذَّاتِ، عَن مُتابَعَةِ اللَّذَّاتِ؛ إنْ آنَسَ مِن نَفسِه طُغيَانًا كَبَحَهَا بِلجَامِها، وإنْ ذَاقَ مِن كَأْسِ النَّوَائبِ مَرارَةً ادَّخرَهَا /A28/لِجامِهَا؛ إنْ أَقبَلَتْ علَيهِ الدُّنيَا أدبَرَ، وإنْ صَدمَتْهُ نَائِبةٌ صَبرَ؛ فكَبِّرْ علَى هذِه الطَّيِّباتِ، واصْبِرْ علَى هذِهِ النَّائِباتِ؛ ووَدِّعِ الدُّنيَا وتَوَكَّلْ علَى اللَّهِ، ﴿واصْبِرْ ومَا صَبرُكَ إلَّا بِاللَّهِ﴾[1].

* * *

المقالة الثالثة والثلاثون

أَلَا أُخبِرُكَ بِالحَورِ بعدَ الكَورِ؟ موسِمُ الشُّؤمِ ودَورُ الجَورِ؟ لَايَروقَنَّكَ فُرصَةُ الظَّلَمَة، فإنَّها قَرْصَةُ الحَلَمَةِ!؛ الغَشَمُ أحرَقُ منَ النَّارِ فِي الحَلِيجِ، وأَضرُّ مِن الثَّلجِ بِالمَفَالِيجِ؛ وأَنحَسُ مِن البُومِ، وأَقبَحُ مِن اللُّومِ، وأنتَنُ مِن الثُّومِ؛ ومَا الضَّبعُ الخَامعُ، والذِّئبُ الطَّامِعُ؛ والكَلبُ الفَلحَسُ النَّابِحُ، والسِّلتُمُ الذَّابِحُ؛ والصَّدَى الصَادِحُ، والخَطبُ الفَادِحُ؛ بأَشأَمَ /B28/ مِن وَالٍ غَاشِمٍ، وإنْ كانَ مِن آلِ هاشِمٍ. أَلَا إنَّ العَدلَ نِعمَ الدَّأْبُ والخِيمُ، والظُّلمُ بِئسَ المَرتَعُ الوَخِيمُ؛ والقَاسِطونَ مِن النَّارِ فِي نَهَابِرَ، والمُقسِطُونَ مِنَ الجَنَّةِ علَى منَابِرَ؛ فحَذَارِ مِن ظَالِمٍ! إنْ غَرِثَ فَتِمساحٌ يَفغَرُ الفَمَ، وإنْ عَطِشَ فَعَلَقٌ يَشرَبُ الدَّمَ؛ وإنْ بطَشَ فَسيدٌ خاتِلٌ، وإنْ نَهَشَ فَصِلٌّ

---

١. كريمة ١٢٧ آل عمران.

قاتِلٌ؛ يَنهَبُ مَالَ الأيتَامِ، ولَا يَخشَى سُوءَ الخِتَامِ؛ والحِرصُ يُسْبِلُ علَى عُيونِ الظَّلَمَةِ بَراقِعَ، والظُّلمُ يَذَرُ الدِّيارَ بَلَاقِعَ؛ يَرضَونَ بِطِيبِ الحَياةِ ويَنسَونَ يومَ النُّشورِ، ويَفْتِكُونَ فَتكَ البُـزَاةِ ويَأمَلُونَ عُمرَ النُّسُورِ؛ والظُّلمُ لَا يَلبَثُ عَامَينِ، والعَرَضُ لَا يَـبقَى زمَـانَينِ؛ وأبَـى اللَّـهُ أنْ سَيدُومَ، مُلكُ سَدُومَ؛ /A29/ فلَا يَغُرَّنَّك منَ الظَّلَمَةِ كَثرَةُ الجُيُوشِ والأنصَارِ، ﴿إِنَّمَا نُؤَخِّرُهُمْ لِيَومٍ تَشخَصُ فِيهِ الأبصَارُ﴾[1].

* * *

المقالة الرابعة والثلاثون

يَا رضِيعَ الحُطَامِ! أَلَم يَأْنِ وَقتُ الفِطَامِ؟!؛ يَا قاسِيَ القَلبِ! ذُكِّرْ نَفسَك تَكُنْ مُـدَّكِـرًا، ويَـا عَبدَالهَوَى! دَبِّرْ أَمرَكَ تَكُنْ عَبدًا مُدَبَّرًا؛ يَا خَـلِيفَةَ اللَّـهِ! أَ تَـخدِمُ السُّـلطَانَ؟ يَـا مَسـجُودَ المَلَائكَة! لِمَ تَعبُدُ الشَّيطَانَ؟ ويَا بَعلَ الحُورِ! لَا تُضاجِع هذِهِ العَـجُوزَ الشَّـوهَاء، يَـا صَـغِيرَ الجِرمِ! حَذَارِ الحَيَّةَ القَوهَاءِ؛ خَلِّ دُنيَاكَ فَإنَّها أنتَنُ مِن جِيفَةِ المَزَابِلِ، واخْـرُجْ مِـنهَا فـإنَّها أضيَقُ مِن كَفَّةِ الحَابِلِ؛ طالِعهَا فإنَّهَا صَحِيفَةُ أنبَائِك، وخَالِعْهَا فإنَّها حَـلِيلَةُ آبَـائِك؛ اغْـتَنِم فَودَك الفاحِمَ قَبلَ أن يَبْيَضَّ، والنَّجَا فالدُّنيَا جِدَارٌ يُرِيدُ /B29/ أنْ يَنقَضَّ؛ فَهِي آنِيةٌ جَوفَاءُ، ووارِمَةٌ عَجفَاءُ؛ تُؤذِيكَ أعبَاؤُها، ولَا تدفِيكَ عبَاؤُها؛ ولَا يَرُوقَنَّكَ قَطفُهَا النَّضِيجُ، ونَـورُهَا البَهِيجُ؛ فهُوَ ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أعجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ﴾[2].

* * *

المقالة الخامسة والثلاثون

لَا تَفتَخِر علَى أَهلِ الحَسَبِ، بِشَرَفِ النَّسبِ؛ فالشَّرَفُ البَالِغُ نَباهَةُ النَّبِيهِ، والمَجبُوبُ يَفتَخِرُ بِذِكرِ أبِيهِ؛ فيَا هذَا إذَا جَرَى ذِكرُ المَاضِينَ فَامسِك، وكُنْ ابنَ يَـومِك لَا تَكُـنْ ابـنَ أَمسِك؛

---

١. كريمة ٤٢ إبراهيم.

٢. كريمة ٢٠ الحديد.

فلاينقصُ المَرءَ خُمُولُ الأَسلافِ، إنَّمَا الحِصْرِمُ جَدُّ السَّلَافِ؛ والأَنْجَادُ تِلدُ الأوغَادَ، والنَّارُ تُعقِبُ الرَّمادَ؛ والأَرضُ كمَا تُنبِتُ الحَبَّاتِ، تلِدُ الحَيَّاتَ؛ والمَرءُ بِفضِيلَتِه، لابِفَصِيلَتِه؛ والإنسَانُ بِسِيرَتِه، لابِعَشِيرَتِه؛ وذُوالهِمَّةِ العالِيَة، لَايَغتَرُّ بالرِّمَّةِ البَالِيَة؛ وأكرَمُ النَّاس /A30/ حَملًا وفِصالًا، أشرَفُهُم خِصَالًا؛ وأطيَبُهُم طِينًا، أَخلَصُهُم دِينًا؛ وهَل يَضرُّ النُّضَارَ كَونُهُ مِن صُلبِ الصُّخُورِ؟ وهَل يُصلِحُ الْتِمسَاحَ نَشوُهُ فِي حُجُورِ البُحُورِ؟ وأبُوالبَغلَةِ الهِمْلَاجِ حِمارٌ بَليدٌ، وأَصلُ السَّلسَلِ الزَّجرَاجِ صَخرٌ جَلِيدٌ؛ والنَّجِيبُ لَايَجنَى الرَّشَدَ مِن شَجَرَةِ الآبَاءِ، والمِسكُ لَايَرِثُ الطِّيبَ مِن خَاصِرةِ الظِّباءِ؛ ولَونَجَا بِعُلوِّ النَّسَبِ ذُوالرُّوحِ، لنَجَا ابنُ نُوحٍ بِنُوحٍ؛ الأراذِلُ لَايَعرِفُونَ فِي الوَسَائِلِ والمَوات، أنجَعُ مِن فضَائِلِ الأمُوَاتِ؛ يتَفَاضلُونَ فِي النَّسَبِ ويتَنَاضَلونَ، وتَراهُم فِي غَدٍ يتَصَاغَرونَ ويتَضاءَلُونَ؛ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَاأنسَابَ بَينَهُمْ يَومَئِذٍ ولَايَتَسَاءَلُونَ﴾[1].

* * *

المقالة السادسة والثلاثون

كَم مِن عَبدٍ لَايعرِفُ ربًّا سِواهُ، ولَا/B30/ يَتَّخذُ إلهًا هَواهُ؛ وَجهُهُ وَضِيءٌ وفِعلُه مَرضِيٌّ؛ قَلبُه سمَاوِيٌّ وجِسمُهُ أرضِيٌّ؛ فِي الوَجدِ سَكْرَانُ مُلَطَّخٌ، وفِي الخَوفِ عُصفُورٌ نُصِب لَه فَخٌّ؛ لَايَذوقُ فِي العِشقِ نَومَةَ نَائِمٍ، ولَايخَافُ فِي الصِّدقِ لَومَةَ لَائِمٍ؛ إنْ عاشَ فجِهادُهُ لمَن خَلقَه، وإنْ مَاتَ فوِلَاؤُه لمَن أعتَقَه؛ فهُوَ عَبدُ قِنٍّ، وسِواهُ عَبدُ جِنٍّ؛ تبًّا لهذَا إنَّه ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾[2]، وطُوبَى لذاكَ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[3].

* * *

---

١. كريمة ١٠١ المؤمنون.
٢. كريمة ١ الإنسان.
٣. كريمة ٣ الإسراء.

المقالة السابعة والثلاثون

النَّاقِصُ يتطَاولُ بالبُنيَانِ، ويتَفَاخَرُ بِنَدمَةِ السُّلطَانِ؛ ولَايدرِي أَنَّ طاعَةَ الشَّيطَانِ غَـرَامَـةٌ، ونَدِمَةَ السُّلطَانِ نَدامَةٌ؛ يقولُ أنِّي مَشهُورٌ بالجَلَد، مَذكُورٌ فِـي البَـلَدِ؛ وهُـو سَـاحِبُ إزَارٍ، وصَاحِبُ أوزَارٍ؛ ملآنٌ خَاوٍ، شَبعَانُ طاوٍ؛ أكلَ لُقمَةَ الأمِيرِ، /A31ومَاتَ مِيتَةَ الحَمِيرِ؛ خَلَّفَ تَولَبًا يَأكُلُ موَارِيثَه، ويَنشُرُ أحادِيثَه؛ تبًّا للأَصلِ والفَرعِ، والزَّارِعِ والزَّرعِ؛ ولَابُـورِك فِـي حَاصِدٍ ومَا حَصَد، ووَالِدٍ ومَا ولَد؛ وتَعْسًا لِلكَلبِ وجِروِه، والدُّبِّ وخُرُوِه؛ بِـئسَ الحَـرثُ والحَارِثُ، والمُورِّثُ والوَارِثُ؛ أورَثَه النَّسَبَ والنَّشَبَ، وحَرَمَه الأَدبَ والحَسَبَ؛ ﴿مَا أَغْنَى عَنهُ مَالُه ومَا كَسَبَ﴾[1].

* * *

المقالة الثامنة والثلاثون

مَثَلُ المقَلِّدِ بينَ يدَيِ المحقِّقِ، مَثَلُ الضَّرِيرِ بـينَ يـدَيِ البَـصِيرِ المـحَدِّقِ؛ ومـثَلُ الحَكـيمِ والحَشْوِيِّ، كالمِيتَةِ والمَشْوِيِّ؛ مَا المُقَلِّدُ إلَّا جَمَلٌ مَخشُوشٌ، لَه عَملٌ مَغشُوشٌ، قُصارَاهُ لَوحٌ مَنقُوشٌ؛ يقنَعُ بظَواهِرِ الكَلِماتِ، ولَايَعرِفُ النُّورَ مِن الظُّلمَاتِ؛ يَركُضُ خُيولَ الخَيالِ، فِـي ظِلَالِ /B31الضَّلَالِ؛ شغَلَهُ نَقلُ النَّقلِ، عَن نُخبَةِ العَقلِ؛ وأقـنَعَهُ رِوايَـةُ الرِّوايَـةِ، عَـن دُرِّ الدِّرايَةِ؛ يَروِي فِي الدِّينِ عَن شَيخٍ هِمٍّ، كمَن يَقُودُه أعمىً فِي لَيلٍ مُدلَهِمٍّ؛ ومَن طَلَبَ العِـلمَ بِالعَنْعَنَةِ، توَرَّطَ فِي هُوَّةِ العَنَتِ؛ والحَقُّ وَرَاءُ السِّمَاعِ، والعِلمُ بِمَعزِلٍ عَنِ الرَّقَاعِ؛ فمَا أسعَدَ مَن هُدِيَ إلَى العِلمِ ونزَلَ ربَاعَه، وأُرِيَ الحَقَّ حَقًّا ورُزِقَ اتِّبَاعَه؛ ومَا أشقَى جُـهَّالًا قَـلَّدُوا الآبَاءَ فهُم علَى آثَارِهِم مُقتَدُونَ، ﴿أَ ولَو كَانَ آبَاؤُهُمْ لَايَعقِلُونَ شَيْئًا ولَايَهْتَدُونَ﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ٢ المسد.

٢. كريمة ١٧٠ البقرة.

المقالة التاسعة والثلاثون

الحَقُّ يَتَّضِحُ بالأدِلَّةِ، والشُّهُورُ تَشتَهِرُ بالأهِلَّةِ، وشِفاءُ الصُّدورِ يَحصُلُ بالعِلَّةِ؛ والدّينُ لولا شَطْبُ البَيانِ أعزَلُ، والقَلَمُ لولا سِنَانُ البُرهانِ مَعزِلُ؛ لَايَفُكُّ /A32/ شبكَةَ الشَّكِّ، إلَّا ظُبَةٌ تدُورُ فِي قِرَابِ الفَكِّ؛ وطالِبُ الحَقِّ ضَيفُ اللَّهِ، والدَّليلُ القَاطِعُ سَيفُ اللَّهِ؛ بِه يُفَكُّ العِلمُ ويُنشَرُ، وبِه يُبقَرُ الحَقُّ ويُقشَرُ؛ ومَثَلُ العُلومِ والبُرهَانِ، كمَثَلِ المِصبَاحِ والأدْهَانِ؛ والحُجَّةُ لِلأحكَامِ، كالعِمَادِ لِلخِيامِ، والعِهَادِ للهِيَامِ؛ والرَّوحِ للحَوبَاءِ، والشَّمسِ للحَربَاءِ؛ وأعْصَارُ الظَّنِّ، كَدِرَةٌ كعُصارَةِ الدَّنِّ؛ إلْزِمِ اليَقِينَ، تَكُنْ مِن المُتَّقِينَ؛ فإنَّ حرَارةَ الوَهمِ تشوِي حَمَامَةَ القلبِ شَيًّا، ﴿وإنَّ الظَّنَّ لَايُغنِي مِنَ الحَقِّ شَيئًا﴾[1].

* * *

المقالة الأربعون

حَيَاءَك يَا أبيَضَ الفَوْدَينِ، وقَصْرَكَ يَا أحمَرَ الشِّدْقَينِ؛ ما عُذرُكَ بَعدَ بَياضِ العَنَانِينَ، ومَا عُمرُكَ بَعدَ تَمامِ الثَّمَانِينَ، وكَم تُقِيمُ وهوَاكَ معَ الرَّكبِ اليَمَانِينَ[2]؛ انْحَنَتْ قَامَتُك، وقَامَتْ قيَامَتُك؛ أرَاكَ علَى شُرُفِ الحِمَامِ، وأجِدُكَ علَى /B32/ طَرَفِ الثُّمَامِ؛ ولَمْ يَبقَ مِن عُمرِك إلَّا سَاعةٌ زَمِينَةٌ، ومَا بَعدَ المَشِيبِ إلَّا بلِيَّةٌ أو مَنِيَّةٌ؛ وأَسيرُ اللَّهِ فِي الأرضِ بَاقٍ كفَانٍ، وإنْ لَم يُدرَجْ فِي أكفَانٍ؛ هَا قَدْ دَقَّ المَوتُ كُوسَه، واترَعَ كُؤُوسَه؛ فَتَأهَّبْ للعَرضِ يَومَ القِيَامَة، وتوَضَّأْ للفَرضِ قَبلَ الإقَامَة؛ ذهَبَ عُمرُكَ فلَاتَطمَعْ فِي عَودِه قَد بَلَغتَ مِن الكِبَرِ عِتِيًّا[3].

---

١. كريمة ٢٨ النجم.

٢. قال جعفر بن عُلبة الحارثيّ:

هوايَ معَ الرَّكبِ اليمانِين مُصعدٌ ... حَبيبٌ وجُثماني بمكَّة موثِق

والبيت في الحماسة البصرية.

٣. مقتبسٌ من كريمة ٨ مريم.

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[١] ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا﴾[٢].

* * *

المقالة الحادية والأربعون

دَاهِيةٌ ومَا داهِيَة، ومَا أدرَاكَ مَاهِيَه؟ قَاضٍ خَبِيثُ المأكَلِ، ثَـقيلُ الهَـيكَلِ؛ يَـملأُ الحَشَـى بالرُّشَا، ويُؤذِي جَليسَهُ بالجُشَا؛ ولَإِنْ يَطَأْ عَشوَةً، خَيرٌ لَهُ مِن أنْ يأخُذَ رَشوَةً؛ قِبلَتُه عَـتَبَةُ السُّلطَانِ، وسبلَتُه مَذَبَّةُ الشَّيطَانِ؛ قَلَمُه وُقُودُ النِّيرانِ، وخدَمُه لُصُوصُ الجِيرَانِ؛ يَعرِفُ الحَقَّ ولَا يُنفِذُه، /A33/ ويرَى الغَرِيقَ ولَا يُنقِذُه؛ يَنزِعُ قَمِيصَ اليَتِيمِ فِي مأتَـمِه، ويُـنازِعُ الطِّـفلَ الصَّغيرَ فِي مَطعَمِه؛ يَغمِسُ يَدَه فِي المِيرَاثِ، ويُنفِقُه فِي المَبَالِ والمرَاثِ؛ إذَا قَسَـمَ يَـجعَلُ نَفسَهُ أكبَرَ البَنِينَ، ويُلحِقُ اليَتِيمَ بِالجَنِينِ؛ فَمَا البُغَاثُ فِـي مِـنسَرِ البُـزاةِ، ولَا الحَـربِيُّ فِـي أسْرِ الغُزَاةِ؛ والزَّمِنُ فِي حَماةِ الأضَاةِ، بأعجَزَ مِن اليَتِيمِ فِـي يَـدِ القُـضَاةِ؛ فَـالْحَذَرُ الحَـذَرُ فإنَّ قُضَاةَ السُوءِ، يَسُدُّونَ فِي الأفُقِ مشَارِقَ الضَّوءِ؛ ويُصِرُّونَ فِي الجَـدْبِ أشْـطُرَ النَّـوءِ؛ يَحسَبُهم الجَاهلُ صُلَحاءَ وهُم مُرَّاقٌ، ويَظُنُّونَهُم أُمَنَاءَ وهُم سُرَّاقٌ؛ فيُعَظِّمُونَ تِـلكَ اللِّـحيَةَ واللِّمَةَ، ويُوَقِّرُونَ مِنهُم هَاتِيكَ الحِلْيَةَ والعِمَّة؛ ويُثنُونَ علَى ذَلكَ العُـثْنُونَ، ويَـدعُونَ لذَلكَ المَلعُونَ؛ وهُم إن عَرفتَهُم حَقَّ /B33/ العِرفَانِ، سَرَاحِينُ تَعْبَثُ فِي الخِرفَانِ؛ يَكتُبُونَ الزُّورَ وبِه تَجرِي أقلَامُهُم، ويَكتُمُونَ الحَقَّ وبِهِ تأمُرُهم أحلَامُهُم، وإذَا رأيْتَهم تُعجِبُك أجسَامُهُم؛ يَلبَسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ ويَلبَسونَ عَارًا وشَنَارًا، و﴿يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾[٣].

* * *

---

١. كريمة ٤٧ إبراهيم.
٢. كريمة ٦١ مريم.
٣. كريمة ١٠ النساء.

المقالة الثانية والأربعون

أفضَلُ القُرَبِ قُربَةٌ هيَ فَريضَةٌ، وبَعدَهَا سُنَّةٌ مُستَفيضَةٌ؛ الفَريضَةُ أُرُومَةٌ، والسُّنَّةُ عَذْبَةٌ مَرُومَةٌ؛ وكمَا لَايُورِقُ الجِذْلُ بِدُونِ الفَنَنِ، لَايَحسُنُ الفَرضُ بِدونِ السُّنَن؛ والسُّنَنُ آدَابُ الرُّسلِ، وأعلَامُ السُّبُلِ؛ ولولَا الفَرضُ والمَسنُونُ، لَمَيَشْرُفِ الحَمَأُ المَسنُونُ؛ فَتَزَوَّحْ فِي آفَاقِ الوِفَاقِ مِن أعنَاقِ الْعَنَنِ، وتَزَوَّدْ لجَوعَةِ يَومِ القِيامَةِ مِن رَوَاتِبِ السُّنَن؛ /A34/ الفَرضُ كالقُوتِ والسُّنَّةُ كالحَلَاوةِ، فذَاكَ نِعْمَ الحِمْلُ وتِلكَ نِعْمَتِ العِلَاوةُ؛ ذاكَ حَتمٌ مَقضِيٌّ، وهذَا دأْبُ مَرضِيٌّ؛ ومَن لزِمَ جادَّةَ النَبوَّةِ وثَقيلَ أثرِهَا، مَلَكَ خَطائِرَ القُدسِ أو أكثَرَهَا، ووَردَ سَلسَبيلَهَا وكَوثَرَهَا؛ فَاتَّبِع الرَّسولَ تَكنْ لَهُ مُطِيعًا، واشْفَعِ الفَرْضَ بِالسُّنَّةِ يَكنْ لكَ شفِيعًا؛ واعبُدْ مَن تَخافُهُ وترجُوه، واسْجُد لِمَن عَنتْ لهُ الوُجُوهُ. ﴿ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾[1].

* * *

المقالة الثالثة والأربعون

طُوبَى لِقومٍ سلَكُوا سَباسِبَ الوَحدَةِ وجَابُوها، وسَمِعُوا دَعوَةَ الحَقِّ فأَجابُوهَا؛ وبَذَلوا ذخَائِرَ المِنَحِ ولَم يَخبُؤُوا، وركِبُوا غَوارِبَ المِحَنِ ولَم يعبَؤُوا؛ وصَابَتْ عَلَيهِم الآلَاءُ فَلَم يَطرُبُوا، وصُبَّتْ علَيهِم البَلَايَا فلَم /B34/ يضطَرِبُوا؛ نفُوسُهُم فِي صُنوفِ الصُّروفِ مُطمَئِنَّةٌ، والطُّمأنِينَةُ مِن الإيمَانِ مَتِينَةٌ؛ جَمعُوا إلَى العِلمِ زُهدًا، وزَادُوا علَى الزُّبْدِ شُهْدًا؛ أدارُوا مَنطِقَةَ الشُّكرِ عَلَى الخَوَاصِرِ، وشَدُّوا رَتِيمَةَ الذِّكرِ علَى الخَنَاصِرِ؛ طَبَعُوا طابِعَ الصُّمتِ علَى مَخزَنِ اللَّهوَاتِ، ورَشَوا سَلسَبِيلَ النُّسكِ علَى حُرَّةِ الشَّهوَاتِ؛ قرَّتْ أبصَارُهُم وبصَائِرُهُم، وطَابتْ مصَادِرُهُم ومصَائِرُهم؛ نامُوا أحيَانًا فذَابُوا حَيَاءً، وعَاشُوا أمواتًا فمَاتُوا أحيَاءً؛ تَمسَّكُوا بغَرْزِ الصَّحابَةِ ومَن رأَوه، وآمَنُوا بمَا نَقلُوه ورَوَوهُ؛ أولَئِكَ قَومٌ عَمِلُوا للَّهِ وذهَبُوا بالأجُورِ، ونشَأ بعدَهُم

---

١. كريمة ٧ الحشر.

/A35/نَشءٌ أعلَنُوا بالفُجُورِ؛ تلكَ أُمَّةٌ قَد خلَتْ؛ دعَوُا اللَّهَ بالعشَايَا والغَدَوَاتِ، وذَكَرُوا اللَّهَ فِي الخَلَواتِ؛ ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾[١].

* * *

المقالة الرابعة والأربعون

شَرُّ العُلومِ مَا طُلِبَ للمِرَاءِ، وشَرُّ العُلَمَاءِ مَن يَطرُقُ بَابَ الأمَراءِ؛ فَيُفتِيهِم بالرِّزقِ والخَيْلِ، ويُفتِنُهُم بالزَّيْغِ والمَيلِ؛ يتأوَّلُ المنصُوصَ مُتَرَخِّصًا، ويتقوَّلُ علَى اللَّهِ مُتَخَرِّصًا؛ لقَد هلَكَ السَّائِلُ والمَسؤُولُ، ولُعِنَ القَائلُ والمَقُولُ؛ طُوبَى لمَن سلَكَ لَقَمَ التَّقوَى، ولَم يحمِلْ قلَمَ الفَتوَى؛ سيَربَحُ المُتَّقُون، ويَخسَرُ المُفتُونَ؛ ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾[٢]؛ وَيلٌ للعَالِمِ يُقَلِّبُ الدِّينَ بَينَ إصبَعَينِ مِن أصَابِعِه، ويُحَرِّفُ /B35/الكَلِمَ عَن مواضِعِه[٣]؛ خَسِرَتْ صَفقَتُه! لِمَ يَبتَاعُ دُنيَاهُ بِدينِه؟ وتَبًّا يدَاهُ! لِمَ يَستَنجِي بِيَمينِه؟ يَستَحِلُّ مِن الشَّرعِ محَارِمَه، ويَحِلُّ مَنَاظِمَه، ويَطْمِسُ معَالِمَه، ويستَحقِرُ معَاظِمَه؛ يعرِضُ علَى الظَّمآنِ سَرابًا بَرَّاقًا، يَحسَبُه شَرابًا رقراقًا؛ فإذَا هوَ آلٌ، ما لَه مَآلٌ؛ يَستَغوِي الجَاهلَ بظَنٍّ مُحَالٍ، ويُسقِيهِ مِن دَنٍّ خَالٍ، ويَروِيهِ مِن شَنٍّ بَالٍ؛ عمَائِمُ عالِيَةٌ، وجمَاجِمُ خَالِيَةٌ!؛ وأحكَامٌ كلُّها ضَيْمٌ، وأقلَامٌ كأنَّهَا أيْمٌ؛ يَرَاعُهُ يَنُوبُ عَنِ الْخَرَبَةِ والقَعدَةِ، وذِرَاعُهُ تُوارِي أبَاجَعْدَةَ؛ شَيخٌ غَيرُ بالِغٍ، يحرِّكُ لِحيةَ تَيسٍ سالِغٍ؛ إنْ التأمَتْ عُصْبَةٌ فهُو قَائِدُها، أو اجتَمَعتْ صُبَّةٌ فهُو سيِّدُها؛ يُجادِلُ فِي اللَّهِ وكَانَ الإنسَانُ /A36/أكثرَ شَيءٍ جدَلًا، ويَبيعُ الدِّينَ بالدُّنيَا بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا.

* * *

---

١. كريمة ٥٩ مريم.

٢. كريمتان ٦، ٥ القلم.

٣. تلميحٌ إلى كريمتين ٤٦ النساء، ١٣ المائدة.

المقالة الخامسة والأربعون

ابنُ آدَمَ مِسكِينٌ يَعيشُ ظَلُومًا، ويَمُوتُ مَلومًا؛ إنْ تَرَكَ الكَبائِرَ صَبْرًا، قَارفَ الصَّغائِرَ جَبرًا؛ والطِّينُ لَايَصفُو بالضَّرُورةِ، والحَمأُ المَسنُونُ لَايَخلُو مِن الكُدُورَةِ؛ وهَل يَسلُمُ الإنسَانُ مِن الذُّنُوبِ؟ وهَل يَخلُصُ الصَّلصَالُ منَ العُيُوبِ؟ كلَّا ولمَّا، وأيُّ عَبدٍ لكَ لَا أَلَمًا؛ هبْكَ! تَرَكتَ المَعاصِي الفَاحِشَةَ، واتَّقَيتَ الأفَاعِي النَّاهِشَةَ؛ فَكَيفَ الإتِّقاءُ عَن الأراقِمِ الدسَّاسَة، تَخْفَى عَن العُيُونِ الحسَّاسَة، وتَغُوصُ عَن الظُّنُونِ القيَّاسَة؟ فازْهَدْ زُهدَك، واجهَدْ جُهْدَك؛ ورُضْ نَفسَك مَا أطَقتَ، واحفَظْ لسَانَكَ إنْ نَطَقتَ؛ /B36/ وافْعَل مَا شِئتَ فلَاعِصمَةَ مِن الصَّغَائِرِ، ولَاخَلاصَ مِن الشِّركِ الغَائِرِ؛ وإنَّما يحذَرُ الإنسَانُ رَفْسَ البغالِ، وعَضَّ الجِمَالِ؛ ولَايَحذَرُ دَبِيبَ النِّمَالِ؛ هذَا الفِيلُ علَى عِظَمِ خَراطِيمِه، وغِلظَةِ أديمِه؛ يَكسِرُ الفَيلقَ الجَرَّارَ، ويَقصِمُ المَلِكَ الجَبَّارَ؛ ويَسْقَى العِقَارَ لِيَسكَرَ، ويَهزِمَ العَسكَرَ؛ ويَلْقَى القِرَنَ بالنَّابِ العَضُوضِ، ويرِدُ لُجَّةَ الدَّمِ المخُوضِ؛ لَايأمَنُ حُمَّةَ البَعُوضِ؛ فارجِ اللَّهَ ولَاتأْمَن مَكرَه، فالعُصفُورُ حَذِرٌ حتَّى يدخُلَ وَكْرَه؛ وأَطِعِ اللَّهَ ولَاتَتَّكِلْ علَى طاعَتِك، فمَا حِيلَتُك إن قُطِعَ الطَّرِيقُ علَى بِضَاعَتِك؟ فَلْيَكُنْ قَلبُك رَاجِيًا خَائفًا، ويَومُك شَائبًا وضَائِقًا؛ ﴿فَلَايَأْمَنُ مَكرَ اللَّهِ إلَّا القَومُ الخَاسِرُونَ﴾[1]، و﴿لَايَيْأَسُ مِنْ رَوحِ اللَّهِ إلَّا القَومُ الْكَافِرُونَ﴾[2].

* * *

المقالة السادسة والأربعون

الصَّمتُ سُلَّمُ الخَلَاصِ، والنُّطقُ يَحبِسُ الهَزَارَ فِي الأقفَاصِ؛ فَلَاتَفتَخِر بدَقَائِق الكَلَامِ وشقَاشِقِهَا، ولاتَكتَرِثْ بفُضُولِ الألسُنِ ورَوَاشِقِهَا؛ فإنَّ لسَانَ الشَّمعِ يُضحِكُه، وعَن قَلِيلٍ

---

١. كريمة ٩٩ الأعراف.

٢. كريمة ٨٧ يوسف.

يُهلِكُه؛ ولَن تَعرفَ سرَّ الملَكُوتِ، إلَّا بإدمَانِ السُّكُوتِ؛ والحَكِيمُ المُصقِعُ أبـتَرُ، والفَـصِيحُ المُكثِرُ أَعْثَرُ؛ يتغَنَّى، ويتَعَنَّى؛ النُّطقُ دَاعِيةُ التَّلَفِ، والخَرسُ واقِيةُ الصَّدَفِ؛ واللَّقْطُ شَـينُ المحَافِلِ، والجَرَسُ آفَةُ القَوافِلِ؛ وخَيرُ القَوسِ الكَتُومُ، وخَيرُ الشَّـرابِ الَـمختُومُ؛ ورَنِـينُ القِسِيِّ يَطرُدُ الظِّباءَ، ووَسوَاسُ الحُلِيِّ يوقِظُ الرَّقْبَاءَ؛ فَـلَاتَحسُدَنَّ الفُـصَحَاءَ فَسَـيُخرِسُهُمُ المَوتُ رَاغِمِينَ، و﴿عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾[1].

* * *

المقالة السابعة والأربعون

إنَّ مِن مُوجِباتِ الرَّغائِبِ، /B37/ دَعوَةَ الغَائِبِ للغَائِبِ؛ وقَد تَسُوغُ دَعوَةُ الُمحبِّ فِي الغَيبَةِ، وقَد يُباعُ البَرُّ فِي العَيبَةِ؛ ولَيسَت كُلُّ الرُّوَيَةِ بالأحدَاقِ، ولَا كُلُّ الرِّوايَةِ بالأشدَاقِ؛ ولَاكـلُّ التَّزَاوُرِ بالأَجسَامِ؛ بل تزَاوُرُ القُلوبِ قِسمٌ مِن الأَقسَامِ؛ فَلَيسَت المُكَاعَمةُ بتلَاصُقِ الخُدُودِ، ولَاالُمجَاوَرَةُ بِتقَارُبِ الحُدُودِ؛ ولَاكُلُّ المُلَاقاةِ مُواجَهَةٌ، ولَاكلُّ المُناجَاةِ مُشافَهَةٌ؛ فقَد يَلتَقِي الإخوَانُ وبَينَهُما فَرسَخٌ، ويتَعَانَقانِ ودُونَهُما بَرزَخٌ؛ وأخـلَصُ الإخـوَانِ أخَـوَان مُـتَّقِيَانِ، يَتَعَانَقانِ ولَايَلتَقِيانِ؛ فالأرواحُ جُنودٌ مُـجنَّدَةٌ، والأشـبَاحُ خُشُبٌ مُسَـنَّدَةٌ؛ فـإذَا تـقَاربَتِ الأرواحُ، فَلتتَقاذَفُ الأشبَاحُ؛ ولَعمرِي إنَّ مُشاهَدةَ الطَّلَلِ، /A38/ مِن دوَاعِي المَلَلِ؛ ومَحَبَّة الشَّخصِ، مِن أمَاراتِ النَّقصِ؛ وأصدَقُ الأرواحِ رُوحَانِ يَزدَوجَانِ، وأخلَصُ القُلُوبِ قَلبَانِ يَمتَزجَانِ؛ وبَعضُ النَّاسِ نَدْمَانُ صِدقٍ فِي شُهُودِهم ومَغِيبِهم، وطلُوعِهِم وغُروبِهِم، أولَـئِكَ خُلَصَاءُ يتَصَاحَبُونَ غَيبَةً وحُضُورًا وقيَامًا وقُـعُودًا وعـلَى جـنُوبِهم؛ وآخـرُونَ ﴿يَـقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ٤٠ المؤمنون.

٢. كريمة ١٦٧ آل عمران.

المقالة الثامنة والأربعون

طَهِّر قَليبَ قَلبِكَ بالنَّرحِ، ولَاتملَأْ ذَنُوبَ ذَنبِكَ بالمَزحِ؛ فَالجِدُّ جَادَّةُ النَّبيَانِ، واللَّعبُ عَادَةُ الصِّبيَانِ؛ وفِي قَلبِ المُؤمِنِ مِن مَزحِ المُساخَرةِ، وَقعُ كَوُقُوعِ الصَّخرِ علَى الخَاصِرَة؛ ودِينُ الهَازِلِ هَزِيلٌ، وهُو لِلشَّيطَانِ نَزِيلٌ؛ ومَا ضَحكَ عَاقلٌ إلَّا بكَى حُزنًا، ولَاقَهقَهَ بَرقٌ إلَّا أبكَى /B38/ مُزنًا؛ والظَّرفُ عِندَ الأرذَالِ، صَفْعُ القَذَالِ؛ وحُسنُ الأخلَاقِ، رِياضَةُ الأعنَاقِ؛ وعِندِي إنَّ صَوتَ المُساخَرةِ نُباحٌ، وإنْ قِيلَ المَزَاحُ مُبَاحٌ؛ فَمَا إكثَارُ الفُحشِ والسَّفَاهَة، مِن طِيبِ الفُكاهَة؛ لعَمرِي! إنَّ الكَلبَ إذَا جدَّ فِي لِعَابِهِ، جَادَ بِلُعَابِهِ؛ أمَّا الكَرِيمُ، فكَالرِّيمِ؛ علَى الحَالَاتِ لَبِقٌ، وكَالمِسكِ علَى العِلَّاتِ عَبِقٌ؛ والضَّحْكَةُ غَرَضُ الاستِخفَافِ، وهدَفُ النِّعَالِ والخِفَافِ؛ وللصَّفْعَان، نَفعَانِ؛ سَمَنُ الهَامَة، وثَمَنُ العِمَامَة؛ أمَّا المُؤمنُ فلَايَضحَكُ مِلءَ فِيهِ، وإذَا ضَحكَ يُخفِيهِ؛ يرَى النَّزْوَ شِيمَةَ البَراغِيثِ، والبَزْوَ سُنَّةَ المَخانِيثِ؛ فيَا هذَا! فَارِقْ كُلَّ لُمَزَةٍ لَعَّانٍ، وهَاجِر كُلَّ هُمَزَةٍ طَعَّانٍ؛ يَستَمُ النَّاسَ /A39/ ويُقَهقِه، ويُمَزِّقُ الأعرَاضَ ويُزَحزِحُهُ؛ والعَقلُ يَقُولُ حَتَّامَ، تُصاحِبُ هذَا الشَّتَّامَ؟ اعرِضْ عمَّن ينقُضُ قوَاعدَ المُرُوءَةِ جُزءًا جُزءًا، وإذَا سَمعَ مِن آيَاتِ اللَّهِ ﴿شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾[1].

* * *

المقالة التاسعة والأربعون

قَلبٌ مِن الدِّينِ خَرِبٌ، وشأنٌ مُضطَرِبٌ، وشَغلٌ لَايجتَمِعُ، وأذُنٌ لاتَستمِعُ؛ ونَفسٌ لَاتُقصِرُ، وعَينٌ لَاتُبصِرُ؛ والوَيلُ لِغَرِيقٍ نَبَذَهُ المَلَّاحُ، فأَخَذَهُ الُّتمسَاحُ؛ وهَائِمٍ خَلَّفَهُ الخِرِّيتُ، واستَهوَتْهُ العفَاريتُ؛ ومُكَبَّلٍ سلَبَهُ القَامُوسُ، ومُخَبَّلٍ ضَغطَهُ الكَابُوسُ؛ فمَا أنَا إلَّا مَسبُوتٌ

---

١. كريمة ٩ الجاثية.

يَتَخبَّطهُ الشَّيطَانُ مِن المَسِّ، أو مَسكُوتٌ تُعَاوِدُهُ الحيَّاتُ فِي الرَّمسِ؛ ويُنادِي /B39/ وقَد أُطبِقَ الضَّريح، ويَستَصْرِخُ وأينَ الصَّرِيخُ؟ فَيمُوتُ مَسجُونًا، ويُحشَرُ مَجنُونًا؛ ومَا أُدانِي إلَّا كزَنجِيٍّ زنَى وسرَقَ، وعصَى وأبقَ؛ فرُدَّ إلَى سَيِّدِهِ مَكتُوفًا، ومَثَلَ بَينَ يَديهِ مَوقُوفًا؛ يَهوِي الخَلَاصَ وأنَّى لَه الخَلَاصُ؟ ويَرجُو النَّجاةَ ولَاتَ حِينَ مَناصٍ؛ لَهفِي علَى سَقِيمٍ أمراضُهُ حادَّةٌ، وعِلَلُهُ مُتضَادَّةٌ؛ وصَبٌّ والطَّبِيبُ مَحمُومٌ، وعَطشٌ والوِرْدُ يَحمُومٌ؛ أُدَامٌ والماءُ أُجاجٌ، وقُحَامٌ والحِملُ زُجاجٌ؛ ورَمَدٌ والذَّرُورُ رمَادٌ، وجَرَحٌ والمِلحُ ضُمادٌ؛ فمَا أشَدَّ أسَفِي علَى عُمرٍ مَرَّ، وعَيشٍ أمرَّ؛ وعَصرٍ اصفَرَّ، وزمَانٍ فَرَّ؛ ومَا أحزَنَنِي علَى نَفسٍ أضَعتُهُ، وشَيطَانٍ أطَعتُهُ؛ ودِينٍ بِعتُهُ، وهَوىً تَبِعتُه؛ فيَالَيتَنِي لَم أشرَبِ السَّمَّ /A40/ إذ نَبذتُ الشَّهدَ، ولَم أقرَبِ الفُسُوقَ إذ هَجَرتُ الزُّهدَ؛ وإذ لَم أتَّخِذ الرَّحمَنَ وَكيلًا، فلَيتَنِي لَم أجعَلِ الشَّيطَانَ دَلِيلًا؛ وإذ لَم أتَّخِذ معَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، فلَيتَنِي ﴿لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾[1].

* * *

المقالة الخمسون

تَأسِيسُ الأمُورِ وإحكَامُها، وتَمهِيدُ القَواعِدِ وإتمَامُها؛ وإخلَاصُ النِّيَّة وإتقَانُ العَملِ، وإعتِناقُ الجَدِّ وهِجرَانُ الكَسلِ؛ والرَّزانَةُ فِي الشَّجَاعةِ، والقَنَاعَة فِي المجاعَة؛ وتَركُ الشَّطَطِ، فِي صدمَةِ السَّخطِ؛ قِفَارٌ لَا يَسلكُ وَعْرَها، وبِحَارٌ لَا يَبلغُ قَعرَهَا؛ إلَّا عَالِمٌ عامِلٌ، أو بَالِغٌ كَامِلٌ؛ يَشُدُّ حِزامَ الصَّبرِ علَى حَيْزُومِ الحَزمِ، ويَلقَى عَبيطَ الغَبطَةِ علَى عَزومِ العَزمِ؛ فَيجُوبُ مَجاهِلَ السُّبُلِ، ويَصبِرُ ﴿كَمَا صَبَرَ /B40/ أُولُوالْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ٢٨ الفرقان.

٢. كريمة ٣٥ الأحقاف.

المقالة الحادية والخمسون

رُبَّ غافِلٍ بَيِيتُ علَى فِراشِ الأمنِ وَسْنَانَ، والمَوتُ يَحْرقُ علَيهِ الأسنَانَ؛ يَا وَيلَهُ! يَا ويلَه! يَركُضُ فِي النَّهَارِ خَيلَه، ويَطوِي علَى الغَفلَةِ لَيلَه؛ فهُو كالذُّبَابِ فِي المطَافِ والمَطارِ، جِيفَةٌ فِي اللَّيلِ بَطَّالٌ فِي النَّهارِ؛ يَلعَنُه الجَديدَانِ، ويَشتُمُه القَعِيدَانِ؛ علَى ذلَك مضَى دَهرُه، حتَّى انحَنَى ظَهرُه؛ يَعيشُ سَاخِطًا، ويَمُوتُ قَانِطًا؛ ذلِكَ دَأْبُه ودَيدَنُه، حتَّى يَفتَرقَ رُوحُه وبَدنُه؛ أَلَا إنَّ مَوتَ العَاقلِ حَياةٌ، وتَبْرُ الجَاهِلِ مَحيَاةٌ؛ يَفجَؤُهُ مِن اللَّهِ ما لَا يَودُّ، ﴿يَومَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ﴾[1]؛ أَ تَظُنُّون أنَّ الإنسَانَ شَبحٌ وشَكلٌ، وأنَّ الحَياةَ شُربٌ وأكلٌ؛ وأنَّ /A41/ العُمرَ لَيلٌ ويَومٌ، وأنَّ الدِّينَ صَلَاةٌ وصَومٌ؟ كلَّا ذلكَ شَكٌّ أَدمَنَ فِي قُلوبِ المُنافِقِينَ فأعدَاكُم، ﴿وذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾[2].

* * *

المقالة الثانية والخمسون

عَينُ اللَّئيمِ نَدِيَّةُ المَدَامِعِ، ونَفْسُهُ دَنِيَّةُ المَطامِعِ؛ يَبكَى كَاللَّهفَانِ، ويَجعَلُ مَاءَ الأجفَانِ مِن الزُّعفَانِ؛ والشَّحاذُ لَا يَبْكِي مَجَّانًا، يأخُذُ التِّبرَ ويَنشُرُ مَرجَانًا؛ إذَا أخَذَ فبُكَاءٌ وتَعزِيَةٌ، وإذَا سالَ فمُكَاءٌ وتَصدِيةٌ؛ وأخسَرُ المَساكِينَ مَن بَاعَ دِينَهُ بِأوكَسِ قِيمَتَيهِ، وألَأَمُ البَاكِينَ مَن أخَذَ دِيةَ كَرِيمَتَيهِ؛ ولَا كُلُّ باكٍ مُصَابٌ، ولَا كُلُّ مُعطٍ مُثابٌ؛ /B41/ ولَا كُلُّ فَقِيرٍ سَائِلٌ، ولَا كلُّ سَائلٍ عَائلٌ؛ لقَد يتَكَفَّفُ القَانِعُ عَن كُثرٍ، ويتَعَفَّفُ وهُو مُثرٍ؛ ولَا اطِّلَاعَ بالدَّلائِلِ والظَّنِّيَّاتِ، علَى السَّرائِرِ والنِّيَّاتِ؛ واللَّئيمُ لَا يُبالِي بسُخفِ الأمُورِ، واللَّه ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ ومَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[3].

* * *

---

١. كريمة ١٠٦ آل‌عمران.
٢. كريمة ٢٣ فصّلت.
٣. كريمة ١٩ غافر.

المقالة الثالثة والخمسون

أيُّها المَلِكُ الجبَّارُ ايهًا، ولاتَجُرَّ ذَيلَ الكِبرِ تيهًا؛ ولَاتَنظُر لمَن دُونَك شَزْرًا، فإنَّ لهـذَا المَـدِّ جَزرًا؛ ولكُلِّ نَائرةٍ خَمُودًا، ولكُلِّ عاصِفَةٍ رُكُودًا؛ ولَاتغلطَنَّكَ عصَائبُ المُلْكِ علَى جبِينِك وحَرَزَاتُهَا، وقواضِبُ القَهرِ فِي يَمينِك ووخزَاتِها؛ وأَطِعْ مَن آتاكَ المُلْكَ وخَوَّلك، وسخَّرَ لكَ حَشَمَك وخولَك؛ وقمَصكَ حُلَّةً لوشَاءَ خَـلعَهَا، وغـرَسَ لكَ دوحَـةً لوأرَادَ /A42/ قـلَعهَا؛ فلَايَزِدَهِيَنَّكَ دَهرٌ كَلَّلَكَ، ونابُ خَصمٍ كلَّ لكَ؛ ولَاتفتَخِر بأصلِكَ ونَجلِك، ولَاتجمَحْ بِخَيلِك ورِجلِك؛ ولَاتغُرَّنَّك هذِه البُنودُ المنشُورَة، والجُـنودُ الَـمحشُورَة؛ والسُّـيُوفُ المَشـهُورة، والأعدَاءُ المَقهُورَة؛ والكَـتائِبُ الُـمجنَّدَة، والقَـواضِبُ المُـهَنَّدَة؛ والسَّـابِقَاتُ الُـمحَجَّلَة، والطَّيِّبَاتُ المُعجَّلَة؛ إنَّها حُطَامٌ مُستَفادٌ، أوَّلُهَا وَبالٌ وآخرُهَا نفَادٌ؛ واتَّقِ اللَّهَ فِي قَومٍ أنتَ مَالكُ زمَامِهم، ﴿يَومَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[1].

* * *

المقالة الرابعة والخمسون

مَرضُ القَلبِ أشَدُّ الأمرَاضِ، وعِلَاجُه مِن أصحِّ الأغرَاضِ؛ فيَا مَـن مَـرِضَ فُـؤادُه، ومَـلَّهُ عوَّادُه؛ تُراجِع الطَّبيبَ فِي الحُمَّى، وأَينَ الطَّبِيبُ مِن الأجَـلِ المُسـمَّى؟ /B42/ أيُّ حَكـيمٍ لم تَصْرَعْهُ المَنُونُ، ثمَّ لَم يَنفَعهُ القَانُونُ؛ وأيُّ طَبيبٍ لَم يَقِذْهُ الغِبُّ، ثمَّ لَم يُنقِذْهُ الطِّبُّ؟ تَجمعُ العُوَّادَ حَولكَ، وتعرضُ علَى الطَّبيبِ بَولَك؛ وترَفَعُ إليهِ شأنَك، وتدلَعُ لسَانَك؛ تنهِي بِسرِّك إلَى الطَّبِيبِ، وتَشكُو إلَى العَدوِّ مِن الحَبيبِ؛ واللَّهِ لَايُنعِشُكَ إلَّا مَن صَرعَك، كما لَايَحصُدُكَ إلَّا مَن زَرَعَك؛ إنْ كُنتَ شَكَوتَ لَه عِلَّةً لَم يَشْفِها، أو كُربَةً لم يَقدِر علَى كَشفِها؛ فَاطلُبْ طَبِيبًا غَيرَه، وإلَّا فَذَرِ النَّصرانِيَّ ودَيرَه؛ ولَايركنَنَّ المُؤمنُ إلَى قَولِ النَّـصارَى واليَـهودِ، ولَايـثِقَنَّ

---

١. كريمة ٧١ الإسراء.

الخَشْفُ بسنةِ الفُهُودِ؛ فاجعَلِ المَقدُورَ كائِنًا، ولاتُحَكِّمْ فيكَ خائِنًا؛ واستَشْفِ بالقُرآنِ فـإنَّه بَحرٌ إلَى الأبَد، /A43/ وقَولُ الطَّبيبِ يَطيشُ كالزَّبَدِ؛ ومِن الزَّبدِ مَا هوَ جُـفاءٌ، ﴿ونُـنَزِّلُ مِـنَ القُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾[1].

* * *

المقالة الخامسة والخمسون

أيُّها الرَّاكِبُ صَهْوَةَ الرِّياضَة، ارْفُقْ بنَفسِك فِي هَذِه المَخاضَة؛ ولَاتُسرِع إسرَاعَ الحَمقَى، فإنَّ المُنبَتَّ لَا أرضًا قطعَ ولَا ظَهرًا أبقَى[2]؛ فَامشِ علَى هَينِكَ ولَاتَخُبَّ خَبًّا، ومُصَّ الماءَ ولَاتَعُبَّهُ عَبًّا؛ فلَاخَيرَ فِي تَبريحٍ، والجَمَلِ الطَّلِيحِ؛ ولَابَرَّ فِي إيجَافٍ، الخَيلِ العِجافِ؛ ولَاسَبقَ فِـي فَيافِي القَدَرِ، ولَارَمَلَ فِي طَوافِ الصَّدرِ؛ وإذَا كدَّتْكَ العِبادَةُ فَذَرْهَا، وإذَا أدَّتْكَ إلَى المَـلَالَةِ فاحذَرهَا؛ فلَامَثوبَةَ فِي صلَاةِ اللَّاغِبِ، ولَاراحَةَ فِي صِيامِ السَّاغِبِ؛ واعلَمْ! أنَّ النَّومَ خَيرٌ للهَاجِدِ الجَاهِدِ إذَا ملَّ، وخَيرُ الأمُورِ أدوَمُها /B43/ ولَو قلَّ؛ لا اضطِجَاعَ يُورِثُ الكَسَلَ، ولَا اجتِهادَ يُعْقِبُ المَلَلَ؛ فَاعدِلْ عَن الإفرَاطِ والتَّفرِيطِ، إلَى النَّـهجِ الوَسـيطِ؛ وصـلِّ بـالقَلبِ النَّشِيطِ، والجَأشِ الرَّبِيطِ؛ فإذَا تَعِبتَ فَاقعُد، وإذَا لَغِبتَ فَـارْفُد؛ فـمَا خُـلِقَ الحُـرُّ أجِـيرًا ولَاعَسِيفًا؛ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ وخُلِقَ الإنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[3].

* * *

المقالة السادسة والخمسون

خلقَ اللَّهُ الآفةَ وجَعلَ النُّطقَ مَثارَها، وقَدَّر السَّلامةَ وجعَل الصَّمتَ مَدارَها؛ وفُرسَانُ الكَلَامِ يَومَ القِيامةِ مُشاةٌ، والمُتَجَمِّلونَ بِزخَارفِ العِبارَاتِ عُراةٌ؛ والحُكَماءُ بُكمٌ، والصَّمتُ حُكـمٌ؛

---

١. كريمة ٨٢ الإسراء.

٢. راجع: الكافي الشريف، ج ٢، ص ٨٧، الحديث ٦؛ شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة، ج ٢٠، ص ٩٤.

٣. كريمة ٢٨ النساء.

مَن عَرفَ اللَّهَ جلَّ جلالُه، قلَّ مقالُه؛ وفَرَّقَ مَا بَينَ النُّطقِ والسُّكوتِ، كمَا بَينَ الضَّفدعِ والحُوتِ؛ وعِندِي انَّ مَنقصَةَ الخَرسِ، /A44/ خَيرٌ مِن صلصلةِ الجَرسِ؛ وسيأتِي يَومَ يَندَمُ فِيهِ الفَصِيحُ، والطَّيرُ الَّذِي يَصِيحُ؛ فمَا اللِّسانُ إلَّا سَبُعٌ صَؤُولٌ فَقَيِّدْهُ، وسَيفٌ مَصقُولٌ فَأغْمِدْهُ؛ وهَبْكَ تَنطقُ عَن شِدْقٍ، شَقَّ؛ أو ترمِي عَن قَوسٍ، قَسَّ؛ فهَل ينفَعُكَ هذَا القَوسُ عندَ النَّزعِ، أو يُغنِي هذَا النِّضالُ يَومَ الرَّوعِ؟ فَاللَّهِ لَوكَانَ سَحبَانُ عَاقلًا، لَتمنَّى أن يَكونَ بَاقِلًا!؛ فقُلْ لمَن يُحاوِلُ تَشقِيقَ الكَلامِ، ويُخَمِّرُ مِن حَصائدِ الألسِنَةِ دَقيقَ الكَلامِ؛ سَتَخمُدُ جَمْرَتُك يَومَ يُحشَر الأمواتُ مِن الأكفَانِ فَلَايرونَ فيهَا شَمسًا، وتَسكُنُ زَفْرَتُك حِينَ ﴿خَشَعَتِ الأصوَاتُ لِلرَّحمَنِ فَلَاتَسْمَعُ إلَّا هَمْسًا﴾[1].

* * *

المقالة السابعة والخمسون

العِلمُ سَرحَةٌ مُتَشَعِّبَةُ الأفنَانِ، والطَّالِبُ أشدَقُ أروَقُ الأسنَانِ /B44/؛ يكَادُ يَقطِفُ أُكُلَها جَميعًا، فيَأكُلُها سَرِيعًا؛ وهَيهَاتِ ثُمَّ هَيهاتِ، تِلكَ ثَمرَةٌ لاتَسعُها اللُّهَاةُ؛ فَتتبَّعْ مَخَارِفَها، وتَصَفَّحْ مَقَاطِعَها؛ وكُنْ قَانِعًا، بمَا تجنِيهِ يانِعًا؛ فهُو أطوَعُ قَضمًا، وأسرَعُ هَضمًا؛ واعلَمْ! أنَّ الجهلَ مَجْدَبَةٌ، والعِلمَ مأدَبَةٌ؛ وفيهَا ما شِئتَ مِن زادٍ ونُزُلٍ، وشَرابٍ ونُقلٍ؛ ومَا اشتَهَيتَ مِن طَعمٍ هَنِيٍّ، وقَطفٍ جنِيٍّ، ونَضِيجٍ وَنِيٍّ؛ فكُلٌّ مِنهَا قَدرَ مَا يَسعُ وعَاءَك، ولَاتملأ أمعَاءَك؛ فكِظَّةُ الحِفظِ لَايُوجِبُها إلَّا الكَسَلُ، ولَايَهضِمُها إلَّا العَملُ؛ فَالعِلمُ فِي صُدُورِ العَامِلِينَ كالأرواحِ فِي الأشخَاصِ، وفِي نُفوسِ الغَافِلِينَ كالأريَاحِ فِي الأقفَاصِ؛ فاعْلَمْ ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾[2]، واعمَلْ ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ العَامِلِينَ﴾[3].

* * *

---

١. كريمة ١٠٨ طه.
٢. كريمة ١٩٩ الأعراف.
٣. كريمة ٧٤ الزُّمر.

المقالة الثامنة والخمسون

﴿يُعْرَفُ /A45/ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾[١]. والْمخلَصُونَ قَليلٌ مَا هُم؛ الْمجرِمُ هَشٌّ إِلَى الآثامِ، متقَاحِمٌ فِي الحَرامِ؛ يلتَذُّ بحِكايَةِ الشَّهوَة، ويَطْرَبُ علَى نَشِيشِ القَهوَة؛ يَغُرُّه الخَيَالُ ويُسَلِّيه، ويَعِدُه الشَّيطَانُ ويُمَنِّيه؛ يقُولُ مَا رأَيْتُ فِي الشَّرابِ والسَّاقِي، والرِّياضِ والسَّواقِي؟ والسُّلافَةِ وأَبَارِيقِها، والمُشَعْشَعَةِ وبَرِيقِها؟ والأغانِي وطَرِيقِها، وجُملِ اللذَّاتِ وتفَارِيقِها؟ وما قَولُك فِي المثَالثِ والمَثَانِي؟ علَى نفَحَاتِ الفَلَقِ الثَّانِي؟ وأَينَ أنتَ مِن بَدنٍ نَاعِمٍ، كخَشْفٍ بَاغِمٍ؟ يُوحِي بطَرفٍ ثَمِلٍ، ويَبْتَسِمُ عَن ثَغْرٍ رَتِلٍ؛ يَكْشفُ عَن زَرَدٍ، ويَكشِرُ عَن بَرَدٍ؛ كأَنَّه رُوحٌ يَعلُوه جُثمَانُه، أو غُصنٌ يَتلُوه كُثبَانُه؛ فَيسُوقُك فِي تِيهِ الأَمَانِي، ويُسقِيكَ مِن هذِه الأَوَانِي؛ فيَنفُثُ فِي رَوعِك /B45/ وتَقبَلُ، ويَنفُخُ فِي ضلُوعِك فَتَحْبَلُ؛ فتَظِلُّ بَينَ سُرورٍ وغُرورٍ، إِن أسعَفَكَ فارتِياحٌ وسُرُورٌ، وإِنْ أخلَفَكَ فَانتِظَارٌ وغَرورٌ؛ والفَاسقُ إِن انْتهَزَ فُرصةَ الحَرَامِ، وَثبَ إِلَيهَا وَثبَةَ الصَّائِدِ إِلَى وُرْقِ الحَمَامِ، ويَركَعُ منهَا كَرعَ الصَّادِي فِي زُرقِ الجِمامِ؛ فإِنْ حَرَّضتَهُ علَى شَرٍّ فهُو أسرَى مِن العُودِ، وإِن استَنهَضتَه لخَيرٍ فهُو أَرسَى مِن الطَّودِ؛ فهُو فِي الفَسادِ أطيَشُ مِن النِّبالِ، وفِي الصَّلاحِ أنكَسُ مِن تِلمِيذِ الحَبَّالِ؛ إِنْ ذُكِّرَ بالآخرةِ قَبَعَ قُبُوعَ الوَسْنانِ فِي جيبِ الكَسِلِ، وإِن ظَفَرَ بِالحُلْوةِ الخَضْرةِ وقَعَ وَقعَ الذُّبَابِ فِي ظَرفِ العَسَلِ؛ وهذِه علَاماتُ المُنافقينَ لَهُم فِي المَعاصِي وثَبَاتٌ، وفِي الطَّاعَاتِ سُكُونٌ وثُبَاتٌ؛ وفِي الطَّمعِ حرَكاتٌ قَمريَّة، وفِي الخَيرِ سَكنَاتٌ زُحَلِيَّة؛ إِنْ قُلتَ حَيَّ علَى الشَّهواتِ طَارُوا إِليهَا خِفَافًا وثِقَالًا، /A46/ وإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى؛ إِن سَالَمتَهُم فِي بَيعَةِ فَسادٍ وادَعُوك، وإِن دَعَوتَهم لهيعَةِ جَهادٍ ودَّعُوك؛ ﴿وَلَوكَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ﴾[٢].

* * *

---

١. كريمة ٤١ الرحمن.

٢. كريمة ٤٢ التوبة.

المقالة السابعة والخمسون

مِن شدائدِ الدُّنيا غنيٌّ عابِسٌ، يَلقَاهُ فَقيرٌ بَائِسٌ؛ يَطرقُهُ حافِيًا، ويسألُهُ مُحفِيًا؛ فَيُقعقِعُ حَلقَةَ بابِهِ، ويُدلِي بِجِرَابِهِ إلَى مِحرابِهِ؛ يَستَمِيحُ شَحيحًا لَا يفتحُ البَابَ لضيفَانِهِ، ولَا يكسرُ حواشِي رُغفَانِهِ؛ فيَرجِعُ خَاسِرًا، ويَنقَلِبُ باسِرًا؛ حتَّى إذَا فَجَأَهُ فِي طريقٍ، ولَقِيهُ فِي مَضِيقٍ؛ فيَأخُذ بِعِنانِهِ، طَمعًا فِي إحسَانِهِ؛ والبَخِيلُ يَحمرُّ ويصفَرُّ، ويفرُّ وأيـنَ المَفَرُّ؟!؛ هناكَ يَضطَرِمُ الأَشدَّانِ، ويزدَحِمُ الضِدَّانِ، ويتقَابَلُ النَّحسَانِ؛ ويتَزَاورُ الثِّقلَانِ، ويتَعَانَقُ الجَبلَانِ؛ فهُما كصَخرٍ قرَعَه /B46/ الحَدِيدُ، وقَيْحٍ كدَرَه الصَّدِيدُ؛ ونَفَسٍ يَعلُوهُ زَاجٌ، وحَمِيمٍ يَشُوبُهُ أُجاجٌ؛ ودُخانٍ يَتلُوهُ عُجاجٌ؛ هذَا يَعرِضُ حاجَةً مَردُودَةً، ويَدًا مَمدُودَةً؛ فيَقُول هَاتِ، وهُو يَقولُ هَيهَاتِ؛ لذَلكَ قَلبٌ لَا يَنعَطِفُ، ولهذَا اسمٌ لَا ينصَرِفُ؛ ذاكَ ضَنِينٌ صَلْدٌ، وهذَا شَحَّاذٌ جَلْدٌ؛ لَا يُؤلِمُه مَنعٌ ورَدٌّ؛ ولَا يُوجِعُهُ ضَربٌ وطَرْدٌ؛ مُملِقٌ مَلِقٌ، ونِكْسٌ عَلِقٌ؛ يَرجُو نَذْلًا، لَا يَعرِفُ بَذلًا، ولَا يخَافُ عَذْلًا؛ يسألُ مُوسِرًا ضَيِّقَ القِشْرِ، عَابِسَ الْبِشْرِ؛ شَرِسًا ذمِيمَ الخِلَالِ، حَامِضًا عتيقَ الخلَالِ؛ إنْ أعطَى نِصفَ رَغيفٍ، صبَّ عليهِ رَطْلَ خَلٍّ ثَقِيفٍ؛ فَيَا لَيتَهُ إذَا كانَ يَابِسَ اليَمينِ، لَم يكُن عَابِسَ الجَبينِ؛ ولَيتَه إذ لَم يَكنْ حاتِمًا، لَم يكُن شَاتِمًا؛ فـإنَّ حُسـنَ /A47/ اللِّقَاءِ، نِصفُ السَّخاءِ؛ ولِينَ الكلَامِ، دِينُ الكِرَامِ؛ وحَلَاوةَ اللِّسانِ، بعضُ الإحسَانِ؛ والجُودُ شُعَبٌ أعلاهَا نَوَالٌ مألُوفٌ ومَعذِرَةٌ، وأدناهَا ﴿قَولٌ مَعْرُوفٌ ومَغْفِرَةٌ﴾[1].

* * *

المقالة السِّتُّون

اعمُرْ دُنيَاك، بقَدرِ مَحيَاك؛ ودَبِّرْ أمرَ عُقبَاك، الَّتِي هِي مَأوَاك، بـقَدرِ مَـثوَاك؛ مَـا الدُّنـيَا إلَّا دارُغرورٍ، وجِسرُ مُرورٍ؛ فَاتَّئِدْ فِي مَشيِكَ فقَراحُها نَهبُورٌ، وبرَاحُها عَاثُورٌ؛ الـمخدُوعُ مَـن

---

١. كريمة ٢٦٣ البقرة.

وضَع لِبنَةً علَى لِبنَة ، والمَخذُولُ مَن ادَّخرَ تبْنَةً لاِبنَة ؛ إنَّ مِن الخَرَقِ أن تَروم الجِيفَةَ مِن منَاسِرِ النُّسُورِ ، وترُمَّ السَقيفَةَ علَى معَابِرِ الجُسُورِ ؛ ووبَالُ المَرءِ مَالٌ أعدَّه ، أو دِرهمٌ /B47/ عَـدَّه ؛ وشَقاءُ الغَافلِ بَيتٌ يَبنِيهِ ، ويَعمُرُه لِبَنِيهِ ؛ ومَا أسخَفَ مَن خَيَّم علَى الجِسرِ ولاَيَجوزُ ، ومَا درَى أنَّ القُعُودَ علَى طَرِيقِ المارَّةِ لاَيجُوزُ ؛ وَيحَك ! تَبنِي الطِّربَالَ فِي بوَادِي الرَّملِ ، وتَدَّخِرُ الزِّبالَ بوَادِي النَّملِ ؟ ! ؛ فَأَحمِل مِن الدُّنيَا زادَ الضَّرورَة ، وأَحرِمْ إلَى الآخرَةِ إحرَامَ الصَّرورَة ؛ وكُلْ قَدرَ مَا يَسدُّ رمَقَك ، وآثِر سُؤرَك علَى مَن رَمَقَك ؛ وانتَفِعْ بالدُّنيَا انـتِفاعَ المُـصطَلِي واحـذَر الجمرَةَ لاَيُحرِقك فَيحُها ، وتمَتَّعْ بهَا تَمتُّعَ المُعتَرِفِ واجتَنِب الغَمرةَ لاَيُغرِقْك سَيْحُها ؛ واعلَمْ ! أنَّ الدُّنيَا بِئرُ هَارُوتَ ، أونَهرُ طالُوتَ ؛ وأنَّ اللَّهَ مُبتَلِيكُم بِه فمَن تبَرَّضَ ولَم يُصبْ ريًّا ، شرِبَ مَريًّا ، وعَبَرَ جَريًّا ؛ ومَن ارتَوَى ، /A48/ أشرَفَ علَى التَّوا ؛ إلَّا مَن نضَح نُفاضَةً علَى كَبِدِه ، أو ﴿اغتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾[1] .

* * *

المقالة الحادية والستُّون

الخَلقُ فُنونٌ وأصنَافٌ ، وأولَادُ آدمَ أخيَافٌ ؛ النَّزقُ والوَقُورُ نَجلَانِ ، وليسَ الوَقُورُ كالعَجْلَانِ ؛ مَن عجَّلَ أخطأَ المُرادَ ، ومَن تأنَّى أصابَ أو كادَ[2] ؛ والأرِيبُ يَنالُ بِالتَّأنِّي ، مالاَيَسعُه طَوقُ التَّمنِّي ، ولَا يكَادُ يَنالُه الكَادِحُ المتَعنِّي ؛ والعَجُولُ أخفُّ مِن البَرغُوثِ ، وأطيَشُ مِن الفَراشِ المَبثُوثِ ؛ والإنسَانُ والبَهيمَةُ صِنفَانِ ، والعَجِلُ والعِجْلُ صِنوانِ ؛ وقلَّمَا تجِدُ فِي الرَّزينِ ، خِفَّةَ المَوازِينِ ؛ انَّه وازِنُ الحَصَاةِ ، طيِّبُ الحيَاةِ ؛ وَقُورُ الآنَاةِ ، قَليلُ الهَناةِ ؛ والنَّزِقُ كالشِّيحِ ، تَعبَثُ بِه يدُ الرِّيحِ ، فِي المهَامَهِ /B48/ الفِيحِ ؛ إنَّما الوَقـورُ كَـاللُّؤلُؤِ الخـافِي ، والعَـجُولُ كـالسَّمكِ الطَّافِي ؛ إنْ حرَّكْتَهُ تطَايرَ كالشَّذَا ، وإنْ أزعَجْتَهُ طارَ كالقَذَى ؛ وكـلُّ عِـجْلٍ نـاقِصٌ ، وكـلُّ

---

١. كريمة ٢٤٩ البقرة.

٢. وانظر : غرر الحِكَم ، ص ٤٧٧ الرقم ١٠٩٦٢ ؛ شرح ابن ابي الحديد على نهج البلاغة ، ج ٢٠ ، ص ٢٩٣ تجد ما يُشبه العبارة.

برغُوثٍ راقِصٍ؛ والخَلقُ غَدًا فريقَان، والجَنَّةُ والنَّارُ طريقانِ؛ فأمَّا مَن خفَّتْ موازِينُه فيَقُولُ يا لَيتَها كانَتِ القَاضِية، ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُو فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾[1].

* * *

المقالة الثانية والستُّون

حُرمةُ مالِ المُسلِم كحُرمَةِ دمِه، وعِصمَةُ رياشِهِ كعِصمَة أدَمِه؛ والمَالُ واقيَةُ الجَسدِ، كالغُفْرَةِ زِينَةُ الأسدِ؛ والمَرءُ بثَروَتِهِ، والثَّمِرُ بِفَروَتِه؛ والعَرَضُ مِلوَاحُ المصَالِح، ونِعمَ المَالُ الصَّالِح، للرَّجُل الصَّالِح؛ فإنَّه زادُ الآخرَة، وبَذرُ السَّاهِرة؛ فلَاتأْكُلْ مالَ أخِيكَ بالبَاطِلِ، ولَاتُحَمِّلْ /A49/ حَقِيبةَ الوِزرِ تَحتَ الأيَاطِلِ؛ ولَاتطْلُبْ رياشَ الغَيرِ، ولَاتَنتِفْ رِيشَ الطَّيرِ؛ وأَدِّ الفُروضَ عِندَ الإستِطاعَة، واقْضِ الفُروضَ قَبلَ قِيامِ السَّاعَة؛ فمَا لكَ فِي المَوقِفِ قِنطَارٌ، ولَايَنفعُك فِي المَحشرِ قِسطَارٌ؛ ومَا ثَمَّ جَفْرٌ وعَنْزٌ، ولَاوَفْرٌ وكَنْزٌ؛ ولَاخَيلَ وشَاةَ، إنَّما النَّاسُ مُشاةٌ؛ فإنْ عَرَفتَ لكَ خَصمًا فَارْضِه، واشتَغِلِ الآنَ بأدَاءِ قَرضِه؛ فَشَقاوَةُ المَرءِ أن يَملَأ كِيسَه بكِيسِه، ويَجمَعَ المَالَ مِن حَسِّه وبَسِّه؛ ويَرتَكبَ العَظَائِمَ، ويَحتقِبَ المظَالِمَ؛ لَايُهِمُّه إلَّا ضَبطُ الدِّينارِ والدِّرهَم، ورَبطُ الأشهَبِ والأدهَم؛ فيَلقَى اللَّهَ وجَمِيعُ أعبَائِه، علَى عِلْبَائِه؛ فيُؤْتَى بِه كآبِقٍ يقِفُ مَكتُوفًا، أو طائِرٍ يقَعُ منتُوفًا؛ يَحمِلُ علَى عُنقِه جَمَلًا لَه رُغَاءٌ، أوحَمَلًا لَه ثُغَاءٌ؛ ويكشَفُ كاهِلًا، /B49/ ويرفَعُ فَرَسًا صاهِلاً؛ فتِلكَ الدَّنانِيرُ زَنَانِيرُ عَلَى خَاصِرَتِه، وتِلكَ الأموَالُ أصلَالٌ وأغلَالٌ علَى قَصَرَتِه؛ فيَا رَهِينَ الذِّمَّة! اشتَغِلْ بفَكَاكِها، ويَا مُهِينَ الهِمَّة! أدرِكْ نفسَكَ قَبلَ هَلَاكِها؛ واحْفَظْ سِترَكَ لِقَاعٍ لَاكِنٌّ فيهِ ولَاظِلَالٌ، وخُذْ حِذرَكَ لِيومٍ ﴿لَابَيْعٌ فِيهِ ولَاخِلَالٌ﴾[2].

* * *

---

١. كريمتان ٧، ٦ القارعة.

٢. كريمة ٣١ إبراهيم.

المقالة الثالثة والسّتُّون

القَطِيعةُ شِيمَةُ الشَّرسِ الغَمْرِ، وصِلةُ الرَّحمِ تَزيدُ فِي العُمرِ؛ وأصدَقُ الصَّداقَةِ طَلَاقةُ البِشرِ الرَّاشحِ، وأفضَلُ الصَّدقَةِ علَى ذِي‌الرَّحِمِ الكَاشحِ؛ وخَدْشُ القَطِيعَةِ فَوقَ الأَرشِ، والرَّحِمُ مُعلَّقَةٌ بالعَرشِ؛ فَمَن طلَبَ الخُلدَ وشَمِيمَه، وخَافَ السَّعِيرَ وحَمِيمَه، فلْيُواصِلْ حَمِيمَه؛ إنَّ حَمِيمَ المَرءِ فِقارُ ظَهرِه، /A50/ وفَقِيرُ نَهرِه؛ وتَوأَمُ جَوزَائِه، وجُزءٌ مِن أجزَائِه؛ وخَوطٌ مِن دَوحَتِه، وبَخُورٌ مِن فَوحَتِه؛ وضِلعٌ مِن أضَالِعِه، وإصبَعٌ مِن أصَابِعِه؛ وجَارحَةٌ مِن جَوارِحِه، وجَانِحةٌ مِن جَوانِحِه؛ وزَندٌ مِن ذِراعِه، فَلْيُراعِه؛ وبَضْعَةٌ مِن لَحمِه، فَلْيَحْمِه؛ ومِن لُؤمِ الطَّبِيعَةِ، اختِيارُ القَطِيعَة؛ وأعظَمُ الجَرِيرَة، سوءُ العِشرَةِ مَع العَشِيرَة؛ وإحرَازُ الفَضِيلَة، فِي إعزَازِ الفَضِيلَة؛ شَرفُ الأنسَابِ بالغَرَارَة، وأسَاسُ البُيوتِ علَى العَمَارَة؛ والإنسَانُ كَبِيرٌ بعَشائِرِه، والحَرمُ شَرِيفٌ بمَشَاعِرِه؛ وظَهرُه ببَطنِه يَقوَى، وعَقِبُه بفَخِذِه يَبقَى، وذِكرُهُ بِحُنُوِّه يَحيَى؛ فَاعطِفْ لأخِيكَ المُسلِمِ وإنْ كانَ غَرِيبًا، وصِلْ مَن نَاسبَك وإنْ لَمْ يَكُن قَرِيبًا؛ واعلَمْ! أنَّ قَرِيبَكَ كُلُّ /B50/ مَن يلتَقِي معَكَ فِي سَامٍ وحَامٍ، ﴿واتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَائَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ﴾[1].

* * *

المقالة الرابعة والسّتُّون

الجَائِرُ الطَّامِعُ يَحتَبِسُ حَقَّ أخِيهِ، ويَهتِكُ عَلَيهِ سِترًا يُرخِيهِ؛ يأخُذُ الدِّينَ بالوَسْقِ ويَقضِيهِ بالرَّطلِ، ويُسَوِّمُ الغَرِيمَ بالتَّسوِيفِ والمَطْلِ؛ يُواجِهُ القَاضِيَ بالحجُودِ، ويتقَلَّدُ عُهدةَ العُهُودِ؛ حتَّى تَقُومَ عَلَيهِ شهَادَاتُ الشُّهودِ، فَيؤَدِّيهِ ناغِرًا كاليَهُودِ؛ فَهُو كَالكَلبِ يَعَضُّ علَى اللَّحمِ الغَدِيدِ، بالنَّابِ الحَدِيدِ؛ فيَرمِيهِ صَاحبُه بالحصَا، ويَضرِبُه بالعَصَا؛ لَا يَفتُرُ عَن طَلَبِه حتَّى يَستَخلِصَه مِن نابِه ومِخْلَبِه، فيقذِفهُ مَبلُولًا بِلُعابِه، مَثلُوبًا بنَابِه؛ ومَن يَرغَبُ فِيهِ، وقَد خَرجَ مِن فِيهِ؟ فَكَم بَينَ مَن يَقضِي الحُقُوقَ طَوعًا، وبَينَ مَن يَقضِيهَا رَوعًا؛ /A51/ والنَّاسُ أنوَاعٌ،

---

١. كريمة ١ النساء.

مِنهُم عَنودٌ ومِنهُم مِطواعٌ؛ ومِنهُم مَن يخيفُ ولَا يَخافُ لَائِمًا، ﴿ومِنْهُم مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾[1].

* * *

المقالة الخامسة والسِّتُّون

ابْيَضَّ فَودُكَ وفُؤادُكَ فَاحِمٌ، وباخَت نارُكَ وحِرصُك جَاحِمٌ؛ نَجَزَ دَهرُك وهوَاكَ فتيٌّ، ونضَبَ نهرُك وسَيلُ مُناكَ أتِيٌّ؛ كَيفَ النَّجاةُ وقَد نَشِبتَ؟ وأنَّى البَقاءُ وقَد شِبْتَ؟ أمَا عَلِمتَ أنَّك لِلمَوتِ تَنكَّستَ؟ وللنَّزعِ تقَوَّستَ؟ قَد هَاجَ بَقلَك، وماجَ عَقلُك؛ وتغَيَّرتْ نَضرتُك، وتصَوَّحتْ زَهرَتُك؛ ورُفِعَ عنكَ قَلمُ التَّكلِيفِ، ونُوِّنَ منكَ ألفُ التأليفِ؛ نَاهَزتَ حَدَّ الثَّمانِينَ، ومَا تركتَ مُجونَ المَجانِينَ؛ أمَا /B51/ يَروعُك فَرعٌ وَخَطَهُ الشَّيبُ وُخُوطًا؟ وقدٌّ كالعُرجُونِ وقَد كانَ خُوطًا؟ أمَا يَردَعُك مَوتُ الشُّبَّانِ، قَبلَ الإبَّانِ؛ ودَفنُ الأحدَاثِ، تَحتَ الأجدَاثِ؟ كَم لَكَ فِي الرَّمسِ مِن مُتَرَعْرَعٍ يافِع، وكَم لكَ بِالأمسِ مِن فَرَطٍ شَافِعٍ؛ تُوَدِّعُ فِي الأرضِ كلَّ يَومٍ حَبِيبًا، وتدُبُّ علَى ظَهرِها دَبِيبًا؛ أَ تظُنُّ أنَّ هَادِمَ اللَّذَّاتِ لَا يَهْدِمُ جُدرَانَك، وأنَّ قَادِمَ الوَفاةِ لَا يزُورُك كمَا زَارَ أقرَانَك وجِيرَانَك؟ كلَّا هُو الدَّهرُ يُهلِكُ الوَالِدَ والوُلْدِ، ﴿ومَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبلِكَ الْخُلْدَ﴾[2].

* * *

المقالة السادسة والسِّتُّون

الحازِمُ إذَا جَابَ سُبُلَ العُلَى لَا يَهُولُه وُعُورةُ حَزْنِهَا، والماجِدُ إذَا حَمَلَ أعبَاءَ الشَّرفِ لَا يَؤُودُه وَزانَةُ وَزنِها؛ يَركَبُ الأخطَارَ المَهُولةَ، ويَقطَعُ المَجاهِلَ المَجهُولَة؛ /A52/ يَنظُرُ فِي الأمُورِ إلَى خَواتِيمِها لَا إلَى مبَادِيها، ويَرمِي ببَصرِه إلَى أعجَازِها لا إلَى هوَادِيها؛ يَلَذُّ مرارَةَ الزُّهدِ لِطِيبَةِ

---

١. كريمة ٧٥ آل عمران.
٢. كريمة ٣٤ الأنبياء.

مَطلُوبةٍ، ويَكرَهُ لَذَّةَ الفُسوقِ لِعُقوبَةٍ مَرقُوبةٍ؛ فَمَن لَه فَطَانَةٌ وبَصيرَةٌ، يَعلمُ أَنَّ أَيَّامَ البَلَاءِ قَصيرَةٌ؛ ورُبَّ دَواءٍ كالزَّقُّومِ، مَرَارَتُه بينَ اللَّهاةِ والحُلقُومِ؛ فإذَا جاوَزَ اللَّهاةَ، وهَبَ الحَياةَ؛ والرَّاحُ كَريهُ المَذاقِ، حَميدُ المَسَاقِ؛ فإذَا دَبَّتْ فِي الأعرَاقِ مَرَّت المَرارَةُ، وفَرَّتِ الحَرارَةُ؛ ووَقعُ الضُّرِّ، عَلَى الحُرِّ، كالثُّلُوجِ تَسقُطُ فِي الحَرِّ؛ دائِبٌ صَوبُها، عاجِلٌ ذَوبُها؛ والفَطِنُ لَا يُبالِي بِالبَلاءِ، فغَيمُ الغَمِّ وَشيكُ الانجِلاءِ؛ فَلْيكتُمِ الصَّابرُ نَازلَةَ البُؤسِ تَحتَ الذَّيلِ، ولْيَصبِرِ السَّليمُ /B52/ علَى طُولِ اللَّيلِ؛ فَسَيطْلعُ الفَجرُ، ويَبقَى الأجرُ؛ طُوبَى للنَّاكِبينَ عَن غَمرةِ النَّواهِي، العَاضِّينَ علَى جَمرَةِ الدَّواهِي؛ فسَيظِلُّهُم اللَّهُ فِي ظِلِّه يومَ هُم بَارزُونَ ﴿إِنِّي جَزَيتُهُمُ اليَومَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الفَائِزُونَ﴾[1].

* * *

المقالة السابعة والسّتّون

الوَرِعُ جَبانٌ هَيُوبٌ، والفَاجرُ لوَّاسٌ خَلوبٌ؛ التَّقيُّ يَحصُرُ خُطَاهُ فِي وَطءِ اللُّقمِ، ويُناقِشُ فاهُ فِي قَضمِ اللُّقمِ؛ يُحاسِب نَفسَه علَى صغَائرِ اللَّمَمِ، ويُضايِقُ قَلبَه بضَمائرِ الهِمَمِ؛ لَا يَعِيمُ إلَى المَمذُوقِ، ولَا يَطرَبُ علَى المَعرُوقِ؛ ولَا يشربُ إلَّا الصِّرْفَ، ولَا يَركبُ إلَّا الطِّرْفَ؛ يَصُونُ نَفسَه عَن الحَرامِ ويَقِي، ولَا يَبيتُ علَى قُوتٍ مَمقُوتٍ أو نَقِي؛ يَكرَهُ قَتَامَ الشَّهوَاتِ، ويَعافُ قُتارَ الشُّبهَاتِ؛ يرَى رَبْوَةَ الحَقِّ /A53/ فيَرتَقِيها، ويَرمُقُ هُوَّةَ البَاطلِ فيَتَّقِيها؛ لَا يدعُوهُ القَرْمُ إلَى أكلِ الجِيفِ، ولَا يُبْلغُه النَّهَمُ إلَى حَدِّ السَّرَفِ؛ إذَا فقَدَ القُوتَ لم يُشْرِفْ، وإذَا وجَدَه لَم يُسْرِفْ؛ يأكُلُ ليَقوَى علَى الاجتِهادِ، ويَنامُ ليَصبِرَ علَى السُّهَادِ؛ ينظُرُ إلَى طعَامِه مِن أينَ حصَل، وكَيفَ وصَلَ؛ ومَن حَصدَه وزرَعَه، ومَن داسَهُ ورفَعَه؛ ومَنِ الكَيَّالُ والطَّحَّانُ، ومَن الخَبَّازُ والعجَّانُ؛ ومَن قبَضَه فأحرَزَه، ومَن خمَره وخَبَّزَه؛ وكيفَ كانَ رِفَاعُه ورَيعُه، وأَنَّى اتَّفقَ ابتيَاعُه وبَيعُه؛ فلَا يزَالُ يَفحَصُ حتَّى يَخلُصَ إبريزُهُ علَى نَارِ السَّبكِ، ويُكمِلَ عِيارُهُ

---

١. كريمة ١١١ المؤمنون.

علَى المَحَكِّ؛ ويُشَذَّبَ نَخلَتَهُ عن شَوكِ الشَّكِّ؛ فَهكَذَا خَشيَةُ الأتقِياءِ يَجفِلُونَ كـمَا تَـجفِلُ النَّعامُ، ولَايأكُلونَ /B53/ كمَا تأكُلُ الأنعَامُ؛ يذُودُونَ مَطِيَّةَ النَّفسِ عَن وِردِ النَّشاطِ بِكُـعَامِ الاِحتِيَاطِ، ويُضَمِّرُونَها لِتَجُوزَ علَى الصِّراطِ؛ لِعلمِهِم بأنَّهُم ﴿لَايَـدْخُلُونَ الجَـنَّةَ حـتَّى يَـلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ﴾[1].

* * *

المقالة الثامنة والسِّتُّون

يَا سبَّاقَ الآفاقِ، ويَا شَديدَ الأعنَاقِ، فِي جَمعِ الأرزَاقِ؛ كَم تَذرَعُ وَجهَ الأرضِ كأنَّك مَسَّاحٌ، وكَم تُحدِّدُ أنْيَابَك العُضْلَ كأنَّك تِمسَاحٌ؟ تَطلُبُ رِزقًا يَعدُو فِي قَفَاك، ولَوقَعدتَ لَأتَـاكَ مَـا كفَاك؛ إنْ ساعَدَ القَضاءُ فَالسَّيَّارةُ كالقاطِنِ، والسَّائِمةُ كالدَّاجـنِ؛ وإنْ لَـم يُساعِدْ فـالسَّعيُ جَهلٌ، والتَّعبُ فَضلٌ؛ إنَّما الرَّزَّاقُ ضامِنٌ والقَناعَةُ سيَادةٌ، والمَقدُورُ كائِنٌ والمَشقَّةُ زيَـادَةٌ؛ ومَا الرِّزقُ رِكازًا يُطلَبُ فِي القِفَارِ، أو صَيدًا /A55/ يُقنَصُ فِي الأسفَارِ؛ أو زُخرُفًا يُخرَجُ مِن بُطونِ الجِبالِ، أو عَرَضًا يُنقَل علَى ظُهورِ الجِمَالِ؛ فأنفِقْ ولَاتَخشَ الفَاقَةَ، وارْفُقْ ولَاتُتعِبِ النَّاقَةَ، وبَدِّلْ جَهلَك بالإفَاقَة؛، واعلَمْ! أنَّ الوطَنَ عُشُّك فاسكُنْهُ، والمُـتوَكِّـلَ ضَـيفُ مِـن ضُيوفِ اللَّهِ فكُنهُ؛ وبِضَاعةُ الحُرِّ ماءُ وَجهِهِ فَصُنهُ؛ واهجُرْ مَا نهَى اللَّهُ عَنهُ تَكـنْ مُـهاجِرًا، واغتَرِبْ فِي الدُّنيَا تَكنْ تَاجِرًا؛ وسَافِر إلَى الآخِرَة تَغْنَمْ، وأقصِر عَن التِّردَادِ تَـنَمْ؛ كـدَّيْتَ نفسَك بالحَطِّ والتَّرحَالِ، وأفنَيتَ عُمرَك فِـي الَـمحَالِّ والُـمحَالِ؛ تَـدُقُّ الأرضَ بسَـنَابِك المُورياتِ قَدحًا، و﴿إنَّكَ كَادِحٌ إلَى رَبِّكَ كَدْحًا﴾[2]؛ علَاكَ المَشيبُ وتَتَفَتَّى، وتَسعَى لتَجمَع شَمْلَك فلَايتأتَّى؛ وتَهيمُ فِي تِيهِ الطَّلَبِ و﴿إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾[3].

* * *

---

١. كريمة ٤٠ الأعراف.
٢. كريمة ٦ الإنشقاق.
٣. كريمة ٤ الليل.

المقالة التاسعة والسِّتُّون

طُوبَى /B54/ لمَن عقَلَ لسَانَه وكَفَّه، وأطلَقَ بِالخَيرِ بَنانَه وكَفَّه؛ أنحَسُ الفُرسَانِ، مَن حَارَب باللِّسانِ؛ وأحمَسُ الكُماةِ، مَن استَعانَ عـلَى قِـرْنِه بـالصُّمَاتِ؛ ولَاتـرى نَـطِقًا، إلَّا نَـزِقًا؛ ولَاساكِتًا، إلَّا ثَابتًا؛ ولَوسكَتَ الكَليمُ لرَأَى العَجائِبَ، ولَوصَمتَ يُوسفُ لَـعُصِمَ النَّـوائبَ؛ وسَيعلَم المُتَعَمِّقُ أنَّ النُّطقَ عاثُورٌ، وفضُولَ الكلَامِ هَبَاءٌ مَـنثُورٌ؛ ولِـلعَارِفِ قَـلبٌ عَـقولٌ، ولِسانٌ مَعقُولٌ؛ والمُنافِقُ مُفَوَّهٌ، والدَّيِّنُ مُـفهَّهٌ؛ ورُبَّ كَـلمةٍ تُـردِيكَ، ورُبَّ صَـيحَةٍ تَـذبَحُ الدِّيكَ؛ ورُبَّ زَفيرٍ أورَثَ قُلَاعًا، ورُبَّ صُـداحٍ أعـقَبَ صُـداعًـا؛ ورُبَّ حَكْـلَةٍ عَـصَمَتْ رأسَك، ورُبَّ أكلَةٍ قَلَعَتْ أضراسَكَ؛ وخفَّةُ الحُكْـلِ فِـي دَبَـيبِها، خَـيرٌ مِـن بـغاءِ الثَّـولاءِ ونَبيبِها؛ فلَاتعبأ /A55/ بهَؤلاءِ الثَّرثارِينَ فنَظمُهُم ونَثرُهم هَـواءٌ، وقَـولُهم وبَـولُهم سَـواءٌ؛ وجَهرُهُم وجَرَسُهم عَواءٌ؛ إنَّهُم سُفَراءُ الجِنِّ يَمتَحُونَ بِـدِلَائِهم، ويُـحدِّثُونَ عَـن إمْـلَائِهم؛ يتكَلَّمُونَ بكَلامِ الرُّسلِ، وإنَّه مِن مُوجِباتِ الغُسلِ؛ فسُدَّ عَن كَلَامِهِمْ أُذُنَـيكَ، وغُـضَّ عَـن رُؤيَتِهِم عَينَيكَ؛ إنَّهم ليَقولُون مُنكَرًا مِن القَولِ وزُورًا، ﴿يُوحِي بَعضُهُمْ إِلَـى بَـعْضٍ زُخْـرُفَ الْقَولِ غُرُورًا﴾[1].

* * *

المقالة السّبعون

مَا هذِه الألقَابُ العَريضَةُ، والرِّقَابُ الغَليظَةُ؟ مَا للفَاجِرِ دُعِيَ بالعَفيفِ ومَا استَحيَا، ولِمَ يُكَنَّى مَلِكُ المَوتِ بأبِي يَحيَى؟ وكَيفَ سُمِّيت المَهلكةُ مَفازةً، ولَوأنصَفُوا لَسَمَّوْهَا جِنازَةً؛ يُلقَّبُ هذَا صَدرًا وما أضيَقَه! وذَلكَ بَدرًا ومَا أغسَقَه! وتَقيًّا ومَا أفسَقَه!؛ ورَشِيدًا وما /B55/ أخـرَقَه! وأمِينًا ومَا أسرقَه! وشُجاعًا ومَا أفرَقَه!؛ ويَمِينًا وما أشأمَه! وكرِيمًا ومَا ألأمَه!؛ وسِراجًا ومَا أظلَمَه! وعَزيزًا ومَا أذلَّه! وصارِمًا ومَا أكلَّهُ!؛ لِئَامٌ يُسمَّوا بأحَـاسِنِ الأسـمَاءِ، واشَـتَهَروا

---

١. كريمة ١١٢ الأنعام.

بألقَابٍ لَم تَنزِلْ مِن السَّماءِ؛ أشباحٌ بلَا أحلَامٍ، كتَماثِيلِ حمَّامٍ؛ وأسمَاءٌ بلَا أجسَامٍ، كالحَارثِ بنِ هَمَّامٍ[١]!؛ تعوَّدُوا تَرفِيةَ القَوَالِبِ، وتَحدِيدَ المَخَالِبِ، لتَنَاوُشِ المطالبِ؛ إنْ هَمُّوا بشَرٍّ وَثَبُوا كالأسَدِ تَفُوتُها الفَرائِسُ، وإنِ استَنهَضُوا لِخَيرٍ يَمِيسُون كمَا تَمِيسُ العَرائِسُ؛ لَا يتَسارَعُون إلَى الصَّلَاةِ عِجَالًا، ولَا يتَبَرَّزُونَ /A56/ إلَى التَّحَلِّي رجَالاً؛ يَركَبُون الجِيادَ الهَمَالِيجَ، ويُخَلِّفُونَ الضُّعَفاءَ المَحاوِيجَ؛ لَا تأخُذهُم بِالمُشاةِ رأْفَةٌ، ولَا تُصيبُهُم علَى تِلكَ القَساوَةِ آفَةٌ؛ فيَا هذَا! لَا تَحسِدِ المُتَنَعِّمَ علَى تَرَفِه، ولَا تَغبِطِ المُتَكَبِّرَ علَى سرَفِه؛ وقُلْ لهُ إذَا بُرِّزتِ الجَحِيمُ، وقُدِّم إليهِ الحَمِيمُ، ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٢].

* * *

المقالة الحادية والسّبعون

مَثَلُ الحَرِيصِ كَمَثَلِ السِنَّورِ يَرقُبُ الفَأرَ، ويَسُنُّ الأظفَارَ؛ يجُرُّ ذَنَبَه، ويَطُرُّ مِخلَبَه؛ يَتَنَاعَسُ سَاهِرًا، ويتَعفَّفُ عَاهِرًا، ويتَغَامضُ نَاظِرًا؛ حتَّى إذَا أدرَكَ الظَّفَرَ، طَفَرَ؛ وإذَا قَدَّرَ، غَدَرَ؛ يُحدِّدُ إبَرَه، ويُمزِّقُ وَبَرَه؛ كذَلكَ الحَرِيصُ يَتزَهَّدُ عُمرًا، لِيَخدَعَ غُمرًا؛ فَيَنزِعُ لَبِيسَه، ويُقَرِّغُ كِيسَه؛ ويَجُوعُ يَومًا، لِيَغُرَّ قَومًا؛ ويَسهَرُ لَيلًا، لِينَالَ نَيلًا؛ فَشُواظُ الطَّمَعِ لَا يَنطَفِئُ برَشحَةِ الآبَارِ، وهُيَامُ الحِرصِ لَا يَسكُنُ بِنُغبَةِ /B56/ الأسآرِ؛ والجَدَى لَا يَنقَعُ غُلَّةَ الحِرْصِ، والنَّدَى لَا يُبدِّدُ دارَةَ الدِّعْصِ؛ إنَّما الحِرصُ مَارِجٌ مِن هَاوِيةِ الهَوَى، ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَظَى * نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾[٣].

* * *

---

١. تعريضٌ إلى الحريري في مقاماته حيث أورد الحارث وأبي زيدٍ السرُّوجي كرجلين يلتقيان بين حينٍ وحينٍ، فيجري بينهما وقائع غريبة؛ والمقام لا يسع التفصيل.

٢. كريمة ٤٩ الدخان.

٣. كريمة ١٦، ١٥ المعارج.

المقالة الثانية والسّبعون

السَّعيدُ مَن سَمعَ النِّداءَ فأجَابَ، والشَّقِيُّ مَن أَبصَرَ الحَقَّ فَأَرخَى الحِجَابَ؛ النَّاقصُ ضَـيِّقُ الظَّرفِ، قَاصرُ الطَّرفِ؛ والكَاملُ واسِعُ الأَدَمِ، راسِخُ القَدَمِ؛ إذَا أَهَابَ بِهِ دَاعِـي الحَـقِّ لَـبَّاه سرِيعًا، ويُطِيعُ مَن ربَّاهُ رَضِيعًا؛ لَا! بَل يَشغَلُهُ لَذَّةُ النِّداءِ عَن حُسنِ الجَوابِ، ويَمنَعُه صِدقُ العُبوديَّةِ عَن بُعيَدِ الثَّوابِ؛ أَلَا إنَّ الطَّريقَ بيِّنٌ، والسُّلوكَ هيِّنٌ؛ فإنْ تخَلَّفَ قَومٌ فتبًّا لِلهَالِكينَ، وطُوبَى للسَّالِكينَ؛ وإنْ فرِحَ الْمخَلِّفُونَ بمَقعَدِهِم فربْحًا للمُسافِرينَ، ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَومًا لَيْسُوا بِهَا /A57/ بِكَافِرِينَ﴾[1].

* * *

المقالة الثالثة والسّبعون

الدُّنيَا سَـمٌّ مُـحَلًّى، والمَـالُ عَـرَضٌ مُـخَلًّى؛ وتَـصاريفُ الدُّوَلِ سِـجَالٌ، ورَمَكَـةٌ سَـيِّبَها رُكْبَانٌ فرَكِبها رِجالٌ؛ مَا هِي إلَّا مطْرُوقةٌ تَقتلُ الأزواجَ، وعَـقِيمٌ تُـفسِدُ الأمشَـاجَ؛ دَعْـها فإنَّها هَلُوكٌ، ووَدِّعهَا فإنَّها فَرُوكٌ؛ عَجوزٌ عَـقيمٌ، ضَـجِيعُها سَـقيمٌ؛ عِـناقُها دَاءٌ، وفِـراقُـها دوَاءٌ؛ لَا يزَالُ بَعلُها مَريضًا حـتَّى إذَا طَـلَّقَهَا بَـرِىءَ مِـن سـاعَتِه، ﴿وإنْ يَـتَفَرَّقَا يُـغْنِ اللَّـهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ﴾[2].

* * *

المقالة الرابعة والسّبعون

شرَّفَ اللَّهُ الإنسَانَ بمُضغَتَينِ: جَنَانِه، ولسَانِه؛ فالجنَانُ قَابلٌ، واللِّسانُ قـائِلٌ؛ ذاكَ عـارِفٌ مُستقرٌّ، وهذَا مُعتَرِفٌ مُقِرٌّ؛ ذَاكَ يُنشِيءُ وهَذا يُحرِّرُ، وذَاكَ يُفتِي وهَذَا يُكرِّرُ؛ ذَاك غَديرٌ وهذَا

---

١. كريمة ٨٩ الأنعام.
٢. كريمة ١٣٠ النساء.

سَابِحٌ، وذَاكَ /B57/ قَلِيبٌ وهذَا مَاتِحٌ؛ فَلْيكُن قَلبُك فَكُورًا، ولِسانُك ذَكُورًا؛ حتَّى تـتَعادَلَ كفَّتاكَ، وتتقابَلَ حافَّتاكَ؛ ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[1] ﴿وكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[2]، وإذَا ذَكَرتَ فاذكُرِ اللَّهَ فهُو أقوَمُ قِيلًا؛ وإذَا عَمِلتَ فَأخْلِص العَملَ وإنْ كانَ قَليلًا، واصحِبِ العَزمَ عملَه، حتَّى يَبلُغَ الكِتابُ أجلَه؛ وأَمْضِ صَمصَامَ العَزمِ المُصَمَّمِ ولَاتَحْبِسهُ فِي قُرابِ الفُؤادِ فَتكِلَّه، وإيَّاكَ أن تَترُكَ ﴿الهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾[3].

* * *

المقالة الخامسة والسّبعون

أيُّها العَبدُ المَغرُورُ! مَا هذَا الذَّيلُ المَجرُورُ؛ شَمِّر ذَيلَك فإنَّ إطالَةَ الأذيَـالِ، دأبُ الأَرذَال، وإكمَالَ القُمْصَانِ، أمارَةُ النُّقصَانِ؛ وإذَا كَنَستَ الأرضَ بِفَضلِ المَلَابِسِ، فلَافَرقَ بَينَها وبَينَ المَكانِس؛ ثَوبُ السُّفَهاءِ مِكْنَسَةُ السُّوقِ، /A58/ وثَوبُ الصُّلحَاءِ إلَى أناصِفِ السُّوقِ؛ وشرُّ الثِّيابِ مَا بلَغَ التُّربَ كِبرًا، وخَيرُها مَا نقَص عَن الكَعبِ شِبرًا؛ ومَن رَقَعَ الأسمَالَ، وأخلَصَ الأعمَالَ؛ خَيرٌ ممَّن يَلبسُ المُعَيَّرَ والمُطَيَّر، وإذَا رأَى الفَقيرَ عَيَّرَهُ وتَطَيَّرَ؛ يُريدُ المُـعجِبُ أن يَميسَ، ويَلْبِسَ الخَمِيسَ؛ ونِعمَتِ اللُّبسَةُ لُبسَةُ السَّلفِ، ولَبِئسَ اللَّـبيسُ لبَـاسُ السَّـرَفِ؛ ولَاخَيرَ فِي قَشِيبٍ يُبلِيه الجَديدَانِ، ولَا فِي دَمْقَسٍ مِـن غَـزلِ الدِّيـدَانِ؛ إنَّـما هُـو كِسـوَةُ النَّاقِصاتِ، وبِزَّةُ الرَّاقِصاتِ؛ أبغَضُ النَّاسِ إلَى اللَّهِ جبَّارٌ علَيه ثَـوبٌ مُـرَسَّمٌ، حَشـوُهُ كِـبرٌ مُجَسَّمٌ؛ يَخَالُ المَجدَ بَزًّا مُخَيَّلًا، وخَزًّا مُذَيَّلًا؛ وطَاقًا مَصبُوغًا، وطَوقًا مَصوغًا؛ فيَزهُو بوَشيٍ كوَشيِ النِّسوَانِ، /B58/ ومَشيٍ كمَشيِ النِّشوانِ؛ وأحَبُّهُم إلَيهِ فَقيرٌ لَايَعبَأُ بعبَائِه، ويَردَى فِي أردَى ءِ ردَائِه؛ جَسدٌ فِي دَرِيسٍ، كأسَدٍ فِي عَرِيسٍ؛ رِدَاءٌ خَلَقٌ، ورَوَاءٌ كأنَّه فلَقٌ؛ رِئْبَالٌ عَليهِ سِربَالٌ، كأنَّه غربَالٌ؛ أملأُهُم كِنانَةً وأطيَبُهُم كَونًا، وأعرَقُهُم لِينةً وأشرقَهُم لَونًا؛ يَمشِي علَى

---

١. كريمة ١٥٩ آل عمران.
٢. كريمة ٨١ النساء.
٣. كريمة ٢٥ الفتح.

رِجلَيهِ ولَايعرِفُ بِرذَونًا، ﴿وعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَونًا﴾[١].

* * *

المقالة السادسة والسّبعون

حَصائِدُ الألسِنةِ قَد تَزرَعُ العَداوَةَ، وطَيَّارَاتُ الكَلِمِ قَد تُطَيِّرُ العلاوَة؛ ورُبَّ كلَامٍ يعُودُ كَلْمًا، ورُبَّ لَثْمٍ يَصيرُ ثَلمًا؛ وخَدْشُ اللِّسانِ ثُلْمَةٌ لَاتَنْسَدُّ، والكلَامُ كالنَّبلِ إذَا طارَ لَايرتَدُّ؛ فلَاتَرِمْ كلَّ حُسبَانةٍ مِن حنِيَّةِ النِّيَّةِ، ولَاتَمنَحْ كلَّ صُبابةٍ من طَوِيِّ الطَّوِيَّة؛ فرُبَّما تندَمُ حيثُ لَاينفَعُ النَّدمُ، وعسَاكَ تزِلُّ /A59/ حَيثُ لَاتَثبُتُ القَدَمُ؛ ولَاتَتفَوَّهْ بمَا دارَ فِي خَـلَدِك فـتَخجَلْ بِـه، ﴿ولَاتُحَرِّكْ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[٢].

* * *

المقالة السابعة والسّبعون

لَايغبأُ اللَّهُ بأعضَاءٍ رَطْبَةٍ، وقُدودٍ شَطْبَةٍ؛ وأشبَاحٍ شَهيَّة، وصُورٍ بهيَّة؛ إنَّهُمْ أُنَاسٌ لَاتُذكَرُ فِي السَّماءِ أسمَاؤُها، وأشخَاصٌ لَن يَنالَ اللَّهَ لُحُومُها ولَادماؤُها؛ اولَئكَ أنفَارُ التَّنافُرِ والنِّـفارِ، وأشخَاصُ التَّكاثُرِ والفَخَارِ؛ وللمُخالَطَةِ رَهطٌ لَايفخَرُونَ، وهؤُلَاء حَشوُ الجَنَّةِ وللمُجَالَسةِ قَومٌ آخَرونَ؛ اولَئكَ رَهائِنُ الصِّدقِ، وقَرابِينُ العِشقِ؛ لَهم قُلوبٌ حَـزينَةٌ، وحُـلومٌ رَزِيـنَةٌ؛ وصُدورٌ حَامِيةٌ، وشفَاةٌ ظَامِيةٌ، وضُلوعٌ دَامِيَةٌ؛ وأفئِدَةٌ وَجِلَةٌ، وأكبَادٌ مَجِلَةٌ؛ وجُلُودٌ يابِسةٌ، ووُجوهٌ شَامِسَةٌ؛ لَاتُعجِبهُم الأطرَافُ السَّمينَةُ، والمَطارِفُ /B59/ الثَّمينَةُ؛ لَايغفلون بِالحُلَلِ والحُلِيِّ، ولَايَرفُلونَ فِي الثَّوبِ الوشيِّ، ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[٣].

* * *

---

١. كريمة ٦٣ الفرقان.
٢. كريمة ١٦ القيامة.
٣. كريمة ٢٨ الكهف.

المقالة الثامنة والسّبعون

عِلمٌ بلَا عمَلٍ، كَحِمْل علَى جَمَلٍ؛ فكُنْ عَـاملًا، ولاتَكـنْ حَـاملًا؛ تَـنقُلُ الوُسُـوقَ، إلَـى السُّوقِ، وتَحمِلُ الشَّهدَ ولَاتَذُوقُ؛ والعِلمُ فِي صَدرِ الكَسلَانِ كَشُموعٍ تَلمعُ بَينَ يَدَي ضَريرٍ مَحجُوبٍ، أو شَمُوعٍ تُزفُّ إلَى خُصيٍّ مَـجبُوبٍ؛ مَـا لِـهَؤلَاءِ الْـمَلْدُوغينَ ومـعَهُمُ التَّـريَاقُ يتَداوَلونَه، ولَايتَناوَلونَه؛ أ لَيسَ مِن البَلِيَّة، أن يَموتَ الْـمحصَرُ فِـي الخـلِيَّة؟ أ لَـيسَ مِـن الخُسرَانِ أن تَرِدَ وادِيًا، وتَموتَ صَاديًا؟ أ ليسَ مِن الغَبنِ جَزَّارٌ يأكُلُ لحمَ المَيْتِ، أو مَكِّيٌّ لَايَزورُ البَيتَ؟ أَلَا إنَّ تأخيرَ العَملِ عَنِ العِلمِ حَبسُ المَاءِ عَن النَّبتِ، والتَّرخُّصُ فِي العَـملِ حِيلَةُ أصحَابِ /A60/ السَّبتِ؛ فلَاتَكنْ كالجَمَلِ الطَّلِيحِ يـتَجشَّمُ لغَـيرِه أسـفَارًا، ولَاتكُـنْ ﴿كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾[1].

* * *

المقالة التاسعة والسّبعون

لَيسَ الفَقيهُ مَن استَفادَ وأفَادَ، إنَّما الفَقيهُ مَن أحيَا الفُؤادَ؛ ولَا الْمحصِّل مَن اسـتعَادَ الكَـلَامَ وأعَادَ، إنَّما الْمحصِّلُ مَن أصلَحَ المَعادَ؛ ولَا العَالِمُ مَن أفتَى ودرَسَ، إنَّما العَالِمُ مَـن تَسـتَّرَ بالوَرَعِ وتَترَّسَ؛ ومَا الْمجتَهدُ مَن يَبنَى أسَاسَ المِلَّة، علَى قِياسِ العِلَّة؛ الْمجتَهدُ مَن شَـغلَه الحَقُّ عَن المَنعِ والتَّسلِيمِ، واكتَفَى بِعلمِ الخَضِرِ عَن عِـلمِ الكَـلِيمِ؛ وارْعَـوَى بِـمَسؤُولَات الحَشرِ، عَن مَقُولاتِ العَشرِ؛ وارْتَدعَ بِمُحَاسَبَاتِ المَنُونِ، عَن مُناسَباتِ الظُّـنونِ؛ وصـرَفَه سُرعَةُ البِدارِ عَن بُطءِ الوُقوفِ، وصدَّهُ هَمُّ المَوقِفِ عَن عِبْءِ الوُقـوفِ؛ /B60/ فـلَاتَحسبَنَّ المُتشَبِّهَ بالفَقيهِ فَقِيهًا، فَليسَ ذُوالوَجهينِ عِندَ اللَّهِ وَجيهًا؛ سُحقًا لمَن يَخدِشُ بخَاطِرِه وَجهَ الدِّينِ، كمَا يَلطِمُ الشُّموسُ بحَافِرِهِ صَحنَ المَيادِينِ؛ فهُو أعطَشُ إلَى الأوقَـافِ، مِـن رَمـلِ الأحقَافِ؛ وأشْرَهُ إلَى الحَرامِ، مِن البُرَاةِ إلَى الحَمَامِ؛ وأظمَأُ إلَى المَالِ والجَاهِ، مِن العَطشَانِ

---

١. كريمة ٥ الجمعة.

إلَى المِياهِ، بَل مِن السَّرحان إلَى الشِّياهِ؛ يُنافِسُ فَيفخَرُ بأبِيهِ وأُمِّه، ويُناظِر فَيضرِبُ الأرضَ بكُمِّه؛ بَذِيُّ اللِّسانِ سَفيهُ الجِدالِ، أَلَـدُّ الخِـصامِ شَـديدُ الِـمحالِ[١]؛ يـتَعصَّبُ للـذَّهبِ، لَا للمَذهبِ؛ ويَسْهَرُ للنُّضارِ، لَا لِلنِّظارِ؛ ففَارِقُوا دُعاةَ الضَّلالَةِ إنَّهُم لَا إيمانَ لَهُم، ﴿فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾[٢].

* * *

المقالة الثّمانون

حَملَةُ العِلمِ فَريقَانِ: أحدُهما خَائِنٌ، /A61/ والآخَرُ خَازِنٌ؛ فالخَازِنُ الأمِينُ وارِثُ الرِّسالَةِ وصاحِبُ الأمانَة، صَانَ بِضَاعَةَ العِلمِ فِي صِوَانِ الصِّيانَة، ولَم يَمدَّ يـدَ التَـوسُّع إلَـى خـوَانِ الخِيانَة؛ فدَانتْ لَه الأسَاورَة، وذلَّتْ لَه القَساوِرة، وخَـضَعَتْ لَـه الجَـبَابِرَةُ؛ وخَشـعَتْ لَـه سلَاطينُ العَجمِ، وخَضعَتْ لَه سَراحِينُ الأجَمِ؛ واستَسلَمتْ لِهَيبَته الضَّوارِي، واعشَـوشَبتْ ببَركَته الصَّحارِي؛ وأمَّا الخَوَنَةُ فقَد استُحفِظُوا وَديعَةً، سُمِّيت شَريعةً؛ فـلَم يَحرُسُوهَا حَـقَّ حِراسَتِها، ومَا رعَوهَا حقَّ رعَايَتها؛ فمَرقُوا مِن جِلبَابِ النُّبُوَّة، وانسَلخُوا مِن إهابِ الفُتوَّة؛ واستَحوذَ عَليهِمُ الشَّيطانُ فَعقَرَ قَوائِمَهم، وقَصَّ قوَادِمَهم؛ فصَارَ صَـامِتُهم ضِـمارًا، وصَـارَ فَصيحُهُم سَمَارًا؛ ومَن رُزِقَ دُرَّةَ العِلمِ فبَاعَها، أو أوتُمِنَ علَى هذِهِ الأمَانَةِ فأضَاعَها؛ فهُو فِي المَقتِ، بَلعَمُ الوَقتِ؛ /B61/ ومَا كَانَ بَلاءُ بَلعَمَ، بلَاءَ خصَّهُ بَل عَمَّ؛ مَا بَلعَمُ إلَّا ذُورقْعةٍ ﴿أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[٣] فكَانَ مِن الهَاوينَ، وذُو حُلَّةٍ انسَلخَ ﴿مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[٤].

* * *

---

١. قوله: «بذيُّ اللسان ...» يُشبه أن يكون بيت شعرٍ، ولكن لم أعثر عليه في دواوين العرب.

٢. كريمة ١٢ التوبة.

٣. كريمة ١٧٦ الأعراف.

٤. كريمة ١٧٥ الأعراف.

المقالة الحادية والثمانون

أُنْظُرْ إِلَى هذِهِ الجَوارِي المُنشَآتِ فِي هذِهِ البُحورِ، كقَلَائِدِ الدُّرِّ علَى حيَازِيمِ النُّحورِ؛ ﴿حُورٌ مَقْصُوراتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1]، مُشيرَاتٌ بالسَّلامِ، عَن فُرَجِ الظَّلامِ؛ مَا هُنَّ إِلَّا نُفوسٌ مُتعالِيَة، وأرواحٌ مُتلَالِيَة؛ يَذْرَعْنَ رُقعَةَ الرَّقيعِ ويَشْبَرنَ، ويَسْبَحْنَ فِي خُضارَةِ الخَضراءِ ويَعْبُرْنَ؛ أَجِلْ فيهَا نَظرَةَ العِبرةِ، فإنَّها عَرائِسُ الفِطرَة؛ وعُمَّالُ الأرزَاقِ، وعُمَّارُ الآفَاقِ؛ وطَلائِعُ الغَيبِ، وقَوافِلُ الرَّيبِ؛ تَحملُ عُراضةَ الرِّزقِ إِلَى كلِّ حَيٍّ، وتَجْبِي إِلَيه ثَمراتِ كلِّ شَيءٍ؛ فتَدبَّرْ /A62/ فِي هُبوطِها وصُعودِها، وتفَكَّر فِي نُحُوسِها وسُعُودِها؛ وغُروبِها وطُلوعِها، واستقَامَتِها ورُجوعِها؛ واعلَمْ! أنَّ اللَّهَ سخَّرها بِزِمَامِ التَّقديرِ، وأَطْلَعَهَا كالفَواقِعِ علَى هَذا الغَديرِ؛ ولَا تظُنَّ أنَّها تَسيرُ بِسيرِها، فإنَّما حرَكَتُها بغَيرِها؛ ولعَمرُ اللَّهِ! ما يَسوقُها إِلَّا أمرُ اللَّهِ؛ هُو الَّذِي أدَارَ رَحاهَا، و﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا ومُرْسَاهَا﴾[2] و﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾[3].

* * *

المقالة الثانية والثمانون

ليتَ شعرِي لمَ تَطلبُ الدّنيَا؟ أَ لِسرورٍ أدرَكتَهُ، أم لِسَريرٍ مَلكتَه؟ أم لِرَوحٍ أصَبتَه، أم لعَيشٍ استَطبْتَه؟ أم لأجرٍ اكتَسَبتَه، أم لِثوابٍ أحرَزتَه، أم عَملٍ طَرَّزتَه؟ أم لِوَقتٍ صفَا فمَا كدَر، أم لدَهرٍ وفَى فمَا غدر؟ هَل أصبَحتَ آمِرًا إِلَّا أمسَيتَ مأمُورًا، وهَل بِتَّ سَكرانَ إِلَّا ظِلتَ مَخمُورًا؟ وهَل قَضيتَ شَهوةً إِلَّا لَغِبتَ، /B62/ وهَل شَربتَ قَهوةً إِلَّا غِبْتَ؟ وهَل أَبْقَتْ مِن أعدَائِك إِلَّا ثُقِفْتَ، وهَل سَبَقتَ فِي تَعدَائِكَ إِلَّا وَقفْتَ؟ فمَا لَذَّةُ العَاقِلِ فِي دارٍ فقرُها ظَمءٌ، وغِناهَا عِبءٌ؛ مُعدِمُها خَمِيصٌ، ووَاجِدُها حَرِيصٌ؛ وما راحَتُه فِي مَالٍ طَالبُه مُخفِقٌ،

---

١. كريمة ٧٢ الرحمن.

٢. كريمة ٤١ هود.

٣. كريمة ٤٤ النازعات.

وواجِدُه مُشفِقٌ؛ آمِلُه سَاغِبٌ، وحَامِلُه لَاغِبٌ؛ مَن أوتِيَ القَليلَ مِنهُ يَستَقِلُّ، وإنْ أُعْطِي الكَثِيرَ مِنهُ يَستَقِلُّ؛ فمَا أجِدُ للدُّنيَا مَثلًا إلّا المَدَاسَ إمَّا أن يَكونَ ضَيِّقًا حَرِجًا، أو واسِعًا مُنفَرِجًا؛ فإنْ ضَاقَ فَمرحَبًا بالحَفا، وإنْ رَحبَ فَيُثِيرُ العَفَا علَى القفَا؛ الضَّيِّقُ يُجرِّحُ الكُعُوبَ والعُرقُوبَ، والرَّحْبُ يُغَيِّرُ الذُّيولَ والجيوبَ؛ فَلبِسَةُ هذِه المَكاعِب، مِن مَصاعِبِ المَتاعِب؛ بُشرَى للسَّالِكِ الحَافي، فِي مَجاهِلِ الفَيافِي؛ فَاسلُكْ هذِه القِفارَ حَافِيًا، وتَسَتَّرْ بِجِلبَابِ المُروءَةِ خَافِيًا؛ /A63/ فهُنالِك تَرَى أهلَ السُّلوكِ حَافِينَ، وترَى المَلَائكةَ حافِّينَ؛ ولاتَنْزل مُعَرَّسَ الفَناءِ فَبِئسَ المُعَرَّسُ، واضْمُم إلَيكَ جَناحَك فإنَّك بالخَافِقِ المُقَوَّسِ، ﴿فَاخْلَعْ نَعْلَيكَ إنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾[1].

* * *

المقالة الثالثة والثّمانون

القَناعَةُ عُدَّةُ العزِّ وكَنزٌ لَايَفنَى، وشجَرةُ الخُلدِ ومُلْكٌ لَايَبلَى؛ ودُرَّةُ القَناعَة لَايَلتَقطُها إلَّا مَبخُوتٌ، وجِيفَةُ الطَّمعِ لَايَقرُبُها إلَّا مَمقُوتٌ؛ الدُّنيَا بَكرٌ والحَرِيصُ مَجبُوبٌ، نَارُ شَهوتِه مَشبُوبَةٌ ومَاءُ وَجهِه مَصبُوبٌ؛ يتَعنَّى ويتَمنَّى، لِيَفتَضَّها وأنَّى؟ إنَّ قَومًا لَايَحسُدُونَ الغَنيَّ علَى غِناهُ، يأتِيهمُ الرِّزقُ غَيرَ نَاظِرِينَ اناهُ؛ مَا الطَّامِعُ إلَّا ذَلِيلٌ دَاخِرٌ، فِي الطَّلَبِ مُستَقدِمٌ وفِي الظَّفَرِ مُستأخِرٌ؛ فتَستَرْ بقِنَاعِ القَناعَة، فلَنْ تَسمَنَ بِضريعِ الضَّراعَة؛ واترُك مَذهَبَ /B63/ الذَّهبِ، ومَطلَبَ الطِّلبِ؛ واعلَمْ! أنَّ الحِرصَ نَارٌ حَامِية، فِيهَا عَينٌ آنِيَة؛ والقَناعَةُ جَنَّةٌ عَالِية، قُطوفُها دانِيَة؛ يُنادَى فيهَا الحَرِيصُ أنَّ لكَ أنْ لَاتَموتَ فيهَا ولَاتَحيَا، ويُبشَّرُ فيهَا القَانعُ ﴿أنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ١٢ طه.

٢. كريمة ١١٨ طه.

المقالة الرابعة والثّمانون

كَيفَ يأمُرونَ بِالمَعروفِ ومَا عَرفُوه، ويَنهَونَ عَـن المُـنكَرِ وقَـد اقـتَرفُوهُ؟!؛ وهَـل يَـدلُّ علَى الطَّريقِ إلَّا مَن سَلكَه، ويَصدُّ عَن الفُسُـوقِ إلَّا مَـن تـرَكَـه؟ فَـمِن العَـجائِبِ كَـحَّالٌ ذُوعَمَشٍ، وسقَّاءٌ ذُوعطشٍ!؛ أعاجِمُ خُرْسٍ يَؤُمُّونَ القُـرَّاءَ، وخَـواضِعُ طُـلْسٌ يَـنضَحنَ الغَرَّاءَ؛ مَخانِيثُ يَقْدُمْنَ فِـي مَـعارِكِ البسَـالَة، وخـنَازِيرُ يَـرقُصنَ عـلَى مـنَابِرِ الرِّسـالَة؛ شَـياطِينُ يَـخطِفْنَ الأصـنَامَ، وسَـراحِـينُ يَـرضَعْنَ الأغـنَامَ؛ /A64/ عُـلمَاءُ يَـنصَحونَ الظَّلَمَةِ، كالأراقِمِ تأدبنَ الحَكَمَة؛ فـيَا رهَـابِينَ الضَّـلَالة، ويَـا ثَـعابِينَ الجَـهالَة؛ مَـا لَكُـم إذَا تَكـلَّمتُم نَـصحتُم وتَـفاصَحتُم، وإذَا فَـعلتُم تـبَاعَدتُم وتـقَاعَدتُم؛ ﴿تُـوبُوا إلَـى اللَّـهِ جَـمِيعًا﴾[1] فـإنَّه غـفَّارٌ لمَـن تَـابَ، ﴿أَتَأْمُـرُونَ النَّـاسَ بِـالْبِرِّ وتَـنْسَونَ أَنْـفُسَكُمْ وأَنْـتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾[2].

* * *

المقالة الخامسة والثّمانون

يَا مرِيضًا يُخشَى فِراقُه، ولَايُرجَى إفرَاقُه؛ داوِ مَرضَك وعالِجْ، فبُنيَانُك علَى رَمـلٍ عَـالِج؛ لَوكانَت لكَ بَصيرَةٌ، لرأَيتَ عَبيطَك بَصيرَةً؛ تَشَوَّكْتَ كالطَّلحِ الغَـريقِ، وتشَـعَّبْتَ كـالغُصنِ الوَريقِ؛ وتَرجُو الخَلَاص منَ الحَريقِ، فَيَا مَخدُوعُ خلَاصٌ علَى الرِّيقِ؛ إن تَهتَّكتَ رَفـعتَ غَايَاتِ الغِبَايَاتِ، وإن تنَسَّكتَ نَشرتَ رايَاتِ المِرْآةِ؛ تُـصلِّي لأجـلِ الجِـيرانِ، لَا لخَـوفِ النِّيرانِ؛ هَل سُدَّتْ عنكَ أبوَابُ /B64/ الفتنِ إلَّا فتحتَها؟ وهَل نُصبَت لكَ مظَلَّةُ الضَّـلَالَة إلَّا خيَّمتَ تحتَها؟ فمِثلُكَ لَايَصْحَبُه الأترَابُ، ولَايَقبلُه التُّرابُ؛ ولَاتُصْلبُه الشَّمسُ، ولَايُخفِيهِ الرَّمسُ؛ إنْ نَهَشَكَ الكَلبُ جَرِبَ، وإن عضَّكَ الهرُّ كَلِبَ؛ فَقَبِيحٌ أن تُدفَنَ بالنَّواوِيسِ، فَكيفَ

---

١. كريمة ٣١ النور.

٢. كريمة ٤٤ البقرة.

تُحشَرُ فِي الفَرادِيسِ ؟!؛ أَ تَرجُو نجاةَ المخِفِّين بأوزَارٍ جَمعتَها ؟ كلَّا وكلَّا، ﴿أَ يَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا﴾[١] !

* * *

المقالة السادسة والثمانون

متَى تَفيقُ مِن غَشوَتِك يَا مَبهُوتُ، ومتَى تَنتَبِهُ مِن نَعسَتِكَ يَا مَسبُوتُ، ومتَى تَـنتصِبُ مِـن نَكْسَتِكَ يَا هَاروتُ ؟ عُرِضَتْ عَليكَ زَهرةُ الدُّنيَا، فنَسِيتَ كَلِمةَ اللَّهِ العُلْيَا؛ فقَصَّتْ أجنِحَتُك، وكَلَّتْ أسلِحتُك؛ مَالكَ لقَطتَ الحَبَّةَ ولَم تُبصِرِ الحابِلَ، فتَركتَ مُلْكَ بَابلَ؛ فبَقيتَ مَحبُوسًا، وعُلِّقْتَ /A65/ مَنكُوسًا؛ والظَّالِمونَ مُهلِكُوا نُفوسِهِم، ﴿والْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُسِهِمْ﴾[٢].

* * *

المقالة السابعة والثمانون

رُبَّ فِطنَةٍ، تَسوقُك إلَى فِتنَةٍ؛ ورُبَّ ذَكِيٍّ أحرقَه نَارُ ذَكَائِه، ورُبَّ تَقيٍّ أغرقَه مَـاءُ بُكـائِه؛ ورُبَّ عَابِدٍ مَا لَه مِن صلَاتِه إلَّا السُّهَادُ والنَّصَب، ورُبَّ فَقيهٍ مَا لَـه مِـن عَـملِه إلَّا الصِّـيَاحُ والصَّخَبُ؛ سَيُفْضَحُ الزُّهادُ، يَومَ يَقومُ الأشهَادُ، ويُحشَرُ عِبادٌ أعمَالُهُم أزبَادٌ؛ ويُبعَثُ أقـوَامٌ مخَاصِرُ خُصُورِهِم زنَانِيرُ، ومرَاحِيضُ ظهُورِهم تنَانِيرُ، وفلَتاتُ كلَامِهِم زنَـانِيرُ؛ وسـتَرَى حِينَ تَبدُو الضَّمائِرُ، ﴿يَومَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾[٣]؛ أعمَالًا يَحسَبُها الغَافلُ زُلَالًا فِي وَقِيعَةٍ، فـإذَا هِي سَرَابٌ بِقِيعَةٍ.

* * *

---

١. كريمة ٣٨ المعارج.
٢. كريمة ١٢ السجدة.
٣. كريمة ٩ الطارق.

المقالة الثامنة والثّمانون

رُبَّ طاوٍ يَتَشَبَّعُ، ورُبَّ مُتَبلِّغٍ يتقنَّعُ؛ ورُبَّ أعزَلَ مِقدَامٌ، ورُبَّ جَائِعٍ مِطْعَامٌ؛ ورُبَّ حَسنَاءَ /B64/ مَردُودَة، ورُبَّ خَرقَاءَ مَحسُودَة؛ أخلاقٌ مُتعَاكِسَةٌ، وشُركَاءُ مُتشَاكِسَة؛ وأقسَامٌ مُتبَاعِدَة، ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ﴾[1]؛ سببٌ واحِدٌ وأحكَامٌ مُتَعَدِّداتٌ، وقَضَاءٌ فَارِدٌ وأحوَالٌ مُتجَدِّداتٌ؛ قُدرَةٌ عَلِيَّةٌ وأقدَارٌ مُتغَايِرَات، وبيضَةٌ مَكنُونَةٌ وأفرَاخٌ مُتطَايِرات؛ كَلِمةٌ قُدسِيَّةٌ تُنشِيءُ الإيمَانَ والكُفرَ، كخَابِيةِ المَسِيحِ تُخرِجُ الحُمْرَ والصُّفرَ؛ والشَّمسُ بِنورِها تُلوِّنُ الحِبرَ والياقُوتَ، والنَّجَّارُ بقدُومِه يَنْحِتُ المَهدَ والتَّابُوتَ؛ الدَّعوَةُ واحِدةٌ وإن تبَايَنتِ ألسِنَةُ الرُّسلِ، والمَقصَدُ واحِدٌ وإنِ اختَلفتْ جِهاتُ السُّبُل؛ ثِمارٌ تُسقَى ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾[2].

* * *

المقالة التاسعة والثّمانون

يَا مَن سلَّ فِي مُحارَبةِ الحَقِّ حُسَامَه، ويَا طويلَ الأمَلِ كأُسامَة[3]؛ /A66/ مَا أشبَهكَ فِي قَصْرِ العَملِ، وطُولِ الأمَلِ بالجَملِ؛ عُنقٌ طَويلٌ وذَنَبٌ قَصِيرٌ، وجَسدٌ كَبيرٌ وأذُنٌ صَغيرٌ؛ فلَا تَرْبِطْ خُيولَ الخِيالِ علَى طَويلَةِ الرَّجاءِ، ولَا تَفْرَحْ كالقَاصِراتِ بِتِقْصَارَةِ البَقَاءِ؛ وانظُرْ إلَى مَن أنذَرَه المَوتُ وسَبَا، وإلَى إخوانِك كَيفَ تَفرَّقُوا أيَادِيَ سَبَا؛ أسلَافُك تَبدَّدُوا وبادُوا، وأُلَّافُك ذهَبُوا فمَا عَادُوا؛ فاعْتَبِر بفِتيَانِك وفَتَيَاتِك، فسَيأتِيكَ المَوتُ وإنْ لَم يأتِك؛ دَفنتَ تَوأمَك، ونَسيتَه فمَا ألأَمَك!؛ جَعلتَ أسبَاطَك أفراطَك، وقَدَّمْتَ أعمَامَك أمامَك؛ نَفضتَ يدَ السَّلْوةِ عَن تُرابِ

---

١. كريمة ٥٠ القمر.

٢. كريمة ٤ الرعد.

٣. إشارةٌ إلى قول سيِّدنا رسولِ اللّه ﷺ: «إنَّ أسامة لطويل الأمل»؛ راجع: شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة، ج ١٨، ص ١٢٧؛ مجموعة ورّام، ج ١، ص ٥٠.

الحَامَّةِ والسَّامَّة، وتَركتَهُم أَكْلَةَ السَّامَّةِ والهَامَّة؛ ثُمَّ تُقيمُ عَزاءَ الأعِـزَّة، بِـتغييرِ البِـزَّة؛ فـمَا أسفَلَكَ ومَا أقساكَ، ومَا أغفَلَكَ /B66/ ومَا أنسَاكَ!؛ تَنْبِذُ أخاكَ بالعَرَاءِ خَالِيًا، وتَـعودُ مِـن العَرَاءِ سَالِيًا؛ كأَنْ لَم يَكُن بَينَك وبَينَه عَلَاقةٌ، ومَا كَانَ بَينَكُما صَداقَةٌ؛ قَسَا قَلبُك إذ طَالَ عَليكَ الأمَدُ الزَّمانِيُّ، ﴿فَتَرَبَّصْتُمْ وارْتَبْتُمْ وغَرَّتْكُمُ الأَمَانِيُّ﴾[١].

* * *

المقالة التّسعون

ذِكرُ اللَّهِ أشرَفُ الأذكَارِ، فاذْكُروهُ بِالعَشِيِّ والأبْكَارِ، ذِكرُه مِقْدَحَةُ الأرواحِ الصَّديَّة، كالصَّبَا مِروَحَةُ الأقَاحِي النَّدِيَّة؛ فاذْكُرِ اللَّهَ كَثيرًا، وكَبِّرهُ تَكبيرًا؛ حتَّى إذَا أخلَصتَ الذِّكـرَ فَـاترُكِ الحَرفَ والصَّوتَ، وإذَا شَربتَ وسَكَرتَ فَاكْسِرِ الظَّرفَ فَقد نَجوتَ؛ السُّجودُ مَا جـلَّ عَـن نَفَراتِ الجِبَاهِ، والذِّكرُ مَا خَفيَ عَن حَركَاتِ الشِّفَاهِ؛ فجَهِّزْ لَطيمَةَ الذِّكرِ إلَى حظَائِرِ قُـدسِه، واذْكُرِ اللَّهَ فِي /A67/نَفسِك يَذكُرْكَ فِي نَفسِه؛ وقُلْ لِمَن يَذكُرِ اللَّهَ بِلسَانِه تَوَرُّعًا، ﴿واذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا﴾[٢].

* * *

المقالة الحادية والتّسعون

طَرْفٌ راقِدٌ، وحِرصٌ واقِدٌ؛ وخُطُوٌ فِي الأمَلِ فسِيحٌ، وقِدْحٌ فِي العَملِ سَفيحٌ؛ خُـلِقْتَ فِـي العَملِ قُعَدَةَ ضُجَعَة، وفِي الأمَلِ طُلَعَةَ قُبَعَة؛ كَم يَهتِفُ بكَ داعِي الشَّوقِ فلَا تهُبّ، وقَد آنَ أنْ تَسكُنَ رِيحُك فَلَا تَهُبُّ؛ مَا للغَافِلِ كأصحَابِ الكَهفِ خاطَ عَينَيهِ، وكَلبِ هوَاهُ باسِطٌ ذرَاعَيهِ؛ يَومُ البَطَالَةِ نَومُ أصحَابِ الرَّقيمِ، ولَيلُ العَشَقَةِ لَيلُ السَّقيمِ؛ يَصيحُونَ صِياحَ الْوَزْقِ السَّواجِعِ، وتتَجافَى جُنُوبُهم عَن المضَاجِعِ؛ يَطُوُونَ النَّهارَ علَى طَوَى الأحشَاءِ، ويُصَلُّون الفَجرَ بوُضوءِ

---

١. كريمة ١٤ الحديد.

٢. كريمة ٢٠٥ الأعراف.

العِشاءِ؛ عندَ اللَّهِ فُطُورُهم، وعلَى اللَّهِ سُحُورُهم؛ هُوَ يَـعْصِمُهُم /B67/ ويَـقِيهِم، ويُـطعِمهُم ويُسقِيهِم؛ يُورِدُهم فِي موَارِدِ الاجتِهادِ، ويَكحَلُهُم بمرَاودِ السُّهادِ؛ حتَّى يَتَّضِحَ لهُم العِلمُ مِن الجَهلِ، ويتَبيَّنَ لهُم الحَزْنُ مِن السَّهلِ؛ ونُورُ اليَقينِ مِن ظُلَمِ الشَّكِ، وصُبحُ الإيمَانِ مِن غَسَقِ الشِّركِ؛ فيَمُدُّ لهُم موَائِدَ الأجرِ، ويفُكُّ عَن أفوَاهِهِم طَابِعَ الحَجْرِ، ويُقالُ لهُمْ ﴿كُلُوا واشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾[١].

* * *

المقالة الثانية والتّسعون

أرزَاقٌ وجُدودٌ، وسِمَاطٌ مَمدُودٌ؛ عَليهِ مِن الخَلقِ أصنَافٌ، كُلُّهم أضيَافٌ؛ هذَا يَلُمُّ النَباتَ، وهذَا يَلقُطُ القُتاتَ؛ رجُلٌ يَكيلُ بالصَّاعِ، وآخرُ يَلحسُ رُكحَةَ القِصَاعِ؛ هذَا يَـنهَش اللَّـحمَ فَسِيحًا، وهذَا يَحسُو المَرقَ مَسِيخًا؛ بَعضُهم يَروَى بِالْعُلَالَة، ويتَجَزَّىءُ بِـالْبُلَالَة، وبـعضُهُم /A68/ كالبَقرِ الجَلَّالة؛ فكُلُّهُم خَلِيقٌ بمَا أُطلِقَ لَه، وكلٌّ مُيسَّرٌ لمَا خُلِقَ لَه؛ كُلُّهم ضَيفٌ، ومَا فِي القِسمةِ حَيفٌ؛ يَجمَعُهم علَى نُزُلٍ مَقسُومٍ، ﴿ومَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[٢]؛ لَا المُـضِيفُ شَحِيحٌ، ولَا ثَمَّ تَمييزٌ ولَا تَرجِيحٌ؛ وإنِ اجتَمَعتِ الأراذِلُ علَى الرِّزقِ بتَقاحُمٍ وتهَافُتٍ، فـمَا ﴿تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾[٣].

* * *

المقالة الثالثة والتّسعون

لكُلِّ حَاضِرٍ أمَدٌ ساعَةٌ أو سُوَيعَةٌ، ولكُلِّ طَاعِمٍ ظَرفٌ إمَّا قَصعةٌ أو قُصَيعةٌ؛ ومِن الجَهلِ حَسدُ العَصافِيرِ، لليَعافِيرِ؛ وغِبطَةُ السِّنَّورِ، علَى الثَّورِ؛ ومِن السَّفَهِ غُصَّةُ الطَّلحِ علَى الطَّلَائحِ البُزْلِ،

---

١. كريمة ١٨٧ البقرة.
٢. كريمة ٢١ الحجر.
٣. كريمة ٣ المُلك.

حَسدًا علَى مَا أوتِيَت مِن بَسطَةِ النُّزُل؛ تَحسُدُها علَى كَثرَةِ طَعامِهَا وشَرَابِها، ولَاتَرَى رحبَ أرجَائِها وسَعةِ إهابِها، وقوَّةِ /B68/ مَجيئِها وذَهَابِها؛ ويَغبِطُهَا علَى أورَادِها وأعلَافِها؛ ولَاينظُرُ إلَى سَعةِ غِلَافِها، وعِظَمِ أجوَافِها؛ ثُمَّ إلَى نَفعِ ألبانِها، ودِفءِ أصوَافِها؛ فيَا مَحجُوبَ البَصيرةِ! لَاتَحسُد أخاكَ علَى نِعَمِ اللَّهِ فلَعلَّهُ أرحَبُ مِنكَ وِعاءً، ولَاتَغبِطْهُ علَى رَزانَةِ لُقمَتِه فعَساهُ أوسَعُ مِنكَ أمعَاءً؛ ولَاتَحقِرْ مَكامِنَ الرِّزقِ بِالمِعوَلِ، ولَاتُبصِرْ الأحوَالَ بِالطَّرفِ الأحوَلِ؛ فَإذَا رأَيتَ الغَنِيَّ والفَقيرَ يَجتَمِعانِ علَى سُحورٍ أو فُطورٍ، ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾[1].

* * *

المقالة الرابعة والتّسعون

الحَرامُ كَثيرُ العدَدِ، والحَلَالُ قَليلُ المدَدِ؛ ذَاكَ مَددهُ فيضِيٌّ، وهذَا عَددُه أرضِيٌّ؛ ومَن أقرَضَ دِرهَمًا بِدرهَمَينِ، فقَد بَاعَ همًّا بِهمَّينِ؛ وفضاءُ الحَرامِ أفيَح واسِعٌ، وصَعيدُ /A69/ الحَلَال أبرَقُ شاسِعٌ؛ الحَرامُ غَزيرٌ سُقيَاهُ، قَليلٌ بُقيَاهُ؛ سحَابُه قَليلَةُ المَكثِ، وأسبَابُه وَشِيكَةُ النَّكثِ؛ قَعْبٌ إذَا امْتَلأَ انكفَأَ، وشواظٌ إذَا تلألأَ انطَفَأَ؛ ومَا حَلَّ وقَلَّ، خَيرٌ مِمَّا حرُمَ وجَلَّ؛ والعفَافُ، علَى خُبزَةٍ وَسَعَها الضَّعفَاءُ؛ فيَدَّخِرُها الغَافِلُ بِجَهلِه، لِعِيالِه وأهلِه؛ يَسرُقُ بُلْغَةَ الْأيَامَى، مَبلُولةً بدَمْعَةِ الْيَتامَى؛ ويَسلُبُ غَزْلًا مِن خِفشِ الأرَامِلِ، غَزَلَتْهُ بِكَدِّ الأنَامِلِ؛ يَغصِبُ شَرابَ العَطشَانِ فَيَحتَسِيه، ويسلُبُ لِباسَ العُريَانِ فيَكتَسِيه؛ ثمَّ يَحمِدُ اللَّهَ ـ تعَالَى ـ علَى هذِه الكِسوةِ، ويَشكُره علَى تِلكَ الحسوَةِ؛ فيَا هَؤلَاءِ أتَحمَدونَه، علَى مَالٍ قُتِلَ صاحِبُه دونَه؛ وتَشكُرونَه علَى عِرضٍ استَبَحتُموهُ، /B69/ أو يَتيمٍ ذَبحتُمُوهُ؛ أو دَمٍ سفَحتُمُوهُ، أو شرَابٍ لَحَستُمُوهُ؛ ثُمَّ سَلحتُمُوهُ؟ أَ يُعجِبُكم حِرزٌ طَرقتُمُوه، أو سِترٌ خَرقتُمُوهُ؛ وزَادٌ سَرقتُمُوه، ومَاءُ وَجهٍ أرَقتُموهُ؛ وطرفٌ أرَّقتُموه، لِقُوتٍ رزَقتُمُوهُ؛

---

١. كريمة ٣ الملك.

أَ تَشكُرونَ اللَّهَ علَى سُحْتٍ قَضمَتْهُ أسنَانُكم، ونَهبٍ غَصَبتْه أيمَانُكم؟ ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ﴾[1].

* * *

المقالة الخامسة والتّسعون

لَا وُصولَ إلَى مَقامَاتِ العَلَاءِ، إلَّا بمُقاسَاةِ البَلَاءِ، وتَجرُّعِ كَأساتِ العَناءِ؛ ومَن طَلَبَ الدُّرَّ، شربَ الأُجَاجَ المُرَّ؛ ومَن أمَّلَ المَناصِبَ، ترَكَ المَكاسِبَ، ورَكِبَ السَّباسِبَ؛ ومَن أحبَّ الشَّيءَ الخَطيرَ وكَرِه التَّافهَ، قطَعَ المَهَامِهَ وأَلِفَ المَكارِهَ؛ وفَارَقَ الأترَابَ والجِيرَانَ، وعَانَقَ الأقتَابَ والكِيرَانَ؛ وودَّعَ الخَليطَ والضَّجِيعَ، /A70/ وودَّعَ التَّقصِيرَ والتَّضجِيعَ؛ أَ تَظنُّ أنَّ الشَّرفَ أمرٌ يُدرَكُ بالتَّوانِي، أَو بَحرٌ يُعرَفُ بالأوانِي، أو قَفرٌ يُمسَحُ بِسَيرِ السَّوانِي؟ لَا يَستَوِي القَاعدُ معَ الوَلدِ والأهلِ، والسَّائحُ فِي الحَزْنِ والسَّهْلِ؛ إلَّا أنَّ الرَّفعةَ فِي أطِيطِ الرَّاحِلِ لَا فِي غَطِيطِ النَّائمِ، وصلَاةُ القَاعدِ علَى النِّصفِ مِن صلَاةِ القَائمِ؛ أَ فمَن سكَنَ هُوَّةَ المَبَاءَة، وتعَوَّد شَهوَةَ البَاءَة؛ ولَم يَخرُج مِن الظِّلَالِ والْكِنِّ، ولَم يَعرِفْ غيرَ إتعَابِ السِّنِّ؛ كَمَن لَا يفرَعُ إلَّا الجِبالَ الرَّواسِخَ، ولَا يذرَعُ إلَّا الأمْيَالَ والْفَراسِخَ؟ وإنْ طَعِمَ لَا يعرِفُ إلَّا حَشيشَ الفلَاةِ، ولَا يَسمعُ نَشيشَ المِقلَاةِ؛ وإن شَرِبَ لَا يَشربُ إلَّا الثَّمَدَ، ولَا يَعرِفُ فِي الحَرِّ قَعقَعةَ الجَمَدِ؛ مِسْعَرُ حَربٍ يُناطِحُ الأترَاكَ بالتَّريكةِ، وحِلْسُ أسْفَارٍ يَستظِلُّ بالأرَاكِ لَا بالأريكَة؛ أَ فمَن يَجوبُ البَلَاقِعَ فهُو فِي البِلادِ غيرُ قَطِينٍ، كَمَن ﴿يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[2].

* * *

---

١. كريمة ٩٣ البقرة.

٢. كريمة ١٨ الزخرف.

المقالة السادسة والتّسعون

تبلَّج الغَسقُ، وتنفَّسَ الفَلقُ؛ وجَفتْ أفنَانُ الشَّبابِ المُورقَاتِ، وانقَضتِ اللَّيالِي المُحمِقاتُ؛ واسفَرَّ الصَّباحُ، وغشَى المِصباحُ، وتاقَتِ الوُرْقُ الفصاحُ؛ ولَاتَدرِي أَ يَنشقُّ عمُودُ الصُّبحِ عَن يَومِ عيدٍ وسُعودٍ، أم يَومِ عَادَ وثَمودٍ؟ إلَّا أنَّه علمَ المعَادَ، ولَايُدركُ بالاجتهادِ؛ مَا للحَمإِ المَسنُونِ، والغَيبِ المَكنُونِ، ومَا سيَكونُ بعدَ المنُونِ؛ هيْهاتَ! لقَد طَمستْ أعـلَامُ الوَادِي، وطَاحَ صَوتُ الحَادِي، وحَارَ طرفُ الهادِي؛ وضَلَّتِ القَافلَةُ، وهَلكَت الرَّاحلَةُ؛ وتفرَّقُوا أشتَاتًا وعبَادِيدَ، وتورَّطُوا فِي وهادٍ وأخادِيدَ؛ تَهوِي بِهم أيدِي الرِّياحِ المُوْتفِكاتِ، فِـي مـهَاوِي الدَّركَاتِ؛ يُنادُون الدَّليلَ الأجوَديَّ، ويُناجُون الشَّفيعَ الأحوَذيَّ؛ وهُو يُجيبُ تَحيَّرتُ فِـي حسَابي وحِسابِكم، والصَّبرُ أخلَقُ بِي وأولَى بِكُم، ﴿ومَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي ولَا بِكُمْ﴾[1].

* * *

المقالة السابعة والتّسعون

لَايغُرَّنَّك تقَلُّبُ الكِبارِ والأمجَادِ، فِي الأغوَارِ والأنجَادِ؛ واطْلُب ابنَ بَجْدَةَ هـذَا الأمـرِ فِـي المِسْحِ والبِجَادِ، واعبُدِ اللَّهَ ولَاتَسجُد لدَراهِمِ الأسجَادِ؛ واعلَم! أنَّ الذَّهبَ عِجلُ هذِهِ الأمَّةِ ففَرِّقْهُ ثُمَّ حَرِّقْهُ، ثُمَّ انْسِفْهُ فِي المَاءِ وأرْقِه؛ أَ تظُنُّ أنَّ قِصَّةَ السَّامِرِيِّ سَمَرٌ؟! كلَّا! إنَّها فَاغِيةٌ ليسَ لهَا ثَمَرٌ؛ لَيسَ السَّامِرِيُّ مَن استعَارَ سِوارًا وحِجْلًا، واتَّخذَ مِنه عِجلاً؛ إنَّما السَّامرِيُّ مَن شَمَّرَ للجِاهِ والقَبُولِ، وخدَعَ الأغمَارَ بِقبضَةٍ مِن أثَرِ الرَّسُولِ[2]؛ فحَملَ مِن زِينةِ القَومِ أوزَارًا، وجَمعَ زِبْرِجًا مُستَعارًا؛ فَضَمَّ لَبَدًا مَلبُودًا، وصَاغَها وثَنًا مَعبُودًا؛ لَايُـبصِرُ عَـوَارَهُ إلَّا نَـفسٌ عَالِية، ولَايَسمعُ خُوَارَه إلَّا أذُنٌ واعِيَة؛ /A71/ فلَاتَنحَرِف عَن الشِّـرعَة السَّـوِيَّة، كـالفِرقَةِ المُوسويَّة؛ ولَاتَمدُد يَدَ الالتِماسِ، إلَى شَحيحٍ يُستَدَرُّ بالإبسَاسِ، وإذَا لَقيتَهُم فَعَليكَ أن تَقولَ

---

١. كريمة ٩ الأحقاف.

٢. مقتبسٌ من كريمة ٩٦ طه.

لَا مَسَاسِ؛ وأخْسِرْ بقَومٍ يُعجِبُهُم طَنينُ الذَّهبِ يَرقُص علَى ظُفْرِهِم، ﴿وأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[1].

* * *

المقالة الثامنة والتّسعون

الدُّنيَا إمَّا غارَةٌ، أو عَارةٌ؛ فَلَايطمَعُ فِي الغَارةِ إلَّا لِصٌّ غَارٌّ، ولَا يرغَبُ فِي العَارةِ إلَّا كَلبٌ ضَارٌّ؛ نَذْلٌ أَلِفَ النِّفاقَ، ففَاقَ؛ ورَكِبَ الفَسادَ، فَسَادَ؛ يَملِكُ عَشرةً أو مائَةً، فيرأسُ عَشيرةً أو فِئة؛ ويَكتَسِي حُلَّةً، فيَستَغوِي ثُلَّةً؛ ويَستَجِدُّ لَبُوسًا، فيَحمِلُ دَبُوسًا، فَيُسَخِّرُ تُيُوسًا؛ ويَركبُ بَعِيرًا، فيَسوقُ عِيرًا؛ فلَاتَحفَلْ بأمثَالِه، ولَاتَسجُدْ لِتمثَالِه؛ إذ هُوَ دَنِيٌّ، عَلَيهِ بُردٌ عَدَنِيٌّ؛ وفَتَّانٌ، /B71/ علَيهِ كتَّانٌ؛ وجِدارٌ، عَلَيهِ صِدَارٌ؛ وطِربالٌ، عَلَيهِ سِربَالٌ؛ ذِئبٌ يَلبَس نَمِرَةً، وكَلبٌ يقُودُ حُمُرًا مُستَنفَرة؛ لَاخيرَ فِي الأصُولِ والفُروعِ، ولَارَأيَ للتَّبِيعِ والمَتبُوعِ؛ إنَّهُم رُذالَةُ السَّعِيرِ، وحُثالَةٌ كَحُثالةِ الَّتمرِ والشَّعِيرِ؛ يَغتَرُّونَ بأعوَانِهم وشُهُورِهم، ويَنبُذُونَ الآخرَةَ وراءَ ظهُورِهم؛ إذَا وجَدُوا زُخرُفَ الدُّنيَا تَحَلَّوا، وإذَا ذُكِرتَ رَبَّك فِي القُرآنِ وَحدَه وَلَّوا؛ يَغِرُّونَ مِن الفُرقانِ، ﴿ولَايَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ﴾[2]؛ لَايَنقبُونَ فِي مأمَنٍ إلَّا، و﴿لَايَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا﴾[3].

* * *

المقالة التاسعة والتّسعون

النِّسَاءُ عَواتِقُ /B72/ الحِجالِ، شقَائِقُ الرِّجالِ؛ والرِّجالُ قَوَّامونَ وهُنَّ قَواعِدُ، وهُم أعضَادُ الدِّينِ وهُنَّ سوَاعِدُ؛ مَا هنَّ إلَّا مكَاريبُ زُرُوعُهُم، وشرَاسِيفُ ضُلُوعِهم؛ ألَا فَارْفقُوا بِهِنَّ

---

١. كريمة ٩٣ البقرة.
٢. كريمة ١٠٧ الإسراء.
٣. كريمة ١٠ التوبة.

فإنَّهُنَّ لَحمٌ علَى خِوَانٍ، واستَوصُوا بهِنَّ خَيرًا فإنَّهنَّ أعوَانٌ؛ ورَجلٌ بلَابعلٍ، كرِجلٍ بلَانَعلٍ؛ والعُزوبَةُ مِفتاحُ الزِّنا، والنِّكاحُ مِلواحُ الغِنَى؛ ومَن نكَحَ فقَد صفَدَ بَعضَ شيَاطِينِه، ومَن تزَوَّج فقَد حصَّنَ نِصفَ دينِه؛ ألَا فاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّصفِ الثَّانِي فإنَّ خَرابَ الدِّينِ بشَهوتَينِ: شَهوةِ البَطنِ وهِيَ الصُّغرَى، وشَهوةِ الفَرجِ وهِي الكُبرَى؛ فاعمُرِ الرُّكنَينِ، واحكِمِ الحِصنَينِ؛ وإذَا فرَغتَ مِن الرَّواقِ والصُّفَّة، فلَاتُهمِلِ السَّقيفَةَ والأُسكُفَّة؛ /A73/ واعلَمْ! أنَّ الدُّنيَا والآخرَةَ ضرَّتانِ، لكَ إليهِما كرَّتانِ؛ إحدَاهُما حُرَّةٌ خَرِيدَةٌ، والأخرَى أَمَةٌ مَرِيدَةٌ؛ فاجعَل لِلحُرَّة يَومَينِ، فإنَّ لهَا قِسمَينِ؛ وللأَمَةِ قِسمًا، فإنَّ لهَا فِي كتَابِك اسمًا؛ وأضعِفْ نَصيبَ العُقبَى، ﴿ولَاتَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾[١]؛ واحفَظِ القِسمَةَ العَادِلَة، ولَاتكُن مِمَّن يُحبُّونَ العَاجِلَة؛ فَالوَيلُ كلُّ الوَيلِ، أن تَميلُوا كُلَّ المَيلِ؛ فاتَّقُوا المَيلَ بالقَلبِ فكُلُّ أولَئكَ كانَ عَنهُ مَسؤُولًا، وإن كانَ ولَابُدَّ فلَلآخرةُ ﴿خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى﴾[٢]؛ وإن اتَّقَيتَ الزَّيغَ فطَلِّقِ الدُّنيَا فإنَّها زائِدةٌ، ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾[٣].

* * *

المقالة الثامنة

للَّهِ دَرُّ طائِفةٍ، بالكَعبَةِ طائِفَةٍ؛ أهابَ بهِم داعِي الحَقِّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[٤]، فمَزَّقُوا عَن القُمُصِ /B73/ وبرَزُوا فِي الأكفَانِ؛ ثمَّ صفُّوا فِي صَفصَفِ القِيامَة، ومَثُلُوا فِي مَزجَرِ النَّدامَة، ووَقفُوا فِي عَرصَةِ التَجلِّي ومهَبطِ الكَرامَة؛ رحَلُوا مِن تِيهِ العَاهَاتِ، ونزَلُوا مَنزِلَ المُبَاهَاتِ؛ ثمَّ أفاضُوا بوُجُوهٍ غُرٍّ، ورؤُوسٍ غُبرٍ؛ إلَى المَشعَرِ الحَرامِ، ومَحشَرِ الكِرامِ؛ ثمَّ هبطُوا إلَى مَنحَرِ القَرَابِينَ، ومَزجَرِ الشَّياطِينَ؛ وخلَعُوا الدِّثَارَ وبذَلُوا الدُّثُورَ، ونزَعُوا الشِّعَارَ وحلَقُوا

---

١. كريمة ٧٧ القصص.
٢. كريمة ٤ الضحى.
٣. كريمة ٣ النساء.
٤. كريمة ٢٦ الرحمن.

الشُّعُورَ؛ وأعلَنُوا بأغَارِيدَ الحَمَائِمِ فِي تِلكَ البوَادِي، وطَـيَّرُوا أغـربةَ الأصـدَاغِ فِـي ذلِك الوَادِي؛ ثمَّ طَارُوا إلَى بَيتِ اللَّهِ مُحَلِّقِينَ، وطافُوا مُـقصِّرِينَ ومُـحَلِّقِينَ؛ واسـتقبَلُوا البَـيتَ العَتِيقَ، واستَلَمُوا المِسكَ الفَتِيقَ؛ فأدرَكُوا نُهْزَةَ الفَرْضِ، ولَثمُوا سُرَّةَ الأرضِ؛ وقبَّلُوا /A74/ يَمينَ اللَّهِ، ثمَّ زَارُوا أمِينَ اللَّهِ؛ توَجَّهُوا مِن المَرتَعِ الأحدِيِّ، إلَى المَضجَعِ الأحمَدِيِّ؛ حيثُ تَعْنُو جِبَاهُ المُلُوكِ الصيدِ، لتُربَةِ ذلِك الوَصيدِ؛ ويُصبِحُ هِزَبرُ الغَابَةِ كَالْهُبَعِ المُعَتَلِّ، وطَاوُوسُ السِّدرةِ كالوَضعِ المُبتَلِّ؛ فهُنَاكَ تَتنَاثَرُ عُراضَةُ الغَيبِ علَى الزُّوَّارِ، وتتَقَاطَرُ نُفَاضةُ الغَيثِ علَى النُّوَّارِ؛ فيَقتَنِصُ كلُّ زائِرٍ، مَا لَا يَفتَرِسُهُ كلُّ لَيثٍ زائِرٍ؛ ويَـربَحُ فِـي مِـضْرَبِهِ حَـجًّا مَـبرُورًا، ﴿وينْقَلِبُ إلَى أَهلِهِ مَسْرُورًا﴾[1].

* * *

المقالة الحادية بعد المائة

يَا دنيَا وخطاب الفَانِي مجازٌ، هَل لِسُفَّارِ الآخرةِ علَى جِسرِك مَجَازٌ؟ كَم لكَ مِـن مَـحرومٍ يتألَّمُ، ومَهضُومٍ يتَظَلَّمُ، ومَظلُومٍ لَا يتكَلَّم؛ كَم لكَ مِن بائِقةٍ تُذهِلُ الحَلِيلةَ عَن الحَلِيلِ، ومِن فاقِرةٍ تُعجِلُ /B74/ الرَّضيعَ عَن الإحلِيلِ؛ تبًّا لكَ مِن لَيثٍ يَفْرِسُ الأعنَاقَ، ومِن ذِئبٍ يفترِسُ العَنَاقَ؛ ومِن قَليبٍ يَبلَعُ الأنَامَ، ومِن قَلُوبٍ يقلَعُ الأغْنَامَ؛ ومِن سفَّاكٍ يَذبَحُ الفوَارِسَ عـلَى مَخَدَّةِ التُّرسِ، ومِن فتَّاكٍ يقتُلُ العَرَائِسَ علَى منَصَّةِ العُرسِ؛ ومِن مُفْنٍ يجعَلُ البُخنُقَ رِبْـقَةَ الطُّلَى، ويُثكِلُ الأدمَانَةَ بالطُّلَا؛ ومِن نَكَدٍ يُخلِي الدِّيارَ عَن الآلِ، وغَمٍّ يخدَعُ الظَّبِيءَ بالآل؛ ومَا أضرِبُ لكِ مثلًا إلَّا التِّمسَاحَ يَخرُجُ إلَى الفَضَاءِ مُتَشَرِّقًا فيَستَلقِي علَى قَفاهُ، ويفتَحُ فاهُ؛ فتقَعُ علَيه بَناتُ المَاءِ سوَاكِنَ، ويَظلَلْنَ علَيه روَاكِنَ؛ يَجمَعنَ لُمَاظَةَ فِيهِ، ويَلقَطْنَ ما اجتَمَعَ مِن الدُّودِ فِي فِيه؛ حتَّى إذَا سَدَدْنَ ثُلمَةَ الجُوعِ، ونَهضنَ للرُّجُوعِ؛ أطبَقَ الأشـدَاقَ، /A75/ وأوصَدَ الأغلَاقَ؛ وخَاطَ فكَّيهِ وحاصَ، وَابَ غانِمًا وغاصَ؛ والتِّمسَاحُ إذَا اتَّخذَ سبيلَه فِي

---

١. كريمة ٩ الإنشقاق.

البَحرِ هَـرَبًا، ﴿فَـلَنْ تَسْـتَطِيعَ لَـهُ طَـلَبًا﴾[١]. إنَّ لِـنَفسِكَ عَـليكَ حَـقًّا فـلَاتُهمِلْهُ، وإنَّ لهَـا لَوِزْرًا فلَاتُحَمِّلهُ؛ إنَّها لكَ تِربٌ، وهـيَ نَـاقَةُ اللَّـهِ لهَـا شِـربٌ؛ فـلَاتَطلَحهَا بـعلَاوةِ صـلَاةٍ ووُضُوءٍ، ولَاتمسَّهَا بسُوءٍ؛ وإذَا وَفتْ بِعَهدِ اللَّهِ، وحَافَظتْ علَى أمرِ اللَّهِ، ﴿فَـذَرُوهَا تَأْكُـلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾[٢].

* * *

المقالة الثانية بعد المائة

مَا لكَ تَختَارُ مِن الأطعِمَةِ أطيَبَهَا، ومِن الأشربةِ أعذَبَهَا؛ ومِن المَسَـاكـنِ أحـصَنَهَا، ومِـن المَلَابسِ أحسَنَهَا؛ ومِن المَراكِبِ أجرَاهَا، ومنَ المشَارِبِ أمرَاهَا؛ فتَأكُلُ السَّمينَ غيرَ الغَثِّ، وتَلبسَ الثَّمينَ دُونَ الرَّثِّ؛ فإنْ /B75/ بَرَّكَ أخُوكَ بِطَمرٍ، لِبستَه علَى غُمرٍ؛ ولِباسُ التَّـقوَى ذلِك خَيرٌ وقِدمًا، طرَحتَه هِدمًا؛ بعدَ مَا أخلَقتَه بالمَعاصِي ودرَستَه، ولوَّثتَه بالمَآثمِ ودنَّستَه؛ فهوَ سَحْقٌ فِيهِ حَرقٌ وخَرقٌ، وفَتْقٌ لَايرفُوه رَتـقٌ؛ يَـضَلُّ فـيهِ الخَـيَّاطُ، ولَايُـجدِي فِـيه الاِحتِيَاطُ؛ لَايَسُدُّ عَورةَ حُرٍّ، ولَايَرُدُّ فَورةَ حَرٍّ؛ خَرُوقٌ لَاتَسـتُرُ عَـورةَ العُـريَانِ، وفُـطُورٌ لَاتُدرَكُ بنَظرِ العُمْيَانِ؛ ثَوبٌ مَطوِيٌّ تَبْصِرُ خُروقُه عندَ النَّشرِ، وبَزٌّ مَكتُومٌ تَظهَرُ عُيوبُه يَـومَ الحَشرِ؛ وإذَا انجلَتْ هذِه الظُّلَم، تَبدُو لكَ هذِه الثُّلَمُ؛ إذَا بَرزْتَ مِن مَقبرَةِ الرَّمسِ، إلَى مَشرَقَةِ الشَّمسِ، بدَا لكَ مَا جَنيتَهُ بالأمسِ؛ سَوفَ ترَى إذَا طلعتَ مِن نَفَقِ النِّفاقِ إلَى البَلَاقِعِ، كيفَ اتَّسعَ الخَرقُ علَى الرَّاقِعِ؛ وستَنكُتُ المرَائرُ إذَا انشَقَّتِ الغَبرَاءُ عَن مِرْجَلٍ بهَا، وسَتُبْلَى /A76/ السَّرائِرُ إذَا ﴿أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾[٣].

* * *

---

١. كريمة ٤١ الكهف.
٢. كريمتان ٧٣ الأعراف، ٦٤ هود.
٣. كريمة ٦٩ الزمر.

في اختتام الكتاب

أَ جـارَتَنا إنَّـا غَـريبَانِ هَـيهُنا وكُلُّ غَريبٍ للـغَريبِ نَسِـيبُ[١]

أيَّتُها النَّفسُ! طَالَمَا سَلكنَا فِي سَبِيلِ الحَيَاةِ زَوجَينِ، وسبَكنَا سَبْكَ النُّضَارِ فِي اللُّجَيْنِ، حتَّى تَنوَّرَتْ غاشِيةُ الشَّبابِ بمِصبَاحِ المَشيبِ، وعصَفَتْ جائِحَةُ الكِبرِ علَى القَرَاحِ القَشيبِ؛ وطَارَ الصَّقْرُ الحُذارِيُّ، واسكَتَ النَّسرُ الصرَاحِي؛ الرَّحيلُ فقَد نَصبَ رواؤُنا فِي دِيارِ الغُربَةِ، وطَالَ ثَواؤُنا فِي هذِهِ التُّربَةِ؛ وقَد آنَ أوَانُ المَسيرِ، واللَّهُ وليُّ التَّيسِيرِ؛ فتَأهَّبِي وهُبِّي، وسِيرِي معِي فإنِّي ﴿ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾[٢]؛ حَنَانَيْكِ يَا جارَتِي، وأفدِيكِ يَا سَارَتِي؛ بَعلُكِ شَيخٌ سَقِيمٌ، وأنتِ عَجُوزٌ عقِيمٌ؛ وأوَانُ /B76/ الحِرَاثةِ، زمَانُ الحَداثَة؛ والزِّراعَةُ فِي أوَّلِ الخَريفِ، لَا فِي آخِرِ المُصيفِ؛ لكِنْ لَاتيأَسِي مِن رَوحِ اللَّهِ، أَ تَعجَبينَ مِن أمرِ اللَّـهِ؟ لعَـلَّ اللَّـهَ يَـجمَعَ شَـملَ الأحبَابِ، ويشُدُّ مرَائرَ الأسبَابِ، ويردُّ ضَالَّةَ الشَّبابِ؛ فيَجعَلُ العَجُوزَ عاتِقًا، والعَقِيمَ ناتِقًا؛ وقَد أتاحَهُ اللَّهُ وفعَلَ، بِلَا عسَى ولعَلَّ؛ أمَا تَرَينَ بعلَكِ كَيفَ أُرَى مَلكُوتَ السَّمواتِ، وأخمَدَ ثائِرَةَ الشَّهوَاتِ، وكَيفَ طهَّرَ بَيتَه العَتيقَ عَن أصنَامِ الخَيَالَاتِ؟ وكَيفَ نشأَ لَه فِي عَهدِ الكِبَرِ، سَليلَ غَيبٍ نشأَ فِي مَهدِ الفِكَرِ؛ خلَّدَ ذِكرَهُ بَينَ العَالَمينِ والعَالِمينَ، وجعَلَ لَه لِسانَ صِدقٍ فِي الآخَرينَ، ومَا ذاكَ إلَّا أغصَانٌ عُرِضَتْ علَيهِ مِن رِياضِ الغَيبِ فشَمَّهُنَّ، وطُيُورٌ /A77/ فصَاحٌ تفَرَّقتْ أجزاؤُها فِي جِبالِ القُدسِ فضَمَّهنَّ، ﴿وإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾[٣و٤].

* * *

---

١. البيت لمجنون ليلى، راجع: ديوانه، ص ٢٨؛ وقال ابن نباتة المصري:

غريبٌ غرامٍ في غريبِ محاسنٍ وكـلّ غـريبٍ للـغريبِ نسـيبُ

٢. كريمة ٩٩ الصافات.

٣. كريمة ١٢٤ البقرة.

٤. جاء في مختتم المخطوط: «تمَّ الكتاب الموسوم بـأطباق الذهب، تأليف الشَّيخ المرحوم الإمام العلَّامة عبدالمؤمن بن المغربي ـ قدَّس اللَّه روحه ـ على يد أقلّ العباد وأحقر الكُتَّاب محمّد عليّ بن الحسينيّ الأصفهانيّ».

رسالة القَوس

لكمال‌الدّين أبي‌الفضل إسماعيل الإصفهانيّ

تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن‌الرَّسول

كلمة المحقِّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

نبذة حول رسالة القوس وصاحبها

إنّ مصنّف الرّسالة هو كمال‌الدّين أبوالفضل إسماعيل بن جمال‌الدّين محمّد بن عبدالرّزّاق الاصفهانيّ، الفاضل الأديب الشّاعر الملقّب بخلّاق المعاني[1]، وهو كما يصفه ابن‌الفوطيّ: «أحد فضلاء الدّهر ونبلاء العصر ممّن يضرب به المثل فى الفطنة والذّكاء، ديوانه يشتمل على عشرين ألف بيت من الشّعر السّائر الفصيح النّادر ليس لفضلاء العجم شبهه، ... استشهد على يد التّتار باصفهان سنة خمس وثلاثين وستّمأة»[2].

وقوسيّته الّتي تسمّى أحياناً برسالة القوس، أو القوسيّة الكماليّة هى رسالة أدبيّة في وصف القوس مشحونة بالتّشبيهات والاستعارات، والكنايات والإيهامات والمحسّنات البديعيّة صنّفها كمال‌الدّين في جواب رسالة فى الموضوع نفسه للقاضي نظام‌الدّين الاصفهانيّ، كما أشرت إليه في مقدّمة قوسيّته وكما أشار كمال‌الدّين نفسه في نهاية رسالته هٰذه.

---

١. ذكر الشّبستريّ (في مشاهير شعراء الشّيعة، ج ١، ص ١٨٨ ـ ١٩٠) ملخّصاً من ترجمة الشّاعر ومصادرها.
٢. ابن الفوطى، ج ٤، ص ١٢٩.

والرّسالة قد أخذت مكانتها في الحوزات الأدبيّة مذ نُشرت، وأعجب بها الأدباء، فقال ابن‌الفوطيّ عند ذكر الشّاعر:

" وهو صاحب رسالة القوس الّتي لم يصنَّف مثلُها ابتدأ فيها: «بسم اللّٰه الرّحمٰن الرّحيم يَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنّا مَكَنّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً»، وهي بديعة في فنّها وختمها بأبيات أوّلها:

مِنْ صَنْعَةِ ٱلْبارِي لَدَيَّ مَطِيَّةٌ عَجْفاءُ تُبْصِرُ فِي ٱلضُّلوعِ عِظامَها "[١]

وقال الصّفديّ في كتابه في ردّ المثل السّائر المسمّى نصرة الثّائر على المثل السّائر بعد ما نقَل قولَ ابن‌الأثير حول رسالة طرديّة له في وصف قِسيّ البندق وحامليها[٢] والّذي يبدو منه أنّ ابن‌الأثير قد يدِلّ ويفتخر برسالتها تلك:

" وهي أيضاً من الوسط، فلا تكون في العالي ولا السّقط، وذكرت بالطّريق الّتي سلكها فيها ما جاء لبعض كُتّاب العجم فيما أظنّ، في القوس الّتي للسّهام، فإنّها في حسنها فذّة، ونكتها سلب العقول مغذّة، وصناعتها لم تدع في المثاني والمثالث عند النّفوس بعدها لذّة؛ وهي: «وَ يَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً؛ حَكيمٌ جُبِلَ عَلَى ٱلسَّدادِ، يَهْدي إِلىٰ سُبُلِ ٱلرَّشادِ، ...»"[٣].

فأتى الصّفديّ بفقرات من قوسيّة كمال‌الدّين الاصفهانيّ مُتبعاً لها بفِقَر من قوسيّة نظام‌الدّين الاصفهانيّ ظنّاً منه أنّها جميعاً من رسالة واحدة، ثمّ قال: «و هي طويلة تدخل في كرّاسة وكلّها من هٰذا الأنموذج؛ وقد عارضها جماعة، منهم القاضي ناصرالدّين بن المنير، صنع ثلاثة أو أكثر، وغيره وكلّهم لم يشق لها غباراً ولم يجر من الذّيل خلفها إلّا ما كان عثاراً»[٤].

---

١. المصدر نفسه.

٢. انظر الرّسالة في المثل السائر لابن الأثير الجزري، ج ٢، ص ٥٤.

٣. لم أحصل على كتاب نصرة الثائر أسفاً ولكنّي راجعته في الموسوعة الشعرية للمجمّع الثّقافيّ، ذيل المكتبة، ونقلت عنه.

٤. المصدر نفسه.

وابن حجّة الحموي (المتوفّى ٨٣٧ للهجرة)، ذكر أيضاً هٰذه الرّسالة في كتابه ثـمرات الأوراق في المحاضرات قائلاً:

"لم يبق بعد السّيف والرّمح غير القوس لو أنّ رسالة القوس مشتملة بكمالها على إصابة الغرض لأثبتّها هنا، ولكن جمع في نظم عقدها بين الجوهر والعرض؛ وبراعـةُ اسـتهلالها غاية لا تدرك، وهي: ﴿وَ يَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي اَلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنّا مَكَنّا لَهُ فِي اَلْأَرْضِ وَ آتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾؛ ومن غـاياتها بـعد ذٰلك قـوله منها: «صورَةٌ مُرَكَّبَةٌ لَيْسَ لَها مِنْ تَرْكيبِ اَلنَّظْمِ، إِلّا ما حَمَلَتْ ظُهورُها أَوِ اَلْـحَوايـا أَوْ مَـا اَخْتَلَطَ بِعَظْمٍ»"[١].

هٰذا وقد جاء حاجي خليفة بذكر هٰذه القوسيّة في كشف الظّنون مصرّحاً باسم صاحبها آتياً بالآية المبتدأ بها فيها، ثمّ قال: «شرحها بعضهم شرحاً ممزوجاً أوّلها الحمد للّٰه الّـذي ألهم ضمائر العلماء طرائف المعاني»[٢]، ولٰكنّه لم يُشر إلى اسم الشّارح وخصائص هٰذا الشّرح.

وذكر صاحب الذّريعة أيضاً هٰذا الأثرَ وقال: «وكتب في مقابله السّيّد نـورالدّيـن بـن المحدّث السّيّد نعمة اللّٰه الجزائريّ المتوفّى ١١٥٨ لغزَه الموسوم بالسّيفيّة»[٣].

نسخ القوسيّة

للرّسالة هٰذه نسخة في دار الكتب المصريّة كما ذكرها فهرس المخطوطات المصوّرة، نُسبت خطأً إلى كمال‌الدّين أبي القاسم اسماعيل بن عَبّاد بن محمّد بـن وزيـران الكـاتب الاصفهانيّ من علماء القرن السّادس[٤]؛ ومن المؤسف أنّي لم أحصل على هٰذه النّسخة بعدُ بسبب العلاقات المتوتّرة بين البلدين.

---

١. ابن حجّة الحموي، ص ٢٧٦.

٢. حاجي خليفة، ج ١، ٨٨٤.

٣. آقا بزرگ الطّهرانيّ، ج ١٧، ص ٢٠٧.

٤. السّيّد، ج ١، ص ٤٧٤، رقم ٤١٢؛ هٰذا والخطأ نفسه وقع في تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج ٦، ص ١٦٤؛ وفيه: «وعليها شرح لرفيع‌الدّين محمود بن محمّد الأبهري: عاشر ١ / ١٠٠٠».

وقد طبع محقّقُ ديوان كمال‌الدّين الاصفهانيّ هٰذه الرسالةَ في مقدّمته[١] معتمداً على رواية منها وردت في كتاب مطالع البدور في منازل السّرور لعلاءالدّين عليّ بن عبداللّٰه الغزوليّ البهائيّ (المتوفّى ٨١٥ للهجرة)[٢] في الباب الأربعين منه المُعنوَن بـ«في خزائن السّلاح والكنائن»، بعد أن قابلها بمخطوطتين منها (نسخة مستر چستربيتى، ونسخة المكتبة الرضويّة بمشهد الإمام عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام في خراسان)، وإنّي في عملي المتواضع هٰذا قد رمزت إلى هٰذه المطبوعة بـ«ط».

والنّسخة الأساس في هٰذا التّحقيق هى النّسخة المحشّاة المُدرَجة ضمن مجموعة نفيسة خطّيّة كتبت خلال السّنوات ٧٢١ ـ ٧٢٣ للهجرة، وطبعتْ بصورة فكسمل (facsimile) في طهران قبل اربع سنوات باسم سفينهٔ تبريز؛ والقوسيّة الكماليّة وقعت فى الصّفحات ٧٠٤ ـ ٧١٠ من هٰذه المجموعة.

وأخيراً أقدّم للقارئين الكرام ومحبّى النّصوص الأدبيّة رسالةَ القوس بعد مقابلة نسختها الأساس بنصّها المطبوع في مقدّمة ديوان المصنّف وملاحظة حواشيهما، مذعناً بقصوري وتقصيري في عمل التّحقيق، والكمال للّٰه وحده.

سيّد محمّد رضا ابن الرّسول
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
جامعة اصفهان
١٤٢٧ هـ.

---

١. راجع كمال‌الدّين اسماعيل، صد وپنج ـ صد وسيزده.

٢. انظر ترجمته في معجم الأدباء للجبورى، ج ٤، ص ٢٩٤.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

كِتابُ رِسالَةِ[1] ٱلْقَوْسيّةِ

لِلإمامِ ٱلْفاضِلِ سَيِّدِ ٱلشُّعَراءِ صاحِبِ ٱلنَّظْمِ وَٱلنَّثْرِ كَمالِ ٱلدّينِ إسْمٰعيلَ؛[2]

قَولُهُ تَعالىٰ[3]: ﴿وَيَسْأَلونَكَ عَنْ ذِي ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً * إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِي ٱلْأَرْضِ وَآتَيْناهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً﴾[4]. حَكيمٌ جُبِلَ عَلَى ٱلسَّدادِ، يَهْدي إِلىٰ سُبُلِ ٱلرَّشادِ، آثارُ بَأْسِهِ مَشْهورَةٌ عَلىٰ ذُرَى ٱلْأَعْوادِ؛ بَطْشُهُ شَديدٌ، وَمَرْماهُ بَعيدٌ؛ صَليبُ ٱلْعودِ مُسْتَقيمُ ٱلْوَتيرَةِ، رابِطُ ٱلْجَأْشِ مُسْتَحْصِفُ[5] ٱلْمَريرَةِ؛ صاحِبُ شَوْكَةٍ[6] أُيِّدَ في مَغْزاهُ بِالتَّعْقيبِ، فَيَأْخُذُ[7] فِي ٱلتَّشْريقِ بَعْدَ ٱلتَّغْريبِ؛ قَدْ[8] شُدِّدَ[9] بِكُلِّ شَديدِ ٱلإِغارَةِ أَسْرُهُ، وَوُسِّدَ إِلىٰ كُلِّ مَشْبوحِ ٱلذِّراعَيْنِ نَصْرُهُ؛ فَأَنْفَذَ رُسُلَهُ تَتْرىٰ، شَفْعاً وَوَتْراً؛ وَطَيِّرَ[10] بُرُدَهُ إِلَى

---

١. هٰكذا في الأصل، والظّاهر تعريف الكلمة لأنّ «القوسيّة» نعتها، إلّا أن يقال إنّ التّركيب من أمثال إضافة المسمّىٰ إلى أسمه، و«كتاب» في كلا التّقديرين مصدر بمعنى الكتابة أو اسم مفعول بمعنى المكتوب.

٢. في ط: «قال الإمامُ كمالُ الدّينِ إسمٰعيلُ بنُ جمالِ الدّينِ عبدِالرّزّاقِ الاصفهانيُّ رحمَه اللهُ»، بدل السّطرين.

٣. ط: ـ قوله تعالى.

٤. الكهف ١٨: ٨٣ ـ ٨٥.

٥. في الأصل: مستصحف، وما أوردناه موافق لما في هامش ط.

٦. ط: ـ «صليب ... شوكة».

٧. ط: يأخذ.

٨. ط: ـ قد.

٩. ط: فشدّد.

١٠. ط: فطيّر.

ٱلْأَطْرافِ، بِنَوْعٍ مِنَ ٱلْاسْتِعْطافِ؛ وَأَثْبَتَ ما في ضَميرِهِ فِي ٱلْقِرْطاسِ، إِظْهاراً لِلْباسِ، وَإِنْذاراً لِلنّاسِ؛ وَأَغْرَقَ قَوْسَ عَزائِمِهِ فِي ٱلرَّكْضِ، وَحَرَّمَ عَلىٰ جَنْبِهِ ٱلْقَرارَ عَلَى[1] ٱلْأَرْضِ؛ فَأُعينَ بِقُوَّةٍ جَمَعَ بِها بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ[2]، ثُمَّ قَبَضَ فِي ٱلْبَيْنِ عِنْدَ مُلْتَقَى ٱلْحَدَّيْنِ؛ وَكانَ مِنْ دُعائِهِ، فِي ٱنْحِنائِهِ[3]؛ ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لي صَدْري﴾[4] وَٱشْدُدْ أَزْري[5] ﴿وَ ٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِساني * يَفْقَهوا قَوْلي﴾[6] وَأَخي ﴿أَفْصَحُ مِنّي لِساناً فَأَرْسِلْهُ مَعي﴾[7] ﴿وَ أَشْرِكْهُ في أَمْري﴾[8].

نَعَمْ وَ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾[9]، صَفْراءُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ؛ حَنّانَةٌ حَنَّتْ وَلا تَهَنَّتْ، حَيَّةٌ إِذا ٱنْطَلَقَتِ ٱرْجَحَنَّتْ؛ مِرْنانٌ لا عَنْ مَرَضٍ، يَشْرَئِبُّ[10] إِلىٰ غَرَضٍ؛ هِلالٌ يُطْلَعُ عَنْهُ[11] لِحُلولِ[12] ٱلْأَجَلِ ٱلْمَضْروبِ، ٱسْتِهْلالُهُ دَليلُ ٱلْوَقائِعِ وَ ٱلْحُروبِ؛ مَجَرَّةٌ تَنْقَضُّ مِنْها نُجومُ ٱلرُّجومِ، بُرْجٌ ذو جَسَدَيْنِ يَطْلُعُ بِالطّائِرِ ٱلْمَشْؤومِ[13]؛ ثابِتٌ يُقارِنُهُ[14] ٱلسَّيّاراتُ، واقِعٌ يَنْتَهِضُ[15] مِنْ وَكْرِهِ ٱلطَّيّاراتُ؛ ذاتُ ٱلْحُبُكِ لا تُراجِعُ كَواكِبُها، بُرْجٌ مُعَوَّجُ ٱلضُّلوعِ[16] تَغورُ في أَسْرَعِ زَمانٍ غَوارِبُها.

---

١. ط: في.
٢. ط: اليدين.
٣. في الأصل: أنحائه، وما أوردناه موافق لما في ط.
٤. طه (٢٠): ٢٥.
٥. العبارة مقتبسة من الآية الشريفة: ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْري﴾ (طه (٢٠): ٣١).
٦. طه (٢٠): ٢٧ ـ ٢٨.
٧. القصص ٢٨: ٣٤؛ هذا والعبارة المنقولة من القرآن الكريم مبتدأة فيه بـ«وَ أَخي هارونُ هُوَ».
٨. طه (٢٠): ٣٢.
٩. البقرة (٢): ١٨٩.
١٠. ط: يشهب.
١١. ط: ـ عنه.
١٢. ط: بحلول.
١٣. ط: الميشوم.
١٤. في الأصل: تقارنها، وما أوردناه يوافق ما في ط.
١٥. ط: ينهض.
١٦. في الأصل: الطلوع، وما أوردناه موافق لما في ط.

مَعْنىً [١] أُحْكِمَتْ مَبانيهِ، وَرُفِعَتْ مَحانيهِ [٢]؛ حائِطُهُ مائِلٌ، وَعِمادُهُ زائِلٌ؛ لا يُقَوِّمُ مُنْآدَهُ، وَلَمْ يَنْقَضَّ [٣] وَيَكادُهُ [٤]؛ بِناءٌ [٥] نَبا [٦] بِساكِنِهِ فَتَرَحَّلَ مِنْهُ، وَبَيْتٌ أُزْعِجَ نازِلُهُ فَتَحَوَّلَ عَنْهُ؛ رِباطٌ مَوْقوفٌ عَلَى ٱلْمارَّةِ، لا تَلْبَثُ فيهِ ٱلسَّيّارَةُ؛ بَيْتُ مَزْحَفٍ [٧] يَنْفِرُ عَنْهُ ٱلطَّبْعُ ٱلسَّليمُ، وَيَفِرُّ عَنْهُ ٱلنَّبْعُ ٱلْمُسْتَقيمُ؛ مَحَلُّ ٱلنِّزاعِ يُنْظَرُ فيهِ عِنْدَ ٱلْمُجادَلَةِ، مُتَحَرَّفٌ لِلْقِتالِ يُوَلِّي ٱلظَّهْرَ عِنْدَ ٱلْمُقاتَلَةِ؛ سورَةٌ مُحْكَمَةٌ ذُكِرَ فيهَا ٱلْقِتالُ [٨]، يَتَمَسَّكُ بِهِ أَصْحابُ ٱلْجِدالِ؛ ﴿شَديدُ ٱلْقُوىٰ * ذو مِرَّةٍ﴾ [٩]، يُواتِرُ بَيْنَ رُسُلِهِ مِنْ غَيْرِ فَتْرَةٍ.

مَعْلولٌ [١٠] مُنىً بِذاتِ ٱلْجَنْبِ يُقْلِقُهُ ٱنْبِعاثُ مِرَّتِهِ [١١]، لا يَسْكُنُ إِلّا إِذا دُسِعَ بِجِرَّتِهِ [١٢]؛ شَيْطانٌ يَطْلُعُ [١٣] شَمْسُ ٱلنُّصْرَةِ مِنْ بَيْنِ قَرْنَيْهِ، ماردٌ لا يَسْكُنُ إِلّا بِتَعْريكِ أُذُنَيْهِ؛ صورَةٌ مُرَكَّبَةٌ لَيْسَ لَها مِنْ تَرْكيبِ ٱلنَّظْمِ، إِلّا ما حَمَلَتْ ظُهورُها أَوِ ٱلْحَوايا أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ؛ أَضْلاعٌ عَلَى ٱلْوَتَرِ تُطْوىٰ [١٤]، أَكْبادٌ تَحِنُّ إِلَى ٱلْقِدِّ مِنَ ٱلطُّوىٰ؛ مُسْتَأْسِرٌ [2a] شُدَّ [١٥] إِلَى ٱلْعَقِبِ أَذْقانُهُ، يَضيقُ صَدْرُهُ وَلا يَنْطَلِقُ لِسانُهُ؛ بَطَلٌ شَدَّ حَيازيمَهُ لِلْمَوْتِ، وَيَجْزَعُ مِنْ خَوْفِ ٱلْفَوْتِ بِأَعْلَى ٱلصَّوْتِ؛ مِقْدامٌ مِنْ بَنِي ٱلْأَصْفَرِ قُبِضَ عَلَيْهِ [١٦] في دارِ ٱلْحَرْبِ وَشُدَّ عَلَيْهِ ٱلْوِثاقِ، حَتّىٰ شَكا ضيقَ ٱلْخِناقِ، وَجَرىٰ عَلَيْهِ سِهامُ [١٧] ٱلْاسْتِرْقاقِ، فَصارَ مِلْكَ ٱلْيَمينِ بِالْاسْتِحْقاقِ [١٨].

---

١. ط: معنى.
٢. ط: مجانيه.
٣. ط: ينقص.
٤. ط: كاده.
٥. ط: نبأ.
٦. ط: نبأ.
٧. ط: منزحف.
٨. العبارة مقتبسة من القرآن الكريم: ﴿... سورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَ ذُكِرَ فيهَا ٱلْقِتالُ ...﴾ (محمّد (٤٧): ٢٠).
٩. النّجم (٥٣): ٥ و٦.
١٠. ط: ـ معلول.
١١. في الأصل: مِرِيّة، وما أوردناه موافق لما في ط.
١٢. في الأصل: بحريّة، وفي ط: بحربته، وما أوردناه مستخرجٌ من حواشي نسخة الأصل، موافقٌ للسّياق.
١٣. ط: تطلع.
١٤. في الأصل: يطوى، والصّحيح «تطوى» كما في ط.
١٥. ط: شدت.
١٦. ط: قدم، مكانَ «قبض عليه».
١٧. ط: سهم.
١٨. ط: باستحقاق.

وَ لا غَرْوَ أَنْ مالَ، إلىٰ أَصْحابِ ٱلشِّمالِ، فَهُوَ فَرْعٌ أَصْلُهُ ضالٌ؛ مُـتَكَبِّرٌ يَأْبَـى ٱلسُّـجودَ لِلْبَشَرِ، في صُلْبِهِ مِثْلُ صَياصِي ٱلْبَقَرِ؛ مَغْشِيٌّ عَلَيْهِ جَمَعَ إِلَى ٱلاصْفِرارِ نُحولاً وَ حَنيناً، فَقُبِضَ وَكانَ فِي ٱلنَّزْعِ حَيناً؛

مَطِيَّةٌ تُخالِفُ سائِرَ ٱلأَنْعامِ، قيامُها بِالْيَدِ وَقيامُهُنَّ بِالأَقْدامِ؛ وَكُلَّما كـانَتْ أَثْـبَتَ عَـلَى ٱلْمَقامِ، كانَ راكِبُها أَقْرَبَ إِلىٰ بُلوغِ ٱلْمَرامِ؛ مَصيرَةٌ يَمْتَطيها ٱلرّاكِبُ إِذا كانَتْ مَعْقولَةً، وَيَنْزِلُ عَنْها إِذا أُرْسِلَتْ مَحْلولَةً؛ أَعْوَجِيٌّ يَشْتَدُّ في مَراكِضِ ٱلسِّباقِ، أَعْجَمِيٌّ فِي ٱلْخِصامِ[١] يَلْوِي ٱلأَشْداقَ؛ شاكِيَةٌ تُوَدِّعُ سُفَراءَ[٢] لا تَعودُ، عَقيلَةٌ تَحِنُّ إِلىٰ زَوْجٍ مِنْ عـودٍ؛ عـاتِكَةٌ شَـبْقاءُ[٣] شَديدَةُ ٱلْغِرامَةِ، أُعْجِبَ بِها مَديدُ[٤] ٱلْقامَةِ؛ عَنْقاءُ تَزِقُّ[٥] أَفْراخَ ٱلنُّسورِ، يَزيدُ[٦] في مِرَّتِهَا مَرُّ[٧] ٱلدُّهورِ؛ سَلِسُ ٱلْقيادِ صَعْبٌ أَبِيٌّ[٨]، ذو[٩] مِرَّةٍ غَيْرُ سَوِيٍّ[١٠]؛ مَقْبوضٌ جَمَعَ ٱلْباري عِظامَهُ، فَصَوَّرَهُ وَأَحْسَنَ نِظامَهُ، فَقامَتْ عَنْهُ[١١] ٱلْقيٰمَةُ.

أَلِفٌ وَنونٌ جُمِعا لِلتَّثْنِيَةِ، لا يَرْمِيهِ أَهْلُ ٱلْقياسِ بِالتَّخْطِئَةِ؛ بَلْ أَلِفٌ[١٢] قـارَنَ[١٣] نـوناً[١٤] مُشَدَّداً[١٥] فَإِذا حَرَّكْتَهُ أَنَّ، وَإِذا تَرَكْتَهُ أَطْمَأَنَّ[١٦]؛ [2b] حَـرْفٌ إِذا رُفِـعَ نُـصِبَ لِـلْجَرِّ، وَلا يُسْتَعْمَلُ جَزْماً بَعْدَما دَخَلَهُ ٱلْكَسْرُ؛ وَحَرْفٌ آخَرُ مَعْطوفٌ عَلَيْهِ، وَمَجْرورٌ بِالإِضافَةِ إِلَـيْهِ؛ حَرْفٌ أُدْغِمَ فيهِ غَيْرُهُ بِتَسْكينٍ، وَحَصَلَ[١٧] مِنْهُ تَشْديدٌ وَتَنْوينٌ؛ هَيْأَةٌ[١٨] تُشْـبِهُ[١٩] عَـلامَةَ ٱلْمَدِّ[٢٠] إِذا عُطِّلَتْ، وَتُشاكِلُ ٱلْياءَ إِذَا ٱسْتُعْمِلَتْ.

ذو نَيْرَبٍ مَشّاءٌ بِنَميمٍ، عُتُلٌّ[٢١] عَلَى ٱلْجَفاءِ مُقيمٌ؛ مُغَرَّقٌ يَتَنَكَّبُ عَلىٰ مَوارِدِ ٱلْماءِ، مُعَرَّقٌ

---

١. ط: ـ في الخصام.
٢. ط: شفرا.
٣. ط: شبقى.
٤. ط: حَذْباءُ مَديدَةُ.
٥. ط: ترف.
٦. ط: تزيد.
٧. ط: ـ مرّ.
٨. ط: الى.
٩. ط: ذى.
١٠. ط: مستوى.
١١. ط: عليه.
١٢. ط: بالف.
١٣. ط: قارون.
١٤. ط: نون.
١٥. ط: مشددة.
١٦. في الأصل: لطمأنّ، وما أوردناه صحيح موافق لما في ط.
١٧. ط: جعل.
١٨. ط: هيئته.
١٩. ط: شبه.
٢٠. ط: ـ المد.
٢١. العبارة مأخوذة من الآيتين الشّريفتين: ﴿هَمّازٍ مَشّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾، ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ (القلم ٦٨: ١١ و١٣).

عِنْدَ جَرِّ ٱلنَّسَبِ وَٱلانْتِماءِ؛ وَأَخوهُ دُعِيَ بِهِ لاحِقٌ، عيصٌ أَلَفٌ وَنَبْعَةٌ مَعْطورَةٌ يَنْمي إِذَا أَتَّصَلَ ٱلدَّعِيُّ ٱللّاصِقُ [١]؛ مُقَيَّدٌ يُحْمَلُ عَلَيْهِ ٱلْمُطْلَقُ، طَويلُ ٱلْعُنُقِ مِنْ حَبَلِ عاتِقِهِ مُعَلَّقٌ؛ خَفيفُ ٱلرَّأْسِ يَميلُ إِلىٰ كُلِّ طَيّاشٍ، عارِي ٱلْمَناكِبِ في حَبالَتِهِ ذَواتُ ٱلرّياشِ؛ نَحيفٌ يُرىٰ أَثَرُ ٱلْمَحاجِمِ بِظَهْرِهِ، وَ[٢] يَتَشَمَّرُ [٣] لِقَصْدِ غَيْرِهِ؛ أَجَشُّ يَرْفَعُ صَوْتَهُ بَيْنَ يَدَيِ [٤] ٱلرُّماةِ، مُبارِزٌ [٥] يَفُتُّ في أَعْضادِ ٱلْكُماةِ،

لِأَمْرٍ ما تَناذَرَكَ ٱلرُّقاةُ ... وَنَكَّبَ عَنْ مَراشِقِكَ ٱلرُّماةُ

كَأَنَّ شَظِيَّةً مِنْ فَرْعِ أَيْكٍ ... تَسَنَّمَهَا ٱلنُّسورُ ٱلطّاوياتُ

أُعْجوبَةٌ جَمَعَتْ بَيْنَ أَضْدادِها: تَمَنُّعاً في خُضوعٍ، وَإِباءً في خُشوعٍ؛ وَتَعَطُّفاً في قَساوَةٍ، وَصَلابَةً في رَخاوَةٍ؛ أَشْباهُ أَغْناقِ ٱلْجِمالِ طابَقَها زِمامُها، أَضْلاعٌ أَنْضاءٌ تَوَسَّطَها سَنامُها؛ كَأَنَّ قَرينَهُ صِلٌّ أَنْسَلَخَ مِنْ إِهابِهِ، فَخَلَعَ عَلَيْهِ بَعْضَ ثيابِهِ؛ مِضْمارٌ جَمَعَ بَيْنَ ٱلْإِنْسِيِّ وَٱلْوَحْشِيِّ، عاطِلٌ يَرْفُلُ في لِباسٍ [٦] مَوْشِيٍّ؛ ثَنَوِيٌّ [٧] يَغْشَى ٱلنّارَ وَلا يَخْشَى ٱلعارَ، مَوْتورٌ نَشَرَ أُذُنَيْهِ لِذِكْرِ ٱلنّارِ؛ موتِرٌ أَخَذَ فِي ٱلرُّكوعِ وَهُوَ قائِمٌ، [3a] خَميصُ ٱلْبَطْنِ يَبْتَلِعُ ذِراعاً وَهُوَ صائِمٌ؛ مَجْذوبٌ [٨] بَلَغَ قابَ قَوْسَيْنِ [٩] فِي ٱلارْتِياضِ، مُتَقَشِّفٌ أَبْلىٰ طِمِرَيْهِ فِي ٱلتَّذَلُّلِ وَٱلانْخِفاضِ؛ مُنْقَبِضٌ جَمَعَ لِلانْزِواءِ أَطْرافَهُ، مُرابِطٌ يَهُزُّ عِنْدَ ٱللِّقاءِ أَعْطافَهُ؛ مُتَحَرِّجٌ يَعَضُّ عَلىٰ ناجِذِ ٱلتَّصَبُّرِ [١٠] فِي ٱلشِّدَّةِ وَٱلرَّخاءِ [١١]، مَنْ صاحَبَهُ طَرْفَةَ عَيْنٍ مَشىٰ عَلَى ٱلْهَواءِ، فَقُلْ

---

١. في الأصل: اللاحق، وما أوردناه موافق لما في ط؛ ولا يخفى أنّ العبارة من «عيص» إلى «اللاصق» متّزنة ببيت شعر يمكن أن يُكتب ويُقرأ هكذا:

عـيصٌ أَلِـفٌ وَنَـبْعَةٌ مَـعْطورَةٌ ... يَنْمي إِذَا أَتَّصَلَ ٱلدَّعِيُّ ٱللّاصِقُ

٢. ط: ـو. ٣. ط: يتسم. ٤. ط: ـيدى.
٥. ط: بارز. ٦. ط: اللباس. ٧. ط: وثنوىّ.
٨. ط: محدوب.
٩. تعبير قرآنيّ ورد في الآية الشّريفة: ﴿فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنىٰ﴾ (النّجم (٥٣): ٩).
١٠. ط: الصّبر.
١١. ط: الرخاوه.

في نونٍ ٱلْتَقَمَ مُرْسَلاً فَنَبَذَهُ بِالْعَراءِ[١]؛

راكِعٌ أَوّاهٌ يَشْكو وِزْرَهُ، ٱلَّذي أَنْقَضَ ظَهْرَهُ[٢]؛ بَرْبَرِيٌّ طَوَّلَ ٱلطَّوى، جُثْمانَهُ فَهُوَ كَقِدْحِ ٱلنَّبْعِ مَحْنِيُّ ٱلْقُوى[٣]؛ عَطوفٌ عَلىٰ مَنْ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَ ٱلاجْتِذابِ، قَوولٌ وَلَوْ أَنَّ ٱلسُّيوفَ[٤] جَوّابٌ؛ مُجْرِمٌ أُلْزِمَ طائِرُهُ في عُنُقِهِ[٥]، وَعُرِضَ عَلَى ٱلنّارِ لِسوءِ خُلُقِهِ؛ وَسَوْفَ يُؤْخَذُ بِالنَّواصي وَٱلْأَقْدامِ[٦]، وَيُجْزىٰ بِما تَحْمِلُهُ مِنَ ٱلْأَوْزارِ وَٱلْحُطامِ؛ وَيُسْتَنْطَقُ جُلودُهُ قَسْراً وَقَهْراً، فَيَنْطِقُ بِما يُخْفيهِ جَهْراً؛ وَأَنّىٰ لَهُ ٱلتَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ[٧] وَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْ حَزِّ رَقَبَتِهِ مَنْ هُوَ ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَريدِ﴾[٨]؛

ناحِلٌ ٱلْصَقَ بَطْنَهُ بِظَهْرِهِ، حَتّىٰ بَدا[٩] لِلنّاظِرِ[١٠] ذاتُ صَدْرِهِ، وَغارَتْ كُلاهُ في خَصْرِهِ؛ لِاسْتيلاءِ قُوَّتِهِ ٱلدّافِعَةِ ٱلْهالِكَةِ، عَلىٰ قُوَّتَيْهِ ٱلْجاذِبَةِ وَٱلْماسِكَةِ؛ وَٱنْقِطاعِ حَبْلِ وَريدِهِ عَنْ سَرَيانِهِ، وَتَجافي جَنْبِهِ عَنْ مُضْرانِهِ؛ ثُعْبانُ[١١] إِذا أُنْشِطَ مِنْ عِقالِهِ، أَمِنَ ٱلنّاسُ عادِيَةَ أَفْعالِهِ؛ جَموحٌ يَعْثُرُ بِالرّاكِبِ، مُعَرْقَبٌ تَحْمِلُهُ ٱلْمَناكِبُ؛ ضَرِسٌ شَرِسٌ يَتَمَطّىٰ وَيَتَثاءَبُ[١٢] لِتَمَدُّدِ أَعْصابِهِ[١٣]، مُتَجَرِّدٌ يَسْتَظْهِرُ وَيَدِلُّ[١٤] بِأَوْلادِهِ وَأَعْقابِهِ؛ ظَرْفٌ مَظْروفُهُ يُخالِفُ ٱلظَّرْفَ، هٰذا

---

١. العبارة مقتبسة من القرآن الكريم: ﴿وَ إِنَّ يونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلينَ * ... فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحوتُ ... * فَنَبَذْناهُ بِالْعَراءِ وَ هُوَ سَقيمٌ﴾ (الصّافّات (٣٧): ١٣٩ ـ ١٤٥).

٢. العبارة مقتبسة من القرآن الكريم: ﴿وَ وَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ (الشّرح (٩٤): ٢ و ٣).

٣. ط: ـ «بربري ... القوى».

٤. ط: السّيف.

٥. العبارة مقتبسة من القرآن الكريم: ﴿وَ كُلَّ إِنْسانٍ أَلْزَمْناهُ طائِرَهُ في عُنُقِهِ﴾ (الإسراء (١٧): ١٣).

٦. العبارة مقتبسة من القرآن الكريم: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمونَ بِسيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصي وَٱلْأَقْدامِ﴾ (الرّحمٰن (٥٥): ٤١).

٧. العبارة مقتبسة من القرآن الكريم: ﴿وَ أَنّىٰ لَهُمُ ٱلتَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ﴾ (سبأ (٣٤): ٥٢).

٨. ق (٥٠): ١٦.

٩. ط: بَدَتْ.

١٠. ط: لِلنّاظِرين.

١١. في الأصل: شعبان، وما أوردناه موافق لما في ط.

١٢. ط: يتثاوب.

١٣. ط: أعضائه.

١٤. في حواشي ط: «يَذِلُّ».

لا يَقْبَلُ ٱلْعَدْلَ وَذا لا يَقْبَلُ ٱلصَّرْفَ؛ هَيْفاءُ مَتْنُها مَجْدولٌ، وَفَرْعُها مَفْتولٌ؛ خَصْرُها دَقيقٌ، وَقَدُّها رَشيقٌ؛ قَوِيَّةُ ٱلْعِلْباءِ[١]، مَحْطوطَةُ ٱلْمِطاءِ[٢]؛ ناشِرَةُ أَكْبادِها[٣] قُبُّ ٱلْكُلىٰ يَضُمُّها صاحِبُها إِلَى ٱلصَّدْرِ، فَتَتَكَبَّبُ عَنْهُ وَتَزْوَرُّ.

مِزْواجٌ[٤] مِطْلاقٌ، يُوَدِّعُ صاحِبَهُ عِنْدَ ٱلْاعْتِناقِ؛ مُكَلَّفٌ خُلِقَ في كَبَدٍ[٥]، طَموحٌ لا يُذْعِنُ إِلّا لِمَنْ عِنْدَهُ مُدُّ يَدٍ؛ [3b] مَقْبوضٌ يُقارِبُ ٱلسَّريعَ، وَيُفارِقُهُ عِنْدَ ٱلتَّقْطيعِ؛ صَحيحٌ مَعْلولٌ[٦]، مَمْدودٌ فِي ٱلْعَرْضِ مَقْصورٌ فِي ٱلطّولِ؛

قَرْناءُ أَحْصَنَتْ فَرْجَها، وَأَبْعَدَتْ مِنْ نَفْسِها زَوْجَها؛ مُحْتَبٍ[٧] ذو أَناةٍ[٨]، تَعَوَّدَ وَأْدَ ٱلْبَناتِ؛ غَيورٌ إِذا لاقىٰ بَناتُهُ ٱلْأَتْرابُ، زَوىٰ حاجِبَهُ لِلْإِضْرابِ، فَـ﴿يُمْسِكُهُ عَلىٰ هونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي ٱلتُّرابِ﴾[٩]؛ عِرْقٌ مِنْ عُروقِ ٱلشَّرْيانِ، إِذا جَسَّتْهُ ٱلْبَنانُ، يَنْبِضُ وَلَهُ ضَرَبانٌ؛ قَوْسٌ[١٠] مِنْ[١١] دائِرَةِ ٱلسّوءِ[١٢] يُحيطُ بِالْأَعْداءِ، مُتَعَصِّبٌ يُنْشَطُ لِلْمُنازَعَةِ بَعْدَ ٱلْإِغْراءِ؛ دَهْرِيٌّ أَتىٰ عَلَيْهِ قَرْنٌ بَعْدَ قَرْنٍ فَانْحَنىٰ مَطاهُ، لا يَنْتَصِبُ إِلّا وَعَلَى ٱلْيَدِ مُتَّكاهُ، وَيُنْشِدُ إِذا فَتَحَ فاهُ [شِعْرًا][١٣]:

«سَلَبْتِ عِظامي لَحْمَها فَتَرَكْتِها[١٤] مُجَرَّدَةً تَضْحىٰ إِلَيْكِ[١٥] وَتَخْصَرُ[١٦]

---

١. في الأصل: العلبا، وفي ط: العلياء، والصّحيح ما أوردناه.
٢. في الأصل: العطا، وما أوردناه موافق لما في ط.
٣. ط: اكتادها.
٤. ط: مزاوج.
٥. العبارة مقتبسة من الآية الشّريفة: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنْسانَ في كَبَدٍ﴾ (البلد (٩٠): ٤).
٦. في الأصل: معتدل، وما أوردناه موافق لما في ط.
٧. ط: محب.
٨. في الأصل: اناث، وما أوردناه موافق لما في ط.
٩. النّحل (١٦): ٥٩.
١٠. ط: قوسه.
١١. ط: حين.
١٢. تعبير قرآنيّ ورد في الكريمتين: ﴿... عَلَيْهِمْ دائِرَةُ ٱلسَّوْءِ ...﴾ (التّوبة (٩): ٩٨، والفتح (٤٨): ٦).
١٣. الزّيادة من نسخة الأصل كتبت بلونٍ آخر.
١٤. ط: وتركتها.
١٥. ط: «تحظى لديك»، مكانَ «تضحى إليك».
١٦. ط: تحضر.

خُذي بِيَدي ثُمَّ اَنْهَضي بي تَبَيَّتي[١] بـــيَ ٱلضُّـــرُّ إلّا أنَّـني[٢] أَتَسَـتَّرُ»[٣]

عِظامِيٌّ إذا ٱنْتَسَبَ، عِصاميٌّ[٤] إذا ٱنْتَصَبَ؛ مُكاشِحٌ أولعَ بِتَضْريبِ[٥] غَيْرِهِ، وَرُبَّما رُدَّكَيْدُهُ في نَحْرِهِ؛ مُتَحَدِّبٌ[٦] يُظْهِرُ ٱلْحُنُوَّ وَيُضْمِرُ ٱلسّوءَ، مِنْ عُصْبَةٍ[٧] هِيَ بِالْقُوَّةِ تَنوءُ[٨]؛ مَيّالَةُ ٱلْأَعْطافِ تُسْنِدُ ٱلْعودَ إلىٰ صَدْرِها، وَتُمَكِّنُهُ بَيْنَ سَحْرِها وَنَحْرِها؛ وَتُدْني مِـنَ ٱلْأَسْـماعِ أَوْتـارَها، فَتَضْرِبُها[٩] فَتُغَنّي فَتُفْشي أَسْرارَها؛ قَرْنانٌ يَسْمَحُ بِأَزْواجِهِ عَلَى ٱلْبُعَداءِ[١٠]، وَيَـقْذِفُ بَـناتَ صُلْبِهِ بِالنَّكْراءِ؛ غَليظُ ٱلْكَبِدِ يَجْفو[١١] أَفْلاذَ كَبِدِهِ، وَيَشْمَئِزُّ[١٢] مِنْ تَحَمُّلِ أَعْباءِ وَلَدِهِ؛ فَيَنْفيهِ عَنْ حِجْرِهِ ثُمَّ يَحِنُّ عَلىٰ أَثَرِهِ؛ فَقيلَ لَهُ يا هٰذا! أَسَوْقاً وَشَوْقاً أَجْمَعا[شِعْرٌ][١٣]:

«حَـنَنْتَ إلىٰ رَيّـا وَنَـفْسُكَ بـاعَدَتْ مَـزارَكَ مِـنْ رَيّـا وَشَـعْباكُـما مَـعا

فَـما حَسَـنٌ أَنْ تَأْتـيَ ٱلْأَمْـرَ طـائِعاً وَ تَـجْزَعَ أَنْ داعِـي ٱلصَّـبابَةِ أَسْـمَعا

وَأَذْكُـرُ أَيّـامَ ٱلْـحِمىٰ ثُـمَّ أَنْـثَني عَلىٰ كَبِدي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَقَطَّعا[١٤]»[١٥]

---

١. ط: «اكشفي الثّوب تنظري»، مكان «انهضي ...».

٢. ط: «ضنا جسدي لكنّني»، مكانَ «بي ... أنّني».

٣. البيتان ممّا اختُلف في قائلهما وروايتهما وضبطهما، فنُسبا إلى عبدالملك الحارثيّ (كما في ديوان الحماسة)، ومجنون ليلى (قيس بن الملوّح)، وبشّار بن برد وغيرهم (ابحث عنهما في الموسوعة الشعريّة)، ولكنّ رواية النّص مطابقة لما في ديوان الحماسة برواية المرزوقيّ (راجع شرح ديوان الحماسة، ج ٣، ص ١٤٢٥، في باب النّسيب).

٤. ط: عصابي.

٥. ط: بضرب.

٦. ط: منحدب.

٧. ط: عصبته.

٨. ط: بنو.

٩. ط: فيضربها.

١٠. ط: الأعداء.

١١. في الأصل: تجفوا، بتاء الغائبة والألف الزّائدة، وما أوردناه موافق لما في ط.

١٢. في الأصل: تشمير، وما أوردناه موافق لما في ط.

١٣. الزّيادة من نسخة الأصل كتبت بلونٍ آخر.

١٤. ط: تصدعا.

١٥. من قصيدة الصِّمَّة بن عبدالله القُشَيريّ في النّسيب (كما في ديوان الحماسة) إلّا أنّ رواية المرزوقيّ توافق ما في ط (راجع شرح ديوان الحماسة، ج ٣، ص ١٢١٥)؛ هٰذا وقد نُسبت الأبيات إلى قيس بن زريح، ويزيد بن الطّثريّة أيضاً مع اختلاف يسير في روايتها (ابحث عنها في الموسوعة الشعريّة).

مُشاجِرُ مُشَجَّرُ ٱلنَّسَبِ، يُطاوِعُ مَنْ تَمَدَّدَ[١] إِلَيْهِ بِسَبَبٍ؛ عَذْقٌ[٢] يُثْمِرُ ٱلشَّوْكَ دونَ ٱلرُّطَبِ، مَحْنِيُّ[٣] ٱلظَّهْرِ حَمّالَةُ[٤] ٱلْحَطَبِ؛ وَثيقَةٌ جامِعَةٌ لِأَسْبابٍ[٥] ٱللُّزومِ وَٱلْإِحْكامِ، عَرِيَّةٌ عَنِ ٱلنَّواقِضِ[٦] مَطْوِيَّةٌ عَلَى ٱلنُّفوذِ وَٱلْانْبِرامِ، يُتَشَبَّثُ بِها عِنْدَ ٱلْخِصامِ[٧]؛ مُتَمَرِّدٌ كُلَّما قيدَ إِلَى[٨] ٱلْاسْتِسْلامِ بِأَسْبابِهِ، نَكَصَ وَٱرْتَدَّ عَلىٰ أَعْقابِهِ؛ أَمينٌ غَيْرُ مَأْمونٍ عَلَى ٱلْوَدائِعِ، وَكُلُّ مَا[٩] ٱسْتُودِعَتْهُ فَهُوَ ضائِعٌ؛ ظَلومٌ يَقْبَلُ ٱلْأَمانَةَ بِجَهْلِهِ[١٠]، وَيُؤَدّي ما قَبِلَ إِلىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ؛ نافِذُ ٱلْأَمْرِ لَيْسَ بِعادِلٍ، ثاني عِطْفِهِ[١١] لِيُجادِلَ؛ مَكْبودٌ يُعالِجُ بِالْكَيِّ، مُطالَبٌ يُدافِعُ بِاللَّيِّ؛ [4a] مُسَدَّدٌ غَيْرُ سَديدٍ، جَمَعَ بَيْنَ ٱلْمَدِّ وَٱلتَّشْديدِ؛ قاتِلٌ لَهُ في سِهامِ[١٢] ٱلْفَرائِضِ نَصيبٌ، يَأْخُذُ ما يَأْخُذُ بِالتَّعْصيبِ؛ مُعَشَّشُ أَفْراخِ ٱلْعُقابِ، صَرَّتْ عَلَيْهِ رِجْلُ ٱلْغُرابِ؛ مُتَجَلِّدٌ لا يَتَضَعْضَعُ لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ، وَلَوْ رُمِيَ بِقاصِمَةِ[١٣] ٱلظَّهْرِ؛ ثاكِلٌ[١٤] يُساهِمُني في مُكابَدَةِ ٱلشَّدائِدِ، وَيُسْعِدُني[١٥] في ٱلتَّحَنُّنِ عَلَى ٱلْأَوْلادِ وَٱلْوَلائِدِ؛ [شِعْرٌ][١٦]:

«لَنا كُلَّ يَوْمٍ رَنَّةٌ خَلْفَ ذاهِبٍ ... وَمُسْتَهْلِكٍ بَيْنَ ٱلنَّوىٰ وَٱلنَّوائِبِ

---

١. ط: يمدد.

٢. ط: غدق.

٣. ط: منحني.

٤. في جميع النّسخ: حمله، والظّاهر أنّه مقتبس من الكريمة ﴿وَ ٱمْرَأَتُهُ حَمّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾ (المسد ١١١: ٤).

٥. في الأصل: لانساب، وما أوردناه موافق لما في ط.

٦. ط: النواقص.

٧. ط: الخطام.

٨. ط: ـ الى.

٩. ط: كلما، متّصلةً.

١٠. العبارة تشير إلى الآية الشّريفة: ﴿إِنّا عَرَضْنَا ٱلْأَمانَةَ عَلَى ٱلسَّماواتِ وَ ٱلْأَرْضِ وَ ٱلْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا ٱلْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ (الأحزاب (٣٣): ٧٢).

١١. تعبير قرآنيّ ورد في الآية الشّريفة: ﴿ثانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللّٰهِ...﴾ (الحجّ (٢٢): ٩).

١٢. ط: سهم.

١٣. في الأصل: تقاصمه، وما أوردناه موافق لما في ط.

١٤. ط: ـ ثاكل.

١٥. ط: يسعد.

١٦. الزّيادة من نسخة الأصل كتبت بلونٍ آخر.

وَقَلْعَةُ إِخْوانٍ كَأَنَّا وَراءَهُمْ نُرامِقُ أَعْجازَ ٱلنُّجومِ ٱلْغَوارِبِ»[١]

مُنْحَنِي ٱلظَّهْرِ يَتَوَكَّأُ عَلَى ٱلْعَصا، فَيُلْقيها ﴿فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعىٰ﴾[٢]، مُجاهِدٌ يُزْجي دَهْرَهُ بَيْنَ شِدَّةٍ وَراحَةٍ، وَكَدٍّ وَٱسْتِراحَةٍ، وَلينٍ وَوَقاحَةٍ، وَقَبْضٍ وَسَماحَةٍ؛ فَهُوَ[٣] بَيْنَ وَلِيٍّ ظاهِرٍ، وَعَدُوٍّ مُجاهِرٍ؛ خَدومٌ[٤] يَميلُ إِلىٰ مَنْ يَجْذِبُ بِضَبْعِهِ، وَيُنازِعُ مَنْ يُخالِفُهُ[٥] بِطَبْعِهِ، وَإِنْ نُحِتَ مِنْ نَبْعِهِ؛ مُقيتٌ[٦] إِذا أَتاهُ، ٱبْنُ ٱلسَّبيلِ فاغِراً فاهُ، أَطْعَمَهُ مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ ضَرَبَ قَفاهُ، وَأَبْعَدَهُ وَنَفاهُ؛ جانِيَةٌ مُخْتَضِبَةٌ، سَليطَةٌ ذَرِبَةٌ[٧]؛ كاسِيَةٌ[٨] عارِيَةٌ، كَأَنَّها أَفْعىٰ جارِيَةٍ؛ رَقيقٌ فيهِ شِدَّةٌ، بَليدٌ فيهِ حِدَّةٌ؛ فاتِكٌ تَأَبَّطَ شَرّاً، مُلاعِبُ ٱلْأَسِنَّةِ يَقْتُلُ صَبْراً؛ مُتْلِفٌ مُخْلِفٌ وَهّابٌ لا يُمْسِكُ[٩]، سَخيٌّ بِما يَمْلِكُ؛ كَزٌّ[١٠] ٱلْيَدَيْنِ بَذولٌ، كَأَنَّما عَناهُ مَنْ يَقولُ [شِعراً][١١]:

..... «يُعْطي وَيَمْنَعُ لا بُخْلاً وَلا كَرَماً»[١٢]

---

١. البيتان هما البيت الأوّل والثاني من قصيدة للشّريف الرّضيّ في رثاء خاله (راجع ديوانه :، ج ١، ص ١٤٦) إلّا أنّ في ضبط الدّيوان «النّوادب» بدل «النّوائب»، و«وراهمُ» بدل «وراءهم».

٢. طٰه (٢٠): ٢٠.

٣. ط: وهو.

٤. ط: جذوب.

٥. ط: خالفه.

٦. ط: مفتت.

٧. ط: دريه.

٨. ط: ـ كاسية.

٩. في الأصل: ـ لا يمسك، وما أوردناه موافق لما في ط.

١٠. ط: لذى.

١١. الزّيادة من نسخة الأصل كتبت بلونٍ آخر.

١٢. المصراع الثّاني لبيتٍ صدرُه: «لٰكنّها خطراتٌ مِن وساوسه»، والبيت مع ما قبله منسوب إلى أبي‌القاسم الأعمى (معاوية بن سفيان)، كما صرّح به المرزباني في معجم الشعراء، ص ٣٩٥، وقال إنّه في هجو الحسن بن سهل وقبله: «لا تَحمِدنْ حَسَناً في الجود إن مطرتْ /كفّاه غزراً ولا تذممه إن رزَما * فليس يمنع إبقاءً على نشبٍ /ولا يجود لفضل الحمد مغتنِما»؛ ولكنْ أبوهلال العسكري في جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٦٣، ذيل المثل «أتاك رَيّانُ بِلَبَنِه»، نسب البيت والبيتين قبله إلى إبراهيم بن العبّاس في هجو ابن سهل نفسِه؛ وقد نُسب إلى أبي‌بكر الخوارزميّ (محمّد بن العبّاس) في شأن الصّاحب ابن عبّاد، كما نقله ابن خلّكان في الوفيات، ج ٤، ص ٣٤، وروايته للبيت وما قبله هٰكذا: «لا تحمدنّ ٱبن عبّاد وإن هطلتْ /يداه بالجود حتّى أخجلَ الدّيَما * فإنّه خطرات من وساوسه /يُعطي ويمنع لا بخلاً ولا كرماً».

مُحَكَّمٌ [١] يُعاضِدُ ذَا ٱلْيَدَيْنِ عَلىٰ صاحِبِ ٱلرَّقَبَةِ، مُسْتَرْسِلٌ لا يُبالي بِاقْتِحامِ ٱلْعَقَبَةِ؛ حاجِبٌ غَمَزاتُ [٢] ٱلْحاظِهِ كَالْعِينِ تُدْخِلُ ٱلرَّجُلَ ٱلْقَبْرَ، مُبَذِّرٌ يَدُهُ مَغْلولَةٌ إِلىٰ عُنُقِهِ [٣] لِلْحَجْرِ؛ كَوْماءُ مَعْقولَةٌ، هَوْجاءُ مَعْلولَةٌ [٤]؛ حاجِبٌ مَقْرونٌ، لا يوجَدُ مِثْلُهُ فِي ٱلْقُرونِ؛ كَالْحَيَّةِ ٱلرَّقْشاءِ مَسُّها لَيِّنٌ، وَخَطْبُها غَيْرُ هَيِّنٍ؛ نائِمُ [٥] ٱلْعَيْنِ بَصَرُهُ حَديدٌ، كَالْجَمَلِ ٱلآنِفِ ٱلْمَقادَ [٦] إِذا قيدَ؛ شاحِبٌ مُحْقَوْقِفٌ، سائِقٌ لا يَسْتَوْقِفُ؛ بَطَلٌ شَدَّ لِلْمَوْتِ حَيازيمَهُ [٧]، وَشَحَذَ لِلِقاءِ ٱلْعَدُوِّ غِرارَ ٱلْعَزيمَةِ؛ طائِفَةٌ تَنَكَّبوا [٨] عَنْ شِرْعَةِ [٩] ٱلأَصْحابِ، ﴿كُلَّما نَضِجَتْ جُلودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلوداً غَيْرَها لِيَذوقُوا ٱلْعَذابَ﴾ [١٠]. شِعرٌ [١١]:

مِنْ صَنْعَةِ ٱلْباري لَدَىَّ مَطِيَّةٌ ... عَجْفاءُ تُبْصِرُ فِي ٱلضُّلوعِ عِظامَها

نِضْوٌ يُسَيِّرُ [١٢] عِنْدَ شَدِّ عِقالِها ... وَتُناخُ قَسْراً [١٣] إِنْ أَرَدْتَ قِيامَها

قَصْواءُ تَهْدِرُ كَالْفَنيقِ مُشَقْشِقاً ... تُبْدِي ٱلْحَنينَ إِذا جَذَبْتَ زِمامَها

وَيَعَضُّ عَضّاً حينَ تَكْعَمُ [١٤] شِدْقَها ... وَسَلِمْتَ مِنْها إِذْ خَلَعْتَ كِعامَها

تَهْفو بِراكِبِها وَكانَ بِصَوْتِها ... تَحْدو [١٥] عَلَيْهِ إِذا ٱسْتَقَلَّ سَنامَها

---

١. ط: محاكم.

٢. ط: غمرات.

٣. العبارة مقتبسة من الآية الشّريفة: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولَةً إِلىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْها كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلوماً مَحْسوراً﴾ (الإسراء (١٧): ٢٩).

٤. ط: مغلولة.

٥. في الأصل: نائمة، وما أوردناه موافق لما في ط، ملائم وتذكيرَ الضّمير في «بصره».

٦. ط: ينقاد.

٧. قد مضى من المصنّف العبارة نفسها هٰكذا: «بطل شدّ حيازيمه للموت»؛ انظر الفقرات الاولى بعد [2a].

٨. ط: تنبو.

٩. ط: سرعة.

١٠. النّساء (٤): ٥٦؛ وفي ط: + وَهٰذا آخِرُ رِسالَةِ ٱلْقَوْسِ لِلشَّيْخِ كَمالِ ٱلدّينِ ٱلاصْفَهانِيِّ.

١١. كتبت في نسخة الأصل بلونٍ آخر.

١٢. في الأصل: يسرّ، وما أوردناه موافق لما في ط.

١٣. ط: قصراً.

١٤. ط: تلقم.

١٥. ط: تحدوا.

وَتلوكُ شَـوْكاً لا يَسـوغُ لِـغَيْرِها وَلَرُبَّما سَبَقَ ٱلْخِشاشُ[١] خِـطامَها
[4a] وَإِذَا ٱمْتَطاها قاصِداً أَعْراضَهُ بَـلَغَ ٱلْـمَرامَ وَلا تَـريمُ مَـقامَها[٢]

هٰذا وَقَدْ سَبَقَني إِلىٰ هٰذِهِ ٱلشِّرْعَةِ مَنْ هُوَ سَبّاقُ غاياتِ ٱلْفَضْلِ، وَخِرّيتُ طُرُقِ[٣] ٱلْعَقْلِ وَٱلنَّقْلِ؛ فَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْـقَوْسِ مَـنْزَعٌ، وَلا فـي كِـنانَةِ ٱلْـفَصاحَةِ أَهْـزَعُ[٤]؛ لٰكِـنّي قَـرَنْتُ شَوْهاءَ بِحَسْناءَ، وَأَرْسَلْتُ عُبَيْرَةً مِنْ عَيْنٍ عَوْراءَ؛ وَنَظَمْتُ خَرْزَةً في سِلْكِ ٱللَّآلِ، وَدَفَعْتُ بِهِ عَيْنَ ٱلْكَمالِ؛

فَهُناكَ إِنْ تَرَ ما يَشينُ فَـوارِهِ كَرَماً وَإِنْ تَرَ ما يَزينُ فَأَفْشِهِ

[اتَّفَقَ ٱلْفَراغُ مِنْ تَعْليقِ رِسالَةِ ٱلْقَوْسيَّةِ ٱلْكَماليَّةِ عَشِيَّةَ يَوْمِ ٱلثُّلَثاءِ مُنْتَصَفَ صَفَرٍ، خُـتِمَ بِالْخَيْرِ وَٱلظَّفَرِ، سَنَةَ ثَلاثٍ وَعِشْرينَ وسَبْعِمِأَةٍ، حَرَّرَهُ ٱلْحاجُّ مُحَمَّد مَسْعود][٥].

---

١. ط: الحشاش.
٢. البيت ليس في ط.
٣. ط: خرق.
٤. ط: + وَٱللهُ أَعْلَمُ بِالصَّوابِ، تَمَّتِ ٱلرِّسالَةُ في صِفَةِ ٱلْقَوْسِ.
٥. الزّيادة من الكاتب.

المآخذ

* *القرآن الكريم*.

١ . آقابزرگ الطّهراني ، محمّد محسن ، *الذّريعة إلى تصانيف الشّيعة* ، ٢٦ ، ج (در ٢٩ مج) ، ج ٣ ، دار الأضواء ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ . = ١٩٨٣ م.

٢ . ابن الأثير الجزري ، ضياء الدّين نصر الله بن محمّد ، *المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر* ، قدّم له وحقّقه وعلّق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة ، ٢ ، ج (في مجلّد واحد) ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ . = ١٩٥٩ م.

٣ . ابن حِجّة الحموي ، أبوبكر تقيّ الدّين بن علي ، *ثمرات الأوراق في المحاضرات* ، شرحه وضبطه مفيد محمّد قميحة ، دار الكتب العلميّة ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ . = ١٩٨٣ م.

٤ . ابن خلكان ، أحمد بن محمّد ، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان* ، حقّقه وعلّق حواشيه وصنع فهارسه محمّد محيي الدّين عبدالحميد ، ٦ ج ، مكتبة النّهضة المصريّة ، القاهرة ، ١٣٦٧ هـ . = ١٩٤٨ م.

٥ . ابن الفوطي ، عبدالرّزاق بن احمد ، *تلخيص مجمع الآداب ومعجم الألقاب* ، تحقيق محمّد الكاظم ، ٦ ج ، وزارت فرهنگ وارشاد اسلامي ، تهران ، ١٣٧٤ (= ١٤١٥ هـ.).

٦ . ابوالمجد تبريزى ، محمّد بن مسعود ، *سفينهٔ تبريز* ، چاپ عكسى از روى نسخهٔ خطّى كتابخانهٔ شورای اسلامى ، با مقدّمه‌های عبدالحسين حائرى ونصرالله پورجوادى ، مركز نشر دانشگاهى ، تهران ، ١٣٨١.

٧ . أبوهلال العسكري ، الحسن بن عبدالله ، *جمهرة الأمثال* ، ضبطه وكتب هوامشه ونسّقه أحمد

عبدالسّلام، خرّج أحاديثه أبوهاجر محمّد سعيد بن بسيوني زغلول، ٢ ج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٨هـ. = ١٩٨٨م.

٨. الجبوري، كامل سلمان، *معجم الأدباء*، من العصر الجاهليّ حتّى سنة ٢٠٠٢ م.، ٧ ج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٢٤هـ. = ٢٠٠٣م.

٩. حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الشّهير بكاتب الجلبي، *كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون*، ٢ ج، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٣هـ. = ١٩٩٢م.

١٠. السّيد، فؤاد، *فهرس المخطوطات المصوّرة*، الجزء الأوّل، معهد المخطوطات العربيّة، القاهرة، ١٩٨٨م.

١١. الشّبستري، عبدالحسين، *مشاهير شعراء الشّيعة*، ٥ ج، المكتبة الأدبيّة المختصّة، قم، ١٤٢١هـ.

١٢. الشّريف الرّضي، محمّد بن الحسين، *ديوان*، ٢ ج، طبع الاوفست، وزارة الإرشاد الإسلاميّ، ايران، ١٤٠٦هـ.

١٣. كمال‌الدّين اسماعيل، اسماعيل بن محمّد، *ديوان*، بانضمام رسالة القوس، باهتمام حسين بحرالعلومي، دهخدا، تهران، ١٣٤٨.

١٤. المجمّع الثّقافيّ، *الموسوعة الشّعريّة*: برنامج كمبيوتريّ (في هيأة قرص الكترونيّ) يحتوي على مجموعة ضخمة من الدّواوين الشّعريّة والكتب الأدبيّة والمعاجم اللّغويّة، أبوظبي، ٢٠٠٣م.

١٥. المرزباني، محمّد بن عمران، *معجم الشّعراء*، ومعه المؤتلف والمختلف للآمدي، بتصحيح وتعليق ف. كرنكو، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ.

١٦. المرزوقي، احمد بن محمّد، *شرح ديوان الحماسة*، نشره احمد امين وعبدالسّلام هارون، ٤ ج، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ١٣٧١هـ.

القَوسيَّة النِّظاميَّة

لقاضي نظام‌الدّين أبي‌سعد محمّد بن إسحاق الإصفهانيّ

تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن‌الرَّسول

كلمة المحقِّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

نظرة عابرة إلى حياة المصنّف ورسالته

ابوسعد محمّد بن إسحاق بن المطهر المعروف بالقاضي نظام‌الدّين الاصفهانيّ أديب شاعر ذو لسانين من رجال اصفهان وقضاتها فى القرن السّابع الهجريّ (كان حيّاً في ٦٣١ ـ ٦٨١ هـ.) ويُعدّ من فرسان الشّعر القريض والدّوبيت، مدح الخليفة المستنصر العبّاسيّ وكان صديقاً ومادحاً للوزراء الجوينيين في خراسان وتبريز واصفهان وبغداد، واتّصل بنصيرالدّين الطوسيّ ومدحه ووصف رصد مراغة، كما رويت منه إخوانيّات كثيرة فى النّظم و النّثر خطاباً لأعيان العصر من الوزراء والعلماء والأدباء والشّعراء.

له شُرَف إيوان البيان في شَرَف بيت صاحب الدّيوان، أراد به بهاءالدّين محمّد الجوينيّ وهو والد الأخوين الشّهيرين عطاملك وشمس‌الدّين، وأيضاً له نخبة الشّارب وعجالة الرّاكب وهو ديوان دوبيت يتضمّن خمسمأة قطعة رباعيّة منه في كُلّ القوافي حقّقها ونشرها الدّكتور كمال أبوديب فى بيروت، وله قصائد

كثيرة ورسائل مختلفة في فنون شتّى[١].

ورسالة القوس أو القوسيّة النّظاميّة هى رسالة أدبيّة بنثر مصنوع متكلّف مثل ما نشاهده فى المقامات للحريرىّ، وصف المصنّف فيها القوسَ وما يتعلّق بها بأساليب بيانيّة مختلفة وقد أكثر فيها من المحسّنات البديعيّة ثمّ قدّمها للشّاعر الكبير الإيرانىّ كمال‌الدّين اسماعيل الاصفهانىّ واقترح عليه أن يعارضها برسالة مثلها فأجابها المخاطَبُ وصنّف القوسيّة الكماليّة الّتي نقدّمها بعد هٰذه الرّسالة.

وقد أشار كمال‌الدّين هٰذا إلى القاضي نظام‌الدّين الاصفهانىّ وقوسيّته في ختام رسالته قائلاً: «هٰذا وَقَدْ سَبَقَني إِلىٰ هٰذِهِ ٱلشِّرْعَةِ مَنْ هُوَ سَبّاقُ غاياتِ ٱلْفَضْلِ، وَخِرّيتُ طُرُقِ ٱلْعَقْلِ وَٱلنَّقْلِ؛ فَلَمْ يَبْقَ فِي ٱلْقَوْسِ مَنْزَعٌ، وَلا في كِنانَةِ ٱلْفَصاحَةِ أَهْزَعُ؛ لٰكِنّي قَرَنْتُ شَوْهاءَ بِحَسْناءَ، وَأَرْسَلْتُ عُبَيْرَةً مِنْ عَيْنٍ عَوْراءَ؛ وَنَظَمْتُ خَرْزَةً في سِلْكِ ٱللَّآلِ، وَدَفَعْتُ بِهِ عَيْنَ ٱلْكَمالِ». هٰذا وقد ذُكر أنّ بعض أعلام نيسابور كتب شرحاً على قوسيّة القاضي وأثنى عليه في شرحه بقوله: «أقضى قضاة العالم، مفتي طوائف الأمم، منشئ البدائع والعجائب، مظهر الرّوائع والغرائب ....».

ومعوّلي في تحقيق الرّسالة على نسختين إحداهما نسخة من تركيّا كُتبت سنة ٧١٠ للهجرة، تشتمل على منشآت الشاعر نظماً ونثراً منها القوسيّة الّتي وقعت فى الأوراق ١٤٦ ـ ١٥٤ منها؛ والثّانية نسخة من باريس كُتبت سنة ٧٣٧ للهجرة، واشتملت أوراقها من ٧٩ ـ إلى ٨١ على الرّسالة ناقصةً[٢]، ثمّ جعلت المخطوطة الأولى أساساً ورمزت إليها بـ«الأصل» أو «T» وإلى الثّانية بـ«ب» أو «B».

ولا يخفى أنّ للرّسالة رواية أخرى تختلف كثيراً عمّا اعتمدنا عليه في هٰذا العمل

---

١. راجع: آقا بزرگ الطّهراني، ج ٣، ص ١٥٢؛ والأعلمي، ج ١٥، ص ١٥٠؛ والأميني، ج ٥، ص ٤٣٤ ـ ٤٣٧؛ وبروكلمان، ج ٥، ص ٣٥؛ وجواد، ص ٨٤ ـ ٩٤؛ وزيدان، ج ٢، ص ١٣٧؛ والشّبستري، ج ٤، ص ٩٠ ـ ٩٢؛ والشّيبي، ص ٢٨٥ ـ ٣٠٠؛ والقمّي، ج ٣، ص ٢١٢؛ والكاظمي، ج ٢، ص ٥٦٠؛ وكحّاله، ج ١٣، ص ١٠١؛ والمامقاني، ج ٣، ص ٢٧٢.

٢. لمزيد الاطّلاع على خصائص النّسختين راجع فهرس المآخذ: نظام‌الدّين الاصفهانىّ.

المتواضع، توجد في مجموعة نفيسة خطّيّة كُتبت خلال السّنوات ٧٢١ ـ ٧٢٣ للهجرة، وطُبعتْ بصورة فكسمل (facsimile) في طهران قبل اربع سنوات باسم سفينهٔ تبريز؛ والقوسيّة النّظاميّة وقعت فى الصفحات ٧١٠ و ٧١١ من هٰذه المجموعة. ولعلّ هٰذه الرّواية خلاصة للقوسيّة وضعها المصنّف نفسه لبنةً أولى لها ثمّ زاد عليها وبسطها وتصرّف فيها بالحذف والتّغيير والتّقديم والتّأخير بحيث لا يمكن بسهولة أن نقابلها بالرّوايات الموجودة في ضمن منشآت المصنّف، ولهٰذا لم أذكر فى تعليقاتي موارد اختلاف هٰذه النّسخة عن الأساس.

سيّد محمّد رضا ابن الرّسول
قسم اللّغة العربيّة وآدابها
جامعة اصفهان ـ ١٤٢٧ هـ.

[بسم اللّه الرحمن الرحيم]

وَ مِنْ إنْشائِهِ[1] في وَصْفِ ٱلْقَوْسِ[2]

كَتَبَهُ[3] إلَى ٱلصَّدْرِ[4] ٱلإمامِ ٱلسَّعيدِ مَلِكِ ٱلْكَلامِ

كَمالِ ٱلدّينِ إسْمٰعيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ ٱلرَّزّاقِ ٱلأصْفَهانيِّ[5]

مُقْتَرِحاً عَلَيْهِ مُعارَضَتَهُ[6] بِرِسالَةٍ[7] في هٰذَا ٱلْمَعْنىٰ

تَـنَكَّبْ رِمـاحَ ٱلْـخَطِّ وَٱلْـبيضَ خَـلِّها ... وَ أَمَّـا ٱلْـحَنايا فَـاعْتَمِدْ مُـتَنَكِّبا

وَأَنْـتِ عَـلَى ٱلْـباري وَحُسْـنِ صَـنيعِهِ ... لَـقَدْ أَظْـهَرَ ٱلإبْـداعَ حَـقّاً فَأَغْـرَبا

تَـخَيَّرَ أَزْكَـى ٱلْـعودِ يُـرْضِىٰ نَـحيتَهُ ... فَـجاءَ كَـريمَ ٱلنُّـجْرِ بِـالْوُدِّ مُـنْجِبا[8]

عَـنِ[9] ٱلْـفَلَكِ ٱلأَعْـلىٰ أَتـاكَ بِـنُسْخَةٍ ... يُـريكَ بِـها بُـرْجاً وَنَـجْماً مُـذَنَّبا

بِـقُوَّةِ مُـعْوَجٍّ تَـلاقىٰ[10] مُسَـدَّداً ... إلَـى ٱلْـغَرَضِ ٱلأَقْـصَى ٱنْـتَهىٰ مُـتَوَثِّبا

---

١. ب: «رسالة» مكانَ «و من إنشائه».

٢. ب: + من إنشائه.

٣. ب: أنفذها.

٤. ب: ـ الصّدر.

٥. ب: ـ بن محمّد بن عبدالرّزّاق الاصفهانى.

٦. ب: معارضتها.

٧. ب: بكلام له.

٨. ب: منجيا، وهو تصحيف.

٩. ب: على.

١٠. ب: تلانى، وهو تصحيف.

[T146b]وَحَدَّثْ[١] عَنِ ٱلرّامي يُرىٰ[٢] فِي ٱعْتِلاتِهِ ... أَطَلَّ عَلَى ٱلسَّبْعِ ٱلطِّباقِ[٣] مُطَنَّبا

أَمِنْ عَصَبٍ وَ[٤] ٱلْعَظْمِ صادَفَ مِثْلَهُ ٱلْـ ... قُرونُ عَلىٰ ظَهْرِ ٱلْبَسيطِ مُرَكَّبا؟

يُغالىٰ بِهِ إِذْ عَزَّ قِدْراً وَقيمَةً ... وَ يُمْسَحُ بِالْأَيْدي فَيُرْفَعُ مَنْصِبا

يَقولُ لِمَنْ قَدْ عابَهُ بِنُحولِهِ ... وَ عَيَّرَهُ[٥] بِالْانْحِناءِ مُحَدَّبا

وَأَزْرىٰ بِهِ لَمّا بَدَتْ مِنْ ضُمورِهِ ... كُلاهُ بِبَيْتٍ قيلَ قَبْلُ مُؤَنَّبا[٦]:

لَئِنْ يَكُ لاطَ ٱلْيَوْمَ جِلْدي بِأَعْظُمي[٧] ... وَ بانَ ٱنْحِناءُ ٱلظَّهْرِ في مَيْعَةِ ٱلصِّبىٰ

وَشارَفْتُ لِلسِّتّينَ عَقْداً وَعَدَّني ... لِظاهِرِ حالي أَكْثَرُ ٱلْقَوْمِ أَشْيَبا

فَفيَّ كَما شاهَدْتَهُ عَجْرَفيَّةٌ ... وَ مِنّي تَرىٰ بَطْشاً وَجُنْداً مُسَرَّبا

تَمَكَّنْتُ بِالْأَسْبابِ عَمّا أُريدُهُ ... وَكائَرْتُ بِالْأَوْلادِ أَصْلاً مُعَقَّبا

بِرُشْلىَ أَكْفي ما أُحاوِلُ لازِماً ... مَكاني رَبيطَ ٱلْجَأْشِ مُسْتَحْصِفَ ٱلْحُبىٰ

[P79b] يَضُمُّ عَلَيَّ ٱلْكَفَّ ذو نَظَرٍ يُرىٰ ... مُصيباً فَيَسْتَوْلي عَلَى ٱلْقِرْنِ مِحْرَبا

وَمَنْ يَعْتَصِمْ يَوْماً بِحَبْلي بَنانُهُ ... تَهَدّىٰ إِلىٰ ما رابَهُ[٨] مُتَسَبِّبا

لِمِثْلي أَعَدّوا ما ٱسْتَطاعوا مِنَ ٱلْقُوىٰ ... وَ لاقَوْا[٩] بِيَ ٱللَّيْثَ ٱلْهَصورَ لِيُرْهَبا

تَرىٰ خَشَبِيّاً ذا خَصائِصَ جَمَّةٍ ... كَمِثْلَيَ في دَفْعِ ٱلْعِدىٰ مُتَعَصِّبا

رَأَى ٱلْقَوْمُ مِنّي ذا ٱلْقُروحِ وَأَوْجُهَ ٱلْـ ... فُتوحِ فَعَدَّونِي[١٠] ٱلْبَغيضَ ٱلْمُحَبّبا

---

١. ب: حدثَ، بالفتح وهو تصحيف.

٢. ب: يُرمي، وهو تصحيف.

٣. ب: الطباخ، وهو ظاهر التّصحيف.

٤. ب: «عصبٌ» مكان «عصب و»، وهو تصحيف.

٥. ب: غيره.

٦. في الاساس: مُؤَنَّثا، وما أوردناه موافق لما في ب.

٧. ب: ـ جلدي وأعظمي.

٨. ب: رامه.

٩. ب: لاتوا، وهو تصحيف.

١٠. ب: تعدونى، وهو تصحيف.

[T147a] نَعَمْ دَرَكَ ٱلْأَوْتارِ حاوَلْتُ مَثْلَهُ ... وَ إِنْفاذَ جَيْشٍ نَحْوَ مَنْ قَدْ تَأَلَّبا
وَ سَيَّرْتُ ما يَسْتَنْزِلُ ٱلْعُصْمَ لافِظاً ... وَ قَيَّدْتُ شَرْواهُ ٱلْأَوابِدَ مُغْرِبا
وَ عاضَدَني سَهْمٌ وَ لامٌ تَظاهَرا ... بِعَوْنِ كِنانيٍّ أُذَلِّلُ مُصْعَبا
وَ مَنْ يَرَني مُسْتَنْهِضاً لِكَريهَةٍ ... رَأَى ٱلْخَصْمَ أَبْزىٰ مائِلَ ٱلرَّأْسِ أَنْكَبا
فَكَمْ مُتَشَفٍّ بي وَ مُشْفٍ عَلَى ٱلرَّدىٰ ... وَ مُنْتَصِرٍ مِمَّنْ عَلَيْهِ تَغَلَّبا
تَرىٰ بَيْتَيَ ٱلْمِحْلالَ وَطّاءَ ساحَةٍ ... وَ لٰكِنْ بِشُرّادٍ نَفَيْتُهُمُ نَبا
وَ يَدْرُجُ مِنْ عُشّي فَيَنْقَضُّ طائِرٌ ... بِأَجْنِحَةِ ٱلْعُقْبانِ يُنْشِبُ مِخْلَبا
جَوارِحُ أَوْدَتْ بِالْجَوارِحِ كُلِّها ... تَناهَضُ أَرْسالاً وَ لَا ٱلرَّجْلُ لِلدَّبا
أُصَيْبِيَّةٌ ظَمْأىٰ مَتَى ٱلتَّحْنُ لَوْحَةً ... تَوارَدْنَ مِنْ ماءِ ٱلْمَفاصِلِ مَشْرَبا
يُصِبْنَ مَدَى ٱلْأَغْراضِ لَيْسَ يَفوتُها ... مَرامٌ لَوِ ٱسْتَدْنَتْ بَعيداً لَأَكْثَبا
مَتىٰ أَوْقَعَتْ بِالطَّيْرِ وَ ٱلْوَحْشِ لَمْ يَكُنْ ... تَرومُ سِوَى ٱلْأَرْواحِ مِنْها لِتَنْهَبا
وَ لَوْ شِئتَ أَثْبَتُّ ٱنْعِطاسَ قَضيَّتي ... وَ قُلْتُ عَلىٰ جَمْرِ ٱلْخُطوبِ مُقَلَّبا
كَسَوْني وَ قَدْ فارَقْتُ مَنْبَتَ شُعْبَتي ... ثياباً لَها قَدْ بُزَّ قِشْري وَ أَذْهَبا
أُضاهِي ٱبْنَ[1] حُجْرٍ في بَنِي ٱلْأَصْفَرِ ٱكْتَسىٰ ... مَلابِسَ[2] تَفري[3] جِلْدَهُ إِذْ تَغَرَّبا
[P80a] بِأَوْلادِ سوءٍ قَدْ بُليتُ لِأَجْلِهِمْ ... تَراني مُعَنّىً طولَ دَهْرىَ مُتْعَبا
[T147b] صَليتُ بِحَرِّ ٱلنّارِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ... وَ أَوْثَقْتُ بِالْأَغْلالِ بَعْدُ مُعَذَّبا
وَ قاصِمَةَ ٱلظَّهْرِ ٱتَّقَيْتُ وَ كَيْفَ لا ... وَ مِمّا جَنَى ٱبْنُ ٱلسّوءِ ما يُتْلِفُ ٱلْأَبا
مَتىٰ يَنْقَطِعْ مِنّي ٱلنِّياطُ وَ خانَني ... رَوابِطُ أَوْتاري وَ شَمْلي تَشَعَّبا
بَقينَ كَأَمْثالِ ٱلتَّنامىٰ ضَوائِعاً ... وَ خُلِّينَ عَنْ نَيْلِ ٱلْمَقاصِدِ خُيَّبا
بِمُرْسِلِهِ وَقْعُ ٱلرَّسولِ لَدَى ٱلْوَرىٰ ... وَ بِالضّارِبِهَا ٱلْبيضُ مُرْهَفَةَ ٱلشَّبا

---

١. ب: اضاهين، وهو مكتوب على ما يُقرأ.
٢. ب: بلابس.
٣. ب: فقري.

وَمـــا نـــافِذٌ فِـــي ٱلْأَمْـــرِ إِلّا بِـــقُوَّةٍ ... وَ أَيْـــدٍ لَـــعَمْري قَـــدْ أُمِـــدَّ فَـــغُلِّبا
فَـــعارَضَهُ ٱلسَّـــهْمُ ٱلْـــمُفَوَّقُ وَٱنْـــبَرىٰ ... يُـــناقِضُ دَعْـــواهُ وَأَبَّ لِـــيَذْهَبا
يَـــقولُ وَأَمْـــضَتْ مُـــرْهَفاتُ نِـــصالِهِ ... لِســـاناً لِـــمِقْراضِ ٱلْـــخَفاجِيِّ مِـــلْحَبا
تَـــعيبُ قَـــويمَ ٱلْـــقَدِّ بـــانَ ٱعْـــتِدالُـــهُ ... بِـــزَيْغِكَ حَـــقّاً وَٱعْـــوِجاجِكَ مُـــعْجَبا
أَيَـــعْطِفُهُ مَـــيْلٌ إِلَـــيَّ وَإِنَّـــما ... بِـــنِيَّةِ إِبْـــعادي لَـــدَى ٱلضَّـــمِّ قَـــرَّبا
أَحـــانٍ عَـــلىٰ مـــا يَـــدَّعي بِـــاخْتِيارِهِ[1] ... أَمِ ٱضْـــطَرَّهُ مَـــنْ قَـــدْ حَـــنىٰ شاءَ أَمْ أَبىٰ
وَلَـــمْ يُـــرَ لِـــلْقَوْسِ ٱعْـــتِبارٌ بِـــنَفْسِها[2] ... فَـــإِنْ تَكُـــنِ ٱخْـــتِيرَتْ فَـــلِلسَّهْمِ مَـــرْكَبا
أَيُـــعْنىٰ بِـــتَرْكـــيبِ ٱلْـــمُقَدِّمَةِ ٱمْـــرُؤٌ ... وَلَـــمّا يَكُـــنْ مِـــنْها ٱلنَّـــتيجَةُ مُـــطْلَبا

بِطالِعِ ٱلْقَوْسِ وَنَصْلِ ٱلسَّهْمِ فيهِ ٱزْدَهَتْ إِصْفَهانُ، وَبِوُقوعِ ٱلسَّهْمِ مَواقِعَها[3] فِي ٱلْأَصْلِ طَنَّتِ ٱلْآذانُ؛ لا جَرَمَ ٱقْتَضَتِ ٱلْأَجْرامُ، أَنْ يَـتَوَفَّرَ [T148a] عَـلَى ٱلرِّمـايَةِ بِـهَا ٱلْأَقْـوامُ، وَلِطَوائِفَ لَهُمْ بِها يَدٌ أَنْ يَتَقَدَّمَ ٱلْأَقْدامُ؛ يُضَمُّ يَـدَ ٱلدَّهْـرِ عَـلَيْهَا ٱلْـبَنانُ، وَلِـعُظْمِ خَـطَرِها يُحْضَرُ لِلْقابِضينَ عَلَيْهَا ٱلرِّهانُ؛ يَتَّخِذونَها مَرَناً وَعادَةً، وَيَعْتَقِدونَ لِمَنْ ضَرَبَ فِي ٱلصِّناعَةِ بِهِمْ سَعادَةً؛

وَقُلْ في حامِلِها رَفَعَ بِما [P80b] يُحْسِنُ مِنْ مَوْضوعِ عِلْمِها شانَهُ، وَٱلْمُتَفَوِّقُ بِها عَـلَى ٱلْأَقْرانِ أَعْلىٰ مَكانَهُ، وَٱلْمُذَلِّلُ لِصَعْبِها ٱلْجَموحِ مَلَكَ عِنانَهُ، وَٱلدّافِعُ بِها فـي نَـحْرِ ٱلْـعَدُوِّ شَرَحَ صَدْرَهُ وَوَسَّعَ لِبانَهُ، وَٱلرّامي خَيَّمَ عَلَى ٱلْفَلَكِ يُلْقي عَلَى ٱلْمَجَرَّةِ جِرانَهُ؛ يَثِقُ بِدَرْكِ ٱلْمَرامِ وَإِصابَةِ ٱلْغَرَضِ نِضالاً وَغِلاءً، وَيَمْلَأُ[4] ٱلْكَنائِنَ لا يُخْطِرُ بِبالِهِ إِخْـلاءً؛ نَـعَمْ تَـلَقَّتْها بِأَيْدٍ رِجالُهُمْ، وَتَناوَلَتْها بِالسّاعِدِ ٱلْأَشَدِّ أَبْطالُهُمْ؛ بِخَصْلٍ مِنْ تَرْكيبِ ٱلْقياسِ، لِذِي ٱلنَّظَرِ[5]

---

١. ب: باخياره، وهو تصحيف.
٢. ب: ـ بنفسها.
٣. ب: مواقعا.
٤. في كلتا النّسختين: يملؤ.
٥. ب: النظل، وهو تصحيف.

مِنْهُمْ وَ طولِ ٱلْمِراسِ؛ مُقَدَّمَةٌ يُتَمَسَّكُ بِها في مَحَلِّ ٱلنِّزاعِ، وَ تُنْتِجُ ٱلْغَلَبَةَ عَلَى ٱلْأَعادي[١] لَدَى ٱلْمَصاعِ؛

يَفُتُّ بِهَا ٱلْمَجادِلُ في أَعْضادِ ٱلْأَضْدادِ، وَيُزْهي بِشَقِّ[٢] ٱلشِّعْرِ حُكْماً عَلَى رُؤوسِ ٱلْأَشْهادِ؛ يَنْهَضونَ عَنْ مَراكِضِها رُسُلَ ٱلْمَنايا سِراعاً، وَيَقْرَبونَ آجالَ ٱلْخُصومِ عَنْ بُعْدٍ دِفاعاً؛ تَتَقاذَفُ نُجومُ ٱلرُّجومِ عَنْ بُرْجٍ لَها ذي جَسَدَيْنِ مُعْوَجٌّ طُلوعُهُ، وَيَتَأَذّىٰ مِنْ بُطْنانِ ذاكَ ٱلْمائِلِ[٣] ٱلْمُحَدَّبِ ما يُخافُ عَلىٰ إِنْشاءِ ٱلْماءِ وَ ٱلطّينِ وُقوعُهُ؛ تَظْهَرُ ٱلْعَجائِبُ لِلْعاداتِ خارِقَةً [T148b] وَ بِالْأَلْبابِ لاعِبَةً، وتَحْدُثُ ٱلْوَقائِعُ لِلْحُتوفِ جالِبَةً؛ لا سيَّما وَ ٱلْمِرّيخُ رَجَعَ بِسُرْعَةِ سَيْرِهِ عَنِ ٱلْقِرانِ، وَ تَأْثيرُ ٱلسَّيّارَةِ لَمْ يَدَعِ ٱلْجِبالَ ثابِتَةً[٤] عَلَى ٱلْمَكانِ؛ يَكُفُّ دونَها عامِلُ ٱلرُّمْحِ عَنْ وِلايَةِ ٱلْحروبِ عَزْلاً وَ صَرْفاً، وَيُسْتَغْنىٰ عَنْ وَصْلِ ٱلسُّيوفِ بِالْخَطِّيِّ إِلَى ٱلْأَعادي زَحْفاً؛ يَتَوَلَّعونَ بِها وَ لَا ٱلصَّبُّ بِقَوْسِ حاجِبٍ قُلوبُ ٱلْعاشِقينَ لَها رَمايا، وَ يَتَفاخَرونَ وَ لَا ٱعْتِدادَ تَميمٍ بِقَوْسِ حاجِبٍ[٥] نَفَّذَ كِسْرىٰ بِارْتِهانِها مَرايا؛ مُتَراهِنينَ عَلَى ٱلصَّعْبَةِ مِنْها كَأَنْ لَمْ يَسْتَمِعُوا ٱلْمَثَلَ ٱلسّائِرَ[٦]، مُسَخِّرينَ في مَقادَتِها تِلْكَ ٱلْقُبَّ ٱلضَّوامِرَ[٧]؛

«خَيْلاً فَوارِسُها رُكّابُ أَبْطُنِها مَكْدودَةً وَبِقَوْمٍ لا بِها أَلَمُ»[٨]

تَنْفُذُ سِهامُهُمْ مِنَ [P81a] ٱلدُّروعِ وَ ٱلْجَواشِنِ إِلَى ٱلصُّدورِ، وَ تَتَخَلَّصُ مِنَ ٱلْمَجانِّ ٱلْمُطْرَقَةِ إِلَى ٱلنُّحورِ؛ تَهْتِكُها وَ لا عَواصِفَ ٱلرِّياحِ نَسْجَ ٱلْعَناكِبِ، وَ تَهْزَأُ بِها وَ لَا ٱلْآجالَ

---

١. ب: الادى، وهو تصحيف.

٢. ب: يشق.

٣. ب: المسائل، وهو تصحيف.

٤. ب: ثوابتَ.

٥. ب: ـ حاجب.

٦. ب: الشابر، وهو تصحيف.

٧. ب: الضوامي.

٨. البيت للمتنبّي من قصيدة له أوّلها:

عُقْبَى ٱلْيَمينِ عَلَىٰ عُقْبَى ٱلْوَغىٰ نَدَمُ ما ذا يَزيدكَ في إِقْدامِكَ ٱلْقَسَمُ

إلّا أنّ في ضبط الدّيوان «دُهْمٌ» مكانَ «خيلاً»؛ راجع البرقوقيّ، ج ٤، ص ١٣٨.

بِالآمالِ وَالظُّنونِ ٱلْكَواذِبِ؛ أَوْلَجُ مِنَ ٱلْهُمومِ فِي ٱلْفُؤادِ، وَأَهْدىٰ إِلَى ٱلْعُيونِ مِنَ ٱلرُّقادِ؛ يُسْتَظْهَرُ بِكَواكِبَ قَذَفَها عَلىٰ كُلِّ حَنِيٍّ ٱلسُّطىٰ مارِدٍ، وَيُقْمَرُ أَغْمارُ ٱلْكُماةِ بِتَوْأَمٍ مِنْ قِداحِها وَفارِدٍ؛

فَكَمْ قاصِدٍ بِها قِرْنَهُ طَلَبَ ٱلْإِقْصادَ، وَمُصْلِحٍ أَوْتارَها ما عَمَدَ إِلَّا ٱلْإِفْسادَ؛ يُغيرُ حِبالَها مُغيرَةُ ٱلْأَثْراكِ وَٱلْأَغْرابِ، وَيَلُزُّها فِي ٱلْقَرْنِ مَعاشِرُ ٱلْأَقْرانِ وَٱلْأَضْرابِ؛ يَنْتَصِبونَ [T149a] بِرَفْعِها لِفَتْحِ ٱلْمَعاقِلِ وَكَسْرِ ٱلْكَتائِبِ، وَيَحْظَوْنَ بِخَفْضِ ٱلْعَيْشِ تَمَكُّناً مِنْ جَرِّ ٱلْفَوائِدِ وَضَمِّ ٱلْحَرائِبِ؛ يُشْرِبونَ نِصالَها ٱلْماءَ بَلِ ٱلدِّماءَ، وَيوردونَها ٱلْأَوْرِدَةَ يُرَوّونَ تِلْكَ ٱلظِّماءَ؛ يَصْرَعونَ بِهَا ٱلْوُحوشَ يُداوِمونَ ٱلْإِصْماءَ وَٱلْإِنْماءَ، عَلىٰ تِلْكَ ٱلْوَتيرَةِ وَجَدُوا ٱلنَّشْوَ وَٱلنَّماءَ؛

فَرابِطُ ٱلْجَأْشِ سَهْمُهُ لا يَطيشُ، وَمُثابِرٌ عَلَى ٱلْقِسيِّ وَٱلْأَسْهُمِ يَبْري وَيَريشُ؛ وَمُجْتَهِدٌ فِي ٱلْقِياسِ يُصيبُ، وَذو حُظْوَةٍ مِنَ ٱلسِّهامِ لا يَخيبُ؛ يُدْمِنُ لِقَصْرِ[1] أَغْمارِ مُقاتِليهِ مَدَّها، وَلِقَبْضِ أَرْواحِ مُنازِعيهِ نَزْعَها، وَيَسْتَعْظِمُ لِلصَّوارِدِ في مَواضِعِ خَطَرِ ٱلْأَنْفُسِ وَقْعَها؛ وَيَجْذِبُ بِضَبْعِهِ حُسْنَ ٱلرِّمايَةِ، فَيَضْرِبُ عَلىٰ يَدَيْ مَنْ يُناديهِ بِالِغاً حَدَّ ٱلنِّكايَةِ؛ رَمْياً كَغَمَزاتِ ٱلْحاظِ ٱلْحِسانِ رَشْقاً، وَقُلْ في أَقْلامٍ تَخْرِقُ وُجوهَ ٱلْقَراطيسِ مَشْقاً؛ وَصَفْراءَ يَتَوَلَّدُ مِنْهَا ٱلْمَنايَا ٱلْحُمْرُ، وَهِلالٍ يَطْلُعُ مِنْ أُفُقِ ٱلْحُروبِ لِهَدْمِ ٱلْعُمْرِ؛ أَنْضاءُ تَحِنُّ عَلىٰ غِلَظِ أَكْبادِها، عَطوفٌ تَتِنُّ لِفِراقِ أَوْلادِها؛ جازِعَةٌ فِي ٱلْقَيْدِ هَلوعٌ، ذاتُ كَمَدٍ ضاقَ مِنْهُ أَحْناءُ ٱلضُّلوعِ؛ [P81b] شِعْرٌ[2]:

عَجوزٌ أَتَتْ بَعْدَ ٱنْحِناءِ قِوامِها ... بِأَوْلادِ سوءٍ خَطْبُهُنَّ شَديدُ

آلَةُ حَدْباءُ تُنْذِرُ بِالْمَنونِ، أَعْوَجِيٌّ ضامِرٌ كَحَرْفِ ٱلنّونِ؛ شُعْبَةُ [T149b] دَوْحَةٍ زالِيَةِ ٱلْأُرومَةِ، أَعانَتْهَا ٱلْأَسْبابُ عَلىٰ مَقاصِدَ[3] مَرومَةٍ؛ قَدِ ٱخْتيرَ لِمُواصَلَتِها عِظامٌ، وَلِلْكِرامِ[4]

---

١. ب: القصر، وهو تصحيف.

٢. ب: ـ شعر.

٣. ب: ـ الأرومة أعانتها الأسباب على مقاصد.

٤. ب: لكرم.

ٱلنُّجْرِ لِلْقُرونِ إِلَيْهَا ٱنْضِمامٌ؛ مَعَ تَشْجيرِ ٱلنَّسَبِ، وَٱتِّصالِ ٱلسَّبَبِ؛ يَجِدُ مَغْمَزاً في عودِها مَنْ يُخَرِّبُها، وَيَزِنُّ بِالإِلْصاقِ لَدىٰ مَنِ ٱعْتَمَدَ أَصْلَها يُعَقِّبُها؛

شَيْطانٌ في أَشْطانٍ لا يُسْتَطاعُ غِلابُهُ، يَجْري مِنِ ٱبْنِ آدَمَ مَجْرَى ٱلدَّمِ أَخْزابُـهُ؛ يَـدْفَعُهُ ٱلْمَرْءُ بِحَوْلٍ وَقُوَّةٍ وَغَوائِلُهُ لا تَنْدَفِعُ، وَمَوادُّ شَرٍّ وَإِنْ كابَدَ ٱلنَّزْعَ وَقَوْمُهُ ٱلسِّياقَ لا تَنْقَطِعُ؛ تَبْلُغُ مَكائِدُهُ أَقْصَى ٱلآمادِ، وَهُوَ إِذْ ذاكَ مِنَ ٱلْمُقَرَّنينَ فِي ٱلأَصْفادِ[1]؛ بَلْ[2] أَسْمَحَ في مَقادَتِهِ لِمُخْتارٍ مِنْ كِنانَةٍ، وَرَبَطَهُ عَلىٰ ساريَةٍ كَما رُوِيَ ذا مَهانَةٍ؛ مُسْتَخِفٌّ قَوْمَهُ يُرْسِلُهُمْ حَيْثُ شاءَ، مُعْوَجٌّ بِمُعاوَنَةِ مُسَدَّدٍ بَلَغَ ٱلْمَقاصِدَ وَٱلأَنْحاءَ؛ مائِلُ ٱلصَّعْدَةِ شَكا ظَهْرُهُ ٱلانْحِناءَ، فَوَلّىٰ ما يُهِمُّهُ ٱلأَبْناءُ؛ حانٍ عَلىٰ صَبيِّهِ قاسِي ٱلْمِحَنِ لَهُمْ وَعانَى ٱلْعَناءَ، مُسْتَظْهِرٌ بِأَعْقابِهِ وَثِقَ بِهِمْ فَشَهِدَ ٱللِّقاءَ؛

فَرْعٌ يُشَدُّ بِهُدّابِ ٱلدِّمَقْسِ ٱلْمُفَتَّلِ، ضارِبٌ بِسَهْمَيْهِ في أَعْشارِ قَلْبِ ٱلْمُقَتَّلِ؛ بَـيْتٌ فـي إِحْكامِ أَساسِهِ يُحْتاطُ، أُمُّ أَوْتارٍ بِها طاقاتُ ٱلإِبْرَيْسَمِ تُناطُ؛ أَبِيُّ ٱلنَّفْسِ يُصِرُّ عَلَى ٱلدَّفْعِ، وَتَأْخُذُهُ عَجْرَفِيَّةُ ٱلطَّبْعِ بِالْمَنْعِ؛ مُنازِعٌ ناوَصَ ٱلْجُرَّةَ ثُمَّ سالَمَها، ذاتُ وَلَدٍ أَقْلَقَ جَنْبَها بِـما [T150a] جَناهُ وَآلَمَها؛ مُقَيَّدٌ شُدَّ خِناقُهُ، وَعُقِدَ بِالْوَتَرِ أَعْناقُهُ؛ شِعْرٌ[3]:

أَضالِعُ رَدَّتْهَا ٱلشَّدائِدُ نُحَّلا تُمَدِّدُ أَعْناقاً إِلَى ٱلْجَوِّ مُيَّلا

غِلاظٌ شِدادٌ قاسِيَةُ ٱلْقُلوبِ جافِيَةُ ٱلطِّباعِ، تُوَكِّلُ بِقَبْضِ ٱلأَرْواحِ ﴿رُسُلاً أُولي أَجْـنِحَةٍ مَثْنىٰ وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ﴾[4]؛ أَهِلَّةٌ عادَتْ كَالْعَراجِينِ[5]، مُعَقَّفاتٌ[6] كَصُدورِ ٱلْمَحاجِنِ؛ مُذَلَّلاتُ ٱلأَنْيابِ لَيِّناتُ ٱلْعَرائِكِ، مُمْتَحَناتٌ عُرِضَتْ عَلَى ٱلنّيرانِ فَأُخْلِصَتْ مِـثْلَ ٱلسَّـبائِكِ؛ نِـضْوُ

---

١. تعبير قرآنيّ ورد في الآيتين الشّريفتين: ﴿وَ تَرَى ٱلْمُجْرِمينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنينَ فِي ٱلأَصْفادِ﴾، و﴿وَ آخَرينَ مُقَرَّنينَ فِي ٱلأَصْفادِ﴾ (ابراهيم (١٤): ٤٩، و، ص (٣٨): ٣٨).

٢. ب: بَلىٰ.

٣. ب: ـ شعر.

٤. فاطر (٣٥): ١.

٥. العبارة مقتبسة من القرآن الكريم: ﴿وَ ٱلْقَمَرَ قَدَّرْناهُ مَنازِلَ حَتّىٰ عادَ كَالْعُرْجونِ ٱلْقَديمِ﴾ (يـس (٣٦): ٣٩).

٦. الى هنا ينتهي ما روى في نسخة باريس.

يَهْدِرُ إذا ما لُزَّ فِي ٱلْقَرْنِ، جامِعٌ إلىٰ بَطْشِ ٱلشّارِخِ ٱنْحِناءَ ٱلْيَفْنِ؛ أَبْيَاتُ ٱلْأَعْناقِ جَوامِحُ، ضُلوعٌ إلىٰ نَيْلِ ٱلْمَرامِ جَوانِحُ؛

ذو نَيْرَبٍ يُغْرِبُ في بَثِّ ٱلْغَوائِلِ، وَيُغْري هَواتِفَ ٱلْأَيْكِ بِهِجْرانِ ٱلْخَمائِلِ؛ حَنِقٌ مَوْتورٌ يَهُمُّ بِكَسْرِ ٱلْأَزْعاظِ، مُتَشَدِّقٌ يَسْتَوْقِفُ ٱلْوَحْشَ بِشَوارِدِ ٱلْأَلْفاظِ؛ خَرْقاءُ أُولِعَتْ بِنَفْيِ ٱلْأَوْلادِ، مُتَهَدِّدٌ نَشَرَ أُذُنَيْهِ لِلْإبعادِ؛ خُصَماءُ لُدٌّ فِي ٱلنِّزاعِ يَجْمَحونَ، ﴿جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحونَ﴾[1]؛

ذاتُ كَبِدٍ لَمْ يَبْقَ إلّا صَميمُها، مِنَ ٱلضِّلَعِ ٱلْعَوْجاءِ لَيْسَتْ تُقيمُها؛ أُمُّ ٱلْمَنايا تُغْرىٰ فَتولَعُ بِإسْقاطِ ٱلْجَنينِ، بَيْتٌ لِعاتِكَةَ خَفَّ مِنْهُ ٱلْقَطينُ؛ ظالِمَةٌ تَجْهَرُ كَالْمَظْلومِ مُصْطَخِبَةً، مُنازِعٌ جاحَشَ عَنْ خَيْطِ ٱلرَّقَبَةِ؛ مُقَيَّدٌ جامِعَتُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ تَضيقُ، عانٍ يُؤَدّي حاجَتَهُ طَليقٌ؛ جَموحٌ تُزَوِّرُ [T150b] مَناكِبُهُ، وَيَلينُ بِالْاسْتِعْطافِ جانِبُهُ؛ شِعْرٌ:

يُكَسِّرُ مِنْ مَعاطِفِهِ ٱلتَّحَنّي وَيَكْمُنُ تَحْتَ طاعَتِهِ ٱلْإباءا

هَتوفٌ إلَى ٱلْأَيْكِ مُنْتَماهُ، يُساهِمُ فِي ٱلْحَنينِ مَنْ أَقْلَقَهُ وَأَحْماهُ؛ أَجْدَلُ مالَ بِشِقَّيْهِ، صَخِبُ ٱلصَّوْتِ يَلوكُ شِدْقَيْهِ، مُتَهَيِّئٌ[2] لِلدَّفْعِ يُدِلُّ بِرَوْقَيْهِ؛ مِرْنانٌ كَرَواعِدِ ٱلسُّحُبِ تَرْمي بِالصَّواعِقِ، جانٍ يُعَلَّقُ بِخَيْطِ ٱلرَّقَبَةِ وَحَبْلِ ٱلْعاتِقِ؛ هَيْفاءُ تُخاصِرُهَا ٱلْكَفُّ فَتُضَمُّ إلَى صَدْرِ صاحِبِها، ثُمَّ يُطْلِقُها عَنِ ٱلْحِبالَةِ مُلْقياً حَبْلَها عَلىٰ غارِبِها؛ مَرَّةً تُعْطيهِ ٱللِّيانَ، وَتارَةً تُريهِ ٱلْجِرانَ؛ تُبْدِي ٱلْمَيْلَ إلَيْهِ زَماناً، وَتَنْأىٰ بِجانِبِها أَحْياناً؛ كَثيراً ما واصَلَتْهُ فَأَعانَتْهُ، وَرُبَّما قَطَعَتِ ٱلْحَبْلَ فَخانَتْهُ؛ إنْ دُفِعَتْ إلَيْهِ كَرْهاً فَبِالطَّبْعِ صَدَّتْ، وَإنْ أَسْلَمَتْ عَلىٰ يَدِهِ رَأَيْتَها قَدِ ٱرْتَدَّتْ؛ يَسْأَمُ مِنْها فَيَذَرُها مُعَلَّقَةً، لا تَحْتَ يَدِهِ وَلا مُطْلَقَةً؛ تَأْبىٰ عَلَيْهِ فَيَشُدُّها بِالْقُيودِ، وَيَرْتَبِطُها إلىٰ أَنْ تَقَىَ ضارِعَةُ ٱلْخُدودِ؛ يَقولُ: أَسْلَمَ شَيْطاني عَلىٰ يَدي، وَٱسْتَلَنْتُ عَريكَتَهُ فَجاذَبْتُهُ طَوْعَ مِقْوَدي؛ لا غَرْوَ تَطْلُبُ ٱلتَّخَلُّصَ عَنْ حِبالَتِهِ، وَيَضيقُ ذَرْعاً بِسوءِ مَلَكَتِهِ وَسُرْعَةِ ٱسْتِحالَتِهِ؛ تَقولُ وَهِيَ في أَشَدِّ ما يَكونُ مِنَ ٱلضّيقِ، لا يُمْكِنُهَا ٱلْخُروجُ مِنَ ٱلْعَقْدِ

---

١. يس (٣٦): ٨.

٢. في الأصل: مُتَهَيّاً، والصّحيح ما ضبطناه.

ٱلْوَثيقِ؛ [T151a] لَا ٱسْتِقامَةَ لِحالِها، وَ لا تَخَلُّصَ عَنِ ٱلْقَيْدِ بِاحْتيالِها؛ شِعْرٌ:

لَوْلَا ٱبْتِلائي بِالْأَوْلادِ لَمْ أُرَ في قَيْدِ ٱلْهَوانِ بِحَبْلٍ مِنْكَ مُرْتَبِطا

وَ ما ظَنُّكَ بِمَجْدولَةِ ٱلْمَتْنِ شَديدَةِ ٱلْأَسْرِ، بَلْ لا يَتَمَكَّنُ مِنْها فُحولُ ٱلرِّجالِ بِالْقَسْرِ؛ تَسْتَمِرُّ عَلىٰ وَتيرَتِها فِي ٱلْإِباءِ، وَ تُرىٰ رياضَتُها مِنَ ٱلْعَناءِ؛ إِنْ أَجْمَحَتْ قُرونَتُها وَ لانَتْ، وَ تَرَكَتْ عادَةَ ٱلْجِماحِ وَ دانَتْ؛ فَلِمَنْ عُنِيَ بِاسْتِعْطافِها زَمَناً مَديداً، وَ تَوَلَّتْ يَدُهُ إِحْكامَ ٱلْعَقْدِ أَكيداً؛ تُجاذِبُ حَبْلَها حيناً فَحيناً، إِلىٰ أَنْ تُصادِفَ في مَعاطِفِها ليناً؛ وَ هَلُمَّ جَرّاً إِلىٰ أَنْ تُعْطِيَهُ ٱلْقِيادَ، وَ تُحْظِيَهُ بِما أَرادَ؛

جانِحَةً لِلْمَيْلِ، عَلىٰ ما حَكاهُ أَخو هُذَيلٍ؛ حَمَلَتْ بِأَوْلادِها كُرْهاً[1] وَ عَقْدُها لَمْ يُحْلَلْ، وَ أَتَتْ مِنْ بَيْنِها بِكُلِّ مُتَهَدِّلٍ إِلَى ٱلْغَرَضِ عَلىٰ غَيْرِ ٱلسَّدادِ لَمْ يُجْبَلْ؛ أَبْناءُ رَشْدَةٍ تُدِلُّ بِصَرامَتِها وَ مَضائِها، وَ يُحَقِّقُ إِلَى ٱلْأَمَدِ ٱلْبَعيدِ وَشْكُ أَنْتِهائِها؛ شِعْرٌ:

وَ عَلَى ٱلْفُروعِ مِنَ ٱلْأُصولِ شَواهِدُ مَنَعَتْ عَلىٰ ما قيلَ مِنْ إِخْطائِها

صَفْراءُ قَويَتْ مِرَّتُها، وَزْهاءُ ظَهَرَتْ عِنْدَ ٱلنِّزاعِ شِرَّتُها؛ عَوْجاءُ مَا أَخْتيرَ لَها مِنَ ٱلْأَكْفاءِ، وَ لا قُيِّضَ مِنَ ٱلْقُرَناءِ؛ غَيْرُ مُعْتَدِلِ ٱلشَّطاطِ قَويمٌ، يُحْمَى ٱلْحَريمُ وَ يُدْفَعُ ٱلْخَصيمُ، بِتَواطي مُعْوَجٍّ مِنْها وَ مُسْتَقيمٍ؛ صَخّابَةٌ ذَرِبَةٌ، ذاتُ وَأْدٍ لِلْجَرائِمِ مُرْتَكِبَةٌ؛ تُزَنُّ بِالْهَناتِ، لِسوءِ أَفْعالِ ٱلْبَناتِ، مَعَ ذٰلِكَ تَحْنو [T151b] عَطْفاً عَلَيْهِنَّ كَدَأْبِ ٱلْأُمَّهاتِ؛ تَرْفَعُ وَراءَهُنَّ عَقيرَتَها، وَ تَلْزَمُ فِي ٱلتَّفاخُرِ وَ ٱلتَّكاثُرِ بِهِنَّ وَتيرَتَها، تُرْسِلُها وَ إِنْ جَنَتْ عَمْداً أَوْ خَطَأً جَريرَتَها، أَنىٰ كَمْ مَخْطوطَةِ ٱلْمَناكِبِ مِثْلي عَدِمَتْ أَسِرَّتَها وَ فَقَدَتْ عَشيرَتَها، فَعَطَّلَتِ ٱلْأَيّامُ بَيْتَها وَ أَوْهَتْ مَريرَتَها؛ وَ مَا ٱلْبَيْتُ إِلّا بِالزُّوّارِ، وَ إِنَّمَا ٱلنّاسُ كَما قيلَ نُفوسُ ٱلدّيارِ؛ شِعْرٌ:

وَ لَوْلَا أَقْتِناصُ ٱلْوَهْمِ صورَةَ آنِسٍ لَما هَزَّ عَطْفاً مَوحِشاتُ ٱلْمَعالِمِ

قُدودٌ لِفَرْحَةِ ٱلْأَحْبابِ تَنْحَني، نُفوسٌ عَلَى ٱلْأَكْبادِ خَوْفَ ٱنْصِداعِها تَنْثَني؛ شاكيَةٌ لِما سامَهَا ٱلْقَوْمُ ٱمْتِحانَها، تَقولُ وَ قَدِ ٱعْتَوَرَتِ ٱلْعُقْدَةُ لِسانَها؛

---

١. تعبير قرآنيّ ورد فى الآية الشّريفة: ﴿وَ وَصَّيْنَا ٱلْإِنسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَ وَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾ (الأحقاف (٤٦): ١٥).

جَشَمْنَا ٱحْتِمالَ ٱلْمُصْعِباتِ تَجَرُّداً بِـقَرْعِ ظَـنابيبٍ وَشَـدِّ حَـيازِمِ

أَبِيُّ ٱلْعِنانِ، بَطِيُّ ٱلْإِذْعانِ؛ صَعْبُ ٱلشَّكيمَةِ يُكْثِرُ شِماسَهُ، سَدِمٌ يُلَوِّي راسَهُ؛ مُدِلٌّ بِبُعْدِ صيتِهِ، لٰكِنَّ قَيْدَ مِحْنَتِهِ في ليتِهِ؛ مُعْوَجٌّ عُرِكَ أُذُنُهُ لِاسْتِصْلاحِهِ، وَسيمَ دُخولَ ٱلنّارِ لِيَغُضَّ مِنْ جِماحِهِ؛ مولَعَةٌ بِالْفَتْكِ مُلِئَتْ بِالسَّيِّئاتِ جَرائِدُها، موعَدَةٌ بِالنّارِ نودِيَ في أَضْرابِها ﴿إِنْ مِنْكُمْ إِلّا وارِدُها﴾[1]؛ مُتَأَذِّفٌ فِي ٱلْقَيْدِ مِنْ مِحَنٍ يُكابِدُها، مَدْفوعٌ فِي ٱلنَّزْعِ إِلىٰ مَضائِقَ لا تـوصَفُ شَدائِدُها؛ شِعْرٌ:

مِثْلُ ٱلْوَليدِ رَماهُ مَهْلِكُهُ مِنْ بَعْدِ إِخراقٍ بِإِغْراقِ

[T152a] مُبْتَلىً بِمُساوَرَةِ ضَئيلَةٍ في أَنْيابِها ٱلسَّمُّ، أَوْدىٰ بِمِثْلِها ٱلْـعَدَدُ ٱلْـجَمُّ؛ يُـعاوِدُهُ ٱلْعِدادُ سَليماً. ـ وَقُلْ فِي ٱلْأَصَلَةِ أَخْبَثِ ٱلْحَيّاتِ تَثِبُ عَلَى ٱلْإِنْسانِ، وَتَقْتُلُ عَلَى ٱلْمَكانِ ـ كَما حَكَوا قَديماً؛ مَمْنُوٌّ بِفِراقِ قَوْمِهِ شَقَّهُ ٱلنُّحولُ، مُضْطَرٌّ بِلِسانِ حالِهِ يَقولُ:

في كُلِّ يَوْمٍ نَشْطَةٌ وَوَثـاقُ وَ مِنَ ٱلْأَحِبَّةِ لِلْوِداعِ عِناقُ

مَهْجورٌ يُرَدِّدُ ٱلْحَنينَ، حينَ يُفارِقُ ٱلْقَرينَ؛ يُنادي بِأَعْلَى ٱلصَّوْتِ، وَفُرْصَةُ ٱللِّقاءِ أَذَنَتْ بِالْفَوْتِ؛ شِعْرٌ:

مَضَتِ ٱلْأَحِبَّةُ مُسْرِعينَ وَبَعْدَهُمْ لَمْ تَخْلُ مِنْ أَيْـدٍ عَـلَى ٱلْأَكْـبادِ

نادِبَةٌ كَالثَّواكِلِ في إِثْرِ أَوْلادِها، أَذاقَتْ أَلَمَ ٱلثُّكْلِ غَيْرَها بِبِعادِها؛ ذاتُ شِـرْعَةٍ لِسَـفْكِ ٱلدِّماءِ[2]، وُضِعَتْ قِطَعٌ مُخْتَلِفَةٌ وَأَجْزاءٌ مُتَباينَةٌ لِأَمْرٍ ما؛ جُمِعَتْ شُعْبَتا شَجَرَةٍ عَلَيْها لِبِنْيَتِ لَهُما مَدارٌ، تَخَلَّلَتِ ٱلْفاصِلَةُ بَيْنَهُما فَبانَ لِكُلٍّ مِنْهُما عَنِ ٱلْآخَرِ ٱزْورارٌ؛ رَأْسانِ لَمْ يَخْفَ ما بَيْنَهُما مِنِ ٱخْتِلافٍ، لا يُصْلِحُ ذاتَ بَيْنِهِما إِلّا بِاسْتِعْطافٍ؛ كُلٌّ يُباعِدُ رَأْسَهُ وَطالَما، ٱنْتَهَزَ ٱلْفُرْصَةَ مِنْ بَيْنِهِما ٱلْخُصَماءُ[3]؛ أُحْكِمَ لِمُواصَلَتِهِما أَساسٌ، وَأُبْرِمَ لِيَدْنو كُلٌّ مِنْ صاحِبِهِ أَمْراسٌ؛ حَتّىٰ

---

١. مريم (١٩): ٧١.

٢. هٰكذا في الأصل، والظّاهر «ألدّما» بقصر الممدود لكي يلائم و«لِأَمْرٍ ما».

٣. هٰكذا في الأصل، والظّاهر «ألْخُصَما» بقصر الممدود لكي يلائم و«طالَما»؛ هٰذا إذا اعتبرنا النّصّ غيرَ ساقطٍ منه شيء، لكنّه في رواية أخرى له وصفناها في مقدّمة الرّسالة هٰكذا: «أَخَوانِ كُلٌّ يُباعِدُ رَأْسَهُ عَنْ صاحِبِهِ، وَيَطْوي عنه ... بِجانِبِهِ؛ أُلِفانِ جَمَعَهُمَا ٱلإِخاءُ، وطالَما ... ٱلْخُصَماءُ»؛ راجع سفينهٔ تبريز (ابوالمجد تبريزى، ص ٧١٠).

تَأَكَّدَتِ ٱلْمَرائِرُ، وَ ٱسْتَحْكَمَتِ ٱلْأَواصِرُ؛ فَانْخَرَطا في سِلْكٍ واحِدٍ ٱنْتِظاماً وَ ٱلْتياماً؛ وَ أَقْبَلا عَلىٰ لَمِّ ٱلشَّعَثِ بِحَيْثُ لا يَسْتَدْعي روبَةً وَلِحاماً؛ يَرَى [T152b] ٱلْبَيْتَ واحِداً، وَ ٱلتُّؤامَ فارِداً؛ إِذْ وَقَعَ فِي ٱلْحَلِّ وَ ٱلْعَقْدِ ٱلْاشْتِراكُ، وَ حَصَلَ بِأَوْثَقِ ٱلْعُرَى ٱلْاشْتِمْساكُ؛ شِعْرٌ:

«وَ شُدَّتْ بِأَعْناقِ ٱلنَّوىٰ بَعْدَ هٰذِهِ مَرائِرُ إِنْ جاذَبْتَها لَمْ تَقَطَّعِ»[1]

نَعَمْ تَواطَيا عَلىٰ نَفْيِ أَصْحابِ ٱلْأَغْراضِ، وَ صَوْنِ مِرَرِ ٱلْعُهودِ عَنِ ٱلْانْتِقاضِ؛ تَفادِياً مِنْ تَفْريقِ ذاتِ ٱلْبَيْنِ، وَ قَطْعِ ٱلْوُصْلَةِ ٱلْمَوْثوقِ بِها مِنَ ٱلْجانِبَيْنِ؛ فَانْجَبَرَ بِالْمُعاضَدَةِ كَسْرُهُما، وَ ٱشْتَدَّ بِالْمُوافَقَةِ أَزْرُهُما؛ وَ ٱسْتَشْهَدَ ٱلْبارِئَ عَلىٰ ذٰلِكَ كَما عَلِمَ ٱلْجُموعَ، وَ ٱتَّفَقَ لِلْأَيْمانِ ٱلْمُغَلَّظَةِ عَلَيْهَا ٱلْوُقوعُ؛ فَمَنْ صَدَعَ ذٰلِكَ ٱلشَّمْلَ، أَوْ أَخْرَجَ رَأْسَهُ عَنِ ٱلرِّبْقَةِ وَ خَلَعَ ٱلْحَبْلَ؛ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلنَّكالِ، وَ لَزِمَهُ ٱلدَّرَكُ لِسوءِ ٱلْفِعالِ؛ وَ كَفاهُ بِنَقْضِ ٱلْعَهْدِ مِنْ عارٍ، وَ إِنَّ[2] مَصيرَهُ إِلَى ٱلنّارِ؛ ﴿وَ سَيَعْلَمُ ٱلَّذينَ ظَلَموا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبونَ﴾[3].

هٰذا وَ قَدْ أَغْرَقْتُ في أَوْصافِ ٱلْقِسِّ، وَ رُمْتُ أَنْ أُصيبَ شاكِلَةَ ٱلرَّمِّ؛ فَلَمْ أُبْقِ في قَوْسِ ٱجْتِهادي مَنْزَعاً، وَ لا في كِنانَةِ ٱفْتِكاري مِنْزَعاً؛ فَإِنْ أُصِبْ فَرَمْيَةٌ مِنْ غَيْرِ رامٍ، وَ إِلّا فَكَمْ ذي غَرَضٍ لَمْ يَفُزْ بِمَرامٍ؛ شِعْرٌ:

«عَلَيْنا مُحاذاةُ ٱلْمَرامي سِهامَنا وَ لَيْسَ عَلَيْنا أَنْ نُصيبَ وَ لا نُخْطي»[4]

وَ ها أَنَا أَقولُ مَنْ صَنَّفَ فَقَدِ ٱسْتَهْدَفَ، وَ لا أَقولُ مَنْ رامَى ٱلْقارَةَ [T153a] فَقَدْ أَنْصَفَ؛ وَ أَعْتَرِفُ أَنَّ ما تَكَلَّفْتُهُ إِنْباضٌ بِغَيْرِ تَوْتيرٍ، وَ أَنّي مَعَ إِطالَةِ ٱلْكَلامِ لَمْ أَخُلْ مِنْ تَقْصيرٍ؛ وَ مِنْ أَيْنَ تَفِي ٱلْمُنَّةُ بِتَطْبيقِ ٱلْمَفاصِلِ، وَ لَمْ أَرْمِ إِلّا بِأَفْوَقَ ناصِلٍ؛ فَإِنْ فَوَّقَ سَهْمَهُ نَحْوي غائِبٌ،

---

١. البيت ممّا لم يسمّ قائله في ديوان الحماسة (راجع شرح المرزوقي، ج ٣، ص ١٣٨٧)، وفيه «أشُدّ» مكانَ «وشدّت»؛ ولكنّ الصّفدي في الوافي بالوفيات (ج ٤، ص ٣٢١) نسبه إلى محمّد بن الفضل، باختلاف يسير في ضبط ألفاظه.

٢. هكذا في الأصل بكسر الهمزة، والفتح أيضاً موجّه عطفاً على «عار».

٣. الشّعراء (٢٦): ٢٢٧؛ وهي الآية الأخيرة من السّورة.

٤. البيت منسوب إلى أبي هلال العسكري، الحسن بن عبدالله؛ ذكره الباخرزي في دمية القصر، ج ١، ص ٥٠٩؛ و الصّفدي في الوافي بالوفيات، ج ١٢، ص ٨٠.

أَعْتَذِرُ بِقَوْلِهِمْ مَعَ ٱلْخَواطي سَهْمٌ صائِبٌ؛ وَكَثيراً ما يُخْرَقُ ٱلْقِرطاسُ عَلىٰ رُماةِ ٱلْحَدَقِ، وَيُعْطَى ٱلْقُطوفُ شَأْوَ ٱلْوَساعِ فِي ٱلْعَنَقِ؛

وَلَمْ أَدَّعِ حُصولَ ٱلْقَوْسِ بِكَفِّ ٱلْباري، وَطَيْشَ سِهامِ ٱلْمُناضِلِ وَٱلْمُباري؛ إِجْلالاً لِمَنْ يُوَتِّرُ قَوْسي وَيَريشُ سِهامي، وَيَمُدُّ باعِي ٱهْتِماماً بِتَحْصيلِ مَرامي؛ إِذا زُغْتُ فَهُوَ يُقَوِّمُني، وَإِنْ أَرَدْتُ ٱلرِّمايَةَ يُعَلِّمُني؛ بَلْ تَحَقَّقْتُ تَخاذُلَ قُوايَ دونَ ٱلْانْتِهاءِ فِي ٱلْبَلاغَةِ إِلىٰ طَوْرِ ٱلْكَمالِ، وَأَنَّ قَواعِدَ يَرْفَعُها إِسْمٰعيلُ[١] مِنْ ذَا ٱلْبَيْتِ يَهي دونَها مَباني ذاكَ ٱلْمَقالِ؛ وَكَأَنّي بِهِ راضَ لِلْقَوْلِ صِعاباً، وَخاضَ لِلْوَصْفِ شِعاباً، وَفَوَّقَ أَسْهُماً لَمْ تُكْسَ لُعاباً، وَوَتَّرَ قَوْسَ بَيانٍ يُحَدَّثُ عَنْهُ أَحْقاباً؛ وَأَقولُ وَلَمْ يُكْتِبْ مَرامي، وَلَمْ يُصِبِ ٱلْهَدَفَ سِهامي؛ بَلْ خَلَتِ ٱلْجَعْبَةُ، وَلَمْ تَلِنْ عَلىٰ يَدي تِلْكَ ٱلصَّعْبَةُ؛ شِعْرٌ:

بُليتُ بِصَعْبٍ لا يَلينُ قِيادُهُ ... وَمُعَوَّجَةٍ لَيْسَ ٱلثِّقافُ يُقيمُها

وَأَرْجو لِمَيْلِهِ إِلَيَّ، وَعَطْفِهِ كَرَماً عَلَيَّ؛ أَنْ يُقَوِّمَ لِتِلْكَ ٱلْأَحْرُفِ سِنادَها، [T153b] وَيُثَقِّفَ طَبْعُهُ ٱلْمُسْتَقيمُ مُنْآدَها؛ فَلَوْ أَعارَ ٱلْحَنيَّةَ نَظَرَهُ ٱلشّافِيَ لَأَزالَ أَكْبادَها، بَلْ لَوْ لَحَظَ نَتائِجَ ٱلْكَوْنِ لَنَفىٰ فَسادَها؛ وَآخِرُ ما فِي ٱلْكيسِ قِطْعَةٌ زَيْفٌ ضُمَّتْ إِلىٰ مَغْشوشِ كَلِمٍ أُؤَمِّلُ تَرْويجَها وَأَخْشَى ٱنْتِقادَها؛ وَهيَ شِعْرٌ:

أَخو حَنَّةٍ قَدْ ضاقَ مِنْهُ ٱلْأَضالِعُ ... يَحِنُّ كَمَوْتورٍ لَهُ ٱلْقَيْدُ[٢] نازِعُ

يَسوقُ ٱلْمَنايا وَهْوَ في حالِ نَزْعِهِ ... وَيُصْمِي ٱلرَّمايا وَهْوَ فِي ٱلْقَيْدِ جازِعُ

هِلالٌ يَرَى ٱلْمِرّيخَ مُقْتَرِناً بِهِ ... وَسَيّارَةٌ لِلْعُمْرِ مِنْها قَواطِعُ

وَأَوْتارُ عودٍ عَنْ مَسامِعَ أُذْنِيَتْ ... لِإِيقاعِ شَرٍّ أَنْطَقَتْها ٱلْأَصابِعُ

مُخَصَّرَةُ ٱلْأَوْساطِ تَفْتَتِنُ ٱلْوَرىٰ ... تُمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِها وَتُمانِعُ

إِذا فَلَقَ ٱلْجَنْبَيْنِ مِنْها كَريهَةٌ ... بَدَتْ لِجُنوبِ ٱلدّارِعينَ مَصارِعُ

---

١. الظّاهر أنّ في اللّفظين «الكمال» و«إسمٰعيل» هٰهنا إيهاماً، أراد بهما كمال‌الدّين اسماعيل الاصفهانيّ الّذي اقترح عليه القاضي معارضةَ قوسيّته هٰذه، كما أنّه أشار إليه بكلّ إعظام وإكرام قُبيلَ هٰذه الفقرة.

٢. في رواية سفينهٔ تبريز: القِدُّ.

مَتىٰ دَفَعَتْها فِي ٱلْحُروبِ أَصابِعُ ... فَلَيْسَ لِشَرٍّ قَدْ تَوَلَّدَ دافِعُ
وَكَمْ وَلَّتِ ٱلْأَبْطالُ فِي ٱلْحَرْبِ ظَهْرَها ... فَلَمْ تَخْلُ عَنْ مَكْرٍ وَهاجَتْ وَقائِعُ
فَأَعْجِبْ بِها وَزْهاءَ ساءَ صَنيعُها ... إِلىٰ حَتْفِ أَبْناءِ ٱلْحُروبِ تُسارِعُ
تَحِنُّ إِذا ما طَرَّقَتْ بِبَناتِها ... حَنينَ ٱلثُّكالىٰ ساوَرَتْهَا ٱلْفَجائِعُ
وَتَأْمَنُها إِنْ أُنْشِطَتْ مِنْ عِقالِها ... وَتَحْذَرُها إِنْ قَيَّدَتْهَا ٱلْجَوامِعُ
وَقَدْ حَمَلَتْ بَعْدَ ٱنْحِناءِ قِوامِها ... بِأَوْلادِ سوءٍ وَٱلْعُروقُ نَوازِعُ
[T154a] كَأَنَّ أَخا ذُبْيانَ كُلِّفَ نَعْتَها ... فَسارَ لَهُ بَيْتٌ لِذَا ٱلْوَصْفِ جامِعُ
«خَطاطيفُ حُجْنٌ فِي حِبالٍ مَتينَةٍ ... تَمُدُّ بِها أَيْدٍ إِلَيْكَ نَوازِعُ»[1]

١. البيت للنّابغة الذّبياني كما صرّح به القاضي نفسه في البيت قبله، وهو من قصيدة مطلعها: «عفا ذو حُسأ مِن فَرْتَنى فالفوارِعُ / فَجَنْبا أَريكٍ فالتِّلاعُ الدّوافِعُ»؛ راجع ديوانه، ص ٨٤.

المآخذ

* *القرآن الكريم*.

١. آقابزرگ الطّهراني، محمّد محسن، *طبقات أعلام الشّيعة*، ج ٣: الأنوار السّاطعة فی المأة السّابعة، تحقيق علی نقی منزوی، ج ٢، اسماعيليان، قم، [لا ت].

٢. ابوالمجد تبريزی، محمّد بن مسعود، *سفينهٔ تبريز*، چاپ عكسی از روی نسخهٔ خطّی كتابخانهٔ شورای اسلامی، با مقدّمه‌های عبدالحسين حائری ونصرالله پورجوادی، مركز نشر دانشگاهی، تهران، ١٣٨١.

٣. الأعلمي، محمّد حسين، *دائرة المعارف الشّيعيّة العامّة*، ١٨ ج، ط ٢، مؤسّسة الأعلمی للمطبوعات، بيروت، ١٤١٣هـ.

٤. الأميني، عبدالحسين، *الغدير فی الكتاب والسّنّة والأدب*، ١١ ج، ط ٢، دار الكتب الإسلاميّة، تهران، ١٣٦٦.

٥. الباخرزي، علیّ بن الحسن، *دُمية القصر وعُصرة أهل العصر*، تحقيق ودراسة محمّد التونجي، ٢ ج، دار الجيل، بيروت، ١٤١٤هـ. = ١٩٩٣م.

٦. بروكلمان، كارل، *تاريخ الأدب العربی*، ج ٥، نقله إلی العربيّة رمضان عبدالتّوّاب، راجع التّرجمة السّيّد يعقوب بكر، دارالمعارف بمصر، القاهرة، [بی تا].

٧. جواد، مصطفی، «اصفهان معقل الأدب العربیّ ونظام‌الدّين الاصفهانیّ»، *المجمع العلمیّ العراقی*، ج ١٠، ١٩٦٣م.، صص ٦٩ ـ ٩٤.

٨. زيدان، جرجي، *تاريخ آداب اللّغة العربيّة*، ٢ ج، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٨٣م.

٩. الشّبستري، عبدالحسين، *مشاهير شعراء الشّيعة*، ٥ ج، المكتبة الأدبيّة المختصّة، قم، ١٤٢١ هـ.

١٠. الشّيبي، كامل مصطفى، *ديوان الدّوبيت في الشّعر العربيّ (في عشرة قرون)*، منشورات الجامعة اللّيبيّة ـ كلّيّة التّربية، طرابلس، ١٣٩٢ هـ. = ١٩٧٢ م.

١١. الصّفدي، خليل بن أيبك، *الوافي بالوفيات*، ٢٢ ج، ط ٢، دار النّشر فرانز شتاينر، ويسبادن، ج ٤: باعتناء س. ديدرينغ، ١٣٩٤ هـ. = ١٩٧٤م.، ج ١٢: باعتناء رمضان عبدالتّوّاب، ١٤٠٥ هـ. = ١٩٨٥ م.

١٢. القمّي، عبّاس، *الكنى والألقاب*، ٣ ج، مطبعة العرفان، صيدا، ١٣٥٨ هـ.

١٣. الكاظمي، عبدالنّبيّ بن علي، *تكملة الرّجال*، تحقيق وتقديم السّيّد محمّد صادق بحرالعلوم، ٢ ج، مطبعة الادآب، النّجف الأشرف، [١٣١٨ هـ.].

١٤. المرزوقي، احمد بن محمّد، *شرح ديوان الحماسة*، نشره احمد امين وعبدالسّلام هارون، ٤ ج، لجنة التّأليف والتّرجمة والنّشر، القاهرة، ١٣٧١ هـ.

١٥. كحّاله، عمر رضا، معجم المؤلّفين، *تراجم مصنّفي الكتب العربيّة*، ١٥ ج، مكتبة التّرقي، دمشق، ١٣٧٦ هـ. = ١٩٥٧ م.

١٦. المامقاني، عبدالله، *تنقيح المقال في أحوال الرّجال*، ٣ ج، ط بالحجر، المطبعة المرتضويّة، النّجف، ١٣٥٢ هـ.

١٧. النّابغة الذّبياني، زياد بن معاويه، *ديوان*، حقّقه وقدّم له فوزي خليل عطوي، دار صعب، بيروت، ١٩٨٠ م.

١٨. نظام‌الدّين الاصفهاني، محمّد بن اسحاق، *ديوان المنشآت*، مخطوط رقم «٢٣١٥» مكتبة احمد ثالث (طوپقاپوسراى) تركيّا، ٧١٠ هـ.، ٢٢٦ ورقاً.

١٩. ـــــــــــ، *ديوان المنشآت*، مخطوط رقم «Arabe 3174» المكتبة الأهليّة بباريس، ٧٣٧ هـ.، ١٤١ ورقاً.

٢٠. ـــــــــــ، *رباعيّات نظام‌الدّين الأصفهاني (نخبة الشّارب وعجالة التّراكب)*، حقّقها وقدّم لها كمال أبوديب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٣.

قصيدة الفوز والأمان

في مديح مولانا صاحب الزمان عليه السلام

للعَلَم العلّامة الشّيخ بهاءالدين العامِلي رحمه الله

وبهامشها معاني الأبيات،
مستلّةٌ من شرح الشيخ احمد بن عليّ المَنيني
اعداد: مجيد هادي‌زاده

كلمة المحقّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه، والصّلوة والسّلام على محمّدٍ رسول اللّه، وعلى آله آل اللّه.

وبعد؛ فهذه «قصيدة الفوز والأمان في مديح مولانا صاحب الزمان عليه السلام»، للعلّامة الكبير الإمام الشّيخ بهاءالدّين محمّد العامليّ، المولود ببعلبك سنة ٩٥٣ هـ. ق. الفقيه الأصوليّ الأديب المفسّر المحدّث الحكيم الجامع لجميع فنون العلم والفضل، وقد خضع لفضله المخالف والمؤالف؛ قال المحبّي بشأنه: «... كان أمّةً مستقلّةً في الأخذ بأطراف العلوم والتضلّع بدقائق الفنون، وما أظنّ الزّمانَ سمح بمثله ولا جاد بندّه! وبالجملة فلم تتشنّف الأسماع بأعجب من أخباره»[1].

وقد نشأ بإيران بعد أن هاجر أبوه إليها سنة ٩٦٦ هـ. ق.؛ فدرس لدى جملةٍ من الأعلام كالشّيخ عبدالعالي الكركيّ، والشّيخ عبداللّه اليزديّ، والشيخ أحمد الكجائي، وأبيه العلّامة الّذي غرس في روحه حبّ أهل البيت المطهّرين المعصومين عليهم السلام، فتمكّن في

---

١. راجع: خلاصة الأثر، ج ٣، ص ٤٤٠.

نفسه حتّى قيل فيه: «إنّه جارى في حلبة الولاء الكميتَ»[١]. وله آثارٌ كثيرةٌ قيّمةٌ.

وكيف كان فإنّ شهرته الّتي ملأت الآفاق تُغنينا عن ذكر ترجمته، فنكتفي بالإشارة إلىٰ أنّ الشّيخ قد تقلّد منصب شيخ الإسلام في إصفهان زمن الملك عبّاس الصفويّ، خلفًا للشّيخ عليّ المنشار. وقد عاش فيها برهةً طويلةً من عمره حتّى مات بها سنة ١٠٣١ هـ. ق. فحُمل جسمانه الشريفة إلىٰ المشهد الرضويّ المقدّس ودُفن بالقرب من مزار مولانا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام المقدّس[٢].

أمّا تلك القصيدة الرّائقة فهي وليدة ولائه لأهل البيت عليهم السلام، وقد سمّاها بـ«قصيدة الفوز والأمان في مديح مولانا صاحب الزّمان عليه السلام»؛ وهي للطافتها وجزالة ألفاظها وعلوّ معانيها قد وقعتْ موقع اعتناء الأعلام، منهم الشّيخ جعفر البحراني ـ م. ١٠٢٨ هـ. ق. ـ، والأمير محمّدإبراهيم الحسينيّ القزوينيّ ـ م. ١١٤٥ هـ. ق. ـ حيث استقبلا منها؛ والسّيّد عبداللّه الجزائريّ ـ م. ١١٧٣ هـ. ق. ـ حيث ضمّنها في قصيدةٍ أخرى؛ والشّيخ جعفر النقدي ـ م. ١٣٧٠ هـ. ق. ـ حيث شرحه في مجلّدين ضخمين سمّاه مِنَن الرّحمن. وللشّيخ أحمد بن عليّ العدوي المَنِيني فتحُ المنّان، وهو شرحٌ لها؛ وقد ترجمها الدكتور محمود عبداللّهي في كتابه سيماى امام مهدى در شعر عربى باللّغة الفارسيّة[٣]. وفتح المنّان مطبوعٌ مع الكشكول ـ للشّيخ ـ بمصر قبل قرنٍ واحدٍ، فاستفدتُ في توضيح الأبيات منه وقد جرّدتُ شرح المعاني منه وذيّلتُ الأبيات به ليعمّ نفعه، كما وإنّي قد استفدتُ في ضبط الأبيات منه، ومن الكشكول المطبوع بإيران ـ حيث إنّ نصّ القصيدة مذكورٌ فيه ـ، ومن غيرهما.

والحمدللّه ربّ العالمين، وصلواته على وليّه المطلق مولانا المنتظَر صاحب العصر والزّمان ـ حفظه اللّه عن كلّ مكروهٍ وجعلني فداء تراب أقدامه ـ.

والحمد للّه ربّ العالمين
ليلة القدر ٢١ من رمضان المبارك ١٤٢٧
مجيد هادي‌زاده

---

١. انظر ريحانة الأدباء، ج ١، ص ٢٠٨.

٢. راجع عنه: نقد الرجال، ص ٢٠٣؛ ريحانة الأدباء، ج ١، ص ٢٠٧؛ أمل الأمل، ج ١، ص ١٥٨؛ الغدير، ج ١١ ص ٢٣٠؛ جامع الرّواة، ج ٢، ص ١٠٠؛ سلافة العصر، ص ٢٨٩.

٣. انظر سيماى امام مهدى در شعر عربى، ص ١١٣.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

سَرَى ٱلْبَرْقُ مِنْ نَجْدٍ فَجَدَّدَ تَذْكَارِي ... عُهُوداً بِحُزْوَى وَٱلْعُذَيْبِ وَذِي قَارِ [1]

وَهَيَّجَ مِنْ أَشْوَاقِنَا كُلَّ كَامِنٍ ... وَأَجَّجَ فِي أَحْشَائِنَا لَاعِجَ ٱلنَّارِ [2]

أَلَا يَا لُيَيْلَاتِ ٱلْغُوَيْرِ وَحَاجِرٍ ... سُقِيتَ بِهَامٍ مِنْ بَنِي ٱلْمُزْنِ مِدْرَارِ [3]

وَيَا جِيرَةً بِٱلْمَأْزَمَيْنِ خِيَامُهُمْ ... عَلَيْكُمْ سَلَامُ ٱللَّهِ مِنْ نَازِحِ ٱلدَّارِ [4]

خَلِيلَيَّ مَا لِي وَٱلزَّمَانَ كَأَنَّمَا ... يُطَالِبُنِي فِي كُلِّ آنٍ بِأَوْتَارِ [5]

فَأَبْعَدَ أَحْبَابِي وَأَخْلَى مَرَابِعِي ... وَأَبْدَلَنِي مِنْ كُلِّ صَفْوٍ بِأَكْدَارِ [6]

---

١. انّ البرق لمع من قبل نجدٍ فجدَّد لي تذكُّر لقاء أحبابي أيّام اجتماع شملي بهم، في منازلهم المحقَّقة أو المتخيَّلة الّتي هي: حزوي، والعُذَيب، وذُوقار.

٢. إنّ هذا البرق النجديّ أنار أشواقنا الّتي كنّا نضمرها وعن الناس نخفيها ونسترها، وأوقد في قلوبنا النار الشديدة المحرقة، لفرط تحسُّرنا على فوات وصال الأحباب وتأسُّفنا على زمان الاجتماع بهم فيما ألفوه من المنازل والرحاب.

٣. إنّ الناظم أقبل على تلك الليالي الّتي مضت له بالغوير وحاجر في مواصلة الأحباب والتلذُّذ بمطارحتهم في تلك الرحاب، وخاطبها مخاطبة ذوي الألباب بتخييل أنّها تصغي لفهم ما ألقي إليها من الخطاب؛ فناداها ودعا لها بالسُّقيا بمطرٍ غزيرٍ مدرارٍ يروِّي الأمكنة الّتي مضت له تلك الليالي مع الأحباب فيها. ومثل هذا ـ أي: مخاطبة مَن لا يعقل بتنزيله منزلة العاقل ـ كثيرٌ في كلام الشعراء، كمخاطبة الديار والرسوم والأطلال اظهاراً للتوَلُّه والحيرة.

٤. معنى البيت نداءُ أحبابه الّذين كانوا جيراناً له في المأزمين، ثمّ ابتلى بفراقهم ونزحت داره عنهم. وخطابهم بالتحيّة والسلام تسليةً للنفس بالطمع في إجابتهم. ثمّ عرج على شكاية الزمان ومعاكسته لأرباب الفضائل والعرفان ـ على عادة الأدباء والظرفاء ـ تمليحاً وتظريفاً، متخلّصاً إلى الإفتخار بنفسه العصاميّة وكمالاته الظاهرة الجليّة.

٥. يا خليليَّ اخبراني ما للزمان حاقدٌ عليَّ معادٌ لي يطلبني بغوائله ومكائده وطوائله، كأنّما جنيتُ عليه جنايةً فهو يطلب ثاره منّي!

٦. معناه واضحٌ.

وَعَادَلَ بِي مَنْ كَانَ أَقْصَى مَرَامِهِ مِنَ ٱلْمَجْدِ أَنْ يَسْمُو إِلَى عُشْرِ مِعْشَارِي[١]

أَ لَمْ يَدْرِ أَنِّي لَا أَزِلُّ لِخَطْبِهِ وَ إِن سَامَنِي خَسْفاً وَأَرْخَصَ أَسْعَارِي[٢]

مَقَامِي بِفَرْقِ ٱلْفَرْقَدَيْنِ فَمَا ٱلَّذِي يُؤَثِّرُهُ مَسْعَاهُ فِي خَفْضِ مِقْدَارِي[٣]

وَإِنِّي ٱمْرُؤٌ لَا يُدْرِكُ ٱلدَّهْرُ غَايَتِي وَ لَا تَصِلُ ٱلْأَيْدِي إِلَى سِرِّ أَغْوَارِي[٤]

أُخَالِطُ أَبْنَاءَ ٱلزَّمَانِ بِمُقْتَضَى عُقُولِهِمُ كَيْ لَا يَقُولُوا بِإِنْكَارِي[٥]

وَأُظْهِرُ أَنِّي مِثْلُهُمْ تَسْتَفِزُّنِي صُرُوفُ ٱللَّيَالِي بِاخْتِلَاءٍ وَ إِمْرَارِ[٦]

وَأَنِّيَ ضَارِي ٱلْقَلْبِ مُسْتَوفِزُ ٱلنُّهَى أَسِرُّ بِيُسْرٍ أَوْ أُمَلُّ بِإِعْسَارِ[٧]

وَيُضْجِرُنِي ٱلْخَطْبُ ٱلْمَهُولُ لِقَاؤُهُ وَ يُطْرِبُنِي ٱلشَّادِي بِعُودٍ وَمِزْمَارِ[٨]

---

١. انّ الدهر غمصني وتهاون بحقّي، فساوى بيني وبين من كان نهاية همّته وأقصى مرامه وطلبته أن يبلغ عشر العشر من مجدي وفضائلي.

٢. أ لم يعلم الزمان ـ الّذي حطّ قدري وساوى بيني وبين مَن لم يبلغ عشر معشار فضائلي ـ أنّي لا أذلّ لإيقاعه في المصائب والنوازل وإن قصد إذلالي وحملني على ارتكاب النقائص الّتي لا تليق بي وأرخص سعر قدري ولم يجعل لي عنده قيمةً ولا أقام لي وزناً؟!

٣. إنّ سعيَ الزمان في خفض قدري وحطّ منزلتي لا يؤثّر بعد أن كان فوق الفرقدين مقامي وموطناً لأقدامي.

٤. إنّي رجلٌ لا يلحق أهل الدهر مدى فضائلي وكمالاتي، ولا تصل أفكارهم إلى مخفيّات معارفي لامتيازي عليهم بمزايا لم يحُم أحدٌ منهم حولها.

٥. حاصل معناه: انّي أختلط بأبناء زماني وأجتمع بهم وأجاريهم على حسب عقولهم ومقتضى حالهم من الإدراك و الفهم، ولا أتكلّم معهم بالأمور الغامضة والحقائق الّتي ليست عقولهم لها رائضةً.

٦. إنّي أظهر لأهل زماني أنّي مشابهٌ لهم في التأثّر ممّا تأتي به حوادث الزمان والمعاكسة في المقصود من الأصدقاء والخلّان والانفعال ممّا يوافق هوى النفس، فيحلو لديها أو لا يوافقه فيكون مرّاً عندها ويشقّ عليها؛ مع أنّي بعيدٌ عن هذه الأخلاق ليس لي منها مشربٌ ولا مذاقٌ.

٧. إنّي أظهر لأبناء زماني أنّني ضعيف القلب لا أقوي على حمل الشدائد والمشاقّ مضطرب العقل غير ثابت الجأش تتلاعب بي حوادث الأيّام فأتأثّر وانفعل من كلّ ما يرد عليّ من يسرٍ أو عسرٍ أو فرحٍ أو حزنٍ، مع أنّي متّصفٌ بضد ذلك؛ لكنّي أظهرت ما ليس من خُلقي مجاراةً ومجانسةً لأبناء الزمان.

٨. إنّي أظهر أيضاً لأبناء عصري أنّه إذا نزل بي أمرٌ شديدٌ من حوادث الدهر أقلقني وأزعجني ـ كما هو شأنهم ـ مع أنّي لست كذلك، وانّ المغنّي إذا غنّى وحرّك من العود الأوتار وضرب بالآلات اللهو والمعازف ونفخ في المزمار أطربني؛ وليس كذلك، فإنّما طربي بما وراء ذلك ممّا يُمليه عليّ من الحقائق الإلهيّة والمعارف الربّانيّة.

وَيُصْمِي فُؤَادِي نَاهِدُ ٱلثَّدْيِ كَاعِبٌ ... بِأَسْمَرَ خَطَّارٍ وَأَحْوَرَ سَحَّارِ[١]

وَأَنِّي سَخِيٌّ بِالدُّمُوعِ لِوَقْفَةٍ ... عَلَى طَلَلٍ بَالٍ وَدَارِسِ أَحْجَارِ[٢]

وَمَا عَلِمُوا أَنِّي أَمْرُؤٌ لَايَرُوعُنِي ... تَوَالِي ٱلرَّزَايَا فِي عَشِيٍّ وَإِبْكَارِ[٣]

إِذَا دُكَّ طُورُ ٱلصَّبْرِ مِنْ وَقْعِ حَادِثٍ ... فَطُورُ ٱصْطِبَارِي شَامِخٌ غَيْرُ مِنْهَارِ[٤]

وَخَطْبٍ يُزِيلُ ٱلرُّوعَ أَيْسَرُ وَقْعِهِ ... كَوُدٍّ كَوَخْزٍ بِالْأَسِنَّةِ سَعَّارِ

تَلَقَّيْتُهُ وَٱلْحَتْفُ دُونَ لِقَائِهِ ... بِقَلْبٍ وَقُورٍ فِي ٱلْهَزَاهِزِ صَبَّارِ[٥]

وَوَجْهٍ طَلِيقٍ لَايُمَلُّ لِقَاؤُهُ ... وَصَدْرٍ رَحِيبٍ فِي وُرُودٍ وَإِصْدَارِ[٦]

وَلَمْ أُبْدِهِ كَيْ لَايُسَاءَ لِوَقْعِهِ ... صَدِيقِي وَيَأْسَى مِنْ تَعَسُّرِهِ جَارِي[٧]

وَمُعْضِلَةٍ دَهْمَاءَ لَايَهْتَدِي لَهَا ... طَرِيقٌ وَلَايُهْدَى إِلَى ضُوئِهَا ٱلسَّارِي

---

١. إنّي أظهر أيضاً لأبناء زماني أنّ الشابّة الكاعب الّتي ظهر ثدياها وارتفع تسبيني وتريق دمي بقدّها الّذي هو كالرمح اللّين المهتزّ وطرفها الأحور الّذي يؤثّر في القلوب تأثيراً كتأثير السحر، فيظنّوني مثلهم أعشقُ من المحبوب الثياب وأقنع من الماء بالسراب، وما دروا انّي لست من عشّاق الصور ولا من عباد التماثيل الّتي لايجنح إليها إلّا من كان أعمى البصيرة والبصر.

٢. إنّي أظهر لأبناء عصري أنّي إذا وقفت على ما بقي من ديار الأحباب الّتي عفت آثارها وانمحت معالمها وخفيت أحجارها أتذكّر زمان كونها آهلةً بهم، فأتأسّف وأتحسّر وأبكي حتّى يجري الدمع من عيني كالمطر ـ كما هو عادة العشّاق وأسراء الوجد والأشواق ـ، مع أنّي لست على هذا المذهب ولا ممّن له شربٌ معلومٌ من هذا المشرب؛ وإنّما شغفي بالسكّان دون المكان، وهم معي أينما كنت ونصب عيني حيثما حللتُ.

٣. إنّ أبناء زماني لم يعلموا أنّي رجلٌ لاتخيفني المصائب المتوالية والخطوب المتوجّهة إليّ في جميع أوقاتي وسائر أزمنة حياتي، لأنّي عوّدت نفسي على الشدائد ورُضتها على تحمُّل المشاقّ والمكائد، فلاأتأثّر من مصيبةٍ تسنح ولاأنفعل من لهب رزيّةٍ يلفح.

٤. إذا ضعف صبر غيري عن حمل ما يحدث من مصائب الدهر ونوازله فاصطباري قويٌّ ـ كالجبل المرتفع ـ لايكلّ ولايضعف.

٥. وربَّ أمرٍ شديدٍ صعبٍ محرقٍ مؤلمٍ كطعن الرماح يذهب العقل أيسر إصابته، تكلّفت الصبر عليه وتحمّلته والحال انّ الهلاك أسهل من لقائه بقلبٍ ثابتٍ كثير الصبر على البلايا والمحن.

٦. وربَّ أمرٍ شديدٍ موصوفٍ بالأوصاف المتقدّمة آنفاً تلقّيته بوجهٍ ظاهر البشر لايملُّ أحدٌ لقاءه لبشاشته، وبصدرٍ واسعٍ لايضيق بحوادث الدهر إذا أوردها عليه أو أصدرها عنه.

٧. إنّي أخفي ما نزل بي من مصائب الزمان ولاأظهر ذلك للناس، لئلّا أدخل المكروه على صديقي ويتكدّر بسببي، ولئلّا يحزن جاري؛ لأنّ الصديق مَن يفرح لفرحك ويحزن لحزنك، والجار في الغالب يكون كذلك.

تَشِيبُ ٱلنَّوَاصِي دُونَ حَلِّ رُمُوزِهَا ... وَ يُحْجِمُ عَنْ أَغْوَارِهَا كُلُّ مِغْوَارِ
أَجَلْتُ جِيَادَ ٱلْفِكْرِ فِي حَلَبَاتِهَا ... وَ وَجَّهْتُ تِلْقَاهَا صَوَائِبَ أَنْظَارِي
فَأَبْرَزْتُ مِنْ مَسْتُورِهَا كُلَّ غَامِضٍ ... وَ ثَقَّفْتُ مِنْهَا كُلَّ قِسْوَرَ سَوَّارِ[1]
أَ أَضْرَعُ لِلْبَلْوَى وَأُغْضِي عَلَى ٱلْقَذَى ... وَ أَرْضَى بِمَا يَرْضَى بِهِ كُلُّ مِخْوَارِ
وَأَفْرَحُ مِنْ دَهْرِي بِلَذَّةِ سَاعَةٍ ... وَ أَقْنَعُ مِنْ عَيْشِي بِقُرْصٍ وَأَطْمَارِ[2]
إذا لاوَرَى زَنْدِي ولَاعَزَّ جَانِبِي ... و لابَزَغَتْ فِي قِمَّةِ ٱلْمَجْدِ أَقْمَارِي
وَلَا بَلَّ كَفِّي بِالسَّمَاحِ وَلَاسَرَتْ ... بِطِيبِ أَحَادِيثِي ٱلرِّكَابُ وَأَخْبَارِي
وَلَاٱنْتَشَرَتْ فِي ٱلْخَافِقَيْنِ فَضَائِلِي ... وَ لَاكَانَ فِي ٱلْمَهْدِيِّ رَائِثُ أَشْعَارِي[3]
خَلِيفَةِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فَظِلِّهِ ... عَلَى سَاكِنِي ٱلْغَبْرَاءِ مِنْ كُلِّ دَيَّارِ[4]

---

١. حاصل معنى هذه الأبيات: انّه ربّما ـ أي: كثيراً ما ـ عرضت لي نازلةٌ شديدةٌ لايهتدي الناس إلى طرائق التخلّص منها ولا علامة تدلّ عليها، ويبلغ الطفل أوان الشيخوخة في معاناتها ولايقدر على حلّ مخفيّاتها وبيان مشكلاتها، ولايصل الفارس في ميادين الكلام القويُّ الفطن والأفهام إلى غايتها وجّهتُ إليها أفكاري الصائبة فأبرزتُ خفاياها وقوّمت معانيها الّتي لاتكاد تتقوّم.

٢. معنى البيتين: انّي لاأذلّ لنزول بلوىً ولاأسامح نفسي بارتكاب ما يكون مُشيناً لِعرضي، ولاأرضى بما يرضى به ضعفاء العقول من التساهل وتضييع الحزم في الأمور، ولاأفرح من دهري بلذّةٍ فانيةٍ تنقضي سريعاً ـ كالتذاذ أرباب النفوس الشهوانيّة بالتأنّق في المطاعم والمشارب والملابس والمراكب ـ؛ وإنّما فرحي باللذّة الحقيقيّة المتصلة بنعيم الآخرة، وهي إدراك العلوم والمعارف، ولاأقنع من حياتي بما فيه حفظ جسمي ونماؤه من الاقتيار برغيفٍ وستر البدن بثوبٍ، فإنّ ذلك أمرٌ سهلٌ حاصلٌ لي وإن لم أطلبه؛ وهمّتي مصروفةٌ عن سفساف الأمور وادانيها إلى شرائفها ومعاليها، وإلى تخلية النفس عن الرذائل وتحليتها بالكمالات والفضائل.

٣. حاصل معنى الأبيات: إنّني إن اتّصفت بصفةٍ من الصفات السابقة في البيتين قبل هذه الأبيات ـ بأن ضرعت لبلوىً أو أغضيت جفني على قذىً، ... إلى آخر البيتين ـ فلاظفرت بمطلوبٍ، ولا ثبت لي عزٌّ ولاأضاءت في ذروة المجد أنوار فضائلي وكمالاتي، ولاأتّصف بصفة السماحة والكرم، ولاسرت الركبان بطيب أحاديثي ومحاسن أخباري، ولاانتشرت في الشرق والغرب فضائلي، ولاكان في المهديّ[ﷺ] ـ الّذي يظهر بالقسط والعدل بين الأنام ويكون ظهوره من أشراط الساعة العظام ـ أشعاري الرائقة ومدائحي الفائقة.

٤. إنّ ممدوح الناظم ـ الّذي هو المهديّ[ﷺ] ـ هو السلطان الأعظم العادل الّذي هو خليفة اللّه في تنفيذ أحكامه على عباده، وظلُّ اللّه في الأرض الّذي يأوي إليه كلُّ مظلومٍ من سكّانها.

هُـوَ ٱلْعُرْوَةُ ٱلْوُثْقَى ٱلَّذِي مَنْ بِذَيْلِهِ ... تَـمَسَّكَ لَايَـخْشَى عَـظَائِمَ أَوْزَارِ[1]

إِمَـامُ هُـدىً لَاذَ ٱلزَّمَـانُ بِـظِلِّهِ ... وَ أَلْـقَى إِلَـيْهِ ٱلدَّهْـرُ مِـقْوَدَ خَـوَّارِ[2]

وَ مُـقْتَدِرٌ لَـوكَلَّفَ ٱلصُّـمَّ نُـطْقَهَا ... بِأَجْـذَارِهَـا فَـاهَتْ إِلَـيهِ بِأَجْـذَارِ[3]

عُلُومُ ٱلْـوَرَى فِـي جَـنْبِ أَبْـحُرِ عِـلْمِهِ ... كَـغُرْفَةِ كَـفٍّ أَو كَـغَمْسَةِ مِـنْقَارِ[4]

فَـلَوزَارَ أَفْـلَاطُونُ أَعْـتَابَ قُـدْسِهِ ... وَ لَـمْ يَعْشِهِ عَـنْهَا سَـوَاطِـعُ أَنْـوَارِ

رَأَى حِكْـمَةً قُـدْسِيَّةً لَايَشُـوبُهَا ... شَـوَائِبُ أَنْـظَارٍ وَأَدْنَـاسُ أَفْكَـارِ

بِـإِشْرَاقِـهَا كُـلُّ ٱلْـعَوَالِـمِ أَشْـرَقَتْ ... لِمَا لَاحَ فِي ٱلْكَوْنَيْنِ مِنْ نُورِهَا ٱلسَّارِي[5]

إِمَامُ ٱلْوَرَى طَـودُ ٱلنُّـهَى مَـنْبَعُ ٱلْـهُدَى ... وَ صَـاحِبُ سِـرِّ ٱللَّـهِ فِـي هَـذِهِ ٱلدَّارِ

بِـهِ ٱلْـعَالَمُ ٱلسِّـفْلِيُّ يَسْـمُو وَيَـعْتَلِي ... عَلَى ٱلْـعَالَمِ ٱلْـعِلْوِيِّ مِـنْ دُونِ إِنْكَـارِ[6]

وَمِـنْهُ ٱلْـعُقُولُ ٱلْـعَشْرُ تَـبْغِي كَـمَالَهَا ... وَ لَـيْسَ عَـلَيْهَا فِـي ٱلتَّـعَلُّمِ مِـنْ عَـارِ[7]

هُـمَامٌ لَـوِ ٱلسَّبْعُ ٱلطِّـبَاقُ تَـطَابَقَتْ ... عَلَى نَقْضِ مَا يَقْضِيهِ مِنْ حُكْمِهِ ٱلْجَارِي

---

١. إنّ الممدوح كهفٌ حصينٌ يُلجأ إليه في الشدائد، وإنّ مَن اعتصم به واتّبعه لايخاف عظائم الأوزار، لأنّه من أئمّة الحقّ وخلفاء العدل؛ فمَن تمسّك به واتّبعه سلم من الأوزار والذنوب.

٢. إنّ هذا الممدوح عالِمٌ ثابتٌ على الهدى والحقّ، يلجأ إليه الناس في زمانه ويلقى إليه أبناء الدهر زمامهم، وينقادون إليه انقياد فرسٍ سهل الانقياد لضعفه.

٣. إنّ هذا الممدوح ذوقدرةٍ باهرةٍ لايُستطاع مخالفته، فلوكلّف بالمحال عادةً لحصل، كما لوكلّف الاعداد الصمّ أن تنطقَ بأجذارها لنطقت بها وبيّنتها امتثالاً لأمره.

٤. إنّ علوم الورى ـ يعني ما عدا الأنبياء﴿ ـ لو وُضعت بإزاء علمه وفي ناحيته لكانت نسبتها إلى علمه كغرفةٍ من بحرٍ، أو كغمسة منقار طائرٍ منه.

٥. حاصل معنى الأبيات: إنّ أفلاطون على شهرته وفضله لوزار أمكنته المطهّرة ولم يصدّه عنها سواطع أنوارها لاستفاد منه حكمةً قدسيّةً ـ أي: مفاضةً عليه من حضرات القدس ـ غير مخلوطةٍ بأقذار الأنظار وأدناس الأفكار، لأنّها من فيض مفيض العلوم والمعارف على قلوب الأبرار؛ ولذلك أضاءت كلّ العوالم بإشراقها لما بدا في عالَمَي الدنيا والآخرة من نورها الساري المنتشَر في الكائنات.

٦. معناه ظاهرٌ.

٧. إنّ هذا الممدوح ـ لكثرة ما اشتمل عليه من الصفات الحميدة والفضائل العديدة ـ صارت العقول العشرة تطلب كمالها منه، ولاتستنكف عن التعلّم منه؛ ولاعيب عليها في ذلك وإن كانت مبدأً لفيوضات الكمال، إذ لا عار أن يتعلّم الكامل ممّن هو أكمل منه، ﴿وَ فَوقَ كُلِّ ذِي عِلمٍ عَلِيمٌ﴾.

لَـنُكَّسَ مِـنْ أَبْـرَاجِـهَا كُـلُّ شَـامِخٍ ... وَ سُكِّـنَ مِـنْ أَفْـلَاكِـهَا كُـلُّ دَوَّارِ

وَلَانْـتَثَرَتْ مِـنْهَا ٱلثَّـوَابِتُ خِـيفَةً ... وَ عَافَ ٱلسَّرَى فِي سُورِهَا كُـلُّ سَـيَّارِ[1]

أَيَـا حُـجَّةَ ٱللَّـهِ ٱلَّـذِي لَـيْسَ جَـارِياً ... بِـغَيْرِ ٱلَّـذِي يَـرْضَاهُ سَـابِقُ أَقْـدَارِ

وَيَـا مَـنْ مَـقَالِيدُ ٱلزَّمَـانِ بِكَـفِّهِ ... وَ نَاهِيكَ مِـنْ مَـجْدٍ بِـهِ خَـصَّهُ ٱلْـبَارِي

أَغِثْ حَـوزَةَ ٱلْإِيـمَانِ وَ ٱعْـمُرْ رُبُـوعَهُ ... فَـلَمْ يَبْقَ مِـنْهَا غَـيْرُ دَارِسِ آثَـارِ[2]

وَأَنْـقِذْ كِـتَابَ ٱللَّـهِ مِـنْ يَـدِ عُـصْبَةٍ ... عَـصَوا وَتَـمَادَوا فِـي عُـتُوٍّ وَإِضْـرَارِ

يُـحِيدُونَ عَـنْ آيَـاتِهِ لِـرِوَايَـةٍ ... رَوَاهَا أَبُـوشَعْثُونَ عَـنْ كَـعْبِ ٱلْأَحْـبَارِ[3]

وَفِي ٱلدِّينِ قَدْ قَاسُوا وَعَاثُوا وَخَـبَّطُوا ... بِـآرَائِـهِمْ تَـخْبِيطَ عَشْـوَاءَ مِـعْسَارِ[4]

وَأَنْـعِشْ قُـلُوباً فِـي ٱنْـتِظَارِكَ قَـرَّحَتْ ... وَ أَضْـجَرَهَا ٱلْأَغْـدَاءُ أَيَّـةَ إِضْـجَارِ[5]

وَخَـلِّصْ عِـبَادَ ٱللَّـهِ مِـنْ كُـلِّ غَـاشِمٍ ... وَ طَـهِّرْ بِـلَادَ ٱللَّـهِ مِـنْ كُـلِّ كُـفَّارِ[6]

---

١. حاصل معنى الأبيات: إنّ مَن في السماوات أو السماوات نفسها لوائتُقت على نقض ما قضاه وأبرمه لانقلبت أبراجُها وصار أعلاها أسفلها، ولسكن كلُّ متحرِّكٍ دائرٍ من أفلاكها، ولانتثرت كواكبها الثابتة خيفةً من سطوته، ولكره السري في منازلها ـ أي: تلك الثوابت ـ كلُّ كوكبٍ عادته السير ـ كالسبعة السيَّارة ـ لخروجها عن النظام واختلالها، بمخالفتها لذلك الهمام.

٢. إنّ الناظم يناديِ ممدوحه المهديّ [عليه السلام] ويستغيث به، ويصفه بأنّه حجّة اللّه على الخلق، وأنّ الأقدار الإلهيّة لاتجري إلّا برضاه، وأنّ مفاتيح الزمان وخزائنه بيده، وأنّ كلّ واحدةٍ من هذه الصفات مجدٌ ينهاك أن تنظر إلى غيره خصَّه اللّه ـ تعالى ـ به. ثمّ تضرَّع إليه وسأله أن يظهر ويغيث حوزة الإسلام ويعمِّر منازله وأماكنه، فإنّها قد اندرست وعفت آثارُها.

٣. إنّ الناظم يطلب من ممدوحه المهديّ [عليه السلام] أن يخلِّص كلام اللّه ـ تعالى ـ مِن أيدي عصبةٍ عصوا اللّه ـ تعالى ـ باتِّباع أهوائهم ودأموا على ظلالهم واستكبارهم، وأصرّوا على ذلك، وحرَّفوا القرآن عن ظواهره وأوّلوه تأويلاتٍ بعيدةً لاترتضيها فحول العلماء لأخبارٍ وآثارٍ واهيةٍ يروونها عن مجاهيل لاتُقبل روايتُهم عند أهل الأثر، ولايُثبت بها حديثٌ ولا خبر.

٤. إنّ هؤلاء العُصبة الّذين حادوا عن آيات الكتاب أثبتوا في دين اللّه أحكاماً بالقياس الفاسد ـ إمّا لفقد شرطٍ من شروطه، وإمّا لكونه في مقابلة النصّ من كتابٍ أو سنّةٍ ـ، وأفسدوا على الناس دينهم وخبطوا بارائهم وعقولهم خبطَ عشواء ذاهبةٍ على رأسها لاتبصر أمامَها.

٥. إنّ قلوب أوليائك ـ الّذين ينتظرون خروجك لتُخلِّصهم ممّا حلَّ بهم من المصائب في الدين ـ قد تقرَّحت من ألم انتظارك وأقلقها الأعداء، فانعِشهم بانقاذك إيّاهم ممّا هم فيه من الشدائد بخروجك إليهم.

٦. معناه واضحٌ.

وَعَـجِّلْ فِـدَاكَ ٱلْـعَالَمُونَ بِـأَسْرِهِمْ ... وَبَادِرْ عَلَى ٱسْمِ ٱللَّـهِ مِـنْ غَـيْرِ إِنْـظَارِ

تَـجِدْ مِـنْ جُـنُودِ ٱللَّـهِ خَـيْرَ كَـتَائِبٍ ... وَأَكْـرَمَ أَعْـوَانٍ وَأَشْـرَفَ أَنْـصَارِ[١]

بِـهِمْ مِـنْ بَـنِي هَمْدَانَ أَخْـلَصَ فِـتْيَةٍ ... يَـخُوضُونَ أَغْـمَارَ ٱلْـوَغَى غَـيْرَ فُكَّـارِ

بِكُـلِّ شَـدِيدِ ٱلْـبَأْسِ عَـبْلٍ شَـمَرْدَلٍ ... إِلَى ٱلْحَتْفِ مِقْدَامٍ عَـلَى ٱلْـهَوْلِ مِـصْبَارِ

تُـحَاذِرُهُ ٱلْأَبْـطَالُ فِـي كُـلِّ مَـوقِفٍ ... وَتَـرْهَبُهُ ٱلْـفُرْسَانُ فِـي كُـلِّ مِـضْمَارِ[٢]

أَيَـا صَـفْوَةَ ٱلرَّحْـمَنِ دُونَكَ مِـدْحَةً ... كَـدُرِّ عُـقُودٍ فِـي تَـرَائِبَ أَبْكَـارِ

يُـهَنَّا ٱبْـنُ هَانِي أَنْ أَتَـى بِـنَظِيرِهَا ... وَيَـعْنُو لَـهَا ٱلطَّائِيُّ مِـنْ بَـعْدِ بَشَّـارِ[٣]

إِلَـيْكَ ٱلْـبَهَائِيُّ ٱلْـحَقِيرُ يَـزُفُّهَا ... كَـغَانِيَةٍ مَـيَّاسَةِ ٱلْـقَدِّ مِـعْطَارِ[٤]

تُـغَايِرُ إِذْ قِـيسَتْ لِـطَافَةُ نَـظْمِهَا ... بِـنَفْحَةِ أَزْهَـارٍ وَنَسْـمَةِ أَسْـحَارِ[٥]

إِذَا رُدِّدَتْ زَادَتْ قَـبُولاً كَـأَنَّهَا ... أَحَـادِيثُ نَـجْدٍ لَاتَـمِلُّ بِـتِكْرَارِ[٦]

* * *

---

١. اسرع إلى إغاثة حوزة الإسلام والمسلمين جعل اللّه العالمين فداك ! وبادر على بركة اللّه من غير امهالٍ ؛ فإن أسرعت وبادرت وجدت من جنود اللّه جماعاتٍ وأعواناً ينصرونك على أعدائك.

٢. إنّ هذه الكتائب والأنصار والأعوان ـ الّتي يجدها الممدوح فيهم من قبيلة همدان ـ فتيانٌ شجعانٌ يقدمون على الحروب والمعارك من غير تفكُّرٍ في عواقب الأمور بكلِّ بطلٍ شديد البأس ضخم سريع مقدامٍ على الموت صابرٍ على الأهوال والشدائد ، تخافه الأبطال في كلّ موقفٍ من مواقف الحروب وتخشاه الفُرسان في كلّ معتركٍ.

٣. إنّ الناظم أقبل على ممدوحه وخاطبه بقوله : «أيا صفوة الرحمن !» استجلاباً لإقباله عليه وقبول مدحته قائلاً : خُذ منّي مدحةً لك كأنّها عقود اللآلئ في أجياد الأبكار يحقُّ لابن هانئ إن أتى بنظيرها أن يهنّأ ويخضع لبلاغتها أبو تمّام الطائيّ من بعد ما خضع لها بشّارٌ ؛ وهذا على سبيل الفرض والتقدير.

٤. إنّ ناظم هذه القصيدة بهاء الدين يُهديها إليك حال كونها كحسناء غنيتْ بحسنها عن الزينة ، متبخترةٍ لإعجابها بحُسنها ، كثيرةِ العطر يعبَق منها روائح الطيب.

٥. إنّ تلك المدحة إذا قاس أحدٌ لطافة نظمها بنفحة الأزهار وعرفها ونسمة الأسحار ولطفها أخذتْها الغيرة ، لكون لطافة نظمها فوق لطافة نفحة الأزهار ونسمة الأسحار ؛ فلاترضى أن يُقاس لطفها بلطفهما.

٦. إنّ هذه المدحة كلّما ردِّدها قائلها وكرَّرها زادت حلاوةً عند الطباع وقبولاً في الأسماع ، لما اشتملت عليه من جزالة اللفظ ودماثة المعنى وسلامة النظم وعذوبته في مذاق الفهم ؛ فكأنّها أحاديث نجدٍ الّتي أولعت الشعراء بذكرها وسارت أشعارهم قديماً وحديثاً ببثّها ونشرها. فمكرَّرها لدى الأسماع من أشهى اللذّات ومعادُها تستطيبه الأنفس وإن جبِّلت على معادات المُعادات.

قصيدة على طرز الطَّنطرانيَّة
في مديح الإمام العلَّامة آقا حسَين الخوانساريّ ﷺ[1]

للعلَّامة شيخ‌الإسلام جعفر القاضي الأصفهانيّ ﷺ

وبهامش الأبيات توضيحاتٌ عليها،
مستلَّةٌ من «الراح القراح» للحكيم السبزواريّ؛
تحقيق: مجيد هادي‌زاده

كلمة المحقِّق

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

الحمد للَّه، والصَّلوة والسَّلام على محمَّدٍ رسول اللَّه، وعلى آله آل اللَّه.

وبعد؛ فهذه قصيدةٌ لطيفةٌ عملها شَيخ‌الإسلام العلَّامة الشَّيخ جعفر القاضي الإصفهانيّ في مديح الإمام العلَّامة أستاد الكلِّ في الكلِّ آقا حسَين الخوانساري، نزيل إصفهان والمدفون بها. والقصيدة على طرز «القصيدة الطنطرانيَّة التَّرصيعيَّة»، والَّتي نظمها الشَّيخ الأديب الكبير أستاذ مدرسة النِّظاميَّة ببغداد أبونصر معين‌الدين أحمد بن عبدالرزَّاق الطنطراني ـ المتوفَّى سنة ٤٨٥ هـ. ق. ـ في مديح نظام‌الملك الوزير؛ ومطلعُها:

يا خليَّ البال قد بلبلت بالبال بالنوى زلزلتني والعقل في الزلزال زال

وهي في غاية الشهرة، وقد شرحها جمعٌ من الأدباء منهم الشَّيخ محمَّد الإسفرايني ـ

---

١. سنأتي بترجمةٍ قصيرةٍ له في التقديم على رسالته في حجِّيَّة الاستصحاب في مجلَّد الفقه من هذه المجموعة. [المحقِّق].

المتوفّى سنة ٧٤٩هـ.ق. ـ؛ وقد طُبعت المنظومة في مصر وبيروت وايران[١].

أمّا القصيدة الّتي نأتي بها هيهنا فقد حبَّرتها يراعة الشَّيخ الفقيه الحكيم الأديب الشَّيخ قوام‌الدِّين جعفر بن عبداللّه بن إبراهيم الإصفهانيّ، الملقَّب بالقاضي، في مديح أستاذه المحقِّق الخوانساريّ[٢]، واشتغل على المحقِّق السبزواريّ والإمام العلاَّمة المجلسي أيضاً. وقد وصفه تلميذه الشَّيخ محمَّدعليّ الأردبيليّ الغرويّ بقوله: «عارفٌ بالأخبار والتفسير والفقه والأصول والكلام والحكمة والعربيَّة ثقةٌ ثبتٌ عينٌ»[٣]، والعلاَّمة الكبير صاحب روضات الجنّات أيضاً، وأثنى عليه وذكر جملةً من آثاره[٤]. وشيخنا الأديب قد كان موضع اعتماد الحُكم أيضاً، فعيَّنه الملك سليمان الصفوي كقاضي إصفهان في سنة ١٠٩٨هـ.ق. ثمَّ فُوِّض إليه منصب شيخ‌الإسلام بهذا البلد المبارك. وأخيراً فقد لبَّى دعوة اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ سنة ١١١٥ في سفرته إلىٰ مكَّة المكرَّمة فمات بقرب النجف الأشرف ودُفن بها. أمّا القصيدة فقد أوردها الحكيم الحاج ملّا هادي السبزواريّ في كتابه الراح القراح، وقد علَّق عليها بعض التعاليق شرحاً وتوضيحاً. وروايتي للقصيدة هيهنا قائمةٌ على أساس ما طبع منها هناك بتحقيقي.

وبعد؛ فإنَّ أدب الشَّيخ الإصفهانيّ جديرٌ بأن يُفرد له رسالةٌ لدراسته والبحث عن نواحيه و مدى أهمِّيَّته، لعلَّ اللّه أن يوفِّقنا للقيام بهذا العلم العلمي؛ إنَّه خير موفِّق ومعين.

والحمد للّه ربِّ العالمين
ليلة القدر ٢١ من رمضان المبارك ١٤٢٧
مجيد هادي‌زاده

---

١. انظر عنه: الأعلام، ج ١، ص ١٤٥؛ ريحانة الأدب، ج ٤، ص ٦٢؛ معجم المؤلّفين، ج ١، ص ٢٧٢.
٢. وسنشير إلىٰ نبذةٍ من ترجمته في التقديم على رسالته في الاستصحاب في مجلّد الفقه من هذه المجموعة.
٣. راجع: جامع الرواة، ج ١، ص ١٥٣، القائمة ١.
٤. راجع: روضات الجنّات، ج ٢، ص ١٩٢.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

يَـا غَـزَالاً لَـحْظُهُ لِـلصَّارِمِ ٱلْـقَتَّالِ تَـالْ
مُهجَتِي مِن حُبِّ هَذَا طَـرفِكَ ٱلْـمِكسَالِ سَـالْ[1]
جُملَةُ ٱلْعُشَّاقِ قَد أَضـحَواْ عَـبِيداً فِـي ٱلْـهَوَى
حُبُّ مَن أَهـوَى عَـلَى ٱلْأَبـدَانِ وَٱلْأَمَـوالِ وَالْ
لَاتَـلُمنِي إِذْ تَـرَانِـي فِـي ٱلْـهوَىَ أَهـوَى فَكَـم
مِـن لَـبِيبٍ مُـبصِرٍ صَـاحٍ مِـن ٱلْأَمـوَالِ وَالْ
صَـيَّرَ ٱلْأَسْـقَامُ جِسْـمِي كَـالْحَنَايَا سَـاهِماً
حِينَ سَهمُ فِي ٱلْحَشَا مِن أَعيُنِ ٱلْآجَـالِ جَـالْ[2]
كَمْ أجُوبُ ٱلْبِيدَ؟ كَمْ أطْوِي ٱلْفَيَافِي؟ سَـادَتِي!
إِنَّ حَالِي بَـعدَكُـم مِـن كَـثرَةِ ٱلتَّـرحَـالِ حَـالْ

---

١. «تال» أي: لحظه هو التالي للسيف. «طرفك»: بدلٌ من «هذا». والمراد بـ«المكسال»: المخمور، أي: يا مهجتي من ذا الّذي هو غافلٌ حبُّ طرفك؛ هذا بناءً على أنْ يكون كلمة «من» إستفهاميةً، وإنْ كانت حرف جـرٍّ كـانت تعليليّةً نشئيّةً، و«مهجتي» مفعول «سال»، وهو خبر «طرفك»، أي: طرفك نازعٌ مخرجٌ مهجتي من جسدي لحبِّ هذا اللحظ ـ كالسيف المسلول من الغمد ـ، أو طرفك سالٍ إيّاها، أي: سلّط عليها مرض العشق الّذي كمرض السلّ، فهي مسلولةٌ سلَّ العشق ومدقوقةٌ دقَّ العشق. ويمكن أنْ يكون «مهجتي» مبتدءً خبره «طرفك» ـ من باب التشبيه المحذوف الأداة ـ؛ فالمعنى: إنّ مهجتي من جهة حبِّ لحظ طرفك السقيم مثله سقيمةٌ ـ لمناسبةٍ بين العاشق والمعشوق ـ حالكونها ذابت وسالت من عيني؛ وتذكير «سال» حينئذٍ بتأويل «المهجة» بـ«الطرف»، لحمله عليها، ومفادُّ الحمل هو الإتحاد.

٢. «الحنايا»: جمع حنية، أي: القوس. «ساهماً»: من سهم، أي: خمرٌ ودقَّ. «الآجال»: جمع إجْل ـ بكسرٍ فسكونٍ ـ أي: القطيع من بقر الوحش والضباء.

مُذْ نَأَيتُ ٱلْقَلبَ يَا ذَا ٱلْطَلعَةِ ٱلْحَسنَاءِ نَاءْ
نَجِّنِي فَـٱلْيَومَ لِـي مِن كَثرَةِ ٱلْبَأْسَـاءِ سَاءْ

قُمْ تَكَلَّمْ مِن فَمٍ عَطِرٍ عَلَى ٱلْمَرْجَانِ جَـانْ خَلِّصِ ٱلْعُشَّاقَ مِـن دَاءٍ إِلَـى ٱلْأَبـدَانِ دَانْ
رَجِّعِ ٱلْأَصْواتَ تُرجِع لِي حَيَوةً قَدْ مَـضَتْ إِنَّ حَبنِي مِنكَ يَا ذَا ٱلصَّوتِ وَٱلْأَلْحَانِ حَانْ
كَـمْ بِـلَا وَتـرٍ ٱلْاَقِـي مِـن لِـحَاظِكَ فَـترَةً إِنَّ عُمرِي فِي ٱلْهَوَى مِن فَاتِرِ ٱلْأَجفَانِ فَانْ[1]
حُبُّكُم يَا سَادَتِي فِي ٱلْقَلبِ قِدْماً قَد رَسَـى مَن يَقُلْ لَمْ أَهوِكُمْ فِي سَالِفِ ٱلْأَزْمَانِ مَـانْ
عَاذِلِي لَاتُقسِ لِـي قَـلْباً فَـحَسَّى شِـدَّتِي لِنْ فَإِنَّ ٱلْقَلبَ مِنِّي فِي هَوَى ٱلْـغِزلَانِ لَانْ

إِنَّ قَلبِي فِي ٱلْهَوَى مذخلَّة ؟ ٱلْأَرآمِ رَامْ
لَا يُبَالِي عَزْلَ مَن فِي ٱلْحُبِّ بِالْآلَامِ لَامْ[2]

يَا حَبِيباً نَـائِياً مِـنْ مَـنظَرِ ٱلْأَبـصَارِ صَـارْ إِنَّ بَعدَ ٱلْبُعدِ قَـلبِي جُـمْلَةَ ٱلْأَقـطَارِ طَـارْ
لَا تَعَجَّبْ صَاحِ مِنِّي غَيرَ صَاحٍ فِي ٱلْـهَوَى إِنَّ لُبِّي مُـذ رَمَـانِي طَـرفُهُ ٱلسَّـحَّارُ حَـارْ
صِرْتُ سِلْماً فِي هَوَى سَلْمٍ فَيَا بَدرَ ٱلدُّجَى فِيمَ قَد هَاجَرتُ مِن فِي زُمرَةِ ٱلْأَبصَارِ صَارْ[3]
صَاحِ دَعْ سَلمَى وَسَلْ مَا نَالَنِي فِـي حُـبِّهَا مِن بَلَاءٍ لَو جَرَى يَوماً عَلَى ٱلْأَحجَارِ جَارْ
سِرْ إِلَى نَجدِ ٱلْعُلَى تَجِدِ ٱلْهَوَى مِن مَـاجِدٍ مُستَضَاءٍ زَندُهُ فِـي ٱلْـفَضلِ بِـالْأَنوَارِ وَارْ[4]

مُرشِـدُ ٱلطُّلَّابِ مَن مِـنْ كَفِّـهِ ٱلْإِصلَاحُ لَاحْ
فِكـرُهُ فِـي مُعْـضَـلَاتِ ٱلْعِلمِ بِالإِصبَاحِ بَـاحْ

---

١. «كم بلاوترٍ»: في القاموس: «وتر الرجل: أفزعه وأدركه بمكروهٍ، ووتره مـالَه: نـقصه إيّـاه» [انـظر الـقـاموس المحيط، ص ٦٣١، القائمة ١. المحقّق]. «فترةٌ»: ضعفاً. «فاتر الأجفان» أي: ليس بحادّ النظر لحيائه.

٢. «خِلَّة»: بالضَّمّ: المحبّة والصداقة، وبالكسر: الخليل، وبالفتح: الحاجة؛ والثالث غـير مـقصودٍ. وعـلى الأوّل فـ«الأرآم» جمع «ريم»، أي: الظبي، والمراد بها: المعاشيق؛ وعلى الثّاني فـالإضافة إمّـا بـتقدير «اللّام» ـ أي: خليل المعاشيق ـ، أو بتقدير «في» بأن يكون «الأرآم» جمع «إِرَم» ـ كعِنَب وكَتِف ـ، أي: الخـليل الّـذي يأوي ويثوي البساطين كالورد والرياحين. «بالآلآم لام» أي: بإلمام الآلآم عليَّ لا مني.

٣. «سِلماً» ـ بالكسر ـ: سالماً. «سَلم» ـ بالفتح ـ: مرخَّم «سلمى» في غير النداء للضرورة، أو مخفَّف «سلمة» أي: المرئة الناعمة الأطراف.

٤. «الزند»: ما يُقدح به النار. «وار»: من وري الزند، أي: خرجت من ناره، من أنى ـ بالنون ـ يأني.

مَـاهِرٌ فِـي كُـلِّ أَمـرٍ مُـعقَل ٱلإِرشَـادِ شَـادُ
مُـهتَدٍ هَـادٍ عَـلَى ٱلَمحسُودِ وَٱلحُسَّادِ سَـادْ
فَـخرُ أَربَـابِ ٱلنُّـهَى آفَـا حُسَـينٍ ذُو ٱلتُّـقَى
ٱلَّـذِي مِـن كَـفِّهِ بَـحرٌ عَـلَى ٱلأَمجَادِ جَـادْ
يَـرتَوِي مِـن فَـيضِهِ كُـلُّ عَـلَى قَـدرٍ لَـهُ
لَـيسَ إِلَّا مَـن أَتَـى مِـثلِي مِـنَ ٱلقُصَّادِ صَـادْ
ذُو ٱلعُـلَى شَمسُ ٱلضُّحَى بَدرُ ٱلدُّجَى نَجمُ ٱلهُدَى
كَم فَتىً مِـن نُـورِهِ عَـن حِـندِسِ ٱلإِلحَادِ حَـادْ
مُـهتَدِي ٱلـعُبَّادِ مَـولَى ٱلفَضلِ أَبـيَضُ شَـارِقٌ
نُـورُهُ فِـي ٱلدَّهـرِ لِـلعُلَمَاءِ وَٱلزُّهَّـادِ هَـادْ
لَو تَرَى زُبُرًا لَـهُ عَـن مِثلِـهِ ٱلسَّـحَارِ حَـارْ
خِلتَ مَاءَ ٱلخُضرِ مِن مَكنُونِ ذِي ٱلأَسفَارِ فَارْ[1]

---

١. «زُبُراً له»: كـ«حواشيه» على «الشفاء» و«الإشارات» و«القديم» و«شرحه على الدروس» وغير ذلك من تصانيفه. [لتفصيل آثاره راجع: الروضة النضرة، ص ١٦٦. المحقّق]. «السَّحر»: كلَّما لطُفَ مأخذُه ودقَّ؛ ويمكن كون «السَّحَّار» من «سحر»، أي: بكر. «حار»: كان. «ذي الأسفار» أي: هذه الكتب المصنَّفة، وفيه إيهامٌ إلى الحكيم المحقّق والبصير المحدّق ذي‌الأيد والأبصار صاحب الاشراق والأنوار صدر المتألّهين وبدر الحكماء الإسلاميّين صدر الدّين محمّد الشيرازيّ. [هو صدر متألّهي الإسلاميّين ـ بل لاغرو لو قلت انّه رئيس متألّهي الدهور ـ صدرالدين محمّد بن ابراهيم بن يحيي الشيرازي، الحكيم المتكلّم المفسّر. ولد بشيراز وتوفّى ببصرة سنة ١٠٥٠هـ.ق. تتلمذ على الشيخ البهائي والسيّد الداماد والميرفندرسكي. لاتسع هذه الصفحات ذكر مناقبه وفضائله ولو عشراً من معشاره. من آثاره: الحاشية على شرح حكمة الإشراق، الشرح على الأصول من الكافي، أسرار الآيات، الحكمة العرشية، رسالة المشاعر. راجع: أعيان الشيعة، ج ٩، ص ٣٢١؛ ريحانة الأدب، ج ٣، ص ٤١٧؛ الكنى والألقاب، ج ٢، ص ٤١؛ معجم المؤلّفين، ج ٨، ص ٢٠٣؛ مقدّمة الأستاذ بيدارفر على تفسيره على القرآن الكريم. المحقّق]. صاحب كتاب الأسفار الأربعة [هذا الكتاب المسمّى بـالحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة هو خير مصنَّفٍ لخير مصنِّفٍ في الدهور، وهو أعظم صحيفةٍ في المعارف الحقّة الإلهية. ولمصنّفنا الحكيم تعليقةٌ مبسوطةٌ عليه. المحقّق].

جزء من ديوان المنشآت

للأديب الأريب العلّامة محمّد مسيح بن إسماعيل الكاشانيّ

تصحيح: مجيد هادي‌زاده

كلمة المحقّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه، والصّلوة والسّلام على محمّدٍ رسول اللّه، وعلى آله آل اللّه.

وبعد؛ فهذا جزءٌ من ديوان المنشآت، للعالم الأديب الأريب محمّدمسيح بن اسماعيل، الكاشاني مولدًا والاصفهاني مسكنًا الشهير بملّامسيحا. وُلد بكاشان ثمّ هاجر إلىٰ اصفهان فحضر على المحقّق الكبير آقا حسَين الخوانساريّ، وتتلمذ لديه ثمّ صار صهره على بنته. كان ذا يدٍ طولى في جملةٍ من العلوم ولاسيَّما في الأدبين الفارسيّ والعربيّ، وكان يتخلّص بـ«صاحب». قد ذكره النَّصرآباديُّ في تذكرته وأثنى عليه مشيرًا إلىٰ تمكُّنه من النظم والنثر بهاتين اللُّغتين الكريمتين[1]. وكان مدرِّسًا حيث ظهر من حوزته جمعٌ من الأعلام، منهم الشَّيخ عليّ الحزين حيث أشار إلىٰ تتلمذه لديه في تذكرته[2]. له التُّحفة السُّليمانيّة في ترجمة الإرشاد لمفيد الأمّة، وقد كتبه للملك سليمان الصفوي، وله غيره من الآثار. وهناك محمّدمسيح بن اسماعيل الفسائيّ، من أعلام إصفهان ومن تلامذة المحقّق الخوانساريّ أيضاً، ولكن بين وفاتهما بونٌ بعيدٌ.

---

١. راجع: تذكرة نصرآبادي، ص ١٧٥.

٢. راجع: تذكرة علماء معاصرين، ص ١٢١.

لانعلم منه شيئًا كثيرًا كما لاعلم لنا بتأريخ وفاته بالضبط، وقيل: توفّي سنة ١١١٥هـ. ق.[١].

ومن آثاره القيّمة مجموعةٌ من منشآته، وهي مجموعةٌ لطيفةٌ فائقةٌ في رقّة اللّفظ وسموّ المعنى. وهي تشتمل على منشآته في نواحٍ شتّى، كـالإخوانيّات، والمـدائـح، وخـطب الجُمُعة، والخطب المشتملة على صيغ الوقف، وخطبة النكاح، وغيرها. وقد اخترتُ منها ثمان رسائل صغار فقط نظرًا إلىٰ صِغَر حجم مجموعتنا هذه.

ومن الجدير بالذّكر أنّ بين منشآته رسائل أرسلها إلىٰ بعض أصدقائه، كسعد بن زيدٍ، وعبدالمحسن المكّي ـ الّذين يذكر اسمهما في المختار من منشآته ـ. أمّا الأوّل فهو الشريف سعد بن زيد بن محسن من شرفاء مكّة المكرّمة، والّذي توفّي سنة ١١١٦ هـ. ق. أي: بـعد سنةٍ من وفات الكاشاني ـ على القول بوصوله إلىٰ رحمة اللّه في سنة ١١١٥ ـ، وله ترجمةٌ في بعض المصادر[٢]؛ أمّا الثاني فلم أعثر على ترجمته، والظاهر أنّه أيضًا من أعلام حرم اللّه ـ سبحانه وتعالى، رزقنا اللّه زيارته ـ.

وقد كان بيدي حين التّحقيق مخطوطةٌ من الكتاب وهي بخطّ يد المصنّف، وكتب على غلافها: «من منشآت العبد الأثيم الجاني محمّد مسيح القاساني ـ عفى [كذا] اللّه تعالى عن جريمته وجعله من الصالحين الفائزين برحمته ـ، وكتب ذلك في شهر جميدي الثانية من شهور سنة ١١١٣». وفي ذيله سطران بخطٍّ آخر يُقرأ منه فقط: «أهداه الفاضل البارع الكامل الحبيب منشئُه ومؤلّفه للعبد الأقل ...»؛ ومصوّرةٌ من النسخة في مركز إحياء التراث الإسلامي بقم المقدّسة، رقم الفلم ٣٢٢٤، وقد أخذتُ مصوّرةً منها واعتمدتُ عليها في تحقيق الكتاب. والنسخة ناقصةٌ، وهي تشتمل على ٣٨٦ صفحات؛ وما اخترناه من الكتاب لايزيد على عشر صفحاتٍ منه.

والحمد للّه ربّ العالمين
ليلة القدر ٢١ من رمضان المبارك ١٤٢٧
مجيد هادي‌زاده

---

١. راجع عنه: دانشمندان خوانسار در كتب تراجم، ص ١٧٤؛ تذكرة علماء معاصرين، ص ١٢١؛ تذكرة نصرآبادي ص ١٧٥؛ أعيان الشّيعة، ج ١٠، ص ١٥٦؛ ريحانة الأدب، ج ٥، ص ٣١٤؛ الكواكب المنتثرة، ص ٧٢٥.
٢. انظر: الأعلام، ج ٣، ص ٨٥، القائمة ٢، والمصادر المذكورة فيه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي طَهَّرَ بَيتَهُ لِلطَّائِفِينَ[1] وَجعَلَهُ بِطَوَافِ /A41/ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ مَعْمُورًا، وأَثَابَ السَّاعِينَ إِلَيهِ بَينَ صَفَاءِ الصَّفْوَةِ وَمَروَةِ الْمُرُوَّةِ إِنَّ هَذَا كَانَ لَهُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعيُهُمْ مَشْكُورًا[2].

مَتَّعَ طَوَائِفَ الأُمَمِ بِدُخُولِ البَلَدِ الأَمِينِ، وَمَكَّنَ لَهُم ﴿حَرَمًا آمِنًا يُجْبَى إِلَيهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا﴾[3]، وَوَضَعَ الْبَيْتَ الَّذِي بِبَكَّةَ[4] مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا لِلْآمِنِينَ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلَ مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ[5] تَعَبُّدًا وَرِقًّا.

وَالصَّلوةُ عَلَى عَبدِهِ الْمَكِّيِّ خَيرِ الْوَرَى وَصَفوَةِ الأَنَامِ، وَنَبِيِّهِ الأُمِّيِّ أَفْضَلِ مَولُودٍ رُبِّيَ فِي حِجرِ أُمِّ الْقُرَى الْمُطِلِّ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ وَسُمُوِّ الْمَكَانِ عَلَى الْغَارِبِ وَالسَّنَامِ؛ الَّذِي أَسْرَى بِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى /B41/ الَّذِي بَارَكَ حَولَهُ[6] بِبَرَكَاتِهِ، وَاصْطَفَاهُ مِنْ بَينِ الْبَرِيَّةِ فَبَعَثَهُ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنهُمْ يَتْلُو عَلَيهِمْ آيَاتِهِ[7]؛ نُزِّلَ بَابُهُ الرَّفِيعُ مَنْزِلَةَ الْقِبْلَةِ الَّتِي وُلِّيَ شَطْرَهَا[8] وَجْهُ الْعِبَادِ، وَأُحِلَّ جَنَابُهُ الْمَنِيعُ محَلَّ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جُعِلَ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ[9].

---

١. تلميحٌ إلى كريمة ١٢٥ البقرة.
٢. مقتبسٌ من كريمة ١٩ الإسراء.
٣. كريمة ٥٧ القصص.
٤. تلميحٌ إلى كريمة ٩٦ آل عمران.
٥. مقتبسٌ من كريمة ٦٧ الحجّ.
٦. تلميحٌ إلى كريمة ١ الإسراء.
٧. مقتبسٌ من كريمة ٢ الجمعة.
٨. تلميحٌ إلى كريمة ١٤٤ البقرة.
٩. مقتبسٌ من كريمة ٢٥ الحجّ.

وَعَلَى اٰلِهِ الْكِرَامِ مَصَابِيحِ الدُّجُنَّةِ[١]، وَمَجَادِيحِ[٢] الرَّحْمَةِ وَمَفَاتِيحِ الْجَنَّةِ؛ الَّذِينَ يُشْعِرُ بِوُجُوبِ تَقْلِيدِهِمْ فِي شَعَائِرِ اللَّهِ سِيَاقُ النُّصُوصِ، وَيَشْهَدُ عَلَى كَوْنِهِمْ خَوَاتِيمَ أَيْدِي الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ أَنَّهُمْ لِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ كَالْفُصُوصِ؛

سِيَّما وَالِدُ بَنِيهِ، وَابْنُ عَمِّهِ وَأَخِيهِ؛ الْمُتَمَتِّعُ بِالتَّوَلُّدِ فِي الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، الَّذِي يَأْتِيهِ النَّاسُ ﴿رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٣]؛ مَنْ طَافَ حَوْلَ ذَرَاهُ أَوْى إِلَى مَقَامٍ كَرِيمٍ، /A42/ وَمَنْ حَجَّ[٤] سِوَاهُ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ وَتَوَلَّى بِرُكْنٍ حَطِيمٍ؛ جَعَلَهُ اللَّهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ لِمَدِينَةِ الْعِلْمِ بَابًا يُؤْتَى مِنْ كُلِّ فَجٍّ، وَأَفْرَدَهُ بِالْحُجَّةِ الْبَالِغَةِ فَقَرَنَ بَيْنَ الرِّسَالَةِ وَخِلَافَتِهِ قِرَانَ الْعُمْرَةِ بِالْحَجِّ؛ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ مَا سَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ، وَتَسَنَّمَ الْحَجِيجُ ذُرَى الْأَكَامِ وَنَزَلُوا مِنْ تِلَاعِ الْهِضَابِ[٥] إِلَى وِهَادِ الْبَطَائِحِ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَتْحُ بَابِ السَّلَامِ الَّذِي لَا تُحْصِي فَوَائِدَهُ حَصَى الْبَيْدَاءِ، وَلَا تَعُدُّ عَوَائِدَهُ جِمَارُ الْبَطْحَاءِ؛

فَقَدْ أَحْرَمَ مِنْ مِيقَاتِ مَظَانِّ الْإِجَابَةِ، صَالِحُ الدُّعَاءِ الْمُقَارِنِ لِدَوَاعِي الْإِسْتِجَابَةِ؛ لَابِسًا مِنْ قِرْطَاسِ الْعَرِيضَةِ ثَوبَ الْإِحْرَامِ، دَاعِيًا بِذَرِيعَةِ وَذِيمَةِ[٦] الْإِخْلَاصِ إِلَى تَلْبِيَةِ الْقَبُولِ الصَّادِرِ عَنْ مَوْرِدِ الْبِرِّ وَالْإِكْرَامِ؛ /B42/

فَتَوَجَّهَ تِلْقَاءَ كَعْبَةِ الشَّرَفِ وَالْكَرَامَةِ، وَتَهَامَةِ الْمَجدِ وَالسُّؤْدَدِ وَالشَّهَامَةِ؛ أَعْنِي حَضْرَةَ مَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ بِالنَّسَبِ الزَّاهِرِ الْحَسَنِيِّ، وَالْحَسَبِ الْبَاهِرِ السَّنِيِّ؛ وَالدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ، وَالْمُلْكَةِ الْبَاهِرَةِ؛ وَخَصَّهُ بِشَرَفِ خِدمَةِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَأَنْعَمَ عَلَيهِ بِجِوَارِ بَيْتِهِ الْمُحَرَّمِ مَطَافَ الثَّقَلَيْنِ؛ الرَّاجِحِ الْوَزْنِ[٧] الَّذِي لَا يُوزَنُ مَعَهُ شَرِيفٌ فِي كَرَائِمِ الْخِصَالِ، وَلَا يُوَازِيهِ

---

١. أي: الظلمة.

٢. «مجاديح» السماء: أنواؤها؛ و«المجداح»: ساحل البحر أيضاً؛ ١٢.

٣. كريمة ٢٧ الحجّ.

٤. أي: قصد.

٥. «الهضبة»: الجبل المنبسط على وجه الأرض؛ ص.

٦. «الوذيمة»: الهدية إلى بيت اللّه الحرام؛ ق.

٧. أي: كامل العقل والرأي؛ ١٢.

قَرِيعُ[١] فِي كَرَمِ الطَّبَائِعِ إِذْ وُفِّيَ فِيهِ طِبْعُ الْمِكْيَالِ ؛ تَبَرَّكَ أَبْنَاءُ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ بِإِبْدَاءِ مُوَالَاتِهِ لِبَرَكَاتِ ذَاتِهِ ذَاتِ السِّمَاتِ الْوَسِيمَةِ ، وَنَافَسَ[٢] أَنْشَاءُ[٣] الْمَدَرِ وَالْوَبَرِ فِي إِنْشَاءِ مُصْطَافَاتِهِ لِنَفَائِسِ صِفَاتِهِ الْكَرِيمَةِ ؛ بَنِينَ[٤] هُوَ مِنْ بَنِينَ أَبْنَاءِ أُمِّ الْقِرَىٰ /A43/ ابْنُ مَدِينَةِ الْمَجْدِ وَالشَّرَفِ وَالْبَهَاءِ ، وَكَرِيمٌ هُوَ مِنْ دُونِ بَجْدِ[٥] النَّجْدِ ابْنُ بَجْدَةَ[٦] الْكَرَمِ وَالسَّمَاحَةِ وَالسَّخَاءِ ؛ أَثْمَرَ دُوحَةَ ذَاتِ عِرْقٍ نَشَأَتْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ ، وَأَنْمَىٰ سَرْحَةَ[٧] كَرِيمَةِ الْعِذْقِ يَنْتَمِي إِلَى أَصْلِهَا الْأَصِيلِ كُلُّ فَرْعٍ[٨] ؛ إِرْتَدَىٰ بِرِدَاءِ الْفِخَارِ وَإِنِ اسْتَغْنَى عَنِ الْإِفْتِخَارِ ، وَكَعْبَةُ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ لَاتُكْسَىٰ لِلْإِعْوَازِ وَالْإِفْتِقَارِ ؛ لَمْ تُقَصِّرْ مَحَالِقُ بَيْضِهِ[٩] الْمُرْهَفَاتِ سَعْيًا فِي حَلْقِ[١٠] الْأَضْدَادِ حَتَّى سُقُوا مِنْ رَوْنَقِهَا[١١] بِكَأْسِ حَلَاقٍ[١٢] ، وَلَمْ تَأْلُ بَوَارِقُ عَوَالِيهِ الْمُهَفْهَفَاتِ جُهْدًا فِي إِذَابَةِ الْمِرَارَةِ مِنْ فِرَقِ الْعِدَىٰ وَالْحُسَّادِ إِلَى أَنْ ذَاقُوا مِنْ فَرَقِهَا[١٣] مَرَارَةَ السِّيَاقِ[١٤] ؛ غَيْرُهُ الْمُسْتَجِيرُ وَهُوَ الْمُسْتَجَارُ ، وَالْكَعْبَةُ تُزَارُ وَلَا تُسْتَزَارُ ؛ /B43/ بِسَعْيِ سَيْفِهِ طَوِيلِ النِّجَادِ نَيِلَ فِي بَحْرِ الْوَغَى سَيْفُ[١٥] النَّجَاةِ ، وَبِجَرْيِ بَحْرِهِ[١٦] الَّذِي هُوَ رِيحُ الْمُرَادِ تَجْرِي فِي غَمْرِ[١٧] الْهَيْجَاءِ سَفِينَةُ

---

١. أي : سيّدٌ.
٢. رغب.
٣. «الناشيء» : الغلام والجارية جاوزا حدَّ الصغر ، الجمع : أنشاء ؛ ١٢.
٤. أي : متثبّتٌ عاقلٌ.
٥. جماعة.
٦. يقال : هو ابن مدينتها وابن بجدتها للعالم بالشيء ، والدليل الهادي ، ولمن لا يبرح من قوله ؛ ١٢.
٧. شجرة.
٨. سيّد.
٩. سيوف.
١٠. أي : اصابة حلقهم ؛ ١٢.
١١. رونق السيف : ماؤه ؛ ١٢.
١٢. أي : المنية.
١٣. خوفها.
١٤. أي : النزع.
١٥. ساحل.
١٦. «البحر» : الفرس الواسع الجري ؛ ١٢.
١٧. بحر.

عَيشِ خَيلِهِ الْكُماةِ[١]؛ خُتِمَ عَلَى مُهرِهِ الْجَريُ مَعَ الرِّيحِ الْعَقِيمِ[٢]، وَعَلَى رِكَابِهِ وَغَرْرِهِ تَحَمُّلُ الطَّودِ[٣] الْعَظِيمِ؛ لَايُمَاشِي مَعَ النَّاسِ فِيمَا هُمْ فِي الدِّينِ يَبْتَدِعُونَ، وَيَلتَزِمُ أَركَانَهُ فَيَحُجُّ وَالنَّاسُ رَاجِعُونَ[٤]؛ لَهُ فِي الْخَيرِ قَدَمٌ وُطِئَتْ بِتِهَامَةِ هَامَةِ السُّهىٰ، وَفِي الْيَدِ قَلَمٌ نَالَ مِنهُ الْغَيثُ الْهَامِي مَشقَ النَّدىٰ؛ نَبعَةٌ[٥] مَجْدِهِ بِرُبَى النَّجدِ مُهَدَّلَةٌ[٦]، وَتَلعَةُ طَلعَتِهِ[٧] بِحَيَاءِ[٨] الْحِشمَةِ مُخضَلَّةٌ[٩]؛ سُقِيَ بِمَاءِ رَوَاءِ[١٠] قَنَاتِهِ رِيَاضُ الدَّولَةِ وَالْاِقبَالِ، وَرَوَىٰ بِتَروِيَةِ أَروىٰ[١١] فُيُوضَاتِهِ حَدَائِقَ الشَّوكَةِ وَالْعَظَمَةِ /A44/ وَالْإِجْلَالِ؛

خَمِيسُهُ الجُمْعَةُ[١٢] يَدرَؤُنَ بِإِرْعَالِ[١٣] الْأَسِنَّةِ فِي نُحُورِ الْأَعدَاءِ وَالْأَشرَارِ، وَجُيُوشُهُ الْمُجتَمِعَةُ يَرمُونَ بِسَبَّابَةِ[١٤] الْأَلسِنَةِ حَصىٰ قُلُوبِهِمُ الْقَاسِيَةِ رَمْيَ الْجِمَارِ.

حَلَّى بِقَلَائِدِ مِنَنِهِ نَحرَ الزَّمَانِ الْعَاطِلِ، وَأَثْقَلَ مِن سَوَابِغِ نِعَمِهِ كَوَاهِلَ الْأَعَاظِمِ وَالْأَمَاثِلِ؛ مَلْجَأُ طَوَائِفِ الْغَالَمِينَ، كَهفُ الْحَاجِ وَالْمُعتَمِرِينَ؛ الْمَولَى الْأَجَلُّ الْأَكْرَمُ الْأَشْرَفُ الْأَمْجَدُ، وَالسَّيِّدُ السَّنَدُ الْأَعْظَمُ الْأَرْفَعُ الْأَنْجَدُ؛ لَازَالَ بَيتُ الشَّرَفِ بِوُجُودِهِ الشَّرِيفِ الْكَرِيمِ مَعْمُورًا، وَلِوَاءُ الْمَجدِ بِنَشرِ عَطَائِهِ الْوَرِيفِ[١٥] الْعَمِيمِ مَنْشُورًا.

---

١. شجعان.
٢. أي: الشديد.
٣. جبل.
٤. مثلٌ يُضرب لمن يخالف الناس؛ ١٢. كما عن المَيداني؛ راجع: مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٤٢٩، القائمة ١.
٥. شجرةٌ عظيمةٌ.
٦. ممدودة الأغصان.
٧. رؤيته.
٨. أي: مطر الحياء.
٩. أي: مبتلَّةٌ.
١٠. زمزم.
١١. «أروى»: اسم ماءٍ بطريق مكّة؛ ١٢.
١٢. مجموعة.
١٣. «الارعال»: سرعة الطعن وشدّته؛ ١٢.
١٤. أي: الّتي تسبُّ وتشتم العدى؛ ١٢.
١٥. أي: المنع.

فَالْمَسؤُولُ مِنَ اللَّهِ الْقَرِيبِ أَنْ يُجِيبَ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاهُ لِدَوَامِ[١] دَولَتِهِ الْقَاهِرَةِ الْمُستَقِرَّة، وَلَا يُخَيِّبَ /B44/ رَجَاءَ الرَّاجِي لِخُلُودِ مُلكَتِهِ الْبَاهِرَةِ الْمُستَمِرَّة.

ثُمَّ الْمَعْرُوضُ عَلَىٰ ذَلِكَ الْجَنَابِ قِبلَةِ الْحَاضِرِ وَالْبَادِي، لَازَالَ مَحَطًّا لِرِحَالِ الْأَيَادِي؛ مَا لَاحَ نَجْمُ الدَّادِي[٢]، وَصَاحَ بِالْعِيسِ الْحَادِي؛ أَنَّهُ فِي خَيرِ إِبَّانٍ نُظِمَتْ فِي سِلكِ ظُهُورِهِ جَوَاهِرُ الْبَرَكَاتِ، وَانْتَظَمَتْ فِي سِمْطِ حُضُورِهِ دُرَرُ السَّعَادَاتِ؛ قَدْ أُلْقِيَ إِلَيَّ مِنْ ذِرْوَةِ الشَّرَفِ وَالْمَجْدِ كِتَابٌ كَرِيمٌ يَفُوحُ مِنْ أَزْهَارِ كَلِمَاتِهِ الطَّيِّبَاتِ شَمِيمُ عَرَارِ[٣] النَّجدِ، وَأَظَلَّتْ عَلَيَّ مِنْ سَمَاءِ الْجَلَالَةِ وَالشَّهَامَةِ، غَمَامَةٌ صَاعِدَةٌ مِنْ بَحرِ ذَلِكَ الْكَفِّ الرَّحِيبِ يَفِيضُ مِنهَا شَآبِيبُ الرَّأْفَةِ وَالْعِنَايَةِ وَالْكَرَامَة؛ فَظَلَّتْ وَاقِيَةً مِنْ جَرِّهَا جِرَةِ النَّوَىٰ، /A45/ وَسَاقِيَةً مِنَ الظَّمَإِ إِلَى وُرُودِ زَمْزَمِ ذَلِكَ الْمَقَامِ الْأَسْنَىٰ؛ أَنْزِعُ بِهِ مَوردَ بَغْيَةٍ طَافِحٍ[٤] الْحِيَاضِ مَنِيهَلُهُ الْعَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامِ مِنْ وُفُودِ الْآمَالِ وَالْأَمَانِي، وَأَكْرِمْ بِهِ زَامَ مَرَامٍ نَافِحٍ[٥] الرِّيَاضِ ثَمَرَتُهُ الْيَانِعَةُ دَانِيَةُ الْقُطُوفِ لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانٍ؛ حَبَّذَا مِنْ نَمِيقٍ أَنِيقٍ أَهْدَىٰ إِلَى الْمُهَجِ سَبِيرٍ[٦] الْبَهْجِ فَجِيرُهُ كَأَنَّهُ الْمُرَكَّبُ مِنْ مَوَادِّ الْفَرَحِ وَالْحُبُورِ؛ وَيَا لَهُ مِنْ رَقِيمٍ كَرِيمٍ أَسْدَىٰ إِلَى الْأَرْوَاحِ رِيَاشَ[٧] الْإِرْتِيَاشِ[٨] وَالْإِرْتِيَاحِ فَمَشِيقُ[٩] طِرْسِهِ كَأَنَّهُ الْمَنْسُوجُ مِنْ سَدَىٰ[١٠] الْبَهَجِ[١١] وَلُحْمَةِ[١٢]

---

١. تلميحٌ إلى كريمة ١٨٦ البقرة.
٢. «الدءادي»: ليالي أواخر الشهر؛ ١٢.
٣. «العرار»: نبتٌ طيّب الرائحة؛ ١٢.
٤. «طفحه»: ملأه؛ ١٢.
٥. «نفح» الطيب: فاح؛ ١٢.
٦. جامةٌ تازه.
٧. «الريش»: اللباس الفاخر، كالرياش؛ ١٢.
٨. حسن الحال؛ ١٢.
٩. الثوب المستعمل؛ ١٢.
١٠. تار.
١١. نشاط.
١٢. پود.

السُّرُورِ؛ لَقَدْ ابْتَ بِوُفُودِهِ وُفُودُ الْهُمُومِ عَنْ مَوَارِدِ الْقُلُوبِ وَالْخَوَاطِرِ، وَصَدَرَتْ بِوُرُودِهِ نِهَالُ[1] الْغُمُومِ عَنْ مَنَاهِلِ /B45/ الصُّدُورِ وَالضَّمَائِرِ؛ وَالْمَرْجُوُّ مِنْ جَوَازِبِ تِلْكَ الْأَلْطَافِ السَّامِيَةِ وَالْأَعْطَافِ النَّامِيَةِ؛ عَقْدُ الْهِمَّةِ الْمُهِمَّةِ لِجَذْبِ الْعَبْدِ الدَّاعِي إِلَى تِلْكَ الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ، وَاسْتِسْعَادُهُ بِطَوَافِ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ؛ وَإِعَادَةُ إِرْسَالِ الرَّسَائِلِ فَإِنَّهَا السَّعَادَةُ، وَأَقَرُّ لِعَيْنِ الْمُشْتَاقِينَ مِنَ الْحَيَوٰةِ الرَّاجِعَةِ الْمُعَادَةِ.

وَلَمَّا كَانَ الْغَرَضُ مُنْحَصِرًا فِي عَرْضِ الدَّعَوَاتِ، وَسِيَاقِ هَدْيٍ بَالِغَ الْكَعْبَةِ مِنْ هَذَايَا التَّحِيَّاتِ وَالتَّسْلِيمَاتِ؛ أَحَلَّ نَامِقَ الْيَرَاعَةِ مِنَ الْإِحْرَامِ لِبَسْطِ الْكَلَامِ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ مَدِينَةِ الدُّعَاءِ وَالسَّلَامِ؛ لَازِلْتُمْ مُتَمَتِّعِينَ بِخُلُودِ الدَّوْلَةِ الْخَالِدَةِ، قَارِنِينَ /A46/ لِحَجِّ السَّعْيِ فِي حَوَائِجِ الْبَرِيَّةِ بِعُمْرَةِ دَوَامِ الْعُمْرِ وَبَقَاءِ الشَّوْكَةِ التَّالِدَةِ[2] الْبَالِدَةِ[3].

---

۱. «نهال»: شتران سیراب شده؛ ۱۲.

۲. قدیمة.

۳. «بلد» بالمکان: أقام به؛ ص.

جَوابُ مَكتُوبِ الشَّرِيفِ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

الْحَمْدُ لِلَّهِ المَبْدَءِ الَّذِي بَابُهُ كَعبَةٌ لِمَن حَجَّ[1] المَعَادَ[2]، وَجَنَابُهُ قِبلَةٌ لِمَن أَمَّ خَيرَ دَارَيهِ مِنَ الْعَاكِفِ وَالبَادِ؛ مَنْ أَحرَمَ إِلَى بَيتِهِ الْحَرَامِ أَحَلَّهُ دَارَ السَّلَامِ، وَمَنْ حَلَّ[3] فِي حَرَمِهِ الْأَمِنِ الحَرِيِّ بِالْإِحتِرَامِ حَرَّمَ عَلَيهِ مَا يَحِلُّ بِهَاتِكِي حُرُمَاتِهِ يَومَ القِيَامِ؛ لَا يَدخُلُ فِي مَسْعىٰ رِضَاهُ إِلَّا مَن سَعىٰ فِي صَفَاءِ طَوِيَّتِهِ عَن شَوَائِبِ الغَفلَةِ وَالغَوَايَةِ، وَلَا يَخرُجُ عَن عُهدَةِ التَّقصِيرِ بِمَا جَنَتْ يَدَاهُ غَيرُ مَن دَخَلَ بَابَ التَّوبَةِ وَقَلَّمَ أَظفَارَهُ عَنْ كُلِّ جَرِيمَةٍ وَجِنَايَة. /B46

وَالصَّلوٰةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِنَا الْمَكِّيِّ الْمَدَنِيِّ السَّامِيِّ، وَنَبِيِّنَا الْأَبطَحِيِّ الْأُمِّيِّ التِّهَامِيِّ؛ الَّذِي مَنِ اعْتَمَرَ[4] سُدَّتَهُ السَّنِيَّةَ عَمَرَ دَارَيهِ بِاعْتِمَارِهِ، وَمَنْ حَجَّ حَضرَتَهُ الْعَلِيَّةَ تَمَتَّعَ بِعُمرَةِ عُمرِهِ فِي لَيلِهِ وَنَهَارِهِ؛ لَا يَزَالُ يَطُوفُ الْفَلَكُ الدَّوَّارُ[5] حَولَ كَعبَةِ ذَرَاهُ الْعَالِي، وَكُلُّ يَومٍ مِنَ الْأُسبُوعِ بِلَيلَتِهِ شَوطٌ مِنْ سَبعَةِ أَشْوَاطِ طَوَافِهِ الْمُتَوَالِي؛ لَو طَارَتْ يَمَامَةُ[6] عَينِ الزَّرْقَاءِ[7] إِلَى شَاهِقِ جَلَالِهِ[8] مَا سَمَتْ إِلَيهِ إِلَى يَومِ تُطْوَى السَّمَاءُ، وَتَنفَلِقُ بَيضَةُ صُبْحِ الْقِيَامَةِ عَن نَهَارِ

---

١. قصد.

٢. بمعنى: مكّة، والحجّ، والجنّة، والآخرة؛ ١٢.

٣. نزل.

٤. قصد وزار؛ ١٢.

٥. «الدوّار»: كثير الدور، وجاء بمعنى الكعبة؛ ١٢.

٦. حمامة.

٧. سماء.

٨. كانت زرقاء اليمامة يُضرب بها المَثَل في حِدَّة النظر، حُكي أنّها كانت تبصر من مسير ثلاثة أيّام؛ ١٢.

البَيضَاءِ[١]؛ وَإِنْ طَافَ طِيفَ مَنْ يَعرِفُ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ فِي مَطَافِ قَدرِهِ وَكَمَالِهِ لَمْ يُكْمِلْ شَوطًا /A46/ إِلَى وَقتٍ يُقْضىٰ فِيهِ لِدَوَرَاتِ الْأَفْلَاكِ بِالْإِنْقِضَاءِ؛

وَعَلَى اٰلِهِ الْخُلَفَاءِ الْقَائِمِينَ مَقَامَه، وَأَهْلِ بَيْتِهِ الْأَوصِيَاءِ الْوَاقِفِينَ فِي عَرَفَاتِ الْمَعرِفَةِ عَلَى مَشَاعِرِ شَعَائِرِهِ وَمَوَاقِفِ أَحكَامِهِ؛ الَّذِينَ قَعَدَ كُلٌّ مِنهُمْ بَعدَ قِيَامِهِ عَلَى مَشِيدِ مِنبَرِ الدِّينِ فَشَيَّدَ بِقُعُودِهِ عُقُودَهُ عَلَى مِنوَالِ أَقَامَ لِلْأُمَّةِ مِنَ الْأَئِمَّةِ[٢] عُودَهُ؛ وَقَامَ بِتَعلِيمِ عُلُومِهِ وَتَحدِيدِ اٰثَارِهِ وَرُسُومِهِ، عَلَى حَدٍّ لَيسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَجَاوَزَ مَعَالِمَهُ وَيَتَعَدّىٰ حُدُودَه؛ سِيَّما إِمَامُنَا وَمَولَانَا مِفتَاحُ أَبوَابِ الرَّحمَةِ، وَبَابُ مَدِينَةِ الْعِلمِ وَالْحِكمَةِ؛ الَّذِي وُلِدَ فِي الْبَيتِ الْعَتِيقِ، وَاستَوَتْ سَفِينَةُ حَاجَةِ /B47/ الْبَرِيَّةِ عَلىٰ جُودِيِّ جُودِهِ الَّذِي كَانَ يُؤْتىٰ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ[٣]؛

لَا يُحصِي حَاسِبُ السَّحَابِ بِحِصىٰ قَطَرَاتِهِ النَّازِلَةِ فَوَاضِلَهُ، وَلَا تَصِلُ أَيدِي أَهْلِ الحِسَابِ إِلَى أَنْ يَعُدُّوا بِالْأَنَامِلِ أَيَادِيهِ وَفَضَائِلَه؛ صَلَوٰةً وَسَلَامًا اٰنِضِينِ إِلَيهِمْ مَا اٰضَ الْإِحْلَالُ عَقِيبَ الْإِحْرَامِ، فَائِضِينِ عَلَيهِمْ مَا أَفَاضَ النَّاسُ مِنْ عَرَفَاتٍ ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾[٤].

أَمَّا بَعْدُ؛ سِيَاقُ هَدْيِ الدُّعَاءِ الْبَالِغِ كَعبَةَ الْإِجَابَةِ وَالْكَرَامَةِ، وَإِهْدَاءِ هَدِيَّةِ السَّلَامِ الوَاصِلِ إِلَى عَالِي مَوقِفِ السِّيَادَةِ وَالنَّجَابَةِ وَالشَّرَافَةِ وَالجَلَالَةِ وَالشَّهَامَةِ؛ الَّذِي شَرَّفَهُ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ بِسَعَادَةِ خِدمَةِ الْحَرَمَينِ الشَّرِيفَينِ، /A47/ وَجَعَلَهُ بِطُلُوعِ تِلكَ الْكَوكَبَةِ السَّعِيدَةِ مَطْلَعَ السَّعْدَينِ؛ وَحَبَاهُ الْإِيَالَةَ القَاهِرَةَ الاٰئِلَةَ إِلَى أَحسَنِ الْحَالِ، وَمَنَحَهُ الْمُلْكَةَ البَاهِرَةَ الَّتِي هِيَ أَمَارَةُ الْإِمَارَةِ وَاٰيَةُ الْوِلَايَةِ فِي مَمَالِكِ الدَّولَةِ وَالْإِقْبَالِ؛ تَفَرَّعَتْ أُصُولُ دَوَائِعِ إِفْضَالِهِ لِكُلِّ جَمعٍ فَظَلَّ يَستَظِلُّ بِظِلِّهَا الظَّلِيلِ كُلُّ فَرْعٍ[٥] أَصِيلٍ بُكرَةً وَأَصِيلًا، وَعَمَّتْ ثَمَرَاتُ أُثُولِ[٦] إِثَالِهِ بِوَادٍ غَيرِ ذِي زَرْعٍ فَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا الْعَزِيزَةُ لِكُلِّ عَزِيزٍ وَذَلِيلٍ تَذْلِيلًا؛ يَستَقِي كَرَمُ اٰمَالِ الْاٰمِلِينَ

---

١. آفتاب.

٢. اعوجاج.

٣. تلميحٌ إلى كريمة ٢٧ الحجّ.

٤. كريمة ١٩٨ البقرة.

٥. «الفرع»: السيِّد الشريف؛ ١٢.

٦. أشجار.

مِنْ سَمَاءِ إِكْرَامِهِ، وَيَستَسْقِي شَرْمُ سُؤَالِ السَّائِلِينَ مِنْ حَيَا[١] فَضلِهِ وَإِنْعَامِهِ؛ بِسَدِّ طَرِيقِ الظُّلْمِ وَالعُدْوَانِ فَتَحَ لِأَرْبَابِ الإِسْلَامِ /B47/ بَابَ السَّلَامَةِ، وَبِفَتحِ رَتَاجِ[٢] الْعَدلِ وَالإِحْسَانِ تَوَّجَ هَامَةَ أَهْلِ التُّهَامَةِ بِتَاجِ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ؛ وَقَدَتْ فِتنَةُ السَّمَاجَةِ النَّاشِئَةِ مِنْ جُفَاةِ الأَعْرَابِ الْحُفَاةِ فِي مَوسِمِ دَولَتِهِ الْيَقْظَى، وَخَمَدتْ شَرَارَةُ اللَّجَاجَةِ الْفَاشِيَةِ مِنْ شِرَارِ الْمَرَدَةِ الْطُّغَاةِ فِي مَاءِ سَيفِهِ الَّذِي يُؤَجِّجُ نَارًا إِذَا تَلَظَّى[٣]؛ اسْتَحْفَى[٤] عَنْ طَوَارِقِ طُرُقِ الْحَجِّ حَتَّى خَافَ بَأْسَهُ كُلُّ خَافٍ مِنْ لُصُوصِ الأَعْرَابِ فَرَجَعَ عَن طَرِيقَتِهِ الْمُستَمِرَّةِ بِخُفَّيْ حَنِينٍ، وَقَطَعَ أَيدِي السَّارِقِينَ وَأَرْجُلَهُم عَنْ قَطعِ طَرِيقِ الْمُسلِمِينَ، الآتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ فَبَدَّلَ مِن بَعدِ خَوفِهِمْ أَمنًا رَفَعَ مَعَهُ حَذَرَ المَارَّةِ بِالْمَرَّةِ مِنَ البَينِ؛ وَلَقَدْ أَوفَى السَّعْيَ حَقَّهُ /A48/ فِي قَمعِ أَعْنَاقِهِم فَلَمْ يَذَرْ مِن آثَارِ تِلكَ الطَّغَامِ إِلَّا دِمنَةً لَمْ يَتَكَلَّمْ مِنْ أُمِّ أَوفَى[٥]، وَبَذَلَ الْجُهدَ كُلَّهُ فِي قَلعِ أَعْرَاقِهِم فَلَمْ يَدَعْ مِنْ أَحْرَابِ هَؤُلَاءِ اللِّئَامِ إِلَّا حِرْبًا بِبَلدَحٍ[٦] عَجْفَى؛ يُقِرُّ لَهُ بِالفَضلِ كُلُّ مُحَقِّقٍ، وَيَقضِي لَهُ بِالسَّعْدِ كُلُّ مُنَجِّمٍ؛ أَعنِي الْحَضرَةَ الشَّرِيفَةَ العَلَوِيَّةَ الحَسَنِيَّةَ، الَّتِي وَصَلَتْ عُرُوقُ شَجَرَةِ السِّيَادَةِ إِلَى دُوحَةِ القَرَابَةِ النَّبَوِيَّةِ وَسَرحَةِ[٧] الخِلَافَةِ الإِلَهِيَّةِ؛ لَازَالَ حَاوِيًا لِبَرَكَاتِ آبَائِهِ الأَجِلَّةِ الْكِرَامِ، جَامِعًا لِمَكَارِمِ أَسْلَافِهِ الأَعِزَّةِ الْعِظَامِ؛

فَالمَعرُوضُ عَلَى ذَلِكَ الْجَنَابِ الْعَالِي، لَابَرَحَ مَحَطًّا لِرِحَالِ مَارِبِ الأَشْرَافِ وَالأَعَالِي؛

أَنَّهُ طَلَعَ مِن أُفُقِ الوُرُودِ وَالوُصُولِ، وَB48/I/ مَشرِقِ الْمَقصُودِ وَالمَأْمُولِ؛ صُبحُ كِتَابِهِ الكَرِيمِ فَأَصْبَحَ مِرْءَاةً لِتَجَلِّي شَمسِ لُطفِهِ الْعَمِيمِ، وَغَدَا بِضِيَائِهَا لَيلُ التَّنَائِي نَهَارًا، وَبَدَا

---

١. مطر.

٢. «الرتاج»: الباب العظيم.

٣. تلميحٌ إلى كريمة ١٤ الليل.

٤. «استحفى» أي: استخبر بالاستقصاء؛ ١٢.

٥. تلميحٌ إلى صدر معلّقة زهير الشهيرة، حيث يقول:

أمن أمّ أوفى دمنة لم تكلّم ... بحومانة الدرّاج فالمتثلّم

راجع: شرح معلقات العشر ـ للشّنقيطي ـ، ص ٥٧.

٦. «بلدح»: وادٍ قبل مكّة، أو: جبلٌ بطريق جدّة؛ ق.

٧. شجرة.

بِنُورِها ظُلُماتُهُ الحَائِلَةُ بَينَ الحاضِرِ وَالنَّائِي أَنوارًا؛ فَلِلَّهِ دَرُّ مِيزابٍ تِلكَ اليَرَاعَةِ ذَاتِ البَرَاعَةِ الَّتِي احتَازَتْ عَنِ الحَرِيرِيِّ[١] قَصَبَ السَّبَاقِ فِي نَسجِ الحُلَلِ المُطَرَّزِ مِن بَدِيعِ المَعَانِي وَالبَيَانِ، وَاجتَازَتْ فِي حَلبَةِ الاستِبَاقِ عَن كُمَيتِ قَلَمِ سَحبَانَ[٢] السَّاحِبِ ذَيلَ الفِخَارِ عَلَى كُلِّ مَن تَذَيَّلَ[٣] بِفَصَاحَةِ الكَلَامِ وَبَلَاغَةِ اللِّسَانِ؛ حَيثُ فَاضَ مِنهُ فِي بَحرِ ذَا الكَفِّ الرَّحرَاحِ[٤]، مَا جَرَىٰ مَجرَىٰ الأَرْوَاحِ فِي الأَشبَاحِ؛ وَاستَقَتْ مِنهُ حَدِيقَةُ تِلكَ النَّمِيقَةِ الأَنِيقَةِ مَشحُونَةً بِأَثمَارِ التَّوَجُّهَاتِ النَّامِيَةِ /A49/ المُثمِرَةِ لِانفِتَاحِ أَزَاهِيرِ الاهتِزَازِ وَالارتِيَاحِ؛

ثُمَّ مِن فَرَائِضِ العَرَائِضِ أَنَّ مَا أَشعَرتُمْ بِهِ فِي الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ المَرَامِ، وَقَلَّدْتُم بِهِ رَقَبَةَ الاِبتِسَامِ مِنَ الأَمرِ المَرضِيِّ عِندَ طَوَائِفِ الأَنَامِ؛ قَدْ عُرِضَ عَلَى مَوقِفِ السَّلطَنَةِ البَاهِرَةِ العُظمَىٰ، وَمَقَامِ الدَّولَةِ القَاهِرَةِ الكُبرَىٰ؛ لَازَالَ مَلثُمًا لِشِفَاهِ سَلَاطِينِ الزَّمَانِ، وَمَعفَرًا لِجِبَاهِ أَسَاطِينِ مُلُوكِ العَصرِ وَالأَوَانِ؛ فَقَارَنَ النَّجَاحَ بِالعِنَايَةِ الإِلَهِيَّةِ، وَأَفرَدَ رَسُولَكُمُ المَقرُونَ بِالخَيرِ وَالصَّلَاحِ بِالتَّمَتُّعِ مِن نُقُودِ الأَلطَافِ الشَّاهِيَّةِ؛

وَمِن جُمْلَةِ مَا يَجِبُ عَرضُهُ أَيضًا أَنَّ مَن سَعَىٰ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعِمَارَةِ بِلَادِهِ، وَابتَغَىٰ رِضوَانَهُ بِاستِرضَاءِ الصَّالِحِينَ مِن عِبَادِهِ؛ يَنبَغِي لَهُ /B49/ السَّعْيُ فِي صَفَاءِ ذَلِكَ البَلَدِ الأَمِينِ عَنْ أَهلِ البَغْيِ وَالاِعتِسَافِ، وَتَقصِيرِ أَيدِيهِمْ عَنِ الأَطمَاعِ الزَّائِدَةِ الخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ مَرْوَةِ المُرُوَّةِ وَالإِنصَافِ؛ وَتَطهِيرِ البَيتِ الَّذِي بُوِّىءَ مَكَانُهُ لِرَافِعِ قَوَاعِدِهِ إِبْرَاهِيمَ[٥]، عَنْ كُلِّ رِجسٍ نَزَلَ فِيهِ ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٦]؛ لِيُوَلِّيَ طَوَائِفُ الأَنَامِ وُجُوهَهُمْ شَطرَ المَسجِدِ الحَرَامِ[٧] الَّذِي جُعِلَ لِلنَّاسِ سَوَاءً العَاكِفُ فِيهِ

---

١. إشارةٌ إلى الأديب البارع الشَّيخ الإمام أبي القاسم الحريريّ، صاحب المقامات الشهيرة.

٢. تلميحٌ إلى اسم سحبان وائل، الخطيب المتفوِّه الفائق في صناعته على جميع مشاكليه.

٣. تبختَرَ وتكبَّرَ؛ ١٢.

٤. أي: الواسع.

٥. تلميحٌ إلى كريمة ١٢٧ البقرة.

٦. كريمة ٢٥ الحجّ.

٧. تلميحٌ إلى كريمتين ١٤٤، ١٥٠ البقرة.

وَالْبَادِ[١]، وَيُحَرِّمُوا إِلَى اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَيَحِلُّوا فِي تِلْكَ الْمَشَاعِرِ الْعِظَامِ الَّتِي هِيَ مَوَاقِفُ رَحْمَةِ اللَّهِ ـ تَعَالَى ـ عَلَى الْعِبَادِ؛ مَعَ أَنَّ إِكْرَامَ الْحَجِيجِ الَّذِينَ هُمْ أَضْيَافُ اللَّهِ فِي الْحَقِيقَةِ، تَعْظِيمٌ لِمَنَاسِكِ الْحَجِّ الَّتِي تَحْقِيرُهَا مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ، وَهِيَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الَّتِي كَانَتْ /A50 بِتَعْظِيمِ الْخَلِيقَةِ حَرِيَّةً وَخَلِيقَةً وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ؛

فَمِنَ الْقِيَامِ بِقَلْعِ أُصُولِ أَرْبَابِ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ أَقِيمُوا دَعَائِمَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فِي جِوَارِ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَبِإِقَامَتِهَا أَذِّنُوا فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكُمْ ﴿رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٢]؛ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ، وَفَوَائِدُ جَزِيلَةٌ؛ وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ؛

وَلَمَّا طَوَى الْقَلَمُ وَادِيَ الْإِطْنَابِ، وَلَمَّ بِمِيقَاتِ يَلَمْلَمَ الدُّعَاءِ الْوَاجِبِ عَلَى الْأَحْبَابِ؛ فَالصَّوَابُ ثَنْيُ عِنَانِ الْكَلَامِ عَنْ صَوْبِ بَيْدَاءِ الْإِكْثَارِ، وَصَرْفُهُ نَحْوَ بَطْحَاءِ الْإِيجَازِ وَأَبْطَحِ الْاِخْتِصَارِ؛ وَخَتْمُ الْعَرِيضَةِ بِفَرِيضَةِ أَزْهَى دُعَاءٍ يَزْهُو عَلَى أَطْيَبِ زُهَرِ الرُّبَى بِفَوْجِ[٣] رَيَّاهُ[٤]، /B50 وَأَبْهَى سَلَامٍ يُبَاهِي شَمِيمَ عَرَارِ النَّجْدِ بِطِيبِ شَذَاهُ؛ لَا زِلْتُمْ فِي مُنَى الْأَمَانِي نَاسِكِينَ بِنَحْرِ الْأَعْدَاءِ وَرَمْيِ جِمَارِ قُلُوبِهِمُ الْقَاسِيَةِ مَدَى اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، بِالنَّبِيِّ وَآلِهِ الدَّاعِينَ إِلَى مَنَاسِكِ الْإِسْلَامِ ـ عَلَيْهِمْ شَرَائِفُ التَّحِيَّةِ وَالصَّلَوٰةُ وَالسَّلَامُ ـ.

---

١. تلميحٌ إلى كريمة ٢٥ الحجّ.

٢. كريمة ٢٧ الحجّ.

٣. انتشار.

٤. بوی خوش.

أيضاً:

جَوابُ كِتابِ السَّيِّدِ عَبدُالمُحسِنِ المَكِّيِّ

[بِسمِ اللَّهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيمِ]

أَشرَفُ هَدِيَّةٍ يُهدىٰ بِها الأَحِبَّةُ، وَأَكرَمُ تُحفَةٍ يُتحَفُ بِها السَّاعُونَ فِي مَسعىٰ صَفاءِ المَحَبَّةِ؛ سَلامٌ لَا يُرتَقىٰ بِسُلَّمِ الإِحصاءِ دَرَجاتُهُ، وَلَا تُحصىٰ بِحَصَى البَيداءِ وَجِمارِ البَطحاءِ بَرَكاتُهُ.

وَمَا أَحَقَّ بِهٰذِهِ التَّحِيَّةِ، /A107/ وَأَخلَقَ بِهاتِيكَ الدَّعوَةِ الكَرِيمَةِ ذاتِ المَواهِبِ السَّنِيَّةِ؛ جَنابَ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ الجَلِيلِ، المَولىٰ الأَولىٰ بِشَرائِفِ التَّعظِيمِ وَكَرائِمِ التَّبجِيلِ؛ ناصِبِ لِواءِ المَجدِ وَالشَّهامَةِ، رافِعِ بِناءِ الشَّرَفِ وَالكَرامَةِ؛ سابِقِ فُرسانِ الإِحسانِ، فارِسِ مِضمارِ البِرِّ وَالإِمتِنانِ؛ غُرَّةِ ناصِيَةِ المَكارِمِ وَالمَآثِرِ، قُرَّةِ باصِرَةِ المَعالِي وَالمَفاخِرِ؛ شَمسِ فَلَكِ السِّيادَةِ، بَدرِ سَماءِ الرِّفعَةِ وَالعِزَّةِ وَالسَّعادَةِ؛ كَهفِ الحاجِّ وَالمُعتَمِرِينَ فِي ذٰلِكَ البَلَدِ الأَمِنِ، عَزِيزِنا الكَرِيمِ النَّجِيبِ الحَسِيبِ السَّيِّدِ عَبدِالمُحسِنِ؛ حَرَسَهُ اللَّهُ ـ تَعالىٰ ـ مِنْ مَكرِ الدُّهُورِ ما كَرَّ الجَدِيدانِ، وَأَلبَسَهُ بُرْدَ البَهجَةِ وَالسُّرُورِ ما مَرَّ الأَبْرَدانِ[1]؛ كَما سَرَّنا بِإِلقاءِ كِتابٍ /B107/ كَرِيمٍ مُشعِرٍ بِصِحَّةِ ذاتِهِ القُدسِيَّةِ، مُبَشِّرٍ بِبُشرىٰ سَلامَةِ حالاتِهِ عَنِ المَكارِهِ الآفاقِيَّةِ وَالأَنفُسِيَّةِ.

وَمِمَّا يُضاعِفُ لَنَا المَسَرَّةَ، وَيَزِيدُ عَلىٰ قُرَّةِ العَينِ قُرَّةً، أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ الحَسَنَةُ مَقرُونَةً بِالنَّماءِ وَالزِّيادَةِ، وَهاتِيكَ الفائِدَةُ مَوصُولَةً بِدَوْمِها بِالإِعادَةِ؛ لَازِلتُمْ فِي دَولَةٍ تُبَلِّغُكُمْ مُنتَهَى الآمالِ، وَتَكتَنِفُكُمْ ذاتَ اليَمِينِ وَذاتَ الشِّمالِ. وَالسَّلامُ عَلَيكُمْ وَرَحمَةُ اللَّهِ وَبَرَكاتُهُ.

---

١. أي: الليل والنهار.

جَوابٌ لِكِتابٍ آخَرَ مِنَ السَّيِّدِ عَبدِالْمُحْسِنِ الْمَكِّيِّ

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

أَتَانِي كِتَابٌ مِنْ كَرِيمٍ جَنَابُكُمْ فَصِيحٌ صَرِيحُ الصِّدْقِ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعنىٰ
سُرِرتُ بِهِ حَتَّى ظَنَنتُ بِأَنَّهُ كِتَابِي وَقَدْ أُوتِيتُهُ بِيَدِي الْيُمنىٰ

مَا أَحَبَّ كِتَابَ الأَحِبَّةِ، /A108/ لِأَنَّهُ مِرْءاةٌ يَبْدُو مِنها صَفاءُ الْمَحَبَّةِ؛ وَيَتَجَلّىٰ فِيها صُورَةُ حالِهِم عَلَى الْوَجْهِ الأَحْسَنِ، وَيَتَمَثَّلُ فِيها فَرَاغُ بالِهِمْ عَمّا يُستَفرَغُ الْمَجْهُودُ فِي صَرفِهِ مِنَ النَّوائِبِ وَالْمِحَنِ؛ مِثالُهُ مَا تَراءىٰ فِي مَرايا فَضائِلِ السَّيِّدِ الأَيِّدِ الأَلْمَعِيِّ، وَتَبَدّىٰ مِنْ وَذائِلِ رَسائِلِ الْمَولَى الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ اللَّوذَعِيِّ، الْمُعتَرِفِ بِمَآثِرِهِ الْفاخِرَةِ ذَوُوالْمجدِ وَالْكَرامَةِ، وَالْمُغْتَرِفِ مِنْ بِحارِ فَضائِلِهِ الزّاخِرَةِ أَفاضِلِ النَّجْدِ وَالتِّهامَةِ؛ مَنهَلِ ذَوارِفِ الْعَوارِفِ، مَنبَعِ لَطائِفِ الْحَقائِقِ وَالْمَعارِفِ؛ وَاقِفِ مَواقِفِ الْفَضلِ وَالْكَرَمِ، عالِمِ مَعالِمِ الْهُدىٰ يَهدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ[1]، جامِعِ الشَّمائِلِ الْحَمِيدَةِ، حاوِي الْفَضائِلِ /B108/ الْعَدِيدَةِ؛ مَشْرِقِ شَمْسَيِ الْمَعْقُولِ وَالْمَنقُولِ، مَجمَعِ بَحْرَيِ الْفُرُوعِ وَالأُصُولِ؛ المُفِيدِ الْمُرتَضَى[2] الَّذِي بَلَغَ فِي الْعِلْمِ أَطْوَرَيْهِ؛ وَفِي الْفِقْهِ حَدًّا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ طائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ لَدَيْهِ[3]؛ إِمْتَدَّ فِي طَرِيقَةِ الْبَرّاعَةِ باعُهُ، وَبَرَعَ فِي طَرِيقِ الْفَضْلِ حَتّىٰ شَقَّ عَلىٰ مَنْ شَقَّ غُبارَهُ اتِّباعُهُ؛ ناشِرِ لِواءِ السَّماحَةِ، باسِطِ

---

١. مقتبسٌ من كريمة ٩ الإسراء.

٢. إشارةٌ إلىٰ الإمامين الأقدمين المقدَّمين في صناعتَي الكلام والفقه الشَّيخ محمَّد بن محمَّد بن نعمان الملقَّب بالمفيد؛ والسيِّد المرتضى أبي القاسم الموسويّ النقيب.

٣. تلميحٌ إلى كريمة ١٢٢ البقرة.

بِساطِ الْبَلاغَةِ وَالْفَصاحَةِ؛ أَعْنِي الْفاضِلَ الْمُوَفَّقَ الْمُؤَيَّدَ، مَولانَا الْحَسِيبَ النَّجِيبَ السَّيِّدَ مُحَمَّد؛ لَازالَ عامِرًا لِدِيارِ الْفَضلِ وَبِلادِهِ، ناشِرِ الأَعْلامِ طَرائِفَ الْعِلْمِ وَتِلادَهُ؛ فَدُونَكَ كِتابًا كَرِيمًا قَدْ أُلْقِيَ إِلَيَّ فَأَقَرَّ عَيْنَ الرَّجاءِ بِلِقائِهِ، وَوَرَدَ عَلَيَّ مُشْعِرًا بِسَلامَةِ ذٰلِكَ الْجَنابِ وَدَوامِ بَقائِهِ؛ فَلِلّٰهِ[1] ثَوبا قَلَمِهِ الْكاسِي /A109/ عَوارِيَ الأَمانِي، النّاسِجِ عَلىٰ مِنْوالِ الْبَلاغَةِ حَبِيرَ الْحُبُورِ مِنْ نابِلِ الْبَيانِ وَحابِلِ الْمَعانِي؛ يا لَهُ مِنْ رَقِيمٍ جَرىٰ مَجْرىٰ بِئْرِ زَمزَمٍ فِي تَرْوِيَةِ كُلِّ صادٍ لِعَينِ السَّلاسَةِ، وَكِتابٍ كَرِيمٍ يَتَنافَسُ فِيهِ كُلُّ مَنْ تَحَلّىٰ بِحِلْيَةِ الْفَضلِ وَالْكِياسَةِ؛ حَوىٰ مِنْ أَسْرارِ الْبَلاغَةِ وَدَلائِلِ الإِعْجازِ ما لَايُفْتَحُ أَبْوابُ مَفاتِحِهِ[2] بِمِفْتاحِ الإِطْنابِ فَضْلًا عَنِ الإِيجازِ.

وَلَمّا أَتىٰ مِنْكَ الْكِتابُ الَّذِي حَوىٰ ... قَلائِدَ سِحْرٍ لِلْبَيانِ حَلالِ

وَهِمْتُ بِهِ حَتّىٰ تَوَهَّمْتُ لَفْظَهُ ... نُجُومَ لَيالٍ أَو سُمُوطَ لَآلِ

وَالْمَرْجُوُّ مِنْ خَلائِقِكُمُ الْحِسانِ، إِعادَةُ هٰذَا الْفَضلِ وَالإِحْسانِ، وَإِفادَةُ الْمَنِّ عَلَيْنا بِالدُّعاءِ فِي تِلْكَ الأَماكِنِ الْمُشَرَّفَةِ الَّتِي هِيَ /B109/ لِإِجابَةِ الدَّعَواتِ أَشْرَفُ مَظانٍّ؛ وَالسَّلامُ عَلَيكُمْ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكاتُهُ.

---

١. أي: للّه درُّه؛ ١٢.

٢. أي: خزائنه.

وأيضاً:

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

الْحَمدُ لِلَّهِ الَّذي بَنَى دَارَالثَّوابِ لِعِبادِهِ الَّذِينَ سَارُوا إِلَى خَانِ الْمَكَانِ لَدَيهِ بِأَقْدامِ الْعِبادَة، وَجَعَلَهَا مَحدُودَةً بِمَا يَنتَهِي مِنْ كُلِّ جانِبٍ إِلَيهِ مِنْ حُدُودٍ دِينِيَّةٍ لَايَتَعَدَّاهَا عَدَا مَن عَدىٰ عَنْ دِيارِ الْخَيرِ وَالسَّعَادَة؛ فُتِحَتْ أَبوابُ رَحمَتِهِ الْبالِغَةِ فِي شارِعِ الشَّرِيعَةِ عَلىٰ وُجُوهِ كَافَّةِ النَّاسِ، وَأَسَّسَ بُنيانَ نِعمَتِهِ السَّابِغَةِ عَلىٰ تَقْوىً مِنهُ وَالتَّقوىٰ لِأَهْلِهِ خَيرُ أَساسٍ؛

وَالصَّلوٰةُ عَلىٰ رَسُولِهِ الَّذِي لِجَنابِهِ الْعالِي بِناءُ الْأَرضِ وَالسَّماءِ، وَإِلىٰ بابِهِ الْمُتَعالِي وَجهُ أَربابِ الْعِزِّ وَالْفَضلِ وَالْإِعْتِلَاءِ؛

وَأَهلِ بَيتِهِ مَفاتِيحِ أَبوابِ الرَّحْمَةِ وَالْكَرامَةِ، وَمَصابِيحِ مِحرابِ الْعِصمَةِ وَالْإِمامَة.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ بَنَى مَدْرَسَ /B171/ الْعِلمِ بِما نَطَقَ بِهِ هَذَا الْكِتابُ الْمُستَطابُ، مِنَ الْمَبْدَءِ إِلَى الْمَآبِ؛ عَلىٰ إِقْرارِ عَالِيقَدرِ فُلَان بِإِيقاعِ الْعُقُودِ الْمَزبُورَةِ، وَاعْتِرافِهِ بِقَبضِ تَمامِ النُّقُودِ الْمَسْفُورَةِ؛ وَكَتَبَ الدَّاعِي لِدَوامِ الدَّولَةِ الْقاهِرَة.

وأيضاً:

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

الْحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي بَيْتُهُ قِبلَةٌ لِطَوائِفِ النَّاسِ سَواءً الْعاكِفُ فِيهِ وَالْبادِ[1]، وَبابُهُ وِجْهَةٌ لِأَرْبابِ السَّعْيِ مِنْ صَفاءِ الطَّوِيَّةِ إِلىٰ مَرْوَةِ التَّمَرِّي[2] بِحُسنِ الْإِعْتِقادِ؛

وَالصَّلوٰةُ عَلىٰ نَبِيِّهِ الَّذِي دارَ بِهِ مَدارُ الدّارَينِ، وَكانَ لَهُ بِناءُ الْكَونَينِ؛

وَأَهْلِبَيتِهِ أَرْكانِ كَعبَةِ الدِّينِ وَأَساطِينِ مَبانِيهِ، وَدَعائِمِ مَعانِ الشَّرْعِ وَقَوائِمِ مَغانِيهِ.

أَمَّا بَعدُ؛ ـ... إِلىٰ آخِرِهِ ـ.

---

١. تلميحٌ إلى كريمة ٢٥ الحجّ.

٢. تزيُّن.

وأيضاً:

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

الْحَمدُ لِلَّهِ الَّذِي أَكْرَمَ مَنْ أَقَرَّ بِرُبُوبِيَّتِهِ فَأَقَرَّ عَينَهُ فِي دارِ الْقَرارِ بِما لَيسَ /A172/ لِدَوامِهِ الْانْتِهاءُ، وَأَقامَ مَنْ قامَ بِشُكْرِ نِعْمَتِهِ فِي الْمَقامِ الْكَرِيمِ مِنْ جَنّاتٍ تَجْرِي تَحْتَها الْأَنْهارُ[1] يَتَبَوَّءُ مِنها حَيثُ يَشاءُ؛

وَالصَّلوٰةُ عَلىٰ مَنْ فُتِحَتْ فِي شارِعِ شَرِيعَتِهِ السَّمْحاءِ أَبْوابُ النَّدْبِ وَالْفَرْضِ، وَاسْتَضاءَ بِشَمسِ مِلَّتِهِ الْبَيْضاءِ أَهلُ السَّمٰواتِ وَالْأَرْضِ؛

وَأَهْلِ بَيتِهِ مَنازِلِ الْوَحْيِ وَالْإِلْهامِ، وَمَساكِنِ رَحمَةِ اللَّهِ الْواصِلَةِ مِنهُمْ إِلىٰ كافَّةِ الْأَنامِ.

أَمَّا بَعدُ؛ فَقَدْ أَنْزَلَنِي مَنْزِلَ الشَّهادَةِ بِما فِي هٰذا الْكِتابِ الْمُستَطابِ، وَأَحَلَّنِي مَحَلَّ الْاِسْتِفادَةِ لِما نَطَقَ بِهِ مِنَ الْمَبْدَءِ إِلىٰ الْمَآبِ؛ عالِيحَضْرَةُ فُلانٌ فَأَقَرَّ بِإِيقاعِ جَمِيعِ الْعُقُودِ الْمَرقُومَةِ، وَاعْتَرَفَ بِقَبضِ تَمامِ النُّقُودِ الْمُعَيَّنَةِ الْمَعْلُومَةِ، لَدَيَّ وَأَنَا الْعَبْدُ... .

---

١. مقتبسٌ من كريمة ١٠٠ التوبة.

وأيضاً:

[بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ]

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي /B172/ وَقَفَ بِحِكمَتِهِ الْأَقْوِيَاءَ، عَلىٰ مَجَارِي عُيُونِ الصَّدَفَاتِ الْجَارِيَاتِ لِتَدُورَ بِمَاءِ جَرَيَانِهَا السَّابِغِ رَحىٰ مَدَارِ الضُّعَفَاءِ، وَعَرَّفَ بِرَحْمَتِهِ الْأَغْنِيَاءَ مَوَاقِفَ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ لِتَسَعَ بِسَعَةِ مَعْرُوفِهِمُ الْبَالِغِ دَائِرَةُ مَعَاشِ الْفُقَرَاءِ؛

وَالصَّلوٰةُ عَلىٰ وَاقِفِ أَسْرَارِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَجَامِعِ جَوَامِعِ الْكَرَمِ وَالْجَلَالَةِ؛ مُحَمَّدٍ أَفْضَلِ الْمُرْسَلِينَ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ، وَأَعْلَمِ مَنْ أُوتِيَ الْعِلْمَ وَالْحِكمَةَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ[1]؛

وَآلِهِ الْأَخْيَارِ مَصَابِيحِ مَحَارِيبِ الرَّحْمَةِ بِنُورِ الْخَيرِ وَالسَّعَادَةِ، وَعَامِرِي مَسَاجِدِ اللَّهِ بِوَظَائِفِ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ؛ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللَّهُ ـ تَعَالىٰ ـ وُلَاةَ /A173/ أَمْرِ الدِّينِ، وَفَوَّضَ إِلَيْهِمْ تَولِيَةَ مَدَارِسِ الْيَقِينِ؛ فَشَادُوا مَعَالِمَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ بِحُسنِ الْإِرْشَادِ، وَشَهِدُوا عَلىٰ فَضْلِ مَنْ فَازَ بِالْمَعَارِفِ الْيَقِينِيَّةِ عَلىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ؛ فَصَلِّ اللَّهُمَّ عَلَيهِ وَعَلَيهِمْ مَا خُتِمَتِ الصَّلوٰةُ بِالتَّسْلِيمِ، كَأَفْضَلِ مَا صَلَّيتَ عَلىٰ إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ.

أَمَّا بَعدُ؛ فَإِنَّ عَالِيجَاهِ الْمَولَى الْمُعَظَّمَ، الْوَاقِفَ الْمُوَفَّقَ الْمُكَرَّمَ الْمُفَخَّمَ؛ مُسْتَوفَى مَمَالِكِ الْفَضْلِ وَالْكَمَالِ، وَمُزَيِّنَ وَسَائِدِ الدَّولَةِ وَالْإِقْبَالِ؛ زَاقِمَ صَحَائِفِ الْجُودِ وَالْإِكْرَامِ، وَمُثبِتَ أَرْقَامِ الْخَيْرَاتِ فِي دَفَاتِرِ الْخُلُودِ وَالدَّوَامِ؛ ضَاعَفَ اللَّهُ ـ تَعَالىٰ ـ بِكَسرِ أَعَادِيهِ اللِّثَامِ رَفْعَ قَدْرِهِ الْعَالِي، مَا دَامَتْ زِيَادَةُ سَاعَاتِ الْأَيَّامِ بِنُقْصَانِ أَوقَاتِ اللَّيَالِي؛

---

١. تلميحٌ إلى كريمة ١ هود.

قَدِ اسْتَوفىٰ حُظُوظَ الْأَجْرِ /B173/ وَالثَّوابِ، وَبَذَلَ وُسعَهُ فِي انْفاقِ ما يَقدُرُ عَلَيهِ ذُخْرًا لِيَومِ الْحِسابِ؛ وَلِذٰا بادَرَ إِلىٰ اسْتِباقِ الْخَيرِ وَتَعجِيلِهِ، فَوَقَفَ جَمِيعَ ما سُطِرَ فِي هٰذِهِ الْوَثِيقَةِ الْأَنِيقَةِ ابْتِغاءً لِوَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ وَسَبَّلَهُ فِي سَبِيلِهِ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُ مِنْ جُمْلَةِ مُتَمَلَّكاتِهِ الْباقِيَةِ مَدَى الْأَيّامِ، وَأَقْبَضَهُ فَجَعَلَ يَدَهُ الْعُلْيا عَلَيهِ بَعدَ ذٰلِكَ يَدَ التَّولِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ الدّائِمَةِ بِدَوامِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوامِ؛

وَكَتَبَ الدّاعِي لِدَوامِ الدَّولَةِ الْقاهِرَةِ، السّامِعُ لِإِقْرارِ عالِيحَضْرَةِ الْواقِفِ الْمُوَفَّقِ بِتَمامِ ما رُقِمَ فِي هٰذِهِ الصَّحِيفَةِ الشَّرِيفَةِ.

قُراحُ الاِقتراح

للإمام العلّامة بهاءالدين محمّد بن الحسن الإصفهانيّ

تصحيح: أميرصالح معصومي

كلمة المحقّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قد أثّر في النحو العربيّ طوائف من العلماء الإسلامي، منها الفقهاء، فكان عملهم في النحو نظيره في الفقه.

ولمّا اصطبغ النحو صبغةً فقهيّةً وكمل هذا الاتّجاه في مدرستي مصر والأندلس، اضطرّ الأمر إلى تدوين بعض القواعد والأصول حتّى يعطي الطالبَ بصيرةً تقدره في عمله النحويّ على أن يسلك وفق ذلك الاتّجاه الفقهي.

ومن البديهي أن تقوم هذه الأصول في النحو مقامَ الأصول في الفقه؛ فنرى فصوله وأبوابه ومصطلحاته في فصوله وأبوابه ومصطلحاته.

فمن ذلك مسألة وضع اللغات هل هو بوضع اللّه أو البشر؟ وهل العلاقة بين اللفظ والمعنى العلاقة الذاتيّة أو العلاقة الّتي تنشأ من الوضع. ونرى فصولاً في القياس والاستحسان والاستصحاب وغير ذلك.

فألّف الإمام السيوطيّ كتابه «الاقتراح في أصول النحو؛ وقال في مفتتح كتابه: «... وهو (أي: كتابه الاقتراح) أصول النحو الّذي هو بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه بالنسبة إلى

الفقه»[١]. ثمَّ قال نقلًا عن ابن‌الأنباري: «فإنَّ بينهما من المناسبة ما لاخفاء بـه، لأنّ النـحو معقولٌ من منقولٍ كما أنَّ الفقه معقولٌ من منقولٍ»[٢].

ثمَّ عرَّف هذا العلم فقال: «أصول النحو علمٌ يبحث فيه عن أدلَّة النحو الإجـماليَّة مـن حيث هي أدلَّته وكيفيَّة الاستدلال بها وحال المستدلّ به»[٣]. فنرى هذا التعريف لأصول الفقه أيضًا إن بُدِّلت كملة «النحو» بـ«الفقه».

واستفاد السيوطي في كتابه هذا من المؤلَّفات السابقة ـ كما هـو ديـدنه فـي تأليـفاته الأخر ـ، منها الخصائص لابـن‌جنّي؛ ولُمَع الأدلَّة؛ والانـصاف فـي مسائل الخلاف لابـن‌الأنـباريّ. والَّـذي استفاد مـنه كـثيرًا كـتاب ابـن‌جنّي الخـصائص كـما قـال هـو بنفسه: «واعـلم! أنّـي قـد استـمددتُ فـي هـذا الكـتاب كـثيرًا مـن كـتاب الخـصائص لابن‌جنّي.... فلخَّصتُ منه جميع ما يتعلَّق بـهذا المـعنى بأوجـز عـبارةٍ، وضـممتُ إليـه نفائس أخر ظفرتُ بها في متفرّقات كتب اللغة والعربيَّة والأدب وأصـول الفـقه، وبـدائـع استخرجتُها بفكري»[٤].

وقد لخَّص مؤلّفنا الفاضل الاصفهاني المعروف بـالهنديّ ـ رحـمه اللّـه تـعالى ـ هـذا التلخيص وسمَّاه قُراح الإقتراح، مع زيادةٍ عليها من آرائه النقديَّة. ولكن ما نقل المـلخَّص عبارات السيوطي نصًّا، بل تصرَّف فيها وفي ترتيب أبوابها؛ وهذا ممَّا يُشكل علينا أن نميِّز أحيانًا بين آرائه نفسه وآراء السيوطي، وأن نميِّز بين نصِّ السيوطي وما نقل مـن غـيره ـ كابن‌جنّي وابن‌الأنباريّ ـ.

واستقدنا في تصحيح هذه الرسالة الشريفة من طبعتين من كتاب الاقـتراح: ١. كـتاب الاقتراح طبعة الدكتور أحمد محمَّد قاسم الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف، الأوفست نشر

---

١. راجع: الاقتراح، ص ٢١.
٢. راجع: نفس المصدر.
٣. راجع: المصدر، ص ٢٦.
٤. راجع: المصدر، ص ٢٢.

أدب حوزة؛ ٢. كتاب الاقتراح طبعة الدكتور طه عبدالرؤوف سعد، وهو أيضًا من مدرِّسي جامعة الأزهر، مكتبة الصفا القاهرة ١٤٢٠ هـ.ق. ١٩٩٩ م. ورجَّحنا في عملنا هذا النسخة الأولى على الثانية لما فيها من دقَّة النظر والإرجاعات الكثيرة إلى كتاب الخصائص. واستعنتُ في تحقيق النصِّ بمخطوطةٍ من الكتاب طُبعت مصوَّرتها في مختتم كشف اللِّثام للفاضل أيضاً؛ ويُظنُّ أنَّها بخطِّ يده الشريف.

والحمد للَّه ربِّ العالمين

امير صالح معصومى

بسم اللَّه الرحمن الرحيم وبه نستعين

أمَّا بعد نحو نحو حمد الحميد على الإطلاق، وشكر شكور مشكور بكمال الاستحقاق؛ والصلوة على من نجا عن الحقِّ أغشية البطلان، ونحى للنَّاس الموانع عن طريق الرضوان، ومن تولَّى إعلاء كلمة اللَّه العليا، وهداية الناس إلى الغاية القصوى، من آله الأطهار، وعترته الأبرار، وصحبه الأخيار، ما تعاقب الليل والنهار.

فهذه رسالة قراح الإقتراح، الهادية للعقل الصُّراح إلى أصول النحو الوضاح، هذَّبتُ فيها رسالة الاقتراح، الّتي اقترحها الشَّيخ الفاضل والحبر الكامل، علَّامة عصره وأعجوبة دهره، جلال الملَّة والحقِّ والدين، السيوطي ـ أسكنه اللَّه وسطة جنانه وكسَّاه حُلل رضوانه ـ في علم أصول النحو، جامعاً لشتاته، موجزاً لمُطنباته، مسقطاً لما فيه من الحشو والتطويل، جامعاً مع غاية الإيجاز حقَّ التفصيل؛

ولذا صارت بعون اللَّه المفضال، قريب المأخذ، سهل المنال، جميل المنظر، عزيز المثال. واللَّهَ أسأل أن ينفع به كلَّ من استهدى سبيل الرشاد، واجتهد في تِطلاب الحقِّ والاسترشاد، يذبُّ عنه كلَّ من ركب متن العناد، وأخذ بزمام اللداد؛ وينفعني به يوم التناد، أنَّه أهل إجابة[1] السائلين، وتحقيق آمال المؤمِّلين. /A2/

هذا؛ والرسالة مترتِّبةٌ على مقدَّمةٍ وسبعة كتبٍ:

---

١. المخطوط: الاجابة.

المقدمة[١]

فيها مسائل:

المسألة الأولى: في تعريف علم أصول النحو[٢]

اعلم! أنَّه لابدَّ فيه من معرفة أربعة أشياء:

الأوَّل: النحو؛

والثاني: الأصل؛

والثالث: معنى التركيب الإضافيّ الَّذي بينهما؛

والرابع: معناه العَلَمي؛

وكذا كلّ عَلَمٍ كان في الأصل مركّباً. ولمَّا كان معنى «الأصل» و«التركيب الإضافي» ظاهراً ولم يكن بيانهما بهذا المقام لائقاً، وجب تركه؛ فبقي شيئان لابدَّ من معرفتهما. ولابدَّ من تقديم تعريف المضاف إليه دون المركَّب ـ كما فعله السيوطي[٣] ـ، فإنَّ معرفة الجزء مقدَّمةٌ على معرفة الكلّ.

فنقول: أمّا الكلام في النحو:

فاعلم! أنَّه قد يدخل فيه الصرف ويعدَّان علماً واحداً، وقد يفرز عنه الصرف. فعلى الأوَّل لابدَّ من تعريفه بـ: «أنَّه صناعةٌ يُعرف بها أحوال كلمات العرب من حيث البناء، ومن حيث الأواخر باعتبار التأليف وعدمه، وأحوال كلامهم من حيث يصحُّ تأليفه أو يفسد». فـ«معرفة أحوالها من حيث البناء» شاملةٌ للمسائل الصرفيّة من التصغير والتكسير والمدِّ والقصر والإمالة إلى غير ذلك من الأحوال الّتي بعضها نفس البناء وبعضها أحوالٌ عارضةٌ

---

١. كتاب الاقتراح، ص ٢٧.

٢. في الاقتراح: في حد أصول النحو. ص ٢٧

٣. فإنّ السيوطي قدّم تعريف علم اصول النحو على النحو نفسه. انظر، ص ٢٧ و ٢٩ من الاقتراح.

للكلمة من أجل البناء ؛ وأيضاً بعضها يخصُّ الكلمة المفردة ، وبعضها يعرض الكلمة إذا اقترنت بكلمةٍ أخرى ـ كالإمالة العارضة باقتران كلمةٍ بأخرى ـ ؛ وبعضها يعرض الكلمتين معاً إذا اقترنتا ـ كادغام آخر إحديهما في أوّل الأخرى ـ .

وقولنا: «ومن حيث الأواخر» ـ أي: أحوالها الّتي لها في الآخر ـ يشمل الإعراب والبناء والإلحاقات ـ كإلحاق نون التأكيد وياء النسبة ـ ؛ فلذا قيّدناه بقولنا: «باعتبار التأليف وعدمه» ، فيخرج غير الإعراب والبناء ، فهي داخلةٌ في أحوال الكلمات من حيث البناء ، فإنَّ نحو: قائمةٌ وبصريّ واضربنَّ ، تعدُّ في العرف كلمةً واحدةً ، فهذه الإلحاقات كإلحاق «الدال» الثانية في «قردد» لإلحاقه بـ«جعفر» في أنَّه يُصرف في أصل البناء ؛ وحينئذٍ فلايدخل البناء الحاصل لآخر «قائم» و«بصرة» بواسطة «التاء» و«الياء» في أحوال أواخر الكلمات ؛ فإنَّه يكون حينئذٍ في الأوساط.

على أنَّه فيها ليس باعتبار التأليف ، بل لازمٌ للتأليف ، فانَّ المتبادَر من كونها باعتبار التأليف أن يكون ناشئةً عنه ، بأن يكون هو مقتضياً لمعنىً تقتضيها ، كما أنَّ تأليف «زيد» مع «قام» في: «قام زيدٌ» مثلاً يقتضي معنى الفاعليّة ؛ وهذا المعنى مقتضىً للرفع.

وقولنا: «وعدمه» ـ أي: عدم التأليف ـ ليشمل بناء الأسماء المعدودة.

وقولنا: «وأحوال الكلام ـ ... الى آخره ـ» ، لادخال المباحث الّتي في التقديمات والتأخيرات ؛ وإدخال حرفٍ كذا على كذا ، ونحو ذلك.

ويدخل في قولنا: «من حيث يصحُّ»[١] من حيث يحسن أويقبح أيضاً.

وعلى الثاني ـ أي: على تقدير أن نفرز منه الحرف ـ ، فلابدَّ من أن يُعرف[٢] بأنَّه[٣]: «صناعةٌ بها يعرف الأحوال الّتي لأواخر الكَلِم الّتي تعرضها باعتبار التأليف أو عدمه: ويميِّز في التأليف بينها ، بين الصحيح منه والفاسد».

---

١. أي قوله : من حيث يصحُّ تأليفه أو يفسد.

٢. في النسخة : نعرف.

٣. في النسخة : فانه.

هذا؛ وقال ابن جنّيٍّ في الخصائص: /B2/ في تعريف النحو: «انتحاء سمت كلام العرب في تصرُّفه، من إعرابٍ وغيره ـ كالتثنية والجمع والتحقير والتكسير والإضافة وغير ذلك ـ، ليلحق مَن ليس[1] من أهل العربيّة بأهلها في الفصاحة»[2]؛ انتهى.

وأقول: هو ـ مع قصوره وتطويله! ـ غلطٌ!؛

أمّا القصور: فلأنّه لايجوز أن تكون نفس الانتحاء، وإلّا لزم أن لايكون الساكت نحويّاً؛ وأيضاً إمّا أن يكون انتحاء جميع الطرق الّتي لكلام العرب، فلايمكن صدقه على أحدٍ ـ لاستحالته، بل استحالة انتحاء سمتين إلّا في زمانين ـ؛ أو يكون انتحاء البعض، فيلزم أن يكون من قدر على انتحاء سمت كلام واحدٍ فقط نحويّاً، وليس كذلك البتّة؛ فلابدّ من التقييد بـ«أنّه ملكة الانتحاء لكلّ سمتٍ»، أي: بحيث يصحّ له أن ينتحي متى شاء.

وأمّا التطويل، فلقوله: «ليلحق من ليس من أهل العربيّة ـ... إلى آخره ـ»، فإنّه لامدخل له في مهنة النحو، بل إنّما هو ذكر الغرض من تعلُّمه.

وأمّا الغلط فلوجهين:

الأوّل[3]: إنّه يشترط في النحوي أن يتكلّم على وفق كلام العرب، لا أن يقدر على التكلُّم، بل إنّما يشترط فيه أن يصلح كلامهم ـ سواءٌ قدر على التكلُّم أو لا ـ؛

والثاني: إنّه لايكفي النحو لحصول الفصاحة، فلايكون الفائدة المترتّبة على تعلُّمه لحوق من ليس من أهل العربية بهم في الفصاحة.

ثمّ إنّك خبيرٌ بأنّ هذا التعريف على تقدير دخول الصرف في النحو.

وقال صاحب المستوفى[4]: «النحو صناعةٌ علميّةٌ، ينظر بها[5] أصحابها في ألفاظ العرب،

---

١. قوله: من ليس، كرّرت مرّتين في النسخة.

٢. الاقتراح، ص ٢٩؛ الخصائص، ج ١، ص ٨٨.

٣. في النسخة: الأولى.

٤. الاقتراح، ص ٣٠.

٥. في الاقتراح: لها. ص ٣٠.

من جهة ما يتألَّف بحسب استعمالهم، لتُعرف النسبة بين صبغة النظم، وصورة المعنى؛ فيتوصَّل بإحديهما إلى الأخرى».

أقول: هذا يصلح لأن يكون على التقدير الأوَّل من دخول الصرف، وأن يكون على التقدير الثاني. أمَّا الأوَّل: فإذا كان المراد بألفاظ العرب كلَّ ما يتلفظ به ـ موضوعاً أو غيره ـ، فيشمل حروف الهجاء، فيشمل التأليفُ تأليفَ حروف كلمةٍ واحدةٍ ـ كحرف زيدٍ ـ، وحينئذٍ يكون المراد بالمعنى في قوله: «صورة المعنى» أعمَّ من المعاني الشخصيَّة والنوعيَّة.

وأمَّا الثاني: فإذا كان المراد بالألفاظِ الألفاظَ الموضوعة فلايشمل إلَّا الكلمات فما فوقها، وحينئذٍ يكون المراد بالمعنى المعنىَ النوعي التركيبي ـ كمعنى جملة: «قام زيدٌ» ـ؛

ويرد عليه على التقديرين: أنَّها لايشمل الأحوال العارضة للألفاظ من جهة التأليف، فانَّه لايفهم من النظر في اللفظ من جهة التأليف[١] إلَّا النظر إلى كيفيَّة تأليفه، فالأحوال العارضة بالتأليف لايدخل في المنظور إليه.

وقال الخضراويُّ[٢]: «النحو علمٌ بأقيسة[٣] ذوات الكلم وأواخرها بالنسبة إلى لغة لسان العرب».

أقول: هذا صريحٌ في أنَّه على التقدير الأوَّل، ومعناه أنْ يعلم أنَّ قياس هذا البناء ماذا؟ كأن يعلم أنَّ قياس اسم الفاعل من الثلاثي المجرَّد أنْ يكون على وزن فاعل؛ ويعلم أنَّ قياس آخر هذه الكلمة ماذا؟ كأن يعلم أنَّ قياس آخر زيدٍ في: «قام زيدٌ» أن يكون مرفوعاً.

وفيه نظرٌ من وجوهٍ:

الأوَّل: أنَّ تعليق «البناء» بالعلم صريحٌ في أنَّه أراد به معناه المصدري، وحينئذٍ يلزم أن يكون النحويّ عالماً[٤] بجميع الكلمات وأقيسة كلٍّ ذاتاً وتأليفاً؛ /A3/ وهذا محالٌ، بل إنَّما

---

١. «فإنه لايفهم من النظر في اللفظ من جهة التأليف»، كرِّرت في النسخة مرَّتين.

٢. الاقتراح، ص ٣٠.

٣. في الاقتراح: باقيسة تغير ذوات الكم. ص ٣٠.

٤. النسخة: وحينئذٍ يلزم أن يكون لازماً في النحوي أن يكون عالماً.

اللازم أن يكون له ملكةٌ يقتدر بها على أن يعرف قياس كلّ كلمةٍ عرضت عليه.

والثاني: إنَّه لايخلو: إمَّا أن يكون المرادُ بـ: أقيسة ذوات الكلم الأقيسةَ المتعلَّقة[١] بذواتها أنفسها فقط بلا تعلُّقٍ بأحوالها؛

أو يكون المراد بها: الأقيسة المتعلَّقة بها ـ سواءٌ كانت من حيث نفس الذوات، أو من حيث الحالات ـ؛

فعلى الأوَّل لايكون الحدُّ شاملاً لأقيسة أحوال الكَلِم الَّتي ليست في أواخرها، بل لذواتها ـ كقياسٍ يتعلَّق بالتقاء الساكنين، أو الإدغام، أو نحو ذلك ـ، فلا يكون جامعاً؛

وعلى الثاني لاحاجة إلى قوله: «وأواخرها»؛

والثالث: إنَّه لايشمل أحوال الكَلِم باعتبار تأليف بعضها مع بعضٍ، الَّتي بها يصحُّ التأليف أو يفسد.

وقال ابن عصفور: «النحو علمٌ مستخرَجٌ بالمقائيس المستنبطة من استقراء كلام العرب، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه الَّتي تتألَّف[٢] منها»[٣].

أقول: وهو فاسدٌ من جوهٍ:

الأوَّل: إنَّه لم يبيِّن ما يتعلَّق به العلم وما يبحث صاحبه عنه، مع أنَّ العلم ليس إلَّا المسائل.

والثاني: إنَّه لا معنى محصَّلاً لكون العلم مستخرجاً بالمقائيس المذكورة، إلَّا أن يقال: إنَّ المراد بذلك العلم بأحكام الألفاظ الجزئيّة، المتسخرَج من العلم بالمقائيس الكلّيّة، ولا شكَّ أن العلوم الجزئيَّة ليست صناعةً.

والثالث: إنَّه لم يبيِّن الأحكام في قوله: «أحكام أجزائه»، فيشمل مثل العموم والخصوص والاشتراك، ونحو ذلك ممَّا لا يدخل في النحو ولا في الصرف.

---

١. في النسخة: المتعلة.

٢. في المقرب: التي يأتلف. المقرب، ج ١، ص ٤٤.

٣. في الاقتراح، ص ٣٠؛ المقرب، ج ١، ص ٤٤.

وقال صاحب «البديع»: «النحو صناعةٌ علميَّةٌ يُعرف بها أحوال كلام العرب من جهة ما يصحُّ ويفسد في التأليف، ليعرف الصحيح من الفاسد»[١].

أقول: وقصور هذا الحدِّ لأنَّه يدلُّ على أنَّ موضوع النحو الَّذي يبحث عن أحواله هو الكلام حسب، وليس كذلك؛ بل هو الكلام والكلمة معاً. فكما يُعرف به أحوال الكلام من جهة ما يصحُّ ويفسد في التأليف، كذلك يعرف أحوال الكلمة من جهة ما يقع في التأليف.

وقال ابن السَّرَّاج في الأصول: «النحو علمٌ استخرجه المتقدِّمون من استقراء كلام العرب»[٢].

أقول: وأنت خبيرٌ بأنَّه ليس تعريفاً له! بل بيان عرضٍ عامٍّ له.

* * *

وأمَّا الكلام في أصول النحو، فقد عرّفه السيوطي بأنَّه: «علمٌ يبحث فيه عن أدلَّة النحو الإجماليَّة من حيث هي أدلَّته، وكيفيَّة الاستدلال بها وحال المستدِلّ».

قال: «فقولي: «علم» أي: صناعةٌ، فلايرد ما أورد على التعبير به في حدِّ أصول الفقه، من أنَّه[٣] يلزم عليه فقدُه إذا فُقِد العالم به؛ لأنَّه صناعةٌ مدوَّنةٌ مقرَّرةٌ، وجد العالم به أو لا»[٤]؛ انتهى.

وأقول: الإعتراض والجواب كلاهما فاسدان؛

أمّا الأوَّل: فلأنَّ فقدانه بفقدان العالم به مسلَّمٌ؛ ولا ضير، بل الأمر كذلك في الحقيقة. وإنَّما الَّذي يبقى من الدهور والأيّام، نقوش الألفاظ الَّتي بالنظر إليها يمكن التوصُّل إلى تحصيل ذلك العلم.

وأمّا الثاني[٥]: فلأنَّه لا معنى لبقاء الصناعة مع عدم العالِم، فإنَّ الصناعة ـ على ما صرَّح به

---

١ و ٢. الاقتراح، ص ٣١.

٣. في الاقتراح: من كونه. ص ٢٧.

٤. الاقتراح، ص ٢٧.

٥. في النسخة: الأوّل.

رئيس أهل الصّناعات في كتاب الشفاء ـ: «ملكةٌ نفسيّةٌ يقتدر بها على استعمال موضوعاتٍ مّا نحو غرضٍ من الأغراض على سبيل الإرادة، صادراً عن بصيرةٍ بحسب الممكن فيها».

وأمّا في أصل اللغة /B3/ فهي: الحرفة، وعلى كلٍّ تقديرٍ فليست بجوهرٍ يقوم بذاته. ولا يصلح القرطاس والعلم لأنْ يكون محلّها، بل إنّما محلُّها الأذهان، والتدوين إنّما هو لنقوش الألفاظ. وإضافته إلى الألفاظ وإلى المعاني وإلى العلوم مجازاتٌ.

* * *

هذا؛ وللنحو أدلّةٌ إجماليّةٌ وتفصيليّةٌ.

وأمّا الإجماليّة فثلّثها ابن جنّيٍّ في الخصائص:

السماع؛

والإجماع؛

والقياس[1].

وكذا قال[2] ابن الأنباري في الأصول، إلّا أنّه بدّل الإجماع بالاستصحاب[3]، كأنّه لم يعدُّه دليلاً كما رآه قومٌ. فجملة الإجماليّة المتّفق عليه والمختلف فيه أربعةٌ.

وأمّا الدلائل التفصيليّة فهي الّتي تذكر على كلِّ مسألةٍ مسألةٍ، كدليل أصالة تقديم المبتدأ، ودليل عدم وقوع الحال من النكرة، ونحو ذلك. ولا حصر لها، ولا تندرج تحت أصلٍ؛ فهي إنّما تذكر في النحو، لا في الأصول، فلذا قيّدها بـ«الإجماليّة».

ويخرج بقوله: «عن أدلّة النحو»، سائر الصناعات، إلّا صناعة النحو وأصول الفقه.

وبقيد «الاجماليّة» يخرج النحو ويبقى أصول الفقه؛

ويخرج بقيد «من حيث هي أدلّته».

---

١. الاقتراح، ص ٢٧.

٢. في النسخة: كمال.

٣. الاقتراح، ص ٢٧؛ لمع الأدلة، ص ٨١.

وغلط السيوطي! فزعم أنَّ الاحتراز قد تمَّ قبل قوله: «من حيث هي أدلَّته»، وذكره إنَّما هو لبيان جهة البحث.

والمراد بـ«كيفيَّة الاستدلال» ـ كما قاله السيوطي ـ هو: الرجحان عند التعارض، كما أنَّه يُرجَّح اللغة الحجازيَّة على التميميَّة، وأقوى العلَّتين على أضعفهما، وأخفُّ القبيحين[١] على أثقلهما[٢].

وأنت خبيرٌ بأنَّ إرادة[٣] هذا المعنى من هذا اللفظ بعيدٌ، بل اللائق به أن يُقال: «والمراتب الَّتي لتلك الأدلَّة ولأنواعها».

والمراد بـ«معرفة حال المستدلِّ»: معرفة أنَّ المستنبط للمسائل من تلك الدلائل على أيِّ صفةٍ يجب أن يكون؛ ويتبع ذلك معرفة[٤] صفات المقلِّد والسَّائل.

المسألة الثانية[٥]: [في تعريف اللغة وفي واضعها]

اعلم! أنَّ اللغة هي الأصوات الَّتي يعبِّر بها الناسُ عن أغراضهم.

واختُلف في وضعها على ثلاثه[٦]:

فقيل: واضعها هو اللَّه ـ تعالى ـ، وهو مذهب الأشعريّ، وجنح إليه ابن جنِّيٍّ، ونقله عن أبي عليٍّ[٧] ـ وهما معتزليَّان ـ. ويؤيِّده ظاهر قوله ـ تعالى ـ: ﴿وعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[٨]. وحينئذٍ فطريق علمنا بها ما دلَّت عليه ظاهر الآية من أنَّه ـ تعالى ـ علَّمها نبيّاً بالوحي أو الإلهام، فعلَّمناها.

---

١. في الاقتراح: الاقبحين. ص ٢٩.

٢. الاقتراح، ص ٢٨.

٣. لفظة «ارادة» لم توجد في النسخة.

٤. في الاقتراح: ويتبع من ذلك. ص ٢٩.

٥. هذه المسألة أى مسألة وضع اللغات اندرج في المسألة الثالثة من كتاب الاقتراح. ص ٣١.

٦. كذا في النسخة، والأولى: ثلاثة أقوال.

٧. الخصائص، ج ١، ص ٩٤.

٨. البقرة (٢): ٣١.

وقيل: خلق اللّه ـ تعالى ـ أصواتها في أجسامٍ فأسمعناها[١].

وقيل: خلق[٢] فينا علماً ضرورياً بها[٣].

وقيل: بل وضعها البشر؛

فقيل: آدمﷺ، ومعنى ﴿عَلَّمَ آدَمَ﴾: أنَّه أقدره على الوضع وألهمه ذلك؛

وقيل: بل باصطلاح جماعةٍ على ذلك؛

وقيل: بالوقف ـ أي: لاندري مَن وضعها ـ، واختاره ابن جنّيّ[٤].

وأقول: يحتمل أن يكون الكلُّ ثابتاً، فبعضها يكون بوضع اللّه وتعليمه النبيَّ، وبعضها بوضعه وخلقه في جسمٍ ـ كما يُروَى أنَّه ينبت في محراب داوودﷺ كلَّ يومٍ نبتٌ فيتكلَّم باسمه وخواصِّه ـ، وبعضها بوضع شخصٍ معيَّنٍ، وبعضها باصطلاح جماعةٍ؛ وهذا أظهر من كلِّ الاحتمالات. ويناسب هذا القول ما قاله ابن جنّيّ من أنَّ الصواب: «أنَّ اللغة لم توضع كلُّها في وقتٍ واحدٍ، بل وقعت متلاحقةً متتابعةً».

* * *

قال ابن جنّيّ: «ولاندري أنَّ أيّاً من الاسم وأخويه يقدّم وضعه على /A4/ الآخرين»[٥].

أقول: والصواب أنَّ الحرف متأخِّرٌ عنهما. وهو ظاهرٌ، لأنّ وضعه مستقلٌّ؛

ثمَّ الظاهر أنَّ الاسم الجامد متقدِّمٌ.

---

١. في النسخة: فأسمعتناها.

٢. في النسخة: + (اللّه تعالى اصو) ثم شطب عليه الكاتب بقلم الأصل.

٣. في الاقتراح: أو بخلق العلم الضرورى في بعض العباد بها. ص ٣١.

٤. ينبغى ان يقيد بكلمة: أخيراً، كما في الاقتراح، لأنّ لابن جني ثلاثة أقوال: الأول: أن الواضع هواللّه تعالى؛ والثاني: أصل اللغات من الأصوات المسموعات. والثالث: الوقف. فانظر التفصيل في الاقتراح، ص ٣٢ و٣٣، والخصائص، ج ١، ص ٩٩.

٥. الاقتراح، ص ٣٤. اعلم ا أنّ قول ابن جنّي لا يتعلّق بهذه المسألة، فانّه قال: فأمّا أي الأجناس الثلاثة تقدم أعنى الاسماء والافعال والحروف فليس مما نحن عليه في شيء وانما كلامنا هنا: هل وقع جميعها في وقت واحد أم تتألفت وتلاحقت قطعة قطعة. الخصائص، ج ١، ص ٤١٤.

المسألة الثالثة[١] : [في أنه لا اقتضاء للّفظ لمعنىً من المعاني]

اعلم! أنَّه لا اقتضاء للّفظ لمعنىً من المعاني، وإلّا لم يكن للوضع مدخلٌ؛ ولم يُمكن وضع لفظٍ لضدَّين؛ وبالجملة هذا الحكم ضروريٌّ[٢]. إلّا أنَّه ربَّما يؤخذ بين بعض الألفاظ ومعانيها مناسبةٌ مّا تحتمل أن يكون الواضع قد راعاها حين الوضع، كما أنَّه وضع لصوت الجندب صر، ولصوت البازي صرصر، لما في الأوَّل من الاستطالة، وفي الثاني من التقطيع؛

ووضع للمعاني الَّتي فيها اضطرابٌ مصادر على وزن الفعلان، المتوالي الحركات المناسب لتوالي الحركات في معناه ـ كالغَلَيان والغَثَيان ـ؛

ووضع الألفاظ الرباعيَّة المضاعفة[٣] لما فيه تكريرٌ ـ كالقَلقَلَة والقَعقَعَة والزَلزَلَة والصَلصَلَة ونحو ذلك ـ؛

ووضع «الخضم» لأكل الرطب، و«القضم» لأكل اليابس، لما في الخاء من الرخاوة وفي القاف من الصلابة، إلى غير ذلك من المناسبات الَّتي تحتمل أن تكون اتِّفاقيَّةً؛

وأن تكون ملحوظةً حين الوضع؛

وأن تكون مختلطةً من الأمرين.

المسألة الرابعة[٤] : [في أقسام الدلالات النحويّة]

إعلم! أنَّ الدلالات النحويَّة ثلاثةٌ:

لفظيَّةٌ؛

وصناعيَّةٌ؛

---

١. أنظر المسألة الرابعة من كتاب الاقتراح، ص ٣٦.

٢. هذا من كلام الفاضل ﷺ والكتاب خال عن هذا الرأي، ولا يخفى ما في كلامه من نظر اذ لا تعارض بين اقتضاء اللفظ معنى ما من المعاني ومدخلية الوضع. وتفصيل الكلام في الكتب المؤلَّفة في فقه اللغة؛ فراجع!

٣. في الاقتراح: المضعفة. ص ٣٦.

٤. أنظر المسألة الخامسة من الاقتراح، ص ٣٨.

ومعنويَّةٌ.

وترتُّبها في القوَّة والضعف هذا الترتيب.

واسمع قبل فهم هذه كلاماً، هو: أنَّ في اللفظ الموضوع المركَّب من حرفين فصاعداً شيئاً بمنزلة المادَّة الَّتي للأجسام ـ كالخشب للسرير ـ؛ وشيئاً آخر بمنزلة الصورة الحسِّيَّة؛ وآخر بمنزلة الصورة النوعيَّة؛ وآخر بمنزلة الصورة الشخصيَّة.

فالأوَّل هو الحروف الَّتي تألف منها؛

والتالي هو التأليف بينها على أيِّ نحوٍ كان، من التقديم والتأخير؛

والثالث هو التأليف على الترتيب الخاصِّ من التقديم والتأخير ـ كالترتيب الَّذي بين الثلاثة الحروف من «ضرب»؛

والرابع هو الهيئة الَّتي يكون لها باعتبار الحركات والسكنات والتوالي بينها وبين الحروف وعدم التوالي، وهذه هي الَّتي تقال لها: الصيغة. فصيغة «ضرب» هيئته الَّتي له باعتبار توالي حروف ثلاثةٍ مفتوحةٍ.

إذا علمت هذا فاعلم! أنَّ المراد باللفظ هنا مجموع المادَّة والصورتين الأوليين[1]؛ أي: اللفظ من حيث تركُّبه من الحروف المترتِّبة، ترتُّباً خاصّاً من التقديم والتأخير، فإنَّ دلالة «ضرب» على الضرب من هذه الجهة. والمراد بالصيغة ما ذكرنا؛ فإنَّ دلالة «ضرب» على الزمان الماضي من هذه الجهة؛ ولذا كلَّما وجدت هذه الصيغة وجدت الدلالة، كما أنَّه كلَّما وجدت صورة السرير أفادت فائدته في خشبٍ أو حديدٍ أو فضَّةٍ أو ذهبٍ أو عاجٍ أو غير ذلك.

ووجه تقدُّم القسم الأوَّل من الدلالات على الثاني ظاهرٌ، فإنَّ اللفظ بهذا المعنى[2] كالمادَّة الَّتي يترتَّب عليها عدَّة صورٍ، كالخشب الَّذي يتوارد عليه صورٌ شتَّى، فهو أبقى من الصيغة وأصلٌ لها، فالدلالة الَّتي له أصلٌ للَّتي للصيغة.

ووجه تقدُّم الدلالة الصناعيَّة على المعنويَّة أيضاً ظاهرٌ، فإنَّ الصيغة كيفيَّةٌ للَّفظ

---

١. النسخة: الاولتين.

٢. النسخة: + الذي.

مسموعةٌ، ودلالة المسموع أظهر وأقوى من دلالة المعنى المعقول. فقد عُلم أنَّ الدلالة الصناعيَّة[١] /B4/ دلالةٌ تضمُّنيَّةٌ، وكذا دلالة اللفظ إن كان للصيغة معنىً زائدٌ على معنى اللفظ، وإلَّا فهو مطابقةٌ ـ كدلالة المصادر والجامدات على معانيها ـ.

والدلالة المعنويَّة التزاميَّةٌ، فإنَّ المراد بها أن ينتقل الذهن من معنىً إلى معنىً آخر، للزومٍ بينهما، وهذا معنى الإلتزاميَّة.

هذا؛ وإن أريد التقسيم على وجهٍ يكون مآله تقسيماً إلى دلالةٍ مطابقيَّةٍ وتضمنيَّةٍ والتزاميَّةٍ، أريد باللفظ لا المادَّة فقط، بل المجموع منها ومن الصيغة، فيراد معنى ضرب من حيث المجموع، وهو مجموع الحدث والزمان؛ إلَّا أنَّه يكون فيه قصورٌ من جهة أنَّه اعتبر دلالة الصيغة دون المادَّة، مع أنَّها أيضاً تكون تضمُّنيَّةً.

المسألة الخامسة[٢]: [في أقسام الحكم النحوي]

اعلم! أنَّ الحكم النحوي ينقسم خمسة أقسامٍ على حسب أقسام الأحكام الشرعيَّة:

الواجب؛

والممتنع؛

والأولى؛

وخلاف الأولى؛

والجائز على التساوي.

ثمَّ الأولى على قسمين:

أحدهما: أن يكون الأولويَّة باعتبار الأصول والقواعد؛

والثاني: أن يكون الأولويَّة عند أهل اللسان بحسب سليقتهم وذوقهم، وهذا يُسمَّى الحَسَن.

---

١. في النسخة: الصناعة.

٢. أنظر المسالة السادسة من كتاب الاقتراح، ص ٣٩.

وكذا خلاف الأولى على قسمين:

الأوَّل: أن يكون ذلك باعتبار الأصول والقواعد؛

والثاني: أن يكون ذلك بحسب أذواق أهل اللسان، وهذا سُمِّي قبيحاً.

أمّا الواجب فكرفع الفاعل؛ وأمّا الممتنع فكنصبه؛ وأمّا الأولى بالمعنى الأوَّل فكتقديم «زيداً» في قولنا: «ضرب زيداً غلامُه»؛ والأولى بالمعنى الثاني فكرفع المضارع الواقع جزاءً بعد الشرط الَّذي يكون ماضياً؛ وأمّا خلاف الأولى بالمعنى الأوَّل فكتقديم «غلامُه» في: «ضرب غلامُه زيداً»؛ وأمّا خلاف الأولى بالمعنى الثاني فكدخول علامة الاستقبال على الحال؛ وأمّا الجائز على التساوي فكذكر المبتدأ وحذفه حيث لا مانع من الحذف ولا مقتضى له.

هذا هو الحقُّ عندي في تقسيم الحكم النحوي؛ وقد سها السيوطيُّ حيث قسَّمه إلى ستَّةٍ:

الواجب؛

والممتنع؛

والحَسَن؛

والقبيح؛

وخلاف الأولى؛

والجائز على السواء[1]. إذ لا شكَّ أنَّ الحَسَن أراد به ما يقابل القبيح، فإن أريد بهما أعمَّ من أن يكون باعتبار الأصول والقواعد أو باعتبار الذوق السليم فلاحاجة إلى ذكر خلاف الأولى؛

وإن أريد بهما ما ذكرناهما فلابدَّ وأن يذكر الأولى أيضاً.

* * *

١. الاقتراح، ص ٣٩.

وأيضاً: ينقسم إلى رخصةٍ؛

وعزيمةٍ.

فالرخصة ما يجوز خلافه لضرورة الشعر أو لايقاع الجناس بينه وبين لفظٍ آخر، كصرف ما لاينصرف؛

والعزيمة خلافه، كرفع الفاعل[١].

ثمَّ الحقُّ أنَّ الشعر نفسه ضرورةٌ[٢]، سواءٌ كان للشاعر عن ذلك مندوحةٌ أو لا، فلاتشنيع[٣] على الشاعر إذ أتى بما فيه رخصةٌ ويمكنه تبديل اللفظ إلى لفظٍ آخر[٤]، كما قال:

فلايبرم الأمر الَّذي هو حالٌ ولا يحلل الأمر الَّذي هو مبرم[٥]

وهذا قول ابن‌عصفورٍ[٦]. وقال ابن‌مالكٍ: «إنَّ حدَّ الضرورة ما ليس للشاعر عنه مندوحةٌ».

المسألة السادسة[٧]: [هل بين العربيّ والعجميّ واسطةٌ ؟]

هل بين العربيِّ والعجميِّ واسطةٌ؟ قال الخضراوي: «لا! بل كلّ ما ليس بعربيٍّ فهو عجميٌّ، حتَّى الألفاظ المصنوعة»؛ وقال ابن‌عصفورٍ: «بل المصنوعات وسائط». وقال أبوحيَّان في شرح التسهيل: «العجميُّ عندنا ما[٨] نقل إلى اللسان العربيِّ من لسانٍ غيره، سواءٌ كان من لغة /A5/ الفُرس أو الرُّوم أو الحَبَش أو الهند أو البربر أو الإفرنج أو غير ذلك».

---

١. أنظر المسألة السابعة من الاقتراح، ص ٤١.

٢. هذا هو مختار الفاضل من الاقوال التى ذكرها السيوطى فراجع، ص ٤٣.

٣. جميع حروف اللفظة غير منقوط في النسخة فلم اكن على يقين من صحة قرائته.

٤. كلمة «آخر» قد كرّرت في النسخة مرّتين.

٥. الشعر للمتنبى. ديوان المتنبى، ص ٩٥. مؤسسة اعلمى للمطبوعات.

٦. المقرب، ج ٢، ص ٥٦٣. قال: اعلم أنّه يجوز في الشعر وما أشبهه من الكلام المسجوع ما لايجوز في الكلام... اضطرّ إلى ذلك أو لم‌يضطرّ إليه.

٧. أنظر المسألة التاسعة من كتاب الاقتراح، ص ٤٥.

٨. في الاقتراح: هوكل ما نقل. ص ٤٥.

هذا؛ وقالت النُّحاة: «يُعرف عجميَّة الاسم باحد أمورٍ سبعة:

الأوَّل: نقل أحد أئمَّة العربية ؛

الثاني: خروج وزنه عن الأوزان العربيَّة ـ كأبريسم ـ؛

الثالث: أن يكون أوَّله «نونٌ» ثمَّ «راءٌ» ـ كنرجس ـ؛

الرابع: أن يكون آخره «زايٌ» بعد «دالٍ» ـ كمهندز ـ؛

الخامس: أن يكون فيه «الصاد» و«الجيم» ـ كالجصِّ ـ؛

السادس: أن يكون فيه «الجيم» و«القاف» ـ كالجوزق[1] ـ؛

السابع: أن يكون رباعياً أو خماسيّاً لايكون فيه من حروف الذلاقة شيءٌ ـ وهي: «الباء» و«الراء» و«الفاء» و«اللام» و«الميم» و«النون»، كزبرج ـ».

* * *

الكتاب الأوَّل: في السِّماع[2]

والَّذي يُحتجُّ به في النحو من المسموعات ثلاثةٌ:

الكتاب ؛ والسُّنَّة ؛ وكلام العرب.

الكلام في الكتاب

لا شكَّ أنَّ ما نقل منه متواتراً حجَّةٌ ؛ وأمّا ما نُقل آحاداً، فإن كان بإخبار عدلٍ عن عدلٍ وهكذا إلى النبيِّ ﷺ فهو أيضاً حجَّةٌ، فإن خالف فياساً معروفاً كان ذلك مستثنىً لايُقاس عليه. وأمّا الاِكتفاء بفصاحة الراوي فلا وجه له وإن صرَّح بأنَّ مرويَه فصيحٌ ؛ فإنَّه حينئذٍ

---

١. كتب بين السطرين توضيحا على اللفظة: (عريف الجن).

٢. الاقتراح، ص ٤٨.

لا يكون الاحتجاج إلّا بفصاحته. وبالجملة فما لم يحصل اليقين أو الظنُّ المقارب له بأنَّه من القرآن لا يصحُّ الاستدلال بن من حيث إنَّه من القرآن. وأمّا رُوي عن عثمان أنَّه لمَّا عرضت عليه المصاحف قال: «إنَّ فيه لحناً ستُقيمه العرب بألسنتها»، فإن صحَّ فالمراد اللحن في الكتابة، وقوله: «ستُقيمه العرب بألسنتها» دليلٌ على أنَّه لا يقع اللحن في القراءة، بل كلُّ لحنٍ يكون في الكتابه يزال أيضاً عندهم. على أنَّه في روايةٍ أخرى هكذا: «أحسنتم وأجملتم، أرى شيئاً سنقيمه بألسنتنا!»، فلعلَّه رأى فيه لفظاً ليس في لغة قريشٍ أو في لغة العرب، فقال: سنقيمه بألسنتنا حتَّى يصير داخلاً في لغتنا؛ وهذا لا فساد فيه.

وأمّا السُّنَّة[١] فلا يمكن الاستدلال بها إلّا بما ثبت أنَّه لفظ رسول اللّهﷺ بالتواتر أو بخبر الآحاد، عدلٌ عن عدلٍ. ولمَّا كان ذلك مجهولاً في غالب الأحاديث لم يستدلَّ النحويُّون ولا اللغويُّون بها، فإنَّ الرواية بالمعنى جائزةٌ عند الرواة، ومنهم الفصيح ومنهم غيره، ومنهم العجميُّ ومنهم التميميُّ ومنهم الهُذَليُّ، ... إلى غير ذلك من الطوائف المختلفة الألسن، فالاستدلال بسنَّةٍ لا يُعلم ولا يُظنُّ أنَّه لفظ النبيِّﷺ ليس إلّا استدلالاً بكلام الراوي.

ولذا شنَّع أبوحيَّان على ابن مالكٍ في شرح التسهيل في استدلاله بالأحاديث واكثاره من ذلك؛ قال: «وما رأيت أحداً من المتقدِّمين والمتأخِّرين سلك هذه الطريقة غيره، على أنَّ الواضعين الأوَّلين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب ـ كأبي عمرو بن العلا، وعيسى بن عمر، والخليل، وسيبويه من أئمَّة البصريِّين؛ والكسائي، والفرَّاء، وعليِّ بن مبارك[٢] الأحمر، وهشام الضَّرير، من أئمَّة الكوفيِّين ـ لم يفعلوا ذلك، وتبعهم على هذا المسلك المتأخِّرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم، كنحاة بغداد وأهل الأندلس»[٣].

قال: «وقد[٤] قال لنا قاضي القضاة بدر الدِّين بن جماعة ـ وكان ممَّن أخذ عن

---

١. الاقتراح، ص ٥٢.

٢. في النسخة: المبارك.

٣. الاقتراح، ص ٥٢.

٤. كلمة قد ساقطة في النسخة.

ابن /B5/مالكٍ ـ: قلت له: يا سيِّدي! هذا الحديث رواية الأعاجم، ووقع فيه من روايتهم ما يُعلم أنه ليس من لفظ الرَّسول!؟

فلم يجب بشيءٍ»[١].

وأمّا كلام العرب[٢] فإنَّما يُحتجُّ به إذا كان كلام العرب الموثوق بفصاحتهم، وطوائفُهم المأخوذ عنهم: قيسٌ، وتميمٌ، وأسدٌ؛ وهذه الثلاثة من قريشٍ. ثمَّ هذيلٌ وبعض كنانة وبعض طائيِّين[٣]، ولم يؤخذ عن غيرهم. كذا قاله الشَّيخ أبونصرٍ الفارابي في كتاب الألفاظ والحروف؛ قال[٤]: «وبالجملة فإنَّه لم يؤخذ عن حضريٍّ قطُّ، ولا عن سكَّان بوادي ممَّن يسكن أطراف البلاد المجاورة لبلاد سائر الأمم، فلا يؤخذ من لخمٍ ولا من جذامٍ، لمجاورتهم القِبط وأهل مصر؛ ولا من قضاعة ولا من غسَّان ولا من إياد، لمجاورتهم أهل الشَّام ـ وأكثر هم كانوا نصارى يقرؤون في صلواتهم غير العربيِّ ـ؛ ولا من تغلب والنمر، لمجاورتهم اليونانيِّين؛ ولا من بكرٍ، لمجاورتهم النبط والفرس؛ ولا من عبد القيس، لأنَّهم كانوا سكَّان البحرين ومخالطين للهند والفُرس؛ ولا من أزد عمَّان، لمخالتطهم الهند والفُرس؛ ولا من أهل اليمن، لمخالتطهم الهند والحبشة، وقد تولَّدت الحبشة فيهم؛ ولا من بني حنيفة وسكَّان اليمامة، ولا ثقيف وسكَّان الطائف، لمخالطتهم تجَّار الأمم المقيمين عندهم؛ ولا من أهل الحجاز، لأنَّ الَّذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدؤا بالنقل، قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم»[٥].

---

١. الاقتراح، ص ٥٣.

٢. الاقتراح، ص ٥٦.

٣. في النسخة: الطيء، فلا بأس به، إلَّا أن يكون هذه من كلام الفارابي أيضاً، فيجب تصحيحه.

٤. وأعلم أن الفاضل ﷺ نقل كلام الفارابي بمعناه بما يقرب من نصّه، وإلَّا فما بين العبارتين فرقٌ واضحٌ. انظر الاقتراح، ص ٥٦.

٥. الاقتراح، ص ٥٦. أقول: وهذا يشبه تخصيص الأكثر إلى الواحد؛ وقد ناقشه بعض العلماء المعاصرين في تحديده هذا.

وقال مثل هذا أبوحيّان في شرح التسهيل معترضاً به على ابن‌مالكٍ حيث استشهد بلغة خزاعة وقضاعة وغيرهم[١].

وقال ابن‌جنّيٍّ: «علّة امتناع الأخذ عن أهل المدر كما يؤخذ عن أهل الوبر ما عُرض اللغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد؛ ولوعُلم أنّ أهل مدينةٍ باقون على فصاحتهم، لم‌يعرض للغتهم شيءٌ من الفساد، لوجب الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر. وكذلك لوفشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل المدر من الخلل والفساد، لوجب رفض لغتها»[٢]؛ انتهى.

وهذا هو السبب في أنّه لايُحتجُّ بكلام المولّدين إلّا أن يحسن الظنُّ بأحدهم في اتقان علمه بالعربيّة واللغة، كما استدلَّ صاحب الكشّاف بقول حبيب بن أوس؛ وقال: «وهو وإن كان محدثاً لايُستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية، فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه»[٣].

وأمّا احتجاج سيبويه ببعض أشعار بشّار بن برد ـ وهو أوّل المحدثين ـ فيقال: تقرُّباً إليه؛ فإنّه ذكر المرزبانيُّ وغيره أنّه كان قد هجا على ترك الاحتجاج بشعره[٤].

ولهذا أيضاً لا يستدلُّ بكلامٍ لايُعرف قائله، لجواز أن يكون لمولّدٍ أو من لايُوثق بفصاحته، وعلى هذه فيسقط الاحتجاج بخمسين بيتاً من أبيات «الكتاب»، أو لايُعرف قائلوها.

واعلم! أنّه لاعبرة في الاحتجاج بخصوصيّة اللغة، بل اللغات كلُّها سواءٌ في الاحتجاج[٥]. وأمّا إذا تعارضت اثنتان منها فسيجيء حكم ذلك في موضعه[٦].

---

١. أنظر الاقتراح، ص ٥٧.

٢. الاقتراح، ص ٦٥؛ الخصائص، ج ١، ص ٣٩٣.

٣. الاقتراح، ص ٧٠.

٤. الاقتراح، ص ٧٠.

٥. هذا من كلام ابن جنى. الاقتراح، ص ٦٤؛ الخصائص، ج ١، ص ٣٩٨.

٦. انظر الكتاب السادس، ص ٢٧ من هذه الكراسة.

ولا عبرة أيضاً بعدالة من يؤخذ عنه ولا إسلامه[١]؛ نعم! يُعتبر أن يكون الرواة الناقلون عن الفصحاء من الموثَّقين الَّذين يغلب الظنُّ بصدقهم، حتَّى لوقال ثـقةٌ: «أخـبرني ثـقةٌ» ولم يسمِّه كفى ذلك في الاستدلال /A6/.

وقد وقع ذلك ليونس، يعنى به أبازيدٍ على ما أجاب به من سأل عنه فقيل: لم لا تُسمِّيه؟ قال: هو حيٌّ بعدُ، فأنا لا أسمِّيه!

وكذا وقع لسيبويه، يعنى به أبازيدٍ أو الخليل أو نحوهما[٢].

* * *

هذا؛ وقال الإمام الرازي في المحصول: «إنَّ معرفة اللغة والنحو والصرف واجبٌ كفايةً، لكونها ممَّا يتوقَّف عليه علم الشرائع، وهو واجبٌ كفايةً. والطريق إلى معرفتها ليس إلَّا النقل فقط، أو مع العقل والنقل؛

إمَّا على سبيل التواتر، أو الآحاد؛

وعلى كلٍّ إشكالٌ:

أمَّا الأوَّل: فلأنَّا نجد في الألفاظ الَّتي لا أشهر استعمالاً منه عندهم، قـد أخـتلف فـيه اختلافاً كثيراً، من ذلك لفظة[٣] اللَّه، فقيل: عربيَّةٌ، وقبل: عبريَّةٌ، وقيل: سريانيَّةٌ.

ومن قال عربيَّةٌ: افترقوا، فقيل: مشتقٌّ، وقيل: لا.

والأوَّلون افترقوا، فقيل: مِن كذا، وقيل: مِن كذا.

وكذا الاختلاف في لفظ الإيمان والكفر والصلوة والزكوة ونـحوها مـن الألفـاظ الَّـتي الحاجة إلى استعمالها ومعرفة معانيها شديدةٌ.

وأيضاً من شرط التواتر استواء مراتب الرواة في البلوغ إلى حدِّ التواتر، والعـلم بـذلك

---

١. انظر الفرع الثانى من كتاب الاقتراح، ص ٥٩.

٢. انظر الفرع العاشر من الاقتراح، ص ٧٤.

٣. في النسخة: كلفظة.

لا يحصل. فإنَّ غاية ما نعلمه التواتر في زماننا، وأمّا تواتر المخبرين الَّذين أخبروا مَن أخبرونا وهكذا، فهو غير معلوم. فإنَّ هؤلاء الأستاذين الَّذين يعلِّموننا لا يقولون: أخبرنا فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ عن فلانٍ وفلانٍ وفلانٍ وهكذا، بل قد اشتهر أنَّ منتهى هذه العلوم إلى الخليل وأبي عمرٍو والأصمعي وأقرانهم، وهؤلاء لم يبلغوا حدَّ التواتر ولا كانوا معصومين، بل غاية ما نعلمه أنَّ الكلَّ ليست كذباً. وأمّا كلّ واحدٍ ممّا يريد تصحيحه فيحتمل كذبه.

وأمّا الثاني: فلا؛ إلَّا إذا لم يكن الراوي في شيءٍ من المراتب مجروحاً، ورواة اللغة ليسوا كذلك. بيانه: أنَّ أصل الكتب المصنَّفة في النحو واللغة: كتاب سيبويه وكتاب العين. أمَّا الأوَّل فقد قدح فيه وفي صاحبه الكوفيُّون، والمبرِّد مع أنَّه من أجلِّ البصريِّين قد أفرد كتاباً في القدح فيه. وأمَّا الثاني فقد أطبق جمهور أهل اللغة على القدح فيه. وأيضاً: فإنَّ[1] ابن جنِّيٍّ أورد في الخصائص باباً في قدح أكابر الأدباء بعضهم في بعضٍ، وتكذيب بعضهم بعضاً؛ وأورد باباً آخر في لغة أهل المدر[2]، وقصد بذلك القدح في الكوفيِّين[3]. وروى عن رؤبة وأبيه العجَّاج: أنَّهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاه ولا سبقا إليها[4]. والأصمعي كان منسوباً إلى الخلاعة ومشهوراً بأنَّه كان يزيد في اللغة ما لم يكن منها. و[على ذلك] قال المازنيُّ: «ما قيس على كلام العرب فهو كلامهم»[5].

ثمَّ قال: «والجواب عن الإشكالات كلِّها: أنَّ اللغة والنحو والتصريف قسمان:

قسمٌ متواترٌ عِلْمنا به ضروريٌّ، كما أنَّا نعلم ضرورةً أنَّ لفظ السماء والأرض والنار والماء ونحوها كانت بهذه المعاني الَّتي نفهم منها الآن أبداً في زمن النبيِّ ﷺ وقبله وبعده؛

---

١. في النسخة: فابن.

٢. في النسخة: المدن.

٣. انظر الخصائص، ج ٢، ص ٤٨١ باب في سقطات العلماء، أيضاً، ج ١، ص ٣٩٣.

٤. انظر كلام ابن جنى في الخصائص، ج ٢، ص ٤١١.

٥. هذا التلخيص مضطرب المعنى والأصح ما في الاقتراح بعد الكلام عن الرؤبه وأبيه: وعلى ذلك قال المازنى... وأيضا فالأصمعى الخ. الاقتراح، ص ٨١.

وقسمٌ آخر مظنونٌ، وهو الألفاظ الغريبة، ولا طريق إلى معرفتها إلَّا الآحاد. وأكثر ألفاظ القرآن ونحوه وصرفه من الأوَّل، فيصحُّ التمسُّك به في القطعيَّات.

وأمّا الَّذي من القسم الثاني فيتمسَّك به في الظنِّيَّات»[١].

أقول: ولا سيَّما إذا ضُمَّ إلى ذلك أصالة عدم النقل؛ وإنَّا لم نُكلَّف إلَّا بما فهمناه على قدر وُسعنا.

وأجيب عن الإشكال الأوَّل /B6/ على التواتر: أنَّه لايلزمنا إلَّا فهم أصل المعنى من اللفظ، وأمّا كونه في الأصل عربيّاً أو دخيلاً فيه، وأنَّه مشتقٌّ أو لا، وأنَّ وضعه لهذا المعنى باعتبار هذا المعنى أو ذاك، إلى غير ذلك من خصوصيَّات اللفظ أو المعنى أو الدلالة فليس علينا معرفتها[٢].

فروعٌ[٣]

الأوَّل

المسموع مطَّردٌ، أو شاذٌّ. قال ابن جنِّيٍّ في الخصائص: «إنَّ المطَّرد ما استمرَّ من الكلام في الإعراب وغيره من مواضع الصناعة؛ والشاذُّ ما فارق ما عليه بقية بابه وتفرَّد عنها. ثمَّ كلٌّ منهما إمَّا على حسب القياس، أو الاستعمال. فالمطَّرد قياساً واستعمالاً كرفع الفاعل؛ وقياساً لا استعمالاً كالماضي من يذر ويدع وبالعكس ـ كأبى يأبى، واستحوذ، وعور ـ؛ والشاذُّ مطلقاً كقولهم مصوون»[٤].

وقال ابن هشام: «إنَّهم يستعملون: المطَّرد؛ والغالب؛ والكثير؛ والقليل؛ والنادر. فالمطَّرد ما لايتخلَّف؛ والغالب يتخلَّف قليلاً؛ والكثير دونه؛ والنادر دون القليل».

---

١. هذا كلُّه تلخيص قول الإمام وليس بنصِّه. أنظر: الاقتراح، ص ٧٨ ـ ٨٣.

٢. الاقتراح: «قوله: وأجيب عنه بأنه وإن لم يمكن دعوى التواتر ...»، ص ٧٩.

٣. الاقتراح، ص ٥٨.

٤. هذا هو نقل كلامه بالمعنى فانظر الاقتراح، ص ٥٨ والخصائص، ج ١، ص ١٣٧ ـ ١٤١.

الثاني[١]

المسموع ـ الَّذي لايكون له نظيرٌ، لكن يكون العرب قد أطبقت على استعماله ـ حجَّةٌ. وأمّا إذا كثر القائلون بلفظٍ يكون ضعيفاً من جهة القياس، فإن لم يكونوا موثوقاً بهم فلااعتداد به؛ وإن كانوا ثقاتٍ في الفصاحة احتمل أحد أمرين:

إمَّا أن يكون صحيحاً ونحن لا نعرف وجهه؛

وإمَّا أن يكون من لغةٍ غير فصيحةٍ أدخله الفصيح في لغته وأكثر من النطق بـه. ولكـن الأخير بعيدٌ جدّاً من الأعراب، فإذا لم يعلم أنَّه هكذا حكم بصحَّته.

الثالث[٢]

إن تفرَّد رجلٌ بلفظٍ، فإمَّا أن لايكون القياس ممَّا يأباه وكان الرَّجل مـوثوقاً بـفصاحته لم يسمع منه لحنٌ، فلابدَّ من قبوله. ولا يمكن أن يقال: إنَّـه بـنفسه ارتـجله، فـإنَّه يـجوز أن يكون قد وجده من كلام القدماء الَّذي ترك التكلُّم به الآن. فقد روى عن أبي عمرو بـن العلا أنَّه قال: «ما انتهى إليكم ممَّا قالت العرب إلَّا أقلُّه، ولوجاءكم وافره لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثيرٌ». وعن عمر بن الخطَّاب أنَّه قال: «كان الشعر علم قومٍ ولم يكن لهم علمٌ أصحَّ منه، فجاء الاسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد وغزو[٣] فارس والروم، ولهت[٤] عن الشعر وروايـته. فلمَّا كثر الإسلام وجاءت الفتوح واطمأنَّت العـرب فـي الأمـصار راجـعوا روايـة الشـعر فلم يؤوِّلوا إلى ديوانٍ مدوَّنٍ ولا كتابٍ مكتوبٍ، وألفوا ذلك، وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل، فحفظوا أقلَّ ذلك وذهب عنهم كثيره»[٥].

---

١. انظر الفرع الثالث من الاقتراح، ص ٦١. وهذا الذى نقله ﷺ تلخيص ما لخصه السيوطى من كلام ابن جنى. انظر الخصائص، ج ١، ص ١٥٤.

٢. الاقتراح من الفرع الثالث، ص ٦١ ـ ٦٣؛ الخصائص، ج ١، ص ١٥٤.

٣. في النسخة: غرى.

٤. في النسخة: الهت.

٥. في النسخة: كثره أو كبره.

وأمّا إذا خالف القياس فلابدَّ من ردِّه، لأنَّه خالف السماع والقياس. وكذا إذا كان الرَّجل مألوفاً منه اللحن والفساد.

وأمّا إذا لم يرد ما يوافقه ولا ما يخالفه، فإن كان موثوقاً بفصاحته قُبل، لأنّه إمَّا أن أخذه من كلام القدماء، أو ارتجله هو بنفسه. فإنَّ الأعرابي إذا قويت فثاحته ارتجل بنفسه ألفاظاً، كما يُروَى عن رؤبه وابنه[١].

الرابع[٢]

إذا انتقل الفصيح إلى لغةٍ أخرى غير لغته، فإن كانت فصيحةً أخذ بها ـ كما يؤخذ بما انتقل عنها ـ؛ وإن كانت فاسدةً فلا، بل إنَّما يؤخذ بالأولى.

ولا يلتفت إلى احتمال أن يكون الأولى أيضاً منقولاً إليها من لغةٍ فاسدةٍ، فإنَّه يصحُّ الأخذ بما لم يعلم /A7/ فساده. ولا يضرُّ احتمال الخلل، وإلَّا لانتفى الاحتجاج بكلام الفصحاء رأساً[٣].

الخامس[٤]

إذا اجتمع في كلام الفصيح في لفظٍ لغتان أو أكثر، فإمَّا أن يكونا متساويين في الاستعمال، أو لا؛ فإن تساويا حمل على أنَّ قبيلته تواضعت وتصالحت عليها، فإنَّ ذلك من عادتهم لتوسُّع مجال الكلام. ويحتمل أن يكون إحدى اللغتين لغته الأصليَّة والأخرى من لغةٍ أخرى أخذها واستعملها وأكثر من استعمالها حتَّى ساوت الأولى.

وأمّا إذا غلبت إحداهما على الأخرى في الاستعمال فالأخلق أن يكون الأغلب هو لغته الأصليَّة والأخرى هي الطارئة. ويحتمل أن يكون كلتاهما من لغته، إلَّا أنَّه قلَّ استعماله لإحديهما، لضعفها في نظره وبالنظر إلى قياسه.

---

١. الخصائص، ج ١، ص ٤١١.

٢. انظر الفرع السادس من الاقتراح، ص ٦٦.

٣. الخصائص، ج ١، ص ٣٩٨.

٤. انظر الفرع السابع من الاقتراح، ص ٦٧ ـ ٦٩ وهذا الفرع ملخص ما في الخصائص، ج ١، ص ٣٦٨.

وقد يكون بعض اللغات من باب تداخل اللغتين ـ كـ«قلا يقلا»، فإنَّ «قلا يقلي» لغـةٌ، و«قلا يقلا» لغةٌ أخرى، فأخذ صاحب اللغة الأولى مضارع الثانية، أوصاحب الثانية ماضي الأولى، فحدث لغةٌ ثالثةٌ هي: «قلا يقلا» ـ.

فهل يجوز التداخل أم لا؟ حُكي عن ابن جنّيٍّ روايتان:

إحديهما: أنَّه يجوز مطلقاً؛

والأخرى: إنَّما يجوز إذا لم يؤدِّ إلى لفظٍ مبهمٍ ـ كالحُبك[1] ـ.

والحقُّ أنَّه إذا أدَّى إليه لايجوز؛ وأمَّا إذا لم يؤدِّ فإن كان صاحب هذا التداخل فصيحاً، يعتبر ما ارتجله بنفسه وكان المرتَجَل مقبولاً لا مردوداً، كأنَّ هذه اللغة الثالثة أيضاً حكمها كحكم المرتجِل، وإلَّا فلا اعتداد به[2].

السادس

إذا دخل الدليلَ الاحتمالُ سقط به الاستدلال[3]. فلااستدلال بما يحتمل التأويل، بل لابدَّ من التأويل إن خالف القياس، إلَّا إذا كان شاذّاً فلايهتمُّ بأمره ولا يأوِّل، كما قال ابن سرَّاجٍ ـ بعد أن قرَّر أنَّ اسم التفضيل لايأتي من الألوان والعيوب ـ.

فإن قيل: قد أنشد بعض النَّاس:

يا ليـتني مـثلك فـي البـياض أبيض من أخت بـني أبـاض[4]

فالجواب: إنَّ هذا محمولٌ على فسادٍ. وليس البيت الشاذُّ والكلام المحفوظ بأدنى إسنادٍ حجَّةً، وإنَّما يركن إلى هذا ضعفة أهل النحو ومن لا حجَّة معه، فتأويل هـذا ومـا أشـبهه كتأويل ضعفة أصحاب الحديث وأتباع القصاص في الفقه[5].

---

١. في النسخة: الحِبك. وهو في قوله ـ تعالى ـ: ﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ﴾ الذرايات: ٧؛ وهـو طـرائـق النـجوم أو الخلق الحسن أو الطرائق الحسنة، والأخير ما فُسِّر به قوله ـ تعالى ـ.

٢. هذا رأي الفاضل ﷺ.

٣. انظر الفرع الثالث عشر من الاقتراح، ص ٧٦.

٤. الشعر لرؤبة بن العجاج والشطر الأول منه: تقظ الحديث بالايماض.

٥. انظر كلام ابن سراج في الفرع الحادى عشر من الاقتراح، ص ٧٥.

وكذا لا يأوَّل[١] ما اختصَّ بطائفةٍ، إذ يجوز أن يكون ذلك من خواصِّ تلك اللغة. ومن ذلك ردُّ تأويل أبي عليٍّ: «ليس الطِّيبُ إلَّا المسك» بأنَّ في ليس ضمير الشأن؛ لأنَّ أباعمروٍ نقل أنَّ ذلك لغة تميمٍ[٢].

* * *

الكتاب الثاني: في الإجماع[٣]

وهو هنا قسمان:

إجماع العرب؛

وإجماع النُّحاة.

أمّا الأوَّل فمعتبرٌ ضرورةً، وفي حكمه الشهرة بينهم. وكذا إن يقع من أحدٍ ما سمعوه ولم ينكروا عليه؛ ولذا قال ابن مالكٍ في شرح التسهيل[٤]: «استُدلَّ على جواز توسيط خبر «ما» الحجازيَّة ونصبه بقول الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاد اللَّه نعمتهم ... اذ هم[٥] قريش واذ ما مثلهم بشر[٦]

وردّه المانعون بأنَّ الفرزدق تميميٌّ، فتكلَّم بهذا معتقداً جوازه عند الحجازيِّين، فلم يصب. ويُجاب بأنَّ الفرزدق كان له الأضداد من الحجازيِّين والتميميِّين، ومِن مُناهم أن يظفروا

---

١. في النسخة: لاويل.

٢. وانظر الفرع الثاني عشر من الاقتراح، ص ٧٥.

٣. الاقتراح ص٨٨.

٤. شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٥٥.

٥. «إذ هم» ساقطةٌ من النسخة.

٦. الشعر للفرزدق. انظر: ديوان الفرزدق، ج ١، ص ١٨٥؛ المعجم المفصل في شواهد النحو الشعرية، ج ١، ص ٣٦٢؛ الكتاب، ج ١، ص ٦٠١؛ المغني اللبيب، ج ١، ص٩٣ ـ ٣٥٢ ـ ٤٨٧ ـ ٥٦٥؛ شرح التسهيل، ج ١، ص ٣٥٥.

له[١] بزلّةٍ يُشنِّعون بها عليه، مبادرين لتخطئته. /B7/ ولوجرى شيءٌ من ذلك لتوفَّر الدواعي على التحدُّث بمثل ذلك إذا اتَّفق؛ ففي عدم نقل ذلك دليلٌ[٢] على إجماع أضداده الحجازيِّين والتميميِّين على تصويب قوله»؛ انتهى.

والَّذي يمكن من تحصيل إجماع العرب ـ كلِّهم أوقبيلةٍ منهم ـ، إنَّما هو الشهرة الَّتي يغلب الظنَّ معها بأنَّ اللغة عندهم هذا المشهور، أو سكوت كلّ من سمع منهم. وأمّا الإجماع الحقيقي فلايتصوَّر العلم به هنا.

وأمّا الثاني ـ وهو إجماع النُّحاة ـ، فيُراد به إجماع أهل البلدين ـ: البصرة والكوفة ـ. وإنَّما يكون حجّةً إذا لم يخالف نصّاً أو مقيساً على منصوصٍ، فإنَّ حجيَّة إجماعهم ليست ممَّا نطق بها الكتاب ولاالسنَّة، بل إنَّما هي لحُسن ظنِّنا بهم، وأنَّهم لا يجمعون ما لم يفتِّشوا ويدقِّقوا، فلايكون لنا أن نخالفهم إلَّا بعد اتقانٍ أو إمعانٍ.

ولأحدٍ[٣] أن يرتجل من نفسه مذهباً إذا لم يخالف النصَّ والمقيس عليه، وإن خالف الإجماع؛ كما أنَّه قد أُجمِع على شذوذ نحو: «جحرُ ضبٍّ خربٍ». ثمَّ لنا أن نقول: ليس بشاذٍّ، بل أصله: «جحرُ ضبٍّ خربٍ جحرُه»، فحذف «الجحر» وأوصل الضمير.

هذا؛ وأمّا إجماعهم على أمرٍ معنويٍّ ـ كإجماعهم على أنَّ لِـ«مَن» الشرطيَّة موضع إعرابٍ، فالحقُّ أنَّه ليس بحجَّةٍ، إلَّا أنَّه لا يمكن مخالفته إلَّا إذا ظهر وجه تعارضٍ منشأ إجماعهم ويغلبه. وأمّا إذا لم يكن كذلك، فينبغي أن يذكر على سبيل الاحتمال.

وإذا جاز خلاف الإجماع في الأمر اللفظي والمعنوي بالشرط المذكور، جاز اختراع مذهبٍ ثالثٍ غير مذهبين أُجمِع عليهما اجماعاً مركّباً، سواءٌ كان مأخوذاً منهما أو لا، ولكن بالشرط المذكور[٤].

* * *

---

١. «له» ليس في كلام ابن مالك الَّذي نقله السيوطي في الاقتراح. انظر الاقتراح، ص ٩٠.
٢. النسخة: ـ دليلٌ.
٣. في النسخة: أحد.
٤. هذا ما لخصه الفاضل من مجموع كلام السيوطي في الاجماع. أنظر الاقتراح، ص ٨٨ ـ ٩٣.

الكتاب الثالث: في القياس[١]

اعلم! أنَّ جلَّ دليل النحو هو القياس، ولذا قيل في حدِّه: النحو علمٌ بالمقائيس المستنبَطة من استقراء كلام العرب. ولو لم يكن القياس لايبقى أكثر المعاني وبقيت غير معبَّرٍ عنها بعبارةٍ، فإنَّه إذا قالت العرب: «ضرب زيدٌ»، فلولم يعلم أنَّه يقال: «ضرب بكرٌ وخالدٌ» ـ وغير ذلك ـ قياساً، لم يمكن تصحيح[٢] هذه الأقوال الغير المحصورة.

ولاشكَّ أنَّ النقل في الأمور الغير المحصورة غير ممكنٍ، فلابدَّ من القياس. وهذا بخلاف اللغة، اذ لا قياس فيه؛ ألا ترى أنَّ «القارورة» سُمِّيت به لاستقرار الشيء فيه، و«الدبران» سُمِّي به لأنَّه في دبر الثُّريا؛ و«الدار» سُمِّيت به لاستدارتها، ولا يمكن قياس أشياء أخر بها وتسميتها بهذه الأسماء؟!

إذا علمت هذا فاعلم! أنَّ للقياس أربعة أركانٍ:

الركن الأوّل[٣]: الأصل، وهو المقيس عليه. وشرطه[٤] أن لايكون شاذّاً[٥] ـ لابحسب الاستعمال ولابحسب قياسٍ آخر ـ، فلايُقاس عليه لا نطقاً ـ كالقياس على «ألى يألي» و«استحوذ» ونحوهما ـ، ولا تركاً ـ كالقياس على ماضي «يدع» و«يذر» ـ.

ولايشترط أن يكون كثيراً[٦]، فقد يُقاس على القليل إذا وافق القياس ولم يأت شيءٌ

---

١. الاقتراح، ص ٩٤.

٢. لم أتمكّن من قراءة هذه اللفظة.

٣. الاقتراح، ص ٩٦.

٤. النسخة: شرط.

٥. انظر المسألة الثانية من الفصل الأول من كتاب القياس. الاقتراح، ص ٩٩. قال في الخصائص: واعلم! أنّ الشيء إذا اطّرد في الاستعمال وشذّ عن القياس فلابدّ من اتّباع السمع الوارد به فيه نفسه، لكنّه لايُتخذ أصلاً يُقاس عليه غيره (ج ١، ص ١٤٠).

٦. انظر: المسألة الثالثة من الفصل الأوّل من كتاب القياس. الاقتراح، ص ٩٩؛ الخصائص، ج ١، ص ١٥٤.

ينقضه، كما يُقاس على ما جاء في النسبة إلى «شَنوة» من «شَـنَئي»[١]، نـحو: رَكَـبي فـي رَكوبة، وحَلَبي في حَلُوبة، وكذا كـلُّ نسـبةٍ إلى فـعولة غـير مـضاعفٍ، مـع أنَّـه لم يأت إلَّا «شنائي» في شـنوة. وأمّـا المـضاعف فـإنَّما لايـقاس، لمشـاركته فـعلية المـضاعف ولم يأت /A8/ فيها مثله، فـلم نقل فـي «جـليلة»: «جـللي»، بـخلاف «حـنيفة» إذ يـقال فيه: «حنفي».

قال أبوالحسن: «فإن قلت: إنَّما جاء هذا في حرفٍ واحدٍ؛

فالجواب: إنَّه جميع ما جاء».

ولايقاس على الكثير إذا خالف القياس، كما لا يقاس على ثقفي وقرشي وسلمي فـي ثقيف وقريش وسليم، فلايقال في كريم: كرمي، ولا في سعيد: سعدي.

* * *

واعلم! أنَّه كما يصحُّ قياس النثر بالنثر يصحُّ قياس الشعر بالشعر[٢]، فلنا أن نتبعهم فـي الضرورات الَّتي أجروها[٣] في أشعارهم ـ إذ لا فرق بين النثر والنظم ـ.

ولا يمكن أن يقال: لايمكن قياس نظمنا على نظمهم، فإنَّ نظمهم كان بالارتجال ونظمنا يكون بالترسُّل، فضرورتهم أشدُّ من ضرورتنا؛

لأنَّ الارتجال في مطلق أشعارهم. ثـمَّ لِـمَا رُوي أنَّ زهـيراً عـمل سـبع قـصائد فـي سبع سنين، ولذا سُمِّي «حوليَّات زهيرٍ»؛ وعن ابن أبي حفصة قال: «كنتُ أعمل القـصيدة في أربعة أشهر، وأحكِّكها في أربعة أشهر، وأعرضها في أربـعة أشـهر، ثـم أخـرج بـها إلى الناس»؛

وكذا كون الترسُّل في مطلق أشعار المولَّدين، فمَن يرتجل منهم كثيرٌ.

---

١. في النسخة: شنائي.

٢. انظر: المسألة الأولى من الفصل الأوَّل من كتاب القياس. «الاقتراح، ص ٩٨».

٣. في النسخة أخروها.

فرعان

الأوَّل

يجوز تعدُّد المقيس عليه كلمةً واحدةً كما قيس «أيّ» في الإعراب على نظيرتها «بعض»، وعلى نقيضتها «كلّ»[١].

الثاني

اعلم! أنَّ القياس على أربعة أقسامٍ[٢]:

قياس الفرع على الأصل؛

وبالعكس؛

وقياس النظير على النظير؛

وقياس الضدِّ على الضدِّ.

قال السيوطي: «وينبغي أن يُسمَّى الأوَّل والثالث: قياس المساوي، والثاني: قياس الأولى، والرابع: قياس الأدون»[٣].

فالأوَّل كإعلال الجمع لإعلال الواحد، كـ: «قيم» و«ديم»؛ وتصحيحه لتصحيحه كـ: «ثورة».

والثاني كإعلال المصدر وتصحيحه لإعلال الفعل وصحَّته، كـ«قمتُ قياماً» و«قاومتُ قوماً»، وحمل الاسم على الفعل والحرف، وفي البناء ومنع الصرف، وحمل ليس وعسى في عدم التصرُّف على ما ولعلَّ[٤]. ويجوز تشبيه الأصل بالفرع في المعنى الَّذي أفاده إيَّاه ـ على ما قاله سيبويه في «الحَسَن الوجهَ» بالنصب: «أنَّ نصبه للتشبيه

---

١. انظر: المسألة الخامس من الفصل الأوَّل من كتاب القياس. الاقتراح، ص ١٠٧.

٢. انظر المسألة الرابعة من الفصل الأوَّل من كتاب القياس. الاقتراح، ص ١٠١؛ الخصائص، ج ١، ص ٣٠٦ـ٣١٧.

٣. الاقتراح، ص ١٠١.

٤. الاقتراح، ص ١٠٥.

بالضارب الرَّجل، مع أنَّ جرَّه للتشبيه [١] بالحسن الوجه» [٢].

قال في الخصائص: «وهذا شيءٌ ليس مختصّاً بالرأي، بل هو مأخوذٌ من العرب. فإنَّ من عادتهم أنَّهم يشبِّهون كلمةً بالأخرى في حكمٍ، ثمَّ إذا أرادوا أن يمكِّنوا فيها ذلك الحكم جعلوها كالأصل، فشبَّهوا بها أصلها. كما شبَّهوا المضارع بالاسم في الإعراب، ثمَّ شبَّهوا اسم الفاعل به في العمل، وشبَّهوا الوصل بالوقف وبالعكس وأجروا المتعدِّي مجرى اللازم وبالعكس، والضمير المتَّصل مجرى المنفصل وبالعكس» [٣].

وأمّا الثالث ـ وهو قياس الشيء على نظيره ـ، فقد يكون النظير [٤] فيما يتعلَّق باللفظ، كتوكيد المضارع بالنون بعد «لا» النافية، حملاً لها على «لا» الناهية؛ وقد يكون فيما يتعلَّق بالمعنى، كحمل «غير قائمٍ الزيدان» على «ما قائمٌ الزيدان»؛ وقد يكون فيهما، كحمل أفعل التفضيل على أفعل التعجب في منعِ رفع الاسم، لتشابههما وزناً وأصلاً وافادةً للمبالغة [٥].

وأمّا الرابع ـ وهو حمل الشيء على مقابله ـ، فقد مثَّل له السيوطي بحمل نصب «لم» على جزم «لن»، قائلاً: أنَّ الأولى /B8/ لنفي الماضي والثانية لنفي المستقبل، وهما متقابلان.

نقل عن الجزوليَّة أنَّه قال فيه: «إنَّه قد يُحمل الشيء على مقابله، وقد يُحمل على مقابل مقابله، وقد يُحمل على مقابل مقابل مقابله. مثال الأوَّل: «لم يضرب الرجل»، حُمل الجزم على الجرِّ؛ ومثال الثاني: «ليضرب الرجل» [٦]، حُمل الجزم عى الكسر ـ الَّذي هو مقابل الجرِّ من جهة أنَّ الكسر في البناء مقابل الجرِّ في الإعراب ـ؛ ومثال الثالث: «اِضرب

---

١. النسخة للسببية.

٢. والَّذي في الاقتراح: ومن ذلك الأصل تجويز سيبويه في قولك: هذا الحسن الوجه، أن يكون الجرّ في الوجه تشبيهاً بالضارب الرجل، الَّذي إنّما جاز فيه الجرّ تشبيهاً بالحسن الوجه. الاقتراح، ص ١٠١ ـ ١٠٢. قال سيبويه: فالمضاف قولك: هذا حسن الوجه وهذه حسنة الوجه، فالصفة تقع الحسن في المعنى للوجه، والضرب ههنا الأوَّل ـ راجع: الكتاب، ج ١، ص ١٩٥. وانظر الخصائص، ج ١، ص ٢٠٩ و٣٠٣.

٣. لخص الفاضل ما لخصه السيوطي من كلام ابن جني. الاقتراح، ص ١٠١ ـ ١٠٤؛ الخصائص، ج ١، ص ٢١٣.

٤. النسخة: الناظرة.

٥. الاقتراح، ص ١٠٥ ـ ١٠٦؛ الخصائص، ج ١، ص ١٥٤.

٦. في الاقتراح: اضرب الرجل. ص ١٠٧.

الرجل»، حمل السكون فيه على الكسر ـ الَّذي هو مقابلٌ للجرِّ الَّذي هو مقابلٌ للجزم، والجزم مقابلٌ للسكون ـ[١].

وأقول: الظاهر انَّ هذه المقائيس كلَّها من باب حمل النظير على النظير، والصواب في المثال حمل «لم» على «إن» الشرطيَّة في الجزم، للتضادِّ بينهما؛ فإنَّ «إن» ينقل الماضي إلى الاستقبال و«لم» بالعكس. على أنَّ أمثلة صاحب الجزوليَّة ليست أمثلةً لِما نحن فيه. بل لا معنى للحمل الَّذي قاله فيها! فإنَّ الجرَّ والجزم والسكون هي الحالات الَّتي تقع متعلَّقاتٍ للحمل لاتصدق عليها أنَّها محمولاتٌ أو محمولٌ عليها.

الركن الثاني[٢]: المقيس، وهو في كلام العرب ـ كما قال المازنيُّ ـ: «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب، وإلَّا لم يكن نحو كرُم خالدٌ وبخل بشرٌ وضرب زيدٌ عربيّاً، إلَّا إذا تلفَّظ به العرب؛ فلايكون أكثر الكلام عربيّاً». ومعنى «كونه عربيّاً»: كونه موضوعاً عند العرب، فإنَّ الوضع إمَّا للَّفظ بشخصه، أو بنوعه؛ فاسم الفاعل من كلِّ فعلٍ عربيٌّ ـ لأنَّه موضوعٌ نوعاً ـ، وكلُّ مركَّبٍ من فعلٍ وفاعلٍ عربيٌّ ـ لأنَّه موضوعٌ نوعاً ـ، وهكذا نحو «خرجج» و«دخلل» و«ضربب» و«ضربرب» و«خرجرخ» و«شربرب»، قياساً على ما جاء من نحو: «سمحج» و«صمجمج»[٣]؛ ... إلى غير ذلك من الألفاظ المقيسة على ما ورد صريحاً في اللغة.

الركن الثالث[٤]: الحكم الَّذي فيه القياس. وهو أعمُّ من أن يكون ثابتاً في كلام العرب، وأن يكون ثابتاً بالاستنباط من كلامهم.

---

١. الاقتراح، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

٢. الاقتراح، ص ١٠٨؛ الخصائص، ج ١، ص ١٥٣، قال: واعلم! أنّ قوّة القياس عندهم اعتقاد النحويّين أن ما قيس على كلام العرب فهو عندهم من كلام العرب.

٣. في الاقتراح: صمحمح. ص ١٠٨.

٤. الاقتراح، ص ١١٠.

والقياس على كلٍّ صحيحٌ، أمّا على الأوّل فقد مرَّ له أمثلةٌ؛ وأمّا الثاني فكما يُقال: إنَّ اسم الفاعل على قوّة تحمُّله للضمير متى جرى على غير من هو له لم يحمل الضمير، فما ظنُّك بالصفة المشبهة باسم الفاعل؟ فإنَّ حكم الأصل مستنبَطٌ بالقياس على الفعل الرافع للظاهر[١].

ولا فرق في المقيس عليه بين أن يكون حكمه متَّفقاً عليه، أو مختلفاً فيه إذا وافق رأي القائس؛ كأن يقال: إنَّ «إلَّا» تنصب ما بعدها لقيامه مقام فعلٍ ناصبٍ، كما ينصب «يا» الندائيّة ما بعدها لذلك، فإنَّ في الأصل اختلافاً، وكون «يا» عاملةً على رأيٍ دون رأيٍ[٢].

الركن الرابع[٣]: العلَّة الجامعة. قيل:[٤] «شرط أن يكون هي الموجبة لحكم الأصل، وإلَّا لم يصلح لاثبات الحكم في الفرع. فلذا خطَّأ ابن مالكٍ البصريِّين في تعليلهم إعراب المضارع بمشابهته للاسم في الحركات والسكنات، والاشتراك والتخصيص؛ وقال: إنَّما العلَّةُ قبولهُ بصيغةٍ واحدةٍ معاني مختلفة لا يتميَّز إلَّا بالإعراب، فإنَّ هذه موجبةٌ للإعراب في الاسم والفعل. أمّا الأوّل: فلأنَّ قولك: ما أحسن زيدٌ، يصلح للنفي والتعجُّب والاستفهام ـ فالأوّل إذا رفع زيدٌ، والثاني إذا نصب، والثالث /A9/ إذا جُرَّ ـ. وأمّا الثاني فلأنَّ قولك: «لا تأكل السَّمك وتشرب اللبن» يصلح لأن يكون شرب اللبن فيه منهيّاً عنه بانفراده، ومع أكلٍ، وأن تكون مستأنفاً[٥] ـ فالأوّل إذا جُزم «تشرب»، والثاني إذا نُصب، والثالث إذا رُفع ـ».

---

١. هذا تلخيص كلام ابن جنى. الاقتراح، ص ١١٠؛ الخصائص، ج ١، ص ٢١٣.

٢. الاقتراح قوله: قال ابن الانبارى: أختلف في القياس على الأصل المختلف في حكمه ... . ص ١١١.

٣. الاقتراح، ص ١١٢.

٤. انظر المسألة السادسة، ص ١٢٤.

٥. عبارة السيوطي هكذا: فيحتمل النهي عن كلٍّ منهما على انفراده، وعن الجمع بينهما، وعن الأوّل فقط والثاني مستأنفٌ، ولا يبيّن ذلك إلَّا الإعراب. ص ١٢٥.

مسائل

الأولى[١]: اعلم! أنَّه قُسم اعتلال النحويِّين إلى صنفين:

علَّةٍ تطرد على كلام العرب وتنساق إلى قانون [لغتهم]؛

وعلَّةٍ تظهر الحكمة في كلامهم وتكشف عن صحَّته أغراضهم في موضوعاتهم، كما يُعلَّل رفع الفاعل بإسناد الفعل إليه.

والنُّحاة للصِّنف الأوَّل أكثر استعمالاً وأشدُّ تداولاً فيما بينهم.

وهي واسعة الشُّعب، إلَّا أنَّ المشهور منها أربعةٌ وعشرون:

١ ـ السماع؛ كما يقال: امرأةٌ ثدياء، ولا يقال: رجلٌ أثدى، لا علَّة له إلَّا السماع؛

٢ ـ التشبيه؛ كإعراب المضارع لمشابهته الاسم، وبناء بعض الأسماء لمشابهته الحرف؛

٣ ـ الاستغناء؛ كترك «ودع» للاستغناء بـ: «ترك»؛

٤ ـ الاستثقال؛ كحذف «واو» «يعد» لاستثقال «الواو» بين «الياء» و«الكسرة»؛

٥ ـ الفرق؛ كرفع الفاعل ونصب المفعول ليفرق بينهما، وفتح «نون» الجمع وكسر «نون» المثنَّى؛

٦ ـ التوكيد؛ كادخال «النون» في الفعل؛

٧ ـ التعويض؛ كالحاق «ميم» في «اللَّهُمَّ»؛

٨ ـ التناظر؛ ككسر أحد الساكنين إذا التقيا في الجزم، لأنَّه نظير الجرِّ؛

٩ ـ التناقض؛ كنصب اسم «لا» لأنَّه نقيض «إنَّ»؛

١٠ ـ الحمل على المعنى؛ كـ: جاءني نفس ـ بالتذكير ـ إذا عُبِّر بالنفس عن رجلٍ[٢]؛

١١ ـ المشاكلة؛ كصرف «سلاسلاً» في: ﴿سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً﴾[٣]؛

---

١. انظر المسألة الثانية من الاقتراح، ص ١١٥.

٢. المثال للفاضل وفي الاقتراح: «فمن جاءه موعظةٌ»، ذكر فعل الموعظة وهي مؤنّثةٌ حملاً لها على المعنى، وهو الوعظ. ص ١١٦.

٣. الانسان (٧٦): ٤.

١٢ ـ المعادلة ؛ كحمل النصب على الجرِّ في جمع المؤنَّث السالم ، كما حملوا الجرَّ على النصب للمعادلة بين النصب والجرِّ ؛

١٣ ـ المجاورة ؛ كجرِّ ما يجاور المجرور ، نحو : «ضربٍ» في قولهم : «جحرَضبٍ خربٍ» ؛

١٤ ـ الوجوب ؛ وهو علَّة نحو رفع الفاعل ؛

١٥ ـ الجواز ؛ وهو علَّة نحو الإمالة ؛

١٦ ـ التغليب ؛ نحو «ما» في قوله ـ تعالى ـ : ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَانِتِينَ﴾[١] ؛

١٧ ـ الاختصار ؛ كباب الترخيم ، و﴿لَمْ يَكُ﴾[٢] ؛

١٨ ـ التخفيف ؛ كالإدغام ؛

١٩ ـ دلالة الحال ؛ كحذف المبتدأ في قول المستهلِّ : الهلال ؛

٢٠ ـ الأصل ؛ كاستحوذ ، وصرف ما لاينصرف ؛

٢١ ـ الاشعار ؛ كقولهم في جمع «مصطفى» : «مصطفَون» ـ بفتح ما قبل «الواو» ـ ، اشعاراً بأنَّ المحذوف «ألفٌ»[٣] ؛

٢٢ ـ التضادُّ ؛ كالمنع من الغاء الأفعال الَّتي يجوز الغائها إذا تقدَّمت معمولاتها وأكِّدت بالمصدر ، لما بين الإلغاء والتأكيد من التضادِّ ؛

٢٣ ـ الأولويَّة ؛ كتقديم الفاعل على المفعول ؛

٢٤ ـ التحليل ؛ كالاستدلال على اسميَّة «كيف» بأنَّه ليس بحرفٍ ، لأنَّه يتمُّ مع اسم آخر كلاماً[٤] ، وليس بفعلٍ ، لأنَّه يقارن الفعل بلا فاصلٍ ، فهو تحليلٌ لأوصافه ونفيٌ لما[٥] يخالف المدَّعي حيث يثبت المدَّعى.

---

١. التحريم (٦٦) : ١٢.

٢. النحل (١٦) : ١٢٠.

٣. المثال في الاقتراح : موسون جمع موسى. ص ١١٧.

٤. كذا في النسخة.

٥. لفظة «لما» كرّرت في النسخة مرّتين.

الثانية[١]: اعلم! أنَّ العلل على قسمين:

موجبةٌ؛

ومجوِّزةٌ.

ثمَّ الموجبة على قسمين:

الأوَّل: ما لا يمكن التخلُّف عن مقتضاها طبعاً، كقلب «الألف» المضموم ما قبلها «واواً»، والمكسورة ما قبلها «ياءً»، وعدم الابتداء بالساكن، وجمع ألفين متلاقيتين.

والثاني: ما يمكن أن يخالف مقتضاه طبعاً، لكنَّ الخلاف غير جائزٍ في نظر أهل الكلام، كرفع الفاعل /B9/ ونصب المفعول وإعلال ميزان. والمجوّزة خلاف مقتضاها أيضاً، ولا يكون لحناً ـ كأسباب الامالة ـ. وقد شاع تسمية الموجبة بالعلَّة، والمجوّزة بالسبب.

الثالثة[٢]: العلَّة إمّا بسيطةٌ، كالتعليل بالاستثقال والجواز ونحو ذلك؛

أو مركَّبةٌ، كتعليل إعلال ميزان بسكون «الواو» مع وقوعها بعد كسرةٍ.

الرابعه[٣]: الحقُّ أنَّه يجوز تعليل حكمٍ واحدٍ بعلَّتين فصاعداً. ومنعه بعضهم بتوهُّم أنَّ العلَّة ههنا شبيهةٌ بالعلَّة العقليَّة الموجبة، وهي لا يكون إلَّا واحدةً؛

ولا يخفى وهنه! مع أنَّه منقوضٌ بنحو «مسلميّ»، فإنَّ لإعلاله علَّتين:

إحداهما: احتمال «الواو» و«الياء» مع سكون السابق؛

والثانية: وجوب كسر ما قبل «ياء» المتكلِّم بقلب «الواو» «ياءً»، والإدغام وكسر ما يليه؛ وبنحو «سيّ» في: «لاسيَّما»، فإنَّ أصله «سِوى» ـ بكسر السين ـ، فقُلبت «واوه» «ياءً» لأمرين:

الأوَّل: وقوع «الواو» الساكنة بعد الكسرة؛

---

١. الاقتراح، ص ١١٩؛ الخصائص، ج ١، ص ١٩٢ أيضا.

٢. انظر المسألة الخامسة من الاقتراح، ص ١٢٣.

٣. انظر المسألة الثامنة في الاقتراح، ص ١٢٧ وانظر نص ابن جنى في الخصائص على ذلك في ج ١، ص ١٤٢ و١٨٥ وخاصة ٢٠٢ وغير ذلك.

والثاني: اجتماع «الواو» و«الياء» مع سكون المتقدِّم.

الخامسة[١]: يجوز أن يكون علّةٌ واحدةٌ لحكمين، أمّا إذا لم يتضادّا، فيجوز أن يكون الاعتبار أيضاً واحداً حتّى يكون شيءٌ واحدٌ من جهةٍ واحدةٍ علّةً لحكمين مختلفين، كما أنّ «إنّ» علّةٌ لنصب الاسم ورفع الخبر معاً.

وأمّا إذا تضادّا، فلابدّ من أن يكون الاعتبار مختلفاً، كما أنّ تحرُّك «الواو» من «القَوَد» علّةٌ لقلبها «الفاً» من جهة فتح ما قبلها؛ ولإبقائها على حالها من جهة أنّه بمنزلة «ألف» بعدها، فيكون[٢] الفعل كفعال[٣]؛ وكما أنّ قولنا: «ذهبتُ بزيدٍ» يصلح لأن يكون علّةً، لأنّ «الباء» الجارّة داخلةٌ في الفعل من جهة أنّها معاقبةٌ للهمزة في: أذهبت زيداً، ولأنّها داخلةٌ في المجرور من حيث إنّه لا يفصل بينهما.

السادسة[٤]: الدور في العلّة غير جائزٍ ـ وهو أن يكون الشيء علّةً لعلّته في الّذي هي علّةٌ له فيه ـ. كما فعله المبرِّد في نحو «ضربْت»، حيث علّل سكون آخر الفعل بتحرُّك الضمير لئلّا يتوالي عدّة حركاتٍ؛ وعلّل تحرُّك الضمير بسكون ما قبله! وأمّا إذا اختلفت الجهة فلا امتناع فيه، كما أنّ سيبويه علّل نصب «الوجه» في «الحسن الوجه» بالشَّبَه بـ«الضارب الرجل» بالنصب، وشبَّه «الضارب الرجل» بالجرّ بـ«الحسن الوجه» بالجرّ، فكلُّ علّةٍ لكلٍّ باعتبارٍ[٥].

السابعة[٦]: يجوز التعليل بالأمور العدميّة، كما يُعلِّل بعضهم بناء الضمير بأنّه مستغني

---

١. انظر: المسألة التاسعة من الاقتراح، ص ١٣٠. وأرجعه مصحّح الاقتراح إلى الخصائص، ج ١، ص ٣٤١، ولم نعثر عليه فيه.

٢. لفظة «فيكون» كرّرت في النسخة مرّتين.

٣. في الاقتراح: فكأن فعلا فعال. ص ١٣٠.

٤. انظر المسألة العاشرة من الاقتراح، ص ١٣١؛ الخصائص، ج ١، ص ٢٠٩.

٥. في الاقتراح: وهو نظير ما أجازه سيبويه في جرّ «الوجه» من قولك: الحسن الوجه، وأنّه جعله تشبيهاً بالضارب الرجل، مع أنّ جرّ الرجل تشبيهاً بالحسن الوجه، إلّا أنّ مسألة سيبويه أقوى من مسألة المبرد. ص ١٣١. ولا أدري لم بدّل مسألة الجرّ إلى النصب في مواضع من كلامه في هذه الكرّاسة.

٦. أنظر المسألة الثانية عشرة، ص ١٣٣.

عن الاختلاف بالإعراب باختلاف صِيَغه لحصول الامتياز به.

الثامنة[١]: العلَّة القاصرة عن العمل غير مسموعةٍ، كما يُعلَّل سكون ما قبل الضمير المرفوع المتَّصل بالفعل بأنَّه لولم يسكن توالت أربع حركاتٍ، فإنَّه لايجري في الثلاثي مع أنَّ الاستعمال يعمُّه وغيره. وأمّا العامَّة لجميع أفراد المعلَّل القاصرة عن غيرها فتصحُّ البتَّة، كما يُعلَّل نحو: «عسى الغوير أبوسا»[٢] بأنَّ «عسى» أُجري مجرى «صار»، وهذا لايستلزم جواز نحو «عسى زيدٌ قائماً» وغيره.

وأمّا ما يقال من: «أنَّ العلَّة إنَّما تراد للتعدية»؛ فممنوعٌ. وكذا ما يقال: «أنَّه لا فائدة للعلَّة هنا».

التاسعة[٣]: الحكم في محلِّ النصِّ هل يُثبت بالنصِّ أو بالعلَّة؟

فقيل بالنصِّ، لأنَّه مقطوعٌ به والعلَّة ظنِّيَّةٌ، /A10/ ولا يجوز التمسُّك بالمضنون مع وجود المقطوع به؛

وقيل: بل بالعلَّة، وإلَّا لم يمكن التعدِّي من محلِّ النصِّ، والعلَّة هي الداعية إلى الحكم المنصوص.

فصلٌ: في مسالك العلَّة

وهي ثمانيةٌ[٤]:

الأوَّل: إجماع أهل العربيَّة على أنَّ علَّة هذا الحكم هذه، كما أنَّهم أجمعوا على أنَّ علَّة تقدير الإعراب في المقصور التعذُّر، وفي المنقوص الاستثقال.

---

١. انظر المسألة السابعة، ص ١٢٥.

٢. في «الاقتراح»: «أنعما»، وفي نسخةٍ منه: أبوسا ـ طبعة مكتبة الصفا بمصر ـ.

٣. المسألة الرابعة، ص ١٢٢.

٤. «الاقتراح»، ص ١٣٧.

الثاني: نصُّ العرب، كما قال أبوعمرو: «سمعت رجلاً من اليمن يقول: فلان الغريب[١] جائته كتابي فاحتقرها؛

فقلت له: أتقول جائته كتابي؟!

فقال: نعم! أ ليس بصحيفةٍ».

الثالث: الإيماء من العرب، كما رُوي أنَّ الفرزدق حضر ابن أبي اسحاق، فقال له: «كيف تنشد هذا البيت:

وعَينَانِ قَالَ اللَّهُ كُونَا فَكَانَتَا فعُولَانِ بِالأَلبَابِ مَا تَفعَلُ الخَمرُ

فقال الفرزدق: كذا أنشد؛

فقال ابن أبي سحاق: ما كان عليك لوقلت فعولين؟!

فقال الفرزدق: لو شئتُ أن أُسبِّحَ لسبَّحتُ، ونهض؛ فلم يعرف أحدٌ في المجلس ما أراد!».

قال ابن جنِّيٍّ: «لونصب، لأخبر أنَّ اللَّه خلقهما وأمرهما أن يفعلا ذلك»[٢].

الرابع[٣]: السَّبر والتقسيم، وهو إمَّا للإبطال حسب، أوللإثبات. أمّا الأوَّل فكما تقول: لايجوز دخول «اللام» في خبر «لكن»، إذ لودخلته لم يخلُ إمَّا أن يكون «لام» التوكيد، أو «لام» القسم، وكلٌّ منهما باطلٌ؛ أمّا الأوَّل فلأنَّ «لام» التوكيد إنَّما يدخل خبر «إنَّ» ـ لأنَّها للتأكيد فتناسبها ـ، و«لكن» ليس كذلك؛ وأمّا الثاني فلأنَّ «إنَّ» يقع جواباً للقسم، بخلاف «لكن».

وأمّا القسم الثاني ـ وهو الَّذي للإثبات ـ كما يقال في وزن «مروان»: لايخلو إمَّا أن يكون «فعلاناً» أو «مفعالاً» أو «فعولاً»، لكن الثانيان باطلان ـ إذ لانظير لهما[٤] ـ؛ ويقال في نصب المستثنى بإلَّا في الكلام الموجب ـ كقولنا: «قام القوم إلَّا زيداً» ـ: لا يخلو إمَّا أن يكون

---

١. في الاقتراح: فلان لغوب. ص ١٣٧.

٢. وعقيبه في الاقتراح: وإنّما أرادهما تفعلان بالألباب ما تفعل الخمر، و«كان» هنا تامّةٌ غير محتاجةٍ إلى الخبر، فكأنّه قال: وعينان قال اللَّه احدثا فحدثتا. ص ١٣٩ الاقتراح؛ الخصائص، ج ٢، ص ٤٩٥.

٣. الاقتراح، ص ١٤٠ ـ ١٤٣؛ الخصائص، ج ٢، ص ٣٠٤.

٤. الخصائص، ج ٢، ص ٣٠٤.

بالفعل المتقدِّم بوساطة «إلَّا» أو بـ«إلَّا»، لأنَّها بمعنى استثني؛ أو بها، لأنَّها مركَّبةٌ من «إنْ» المخفَّفة و«لا»؛ أو لأنّ التقدير: «إلَّا أنَّ زيداً لم يقم»؛ والكلُّ سوى الأوَّل باطلٌ.

أمّا الثاني فلأنَّه إعمالٌ للحرف باعتبار معناه، وهو غير جائزٍ، إذ لوجاز لجاز الرفع أيضاً باعتبار «أمتنع».

وأمّا الثالث، فلأنَّ «إنْ» المخفَّفة لاتعمل، ولأنَّ الحرف إذا رُكِّب مع حرفٍ آخر كان له حكمٌ آخر.

وأمّا الرابع، فلأنَّ «إنْ» لا تعمل مقدَّرةً.

هذا؛ ولا يجب، بل يجوز أن يذكر في التقسيم الاحتمالات[1] الَّتي ...[2] عند العقل، ويحتمل وقوعها بادئ النظر، فلايذكر في وزن «مروان»: «فعوان» أو «مفعان»[3]، إذ ليس لهذين نظيرٌ؛ بخلاف «مفعال»، فانَّ نظيره «مِفعال» ـ بكسر الميم ـ واقعٌ؛ وكذا نظير «فعوال» ـ وهو «فِعوال» بالكسر ـ.

الخامس[4]: المناسبة، ويُسمَّى الإخالة ـ لأنَّ بها يُخال أنَّ الوصف علَّةٌ، أي: يُظنُّ ـ. ويسمَّى هذا القياس قياس العلَّة، وذلك بأنْ يحمل الفرع على الأصل بالعلَّة الَّتي هي السبب للحكم في الأصل، كحمل المفعول الَّذي لم يُسمَّ فاعله على الفاعل في الرفع بعلَّة الاسناد.

واختلف في أنَّه هل يجب على المستدلِّ أن يذكر العلَّة الَّتي علَّق عليها الحكم؟ أو لا؟

والحقُّ هو الثاني، فإنَّه يكفيه في تجويز تقديم خبر «كان» عليه أن يقول: إنَّه فعلٌ متصرِّفٌ كسائر الأفعال، فكما يجوز تقديم /B10/ معمولاتها عليها، يجوز تقديم معموله عليه. ولا يجب أن يذكر علَّة جواز تقديم معمولاتها عليها، بل المعترِض إذا أراد أن يعترض

---

١. النسخة: إلا الاحتمالات.

٢. لم أتمكّن من قرائتها، والضاهر: صحّت.

٣. في الاقتراح: مفوالا. ص ١٤٠. وانظر الخصائص، ج ٢، ص ٣٠٤.

٤. الاقتراح، ص ١٤٤.

ذكر أنَّ علَّة التقديم هناك هذا وهو لايوجد في «كان»، فحينئذٍ لابدَّ للمستدلِّ أن يجيب إمَّا باثبات أنَّ العلَّة ليست ذلك ـ بل أمرٌ آخر مشتركٌ بينهما ـ، أو باثبات أنَّ تلك العلَّة مشتركٌ بينهما.

السادس[١]: الشَّبه، وهو الحمل على الأصل لمشابهةٍ بينه وبين الفرع في غير الَّذي هو منشؤ الحكم، كحمل المضارع على الاسم في الإعراب لمشابهتها في الحركات والسَّكنات، أو لأنَّه يدخل عليهما «لام» الابتداء، أو لأنَّه يتخصَّص بعد الشياع. قال ابن‌الأنباري: «وقياس الشَّبه قياسٌ صحيحٌ يجوز التمسُّك به في الأصحِّ، كقياس العلَّة».

السابع[٢]: الطرد، أي: اِطِّراد الحكم، كما يقال: انَّ «ليس» مبنيٌّ لاطِّراد البناء في كلِّ فعلٍ غير متصرِّفٍ. وهو غير مقبولٍ البتَّة، فإنَّ الاطِّراد إنَّما يثبت إذا ثبت الحكم فيما فيه الكلام، فيلزم الدور المحال. وأمَّا ما زعمه بعضهم من كونه حجَّةً ـ متمسِّكاً تارةً بأنَّ الدليل على صحَّة العلَّة اطِّرادها، وهو هنا موجودٌ؛

وأخرى بأنَّ عجز المعترض دليلٌ على صحَّة العلَّة؛

وأخرى بأنَّه نوعٌ من القياس فيجب أن يكون حجَّةً ـ؛

فواهي جدّاً!؛ فإنَّ الاطِّراد ينفع هناك لأنَّه جعل دليلاً على صحَّة العلَّة، وهنا يجعل نفسه علَّةً، فبين المقامين فرقٌ بيِّنٌ.

وأمَّا عجز المعترض فيعارضه عجز المستدلِّ عن تصحيح العلَّة.

وأمَّا كونه قياساً، فلايوجب الحجِّيَّة إلَّا إذا كان فيه اخالةٌ أو شبهٌ، وليس هنا شيءٌ من ذلك.

الثامن[٣]: عدم الفارق، وذلك بأن يبيِّن أنَّه لا فرق بين الفرع والأصل إلَّا فيما لايؤثِّر في الحكم، فلزم اشتراكهما فيه؛ كما يُقاس الظرف على المجرور.

---

١. الاقتراح، ص ١٤٥.
٢. الاقتراح، ص ١٤٦.
٣. الاقتراح، ص ١٤٩.

[فصلٌ: في بيان القوادح في العلّة]

بقي فصلٌ في بيان القوادح في العلَّة[١]:

منها: النقض؛ وهو أن يوجد العلَّة في مادَّةٍ بدون الحكم، كما يقال: انَّ «قطام» بُني لاجتماع ثلاث عللٍ فيه، فيناقض ذلك بأنَّه قد اجتمعت ثلاث عللٍ في «آذربيجان» أيضاً مع أنَّه ليس بمبنيٍّ.

ودفعه إمَّا بمنع وجود العلَّة في تلك المادَّة؛

أو بمنع عدم الحكم فيها؛

أو باللفظ أو بمعنىً في اللفظ.

فالأوَّل كما يُمنع هنا اجتماع ثلاث عللٍ في «آذربيجان»؛

والثاني كما يقال في بيان جواز نصب الظريف في: «يا زيد الظريف»: انَّه وصفٌ بمنادى مفردٍ معرَّفٍ مضمومٍ؛ فيناقض بـ«الرجل» في: «يا أيُّها الرجل»؛ فيجاب بأنَّه يجوز فيه أيضاً النصب.

والثالث كما يقال: هذا مبتدأٌ، لأنَّه اسمٌ عرِّي عن العامل اللفظي لفظاً وتقديراً، فيناقض بنحو: إذا زيدٌ جائني أكرمتُه، فانَّ «زيداً» فيه اسمٌ عرِّي عن العامل اللفظي، مع أنَّه ليس بمبتدءٍ؛ فيدفع بأنَّا ذكرنا أنَّه يعرَّى عن العامل اللفظي لفظاً وتقديراً، وهذا ليس بعارٍ عنه تقديراً، لأنَّ[٢] ان التقدير: جائني زيدٌ جائني؟

والرابع كما يقال: إنَّما ارتفع يكتب لقيامه مقام كاتب؛ فيناقض بـ: كتب، فإنَّه أيضاً يقوم مقام الاسم، تقول: مررت برجلٍ كاتبٍ ويكتب وكتب؛ فيجاب بأنَّ مطلق القيام مقام الاسم لايوجب الرفع، إنَّما يوجبه في الفعل المعرَّب وهو /A11/ المضارع لا الماضي. فمعنى كلامنا: «انَّه فعلٌ مستحقٌّ للاعراب قائمٌ مقام الاسم» هذا. ومن القوم من جوَّز تخصيص

---

١. الاقتراح، ص ١٤٩.

٢. النسخة: وهذا ليس بعاري عنه تقديراً امّا أن التقدير.

الدليل، فحينئذٍ لايكون النقض متوجّهاً عليه.

ومنها: تخلُّف العكس[١]؛ كأنْ يوجد الحكم ولا يوجد العلَّة. والحقُّ أنَّه مقبولٌ إن كان التخلُّف في أفراد المستدلِّ على حكمه. كما يستدلُّ على سكون ما قبل مطلق الضمير المرفوع المتَّصل بالفعل بأنَّه لو تحرَّك لزم توالي أربع حركاتٍ؛ فيعترض بأنَّه لايجري إلَّا في الثلاثي. وأمَّا إذا كان التخلُّف في شيءٍ آخر فلافساد فيه، إذ يجوز أن يكون علَّته شيئاً آخر؛ كما يُستدلُّ على عدم انصراف «عمر» بأنَّه اجتمع فيه العَلَميَّة والعدل التقديريَّين، فهل يصحُّ الاعتراض عليه بأنَّ «أحمر» غير منصرفٍ وليس فيه هذه العلَّة؟ كلَّا!

ومنها: عدم التأثير[٢]؛ وهو أن يكون المذكور وصفاً لايناسب الحكم ولا يؤثِّر فيه، فلايجوز ذكره لا منفرداً ولا مع وصفٍ آخر؛ كما يقال: إنَّما ارتفع «طلحة» في: «جائني طلحة»، لأنَّه عَلَمٌ؛ أو يقال: لأنَّه مسندٌ إليه وعَلَمٌ، إلَّا إذا ذكر الوصف للاحتراز، فحينئذٍ يكون العلَّة هو المجموع منه ومن غيره؛ كما يقال: إنَّما مُنع «مساجد» من الصرف لأنَّه على زنة منتهى الجموع وليس فيه «هاء» التأنيث.

ومنها: القول بالموجب[٣]؛ وهو أن يقول الخصم: إنَّا أيضاً قائلون بموجب ما علَّلتَ به مذهبك، وهذا إنْ تمَّ انقطع المستدلُّ؛ وإن لم يتمَّ إلَّا في بعض الصور مع عموم العلَّة لم ينقطع، كما أنَّ البصري يستدلُّ على جواز تقديم الحال على عامله بـ: «أنَّه معمول الفعل المتصرِّف، وجواز تقديم معموله غير الحال ثابتٌ، فكذا الحال»؛

فيقول الكوفيُّ: «نحن نقول بموجبه، فإنَّا نجوِّز تقديمها إذا كان ذوالحال ضميراً»؛

فيُجيب المستدلُّ بأنَّ العلَّة تعمُّ هذه الصورة وغيرها ممَّا يكون ذوالحال منه ظاهراً.

ومنها: فساد الاعتبار[٤]؛ وهو أن يقال: إنَّ هذه العلَّة الَّتي أتى بها يخالف النصَّ من العرب. كمَن يستدلُّ على عدم جواز ترك صرف ما لاينصرف للضرورة بأنَّ الأصل في

---

١. الاقتراح، ص ١٥٢.
٢. الاقتراح، ص ١٥٣.
٣. الاقتراح، ص ١٥٥.
٤. الاقتراح، ص ١٥٦.

الاسم الصرف، فتركه تركٌ للأصل، وهو غير جائزٍ؛

فيقال له: إنَّه معارضٌ بأبياتٍ ثبتت من العرب قد ترك فيها صرف ما لاينصرف. وجوابه: إمَّا بمطالبته باثبات النقل؛ أو بالقدح في روايته؛ أو بتأويل متن المنقول، كما إذا استُدلَّ على جواز ترك صرف المنصرف لضرورة الشعر بقوله:

لقَد فاخَرَتْنا مِن قُريشٍ عِصابَةٌ بمَطٍّ خُدودٍ وامتِدادِ أصَابِعِ[1]

قيل: إنَّ «قريشاً» إنَّما مُنع من الصرف لتأويل مسمَّاه بالقبيلة، فيجتمع فيه العَلَميَّة والتأنيث؛

أو بمعارضة نصِّه بنصٍّ آخر، كما إذا استدلَّت الكوفيَّة على اعمال الأوَّل من المتنازعين بقوله:

فلَو أنَّ مَا أسعى لأَدنَى مَعيشَةٍ كفَانِي ولَم أَطلُبْ قَليل مِن المَالِ[2]

عُورض بقوله:

وكمتا مدمّاة كأنّ متونها جَرَى فَوقَها واستَشعَرَتْ لَونَ مَذهَبِ[3]

بفتح «لون»؛

أو باختلاف الرواية، كما إذا استُدلَّ على جواز مدِّ المقصور بقوله:

سيُغنِينِي الَّذِي أغنَاكَ عَنِّي ولَا فَقرٌ يَدومُ ولَا غِنَاءُ[4]

قيل: إنَّ الرواية «غَنا» ـ بفتح الغين، وهو ممدودٌ ـ؛

أو باظهار دلالة ما استدلَّ به على فساد ما استدلَّ عليه، كما أنَّ البصري يقول: إنَّ الدليل

---

١. الشعر ليحيى بن عبد الرحمن الحماني الكوفي؟ وفي النسخة: «جدود» بدل «خدود».

٢. الشعر لامرىء القيس، ونُسب إلى طاهر بن الحسين أمير الخراسان أيضاً. وروي: «أدعى» بدل «أسعى». أنظر: ديوان امرىء القيس، ص ٥٣؛ المعجم المفصّل في شواهد النحو الشعرية، ج ٢، ص ٧٥٦؛ الكتاب، ج ١، ص ٧٩؛ مغني اللبيب، ص ٢٥٦ و ٢٦٩ و ٤٨٠؛ المغرب، ج ١، ص ١٧٨. وفي النسخة: ولو أنّما.

٣. الشعر للطفيل الغنوي، وهو شاعرٌ جاهليّ. انظر: المعجم المفصّل في شواهد النحو الشعرية، ج ١، ص ١٢٨، والكتاب، ج ١، ص ٧٧. وفي النسخة: كمتا مرماة، باسقاط الواو من أوّلها وابدال الدال راءً.

٤. الشعر للإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام. ورواية الديوان: أغناه بدل أغناك، و: ولا ثراء بدل غناء. راجع: الديوان، ص ٣٧.

على كون المصدر أصلاً للفعل تسميته مصدراً، فإنَّه بمعنى الموضع الَّذي يصدر عنه الإبل، فلو لم يصدر عنه الفعل لم يصحَّ التسمية ؛

فيقول /B11/ الكوفيُّ: هل هذه التسمية حجَّةٌ لنا ؟ فإنَّه إنَّما سُمِّي مصدراً لأنَّه مصدورٌ عن الفعل ـ كما يقال: «مركبٌ فارهٌ» و«مشربٌ عذبٌ»، ويراد: «مركوبٌ» و«مشروبٌ» ـ.

ومنها: افساد الوزن [١] ؛ وهو بيان أنَّ المستدلَّ قد علَّق على العلَّة ضدَّ مقتضاه، كما أنَّ الكوفيّ يقول: إنَّما جاء التعجُّب من السواد والبياض لأنَّها أصلاَ الألوان ؛

فيقول البصريّ: كونهما أصلَيها يقتضي أن يكون امتناع التعجُّب منهما بالطريق الأولى، فإنَّ التعجُّب من الألوان إنَّما امتنع لأنَّها ثابتةٌ في محالِّها لازمةٌ لها، ولاشكَّ أنَّ اللزوم في الأصل أقوى.

وجوابه إمَّا بإبانة عدم اقتضاء الضدِّ ؛ أو إبانة أنَّه يقتضي الضدَّين باعتبارين.

ومنها: منع العلِّيَّة [٢] ؛ وذلك إمَّا أن يكون في الأصل ـ كما يقول البصريّ: إنَّما ارتفع المضارع لقيامه مقام الاسم وهو عاملٌ معنويٌّ، فأشبه الابتداء وهو يعمل الرفع في المبتدأ، فكذا ما أشبهه ؛ فيقول الكوفيّ: لا، نسلِّم أن الابتداء عاملٌ في المبتدأ ـ ؛

وإمَّا أن يكون في الفرع ـ كأن يقول البصري: الدليل على بناء الأمر أنَّ نحو: «نزالِ» و«تراكِ» بُني لقيامه مقام الأمر، فالأمر بطريق الأولى ؛ فيقول الكوفيّ: لا [٣]، بل لتضمُّنه «لام» الأمر ـ.

ومنها: المطالبة بتصحيح العلَّة [٤] ؛ والتصحيح إمَّا باثبات التأثير، أو باشهاد الأصول. فالأوَّل كما يقال: إنَّ بناء «قبل» و«بعد» على الضمِّ لاقتطاعهما عن الإضافة، فإذا طولب بصحَّة هذه العلَّة، قال: الدليل عليها التأثير ـ وهو وجود البناء مادام الاقتطاع ـ، فإذا زال بالإضافة زال البناء ثمَّ اقتطع عاد [٥].

---

١. الاقتراح، ص ١٦٠.

٢. الاقتراح، ص ١٦١.

٣. في النسخة : لا، ثم ان بنائه لقيامه مقام الأمر فالأمر.

٤. الاقتراح، ص ١٦٢.

٥. في الاقتراح : فإذا اقتطع عنها بنى، فإذا عادت الإضافة عاد الإعراب. الاقتراح، ص ١٦٢.

والثاني كما يقال: إنَّ بناء «كيف» و«أين» و«متى» لتضمُّنها معنى الحرف، فإذا طولب قال: إنَّ الأصول تشهد أنَّ كلَّ اسمٍ يضمن حرفاً وجب أن يكون مبنيّاً.

ومنها: المعارضة[١]؛ كما يقول البصريُّ في الاستدلال على إعمال الثاني من المتنازعين: إنَّه أقربهما إلى الاسم؛ فيعارضه الكوفيُّ بأنَّ الأوَّل أقدم استحقاقاً.

والحقُّ أنَّه مقبولٌ. وجوابه إبطال الدليل المعارض؛ أو إبانة وهنه؛ أوعدم دلالته على المقصود؛ أو تأييد الدليل بدليلٍ آخر ليقوي، فلايعارض.

تأديب[٢]

السائل ينبغي:

[١]: أن يكون مستفهِماً، ولذا قيل: ليس له مذهبٌ ـ أي: من حيث إنَّه سائلٌ ـ. وأمّا وجوب كونه ذا مذهبٍ حقيقةً، فغير معلومٍ، بل الأقرب العدم؛

[٢]: وأن يسأل عمَّا يصحُّ فيه الإبهام، كالسؤال عن حدِّ النحو وأقسام الكلام ونحوذلك، فلاسؤال عن وقوع النطق والكلام ونحو ذلك؛

[٣]: وأن لاينتقل عن سؤالٍ إلى سؤالٍ آخر إلَّا بعد أن ينقطع؛

[٤]: وأن يكون كلامه واضحاً لايستبهم على السؤال منه، كأن تقول: ما تقول في اشتقاق الاسم؟ ولا تقول: ما تقول في الاسم؟

[٥]: وأن يسأل من أهل السؤال، كان يسأل مسائل النحو من النحويِّ لا الطَّبيب.

هذا؛ والمجيب لابدَّ:

[١]: أن يتصدَّى للجواب بعد السؤال، فإن سكت كان قبيحاً؛

[٢]: وكذا إذا ذكر الجواب وسكت عن ذكر الدليل زمناً طويلاً. وقيل: بل يعدُّ منقطعاً، فإنَّ من تصدَّى لمنصب الاستدلال لابدَّ من أن يكون الدليل معدّاً في نفسه؛

---

١. الاقتراح، ص ١٦٣.

٢. في الاقتراح: تذنيب. ص ١٦٥.

[٣]: وأن يكون جوابه مطابقاً للسؤال بلا نقصانٍ ولا زيادةٍ.

مسألةُ[١]

إذا تعارضت العلل جاز /A12/الأخذ بأيِّها أختيرت، ويراعَى في ذلك الاستعمال، كعمل «ما» وعدم عمله، فإنَّ الحجازيِّين لمَّا رأوها يدخل على المبتدأ والخبر والخبر ليس عليهما، اعملوها عملها؛ وبني تميمٌ لمَّا رأوها حرفاً داخلاً على جملةٍ مستقلَّةٍ بنفسها مباشراً لكلٍّ من جزئها معنىً، لم يعملوها.

مسألةُ[٢]

طروُّ الضدِّ علَّةٌ لزوال الضدِّ، كما أنَّ دخول «اللام» علَّةٌ لزوال التنوين.

مسألةُ[٣]

إذا أدَّت الصيغة إلى الدور وجب الوقوف على أوَّل رتبة، مثلاً إذا اشتَقتَ من «قويَت» فقلت: «قِوائة»، فإذا كسرته قلت: «قَواء»، ثمَّ أبدلتَ همزته لتطرُّفها بعد «ألفٍ» ساكنةٍ «واواً» فقلت: «قَواو»، ثمَّ لمَّا اكتنفت «ألف» التكسير واوان، وجب أن يبدل «الواو» الأخيرة همزةً؛ فإن أبدلتَ عاد ما فررت عنه، فلايفعل ذلك، بل يقف على «قَواو».

خاتمةُ

اعلم! أنَّ العلل النحويَّة أقوى من العلل الفقهيَّة من جهة أنَّها نظير الحكمة، وهي أقوى منها من حيث إنَّه لايجوز مخالفة مقتضياتها. إلَّا أنَّ عدم الجواز ليس من جهة العلَّة، بل من جهة وجوب التعبُّد، فإنَّ علل النحوي من حيث هي هي، عللٌ أقوى من علل الفقيه[٤]، وأضعف

---

١. الاقتراح: المسألة الحادية عشرة من الفصل الرابع في العلة. ص ١٣٢.
٢. الاقتراح، ص ١٦٩؛ الخصائص، ج ٢، ص ٢٩٩.
٣. الاقتراح، ص ١٦٨؛ الخصائص، ج ١، ص ٢٣٧.
٤. النسخة: الفقه.

من علل الحكماء والمتكلِّمين، فإنَّها قاطعاتٌ ملجئاتٌ للعقول إلى الانقياد بحيث لا يمكن إنكار مقتضياتها.

قال صاحب المستوفى: «إذا استقرئت أصول هذه الصناعة علمتَ أنَّها في غاية الوثاقة، وإذا تأمَّلتَ عللها عرفت أنَّها غير مدخولةٍ»[١].

وقال ابن جنّيٍّ في الخصائص: «اعلم! أنَّ علل النحويِّين أقرب إلى علل المتكلِّمين منها إلى علل المتفقِّهين، وذلك أنَّهم إنَّما يحيلون على الحسِّ ويحتجُّون فيه بثقل الحال، أو خفَّتها على النفس؛ وليس كذلك علل الفقه، لأنَّها أعلامٌ وأماراتٌ لوقوع الأحكام، وكثيرٌ منه لا يظهر فيه وجه الحكمة ـ كالأحكام التعبُّديَّة ـ؛ بخلاف النحو، فإنَّ كلَّه أو[٢] غالبه ممَّا تدرك علَّته وتظهر حكمته»[٣].

وقال المصنِّف: «لاشكَّ أنَّ العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها، ألَا ترى إلى اطِّراد رفع الفاعل ونصب المفعول والجرِّ بحروفه والنصب بحروفه والجزم بحروفه وغير ذلك من التثنية والجمع والإضافة والنسب والتحقير وما يطول شرحه، فهل يحسن بذي لُبٍّ أن يعتقد أنَّ هذا كلَّه اتِّفاقٌ وقع وتواردٌ أُتِّجه؟»[٤].

أقول: هذه دعوى كاذبةٌ بيِّنة الكذب، فإنَّا نعلم أنَّ العربيّ القُحَّ والأطفال لا يعرفون شيئاً من تلك العلل، بل لو أردنا تفهيمهم لا يفهمون؛ وهذا الاطِّراد إنَّما هو للوضع الشخصي أو النوعي والاصطلاح ومتابعة اللاحق للسابق، وإلَّا فما الفرق بين الفصيح السليقي والفصيح الكسبي؟

* * *

---

١. الاقتراح، ص ١١٢.

٢. النسخة: ـ أو.

٣. الاقتراح، ص ١١٣؛ الخصائص، ج ١، ص ١٠٠.

٤. هذا من كلام ابن جنّي لا المصنّف. الاقتراح، ص ١١٤؛ الخصائص، ج ١، ص ٢٥٤.

الكتاب الرابع: في الاستصحاب[١]

وهو ابقاء اللفظ على الحال الَّتي يستحقُّها في الأصل، ما لم يقم دليلٌ يدلُّ على الانتقال عن الأصل. كما يستدلُّ على إعراب اسم «إنَّ» بـ: أنَّ الأصل في الاسم الإعراب، فلا يُعدل عنه إلَّا بدليلٍ.

فالَّذي دعواه موافق الأصل لا حاجة له إلى إقامة دليلٍ على مدَّعاه، إنَّما المحتاج إليه مَن خالف دعواه الأصل.

وهذا الاستدلال كثيرٌ جدّاً في كلام النحويِّين، وهو من الأدلَّة المعتبرة.

والاعتراض على الاستصحاب إمَّا بمنع الأصالة؛ أو بايراد دليل الزوال؛

والجواب عن الأوَّل اثبات ذلك إن لم يكن بديهيّاً، /B12/ وإلَّا فالاعتراض يكون مكابرةً لا يستحقُّ الجواب؛

وعن الثاني دفع الدليل.

* * *

الكتاب الخامس: في أدلَّةٍ شتَّى[٢]

وهي كثيرةٌ:

منها: الاستحسان[٣]. وهو مخالفة قياسٍ[٤] يُستحسن رعايته. وهو مقبولٌ واقعٌ مأخوذٌ به

---

١. الاقتراح، ص ١٧٢.

٢. الاقتراح، ص ١٧٦.

٣. الاقتراح، ص ١٨٠؛ الخصائص، ج ١، ص ١٦٩.

٤. النسخة: القياس.

في كثيرٍ في المواضع، كقلب «الياء» «واواً» في نحو: تقوى وفتوى، مع أنَّ «الياء» أخفُّ من «الواو»، ولا علَّة قويَّة لهذا إلَّا استحسان الفرق بين فعلَي مفتوح «الفاء» وفعلَي مضمومها[١]. وكما أبقوا «الواو» في استحوذ ونحوه تنبيهاً على الأصل، وكما جمع شاعرٌ[٢] الميثاق على مياثيق في قوله:

ولَانَسألُ الأَقوامَ عِندَ المَيَاثِيقِ[٣]

مع أنَّ القياس: «مواثق». فإنَّ علَّة قلب «الواو» «ياءً» قد انعدمت ـ وهو السكون ـ مع كسر ما قبلها، فاستحسن الشاعر ابقاء القلب، بناءً على أنَّ الجمع تابعٌ للواحد، فيكون حكمه كحكمه.

وكما أنَّهم صرفوا «نوحاً»، وهذا مع اجتماع العَلَميَّة والعُجمة في الأوَّل والعَلَميَّة والتأنيث في الثاني[٤]، استحساناً للخفَّة.

ومنها: الاستقراء[٥]؛ كما يُستدلُّ به على انحصار الكلمة في ثلاثةٍ.

ومنها: عدم النظير[٦]؛ وهو للإبطال حسب. كما استدلَّ المازنيُّ على أنَّ «السين» و«سوف» ليسا رافعين للفعل بـ«أنَّا لم نر عاملاً في الفعل يدخل عليه اللام، ويدخل عليهما، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ولَسَوفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾[٧].

وهذا الدليل إنَّما ينفع إذا لم يقم[٨] دليلٌ على الإثبات، فلا يمكن إبطال أنَّ «أندلس» على وزن أنفعل بأنَّه لا نظير له، فإنَّ لنا دليلاً على أنَّه بهذا الوزن، فإنَّه لا خماسي على وزن «فعلل»، ولا يمكن أن يكون «النون» أصليّاً و«الهمزة» زائدةً حتَّى يكون رباعياً ـ إذ لم يُعهد أن يزاد على

---

١. في الاقتراح: من غير علة قوية بل أرادوا الفرق بين الاسم والصفة. ص ١٨١.
٢. في النسخة: أشاعر.
٣. لم نعثر عليه.
٤. كلمة «الثاني» ساقطةٌ في النسخة.
٥. الاقتراح، ص ١٨٣.
٦. الاقتراح، ص ١٧٩؛ الخصائص، ج ١، ص ٢٢٢.
٧. الضحى (٩٣): ٥.
٨. في النسخة: يقل.

الاسم الرباعي في أوّله إلّا في الأسماء الجارية على الفعل، كمُدحرج، فلابدَّ من أن يكون النون زائدةً ـ، وإذا ثبت زيادتها ثبتت زيادة الهمزة، فلم يكن بدٌّ من أن يكون على وزن «أنفعل».

ومنها: الاستدلال بالأصول[١]؛ كأن يُستدلَّ على إبطال أنَّ رفع المضارع للتجرُّد عن الناصب والجازم، بأنَّه يؤدِّي إلى خلاف الأصول، فإنَّه يوجب أن يكون الرفع بعد النصب؛ وهو خلاف الأصل، فإنَّ الأصل يقتضي أن يتقدَّم الرفع النصب، لأنَّه علامة الفاعل والنصب علامة المفعول، والفاعل متقدِّمٌ على المفعول؛

وبتقدُّم الجزم، لأنَّه في الأصل من صفات الاسم والجزم من صفات الفعل، والاسم متقدِّمٌ على الفعل.

ومنها: الاستدلال بوجود العلَّة أو بعدمها[٢]؛ فالأوَّل يُستدلُّ على عمل اسم الفاعل هذا بأنَّ علَّة عمل اسم الفاعل ـ وهو الجريان على الفعل ـ متحقِّقٌ؛

والثاني كأن يستدلَّ على بطلان عمل «إن» إذا خُفِّفت بأنَّ علَّة عملها ـ وهو الشبه بالفعل ـ قد انتفت.

ومنها: الاستدلال بعدم الدليل على عدم المدلول[٣]، وهو إنَّما يتمُّ فيما إذا وجد [و][٤] دلَّ عليه الدليل. كأن يُستدلَّ على حصر الكلمات في الثلاثة بأنَّه لوكان رابعٌ لكان في كلام العرب، وليس، فليس[٥].

ومنها: الاستدلال بالعكس[٦]، كما يُستدلُّ على بطلان أنَّ نصب الظرف في خبر المبتدأ للخلاف، بأنَّه لوكان الخلاف علَّةً للنصب لكان علَّةً لنصب الأوَّل أيضاً، فلمَّا لم يكن علَّةً له لم يكن علَّةً لنصب الثاني أيضاً.

---

١. الاقتراح، ص ١٧٨.
٢. الاقتراح، ص ١٧٧.
٣. الاقتراح، ص ١٧٧.
٤. زيادة يقتضيها السياق.
٥. وفي النسخة وليس وفليس.
٦. الاقتراح، ص ١٧٦.

وهذا دليلٌ في غاية الضعف، بل هو إلى السؤال أقرب منه إلى الاستدلال!

* * *

الكتاب السادس: في التَّعادل والتراجيح[١]

وفيه مسائل: /A13/

الأولى

إذا تعارض النقلان أخذ بأرجحهما. والرجحان:

إمَّا في الرواي؛

أو في المرويِّ عنه[٢]؛

أو في متن المرويِّ.

أمّا الأوَّل: فبأن يكون الراوي أوثق أو أحفظ أو أعلم، أو يكون طرق الرواية أكثر، أو يكون طرق السلسلة أقصر.

وأمَّا الثاني: فبأن يكون من نروي عنه أوثق بفصاحته من غيره، أو يكون في حالٍ يتيقَّن أنَّه كان على الاختيار والقصد والجدِّ، وكان الآخر على خلاف ذلك، إمَّا يقيناً أو احتمالاً.

وأمَّا الثالث: فبأن يكون أحدهما[٣] موافقاً والآخر مخالفاً، كما أنَّه رُوي قوله:

أَلَا أَيُّهذا الزَّاجِري أحضِرِ الوَغَى[٤]

---

١. الاقتراح، ص ١٨٥.

٢. «الرجحان في المرويّ عنه» من كلام الفاضل، وليس في الاقتراح.

٣. في النسخة: أحدفقا.

٤. الشعر لطرفة بن العبد، وهو من معلّقته؛ وبعده:

وأن أشهد اللذّات هل أنت مخلدي

وروي: «اللائمي» بدل «الزاجري». انظر: الديوان ص ١٠٥. المعجم المفصّل في شواهد النحو الشعرية، ج ١، ص ٢٧٠؛ الكتاب، ج ٣، ص ٩٩ و ١٠٠؛ مغني اللبيب، ص ٣٧٠ و ٦٠٥.

برفع «أحضر» ونصبه، ورفعه موافقٌ للقياس، فإنَّ إعمال الحرف المحذوف مخالفٌ للقياس.

تنبيهٌ[١]

اعلم! أنَّ اختلاف اللغات ليس تعارضاً، بل كلُّ لغةٍ حجَّةٌ يجوز الأخذ بها، فنحن متخيِّرون بين الأخذ بكلِّ لغةٍ نريد. ويؤيِّد ذلك ما رُوي عنه ﷺ من أنَّه قال: «نُزل القرآن بسبع لغاتٍ كلّها شافٍ كافٍ»[٢]. وأمَّا إذا كانت إحدى اللغتين أقرب إلى القياس من الأخرى فالأخذ بها أولى، والأخذ بخلافها لا لضرورةٍ ولا ليحسن كلامٌ، قبيحٌ.

الثانية[٣]

إذا تعارض الشاذُّ واللغة الضعيفة فقال ابن عصفور: «إنَّ اللغة الضعيفة أرجح يجب الأخذ بها دون الشاذِّ».

الثالثة

إذا تعارض قياسان أخذنا بأرجحهما ـ وهو الَّذي تُأيِّد بالنقل أو بقياسٍ أخر ـ، كما أنَّ الكوفيَّ يقول: إنَّ ارتفاع خبر «أنَّ» ليس بـ«ان»، بل بما كان قبل رافعاً له؛ فإنَّ الأصل بقاء ما كان. ويقول البصريُّ: بل لابدَّ من أن يكون ارتفاع الخبر أيضاً بـ«ان»، لأنَّه ليس في كلام العرب عاملٌ يعمل في الاسم النصب إلَّا ويعمل في الخبر الرفع؛

فهذا القياس مؤيَّدٌ بقياسٍ آخر.

الرابعة[٤]

إذا تعارض القياس والسماع، رُجِّح السماع، كما في «استحوذ»، ولكن يقتصر على موضع السماع ولا يُقاس عليه.

---

١. انظر المسألة الثانية، ص ١٨٥. والخصائص، ج ١، ص ٣٩٨.

٢. مسند احمد، ج ٢، ص ٣٠٠

٣. المسألة الثالثة، ص ١٨٧.

٤. الاقتراح، ص ١٨٨؛ الخصائص، ج ١، ص ١٥٦.

الخامسة[١]

إذا تعارض قوَّة القياس وكثرة الاستعمال قُدِّم الاستعمال، ولذا تُقدَّم اللغة الحجازيَّة على التميميَّة، ولذا نزل بها القرآن.

السادسة[٢]

إذا تعارض أصلان قُدِّم أقربهما، كما أنَّه يقال: ما رأيته مُـذُ[٣] اليـوم ـ بـضمِّ «الذال» ـ. ولـ«مُذ» أصلان: الأوَّل: سكون الذال؛ والثاني: ضمُّه ـ دفعاً للالتقاء الساكـنين، ورعـايةً لمناسبة «الميم» ـ، فلولوحظ الأصل الأوَّل ـ الَّذي هو أبعد الأصلين ـ لزم كسـر «الذال»، فلم يعتبروا غير الأصل الأقرب.

السابعة

إذا تعارض الأصل والغالب ـ كما أنَّهما تعارضا في نحو «رحمن»، فإنَّ الأصل في الاسم الصرف، والغالب في فعلان الصفة عدم الانصراف ـ، ففيه قولان.

والحقُّ أنَّه إن لم يكن بين ما فيه الكلام وما استعمل فرقٌ مـؤثِّرٌ فـي الحكـم، فـالغالب راجحٌ؛ وإن كان فالأصلُ؛ وإن لم يُعلم فالأصل أيضاً.

الثامنة

إذا تعارض الاحتمال مع الأصل والظاهر، فلاعبرة به إلى أن يتحقَّق ما احتمل، كما أنَّ الظاهر والأصل في «نون» «عنبر» أن يكون أصليَّةً، فلايعارضه احتمال أن يرد من العرب ما ينصُّ على كونها زائدةً.

التاسعة

الاستصحاب لا يعارِض دليلاً آخر[٤].

---

١. الاقتراح، ص ١٨٩؛ الخصائص، ج ١، ص ١٦١.

٢. الاقتراح، ص ١٩٢؛ الخصائص، ج ٢، ص ١٢٣.

٣. في النسخة: منذ.

٤. في الاقتراح: إذا تعارض استصحاب الحال مع دليلٍ آخر من سماعٍ أو قياسٍ فلاعبرة به. ص ١٩٣.

العاشرة[١]

إذا تعارض قبيحان قدِّم أقلُّهما قبحاً. كما أنَّك إذا قلت: جائني قائماً رجلٌ، فإن رفعتَ «قائماً» على أنَّه صفةٌ، لزم تقدُّم الصفة على الموصوف، /B13/ وهو قبيحٌ غير جائزٍ؛ وإن نصبتَه على أن يكون حالاً من النكرة جاز وإن كان قبيحاً، فالحمل عليه متعيَّنٌ.

الحادية عشرة

إذا تعارض المقتضي والمانع قدِّم المانع، لاسيَّما إذا كان المقتضي مجوَّزاً غير موجبٍ، كمقتضيات الإمالة.

الثانية عشرة

إذا تعارض مجمَعٌ عليه ومختلَفٌ فيه، فالأوَّل هو الراجح. مثلاً إذا أردتَ أن تقول شعراً ولابدَّ لك من أن تمدّ مقصوراً أو تقصِّر ممدوداً، فاختَر الثاني، فانَّه مجمعٌ عليه بين البصريِّين والكوفيِّين، والأوَّل يخصُّ الكوفيِّين.

الثالثة عشرة[٢]

إذا تعارض قولان لعالمٍ واحدٍ، فإن كان أحدهما معلَّلاً دون الآخر أُخذ به، وأُوِّلَ الآخر، كما رُوي عن سيبويه تارةً أنَّ «تاء» «بنت» و«أخت» للتأنيث، وأخرى أنَّها ليست للتأنيث، معلِّلاً بأنَّ «تاء» التأنيث في الواحد ما قبلها مفتوحٌ وما قبل هذه ساكن[٣]، فيُأوَّل قوله الأوَّل بأنَّ مراده: أنَّها لاتدخل الكلمة إلَّا في حال التأنيث، أو: أنَّ أصلها «تاء» التأنيث إلَّا أنَّها لزمت الكلمة، فخرجت عن ذلك.

---

١. الاقتراح، ص ١٩٣؛ الخصائص، ج ١، ص ٢٣٤.

٢. الاقتراح، ص ١٩٦. وأرجعه محقّق الاقتراح إلى الخصائص، ج ١، ص ٢٠٠، ولم‌نعثر عليه فيه.

٣. قال سيبويه: وكذلك تاء أخت وبنت وثنتين وكلتا، لأنّهنّ لحقن للتأنيث (ج ٤، ص ٣١٧). وقال: وأمّا بنت فانّك تقول: بنوي من قبل أن هذه التاء الّتي هي للتأنيث لاتثبت في الإضافة كما لاتثبت في الجمع بالتاء (٣٦٢/). وقال: وإن سمّيت رجلاً ببنت أو أخت صرفته، لأنّك بنيت الاسم على هذه التاء والحقتها ببناء الثلاثة ولوكانت كالهاء لما أسكنوا الحرف الّذي قبلها، إنّما هذه التاء فيها كتاء عفريت (٢٢١/). فكما أنّ تاء عفريت ليست للتأنيث فتاء أخت وبنت أيضاً ليست للتأنيث؛ وفيه تأمّل.

وإن لم يكن شيءٌ منهما بمعلَّلٍ أُخذ بما هو أليق بمذهبه ويُتأوَّل الآخر، كما رُوي عن سيبويه تارةً أنَّ «حتَّى» ناصبةٌ للفعل، وأخرى أنَّها حرف جرٍّ. ولم يذكر سيبويه في تعداد الحروف الناصبة للفعل «حتَّى»، فاللائق بمذهبه أن تكون حرف جرٍّ يقدَّر بعدها «أن» ويأوَّل كونها ناصبةً إلى هذا المعنى؛

وإن لم يمكن تأويل القول الآخر فإن نصَّ في أحد القولين بالرجوع عن القول الآخر، وإلَّا فإن عُلم التأريخ عمل بالمتأخِّر؛ وإن لم يُعلم وجب سبر القولين والفحص عن الأقوى منهما، فأيُّهما كان أقوى نُسب إليه، احساناً به؛

وإن تساويا في القوَّة اعتقد أنَّهما قولاه وتساوى الدواعي دعاه إليهما، كما رُوي عن أبي عليٍّ أنَّه كان يقول في «هيهات»: «أنا أفتي مرَّةً بكونها اسماً للفعل، وأخرى بكونها ظرفاً».

الرابعة عشرة[1]

اعلم! أنَّ لغة قريشٍ أفصح من سائر لغات العرب. قال الفرَّاء في سبب ذلك: «كان العرب يحظر الموسم في كلِّ عامٍ ويحجُّ البيت في الجاهليَّة، وقريشٌ يسمعون جميع لغات العرب. فما استحسنوه من لغاتهم تكلَّموا به، فصارت أفصح العرب وخلت لغتهم من مستبشع[2] اللغات ومستقبح الألفاظ، كالكشكشة والكسكسة والعنعنة والعجعجة ونحو ذلك».

الخامسة عشرة

البصريُّون أقوى قياساً، والكوفيُّون أوسع روايةً[3]. لما رُوي عن حمَّاد الرواية أنَّه قال: «إنَّ النعمان أمر فنسخت له أشعار العرب في الكراريس، ثمَّ دفنها في قصره الأبيض، فلمَّا

---

١. الاقتراح، ص ١٩٨.

٢. في الاقتراح: متشبع، ١٩٨. وفي نسخةٍ منه ما ذكر (طبعة مكتبة الصفا بمصر).

٣. في النسخة: رعاية.

كان المختار بن أبي عبيدة قيل له: إنَّ تحت القصر كنزاً! فاحتفره فأخرج بتلك الأشعار[١] [فمن ثمَّ أهل الكوفة أعلم بالشعر من أهل البصرة].

* * *

الكتاب السابع: في أحوال مستنبِط التحقيق[٢]

وفيه مسائل:

الأولى

شرط المستنبِط أن يكون عالماً بلغة العرب، محيطاً بكلامها ـ نثرها ونظمها ـ، إمَّا بالسماع منهم ـ كما كان في الأزمنة الخالية ـ، وإمَّا بالرجوع إلى الكُتب المعتبرة المصنَّفة في اللغة والأبنية والدواوين الجامعة لأشعار العرب بعد أن يكون خبيراً بصحَّة نقل الناقل لئلَّا يلتبس عليه أشعار المولَّدين بأشعار القدماء، عالماً بالمسائل المُجمَع عليها والمختَلَف فيها، مميِّزاً بين اللغات عارفاً بالأفصح منها.

الثانية

إذا أدَّاك القياس إلى شيءٍ ثمَّ سمعتَ من العرب خلافه، فاترك القياس واتَّبع ما سمعته؛ /A14/ فإنَّ النصَّ ينفي الاجتهاد.

الثالثة[٣]

ليس المستنبِط مكلَّفاً بالتعبُّد بمذهب البصريِّين أو الكوفيِّين، بل له أن يختار أيَّهما شاء

---

١. الاقتراح ص ٦٢.
٢. الاقتراح، ص ٢٠٣.
٣. الاقتراح، ص ٢٠٨.

إذا أدَّى رأيه إليه[١]، وأن يختار بينهما مذهباً آخر إن أدَّى إليه قياسه ورأيه ولم يخالف النصَّ، ولذا ترى ابن مالكٍ سلك طريقةً بين طريقتي البصريِّين والكوفيِّين، فإنَّ طريقة الأوَّلين التأويلات المتعدِّدة المخالفة للظواهر، وطريقة الآخرين القياس على الأمور الشاذَّة؛ وهو لا يقيس ولا يأوِّل، بل يقول: شاذٌّ أو ضرورةٌ. قال ابن هشامٍ: «وهذه الطريقة طريقة المحقِّقين».

* * *

واللَّه الهادي إلى سواء الطريق، وبيده أعنَّة التوفيق، وأزمَّة التحقيق!

وليَكن هذا آخر ما أردنا أن نملأ منه الأقداح، من قراح الإقتراح، سقى اللَّه منه قرائح الطلَّاب، ونفع به كلَّ من أخطأ أو أصاب!

وتنجَّز الفراغ منه صحوة الثلثاء خامس رُبَّيّ سادسة شهور الحادية والثمانين من الألف الثاني من الهجرة ـ صلوات اللَّه على المهاجر ما قابل الأوَّل الثاني ـ. كتبه بأنامله الجانية، العائذ باللَّه من الزبانية، مؤلِّفه محمَّد بن الحسن الإصفهاني ـ لازالت أنامله جانيةً لحقائق المعاني! ـ.

---

١. النسخة: ـ إليه.

مصادر التحقيق

١ . *الاقتراح*، السيوطي، الدكتور محمَّد محمَّد قاسم، افست نشر أدب الحوزة.

٢ . *الخصائص*، ابن جنِّي، الدكتور عبدالحميد هنداوي، دارالكتب العلميَّة، ١٤٢١هـ، الطبعة الأولى.

٣ . *ديوان [الإمام] عليّ بن أبي طالب [عليه السلام]*، دارالجيل، بيروت، على مهدي زيتون.

٤ . *ديوان امرئ القيس*، محمَّد الإسكندراني، نهاد رزوق، دارالكتاب العربي، ١٤٢٦هـ.

٥ . *ديوان الفرزدق*، همام بن غالب، دارصادر، ١٣٥٤هـ.

٦ . *شرح التسهيل*، ابن مالك، محمَّد عبدالقادر عطا، دارالكتب العلميّة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٧ . *شرح ديوان طرفة بن العبد*، سعدي الضنَّاوي، دارالكتاب العربي، ١٩٤٥هـ.

٨ . *كتاب سيبويه*، عبدالسّلام محمَّد هارون، دارالجيل، الطبعة الأولى.

٩ . *المعجم المفصَّل في شواهد النحو الشعريَّة*، الدكتور إميل بديع يعقوب، دارالكتب العلميَّة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

١٠ . *مغني اللبيب*، الدكتور مازن مبارك، محمَّد علي حمدالله، دارالفكر، ١٤١٩هـ، الطبعة الأولى.

١١ . *المقرَّب*، ابن عصفور، احمد عبد الستَّار الجواري، عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد.

الحاشية على شرح الواحدي لديوان المُتنبِّي

للفقيه الأديب المتفنّن الشيخ أبي المجد محمّدرضا الإصفهانيّ

تصحيح: ليلى نجمي

كلمة المحقّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه على واسع فضله وسابغ نعمه، والصّلاة والسّلام على جميع الأنبياء والمرسلين لا سيّما خاتم النبيّين محمّدٍ المصطفى الأمين، وعلى آله الغرّ الميامين السادة الأطهار المنتجبين.

وبعد؛ فلاريب في أنّ الإيرانيّين دخلوا في دين اللّه أفواجاً ونعموا ردحاً من الزمن بعدل الإسلام ومساواته؛ وقد اهتمّوا باللغة العربيّة بما أنّها لغة دينهم ونبيّهم وكتابهم الشريف. فحرصوا على الاعتناء بها وأصبحوا من أمهر أساتذتها. والإسلام بتعاليمه القيّمة استوعب جميع أصناف البشر من العرب والعجم حتّى أصبحوا إخواناً في الإسلام، فكلٌّ سعى لتطوير الثقافة الإسلاميّة والآداب العربيّة؛ وهذا ما تلمسه ـ أيّها القارىء الكريم! ـ في هذا السفر المبارك الّذي بين يديك الموسوم بـ«حاشية أبي المجد الإصفهاني على شرح الواحدي لديوان المتنبّي». هنا نلفت بنظرةٍ عامّةٍ إلى حياة الشارح الواحدي ومحشّي الشرح شيخنا محمّدرضا النجفيّ الإصفهانيّ؛ أمّا صاحب الديوان فلايسع هذه الأوراق ذكره وذكر مفاخره[1].

---

١. وانظر في هذا المجال: الأعلام ١: ١١٥؛ وفيات الأعيان ١: ١٢٠؛ تاريخ بغداد ٤: ١٠٢؛ أعيان الشيعة ٢: ٥١٧؛ يتيمة الدهر ١: ١٤٠؛ دائرة المعارف الإسلامية ٣: ٣٦٣؛ شذرات الذهب ٣: ١١١؛ معجم الشعراء ١: ٩٦؛ المنتظم ٧: ٢٤؛ العبر ٢: ٢٩٩.

أمّا الشارح فهو عليّ بن احمد بن محمّد بن عليّ بن متّوية أبوالحسن الواحدي، مفسّرٌ عالمٌ بالأدب من علماء التأويل. أصله من ساوة ـ بين الري وهمدان ـ. مولده ووفاته بنيسابور؛ كتبه كثيرةٌ، منها: البسيط، الوجيز، في التفسير؛ وشرح ديوان المتنبّي، وأسباب النزول، وشرح الأسماء الحسني، وغير ذلك.

أمّا المحشّي فهو آيةاللّه العظمى الشّيخ محمّدرضا ابن الشيخ محمّد حسين النجفيّ الإصفهانيّ. وُلد بالنجف الأشرف في ٢٠ شهر محرّم لسنة ١٢٨٧ هـ.ق. وغادر مسقط رأسه في التاسعة من عمره قاصداً بلدته إصفهان، فعاد إلى النجف الأشرف ودرس وتعلّم على فحول اساتذة حوزة النجف الأشرف في العلوم الإسلامية حتّى عُدّ من كبار أساتذتها بل من نوابغها. ثمّ عاد إلى اصبهان ودرّس في حوزتها مختلف العلوم الإسلاميّة وألفّ فيها. وأخيراً توفّى شيخنا بإصفهان يوم الأحد رابع عشرين من شهر محرّم الحرام سنة ١٣٦٢ هـ.ق. وشيّع تشييعاً حافلاً حتّى دفن بتخت فولاد في مقبرة جدّه.

عملي في التحقيق: أخذت النسخة بخطّ المحشّي من مكتبة آيةاللّه النجفي وهي على هامش الطبعة الحجريّة في عام ١٢٧١ هـ.ق. ببمبئي من بلاد هند، والّتي كتبها شيخنا المحشّي من عام ١٣٥٠ هـ.ق. إلى عام ١٣٥٩ هـ.ق. في العقد الأخير من عمره الشريف. ثمّ استنسختها من خطّه الشريف وطابقتها مع الطبعة عام ١٨٦١ م. المطبوعة ببرلين. ولرعاية السهولة للقارىء الكريم جعلت بيت المتنبّي أوّلاً، ثمّ العبارة من شرح الواحدي الّتي ترجع الحاشية إليها ثانياً، ثمّ الحاشية ثالثةً.

ولايسعني إلّا أن أقدم اعتذاري إلى القارىء الكريم عمّا يراه من سقطات الفكر وهفوات القلم. وأتقدّم بالشكر للعلّامة آيةاللّه الشيخ هادي النجفي وحجّة الإسلام والمسلمين الدكتور الشيخ عبّاس كاشف‌الغطاء والمحقّق الفذّ الأستاذ مجيد هادي‌زاده ـ حفظهم اللّه ـ لتصحيحاتهم على هذا السفر وملحوظاتهم عليه قبل الطبع؛ كما أشكر من جدّي الحنون الأستاذ الحاج آقا تقي النجفيّ ـ حفظه اللّه تعالى ورعاه ـ.

جمادي الأولى لسنة ١٤٢٧ هـ.ق.
حفيدة المحشّي ليلى نجمي

بسم اللّه الرحمن الرحيم

إلى أيّام ظهور الدولة العبّاسية[1].

وللناس فيما يعشقون مذاهب! وأرى تبديل لفظ «إلى» إلى «مِن»، فإنّه العصر الّذي لمع فيه الطائيّان وغيرهما من الشعراء الّذين جمع شعرهم بين فصاحة البداوة وطلاوة الحضارة! / ابوالمجد[2].

لبختٍ اتّفق له[3].

لأمرٍ مّا يسود من يسود! وإذا سلّم له اختراع المعاني فقد أذعن له الفضل على رغـمه؛ وإنّما لمعانٍ تعشق الصور / ابوالمجد.

البريّة ولقد تصفحت كتابيه[4].

وأمّا الواحديُّ فلم يبق له إلّا توضيح الواضحات!؛ ولقد تصفّحت شرحه فرأيت أكثر ما فيه شرح مالايحتاج إلى شرحٍ!!؛ فيقول: «أراد ويقول» ثمّ يذكر ما هومثل البيت أوأخفى منه! / ابوالمجد.

---

١. شرح الواحدي لديوان المتنبّي ـ الطبعة الحجريّة عام ١٢٧١ق. بمبئي من بلاد هند ـ، ص ٢؛ طبعة مدينة برلين ـ offset بواسطة دار صادر بيروت، سنة ١٨٦١م. ـ، ص ٣.

٢. هذا كنية المحشّي.

٣. الطبعة الحجرى: ٣؛ طبعة برلين: ٣.

٤. الطبعة الحجريّة: ٣؛ طبعة برلين: ٤.

أهْلًا بِـدَارٍ سَـبَاكَ أَغْـيَدُهَا أَبعدُ مَا بـانَ عـنكَ خُـرَّدُهَا

ويسمُّونه المبتور[١].

يلاحظ هذا اللفظ في غير هذا الشرح.

ظَـلْتَ بهَـا تَـنطَوِي عـلَى كَـبِدٍ نَـضيجَةٍ فَـوقَ خِـلْبِها يَـدُهَا

الأوَّل اجود[٢].

الثاني هوالوجه الحسن الواضح الَّذي قصده المتنبي ؛ أمّا الوجه الأوَّل فهو الوجه القبيح الَّذي يأباه لفظ البيت ومعناه ؛ ولاأدري ما الَّذي دعاه إلى جعل النضيج لليد ثمَّ التكلّف إلى إرجاعه إلى جعله للكبد بما ذكره ؛ فهلّا جعله وصفاً للكبد أوّلاً ولم يحوج نفسه إلى هـذا التطويل الَّذي لاطائل فيه ! / أبوالمجد ٢٨ صفر ٣٥٥[١].

يـا حـادِيَي عـيسِها وأحسَـبُنى أوجَـدُ مَـيتاً قُـبيلَ أُفـقِدُهَا

وتسمّى الرواة هذا التفاتاً[٣]

الَّذي نعرفه من اصطلاح أهل العلم انّ أمثال هذا يسمّى بالحشو ؛ وله أقسامٌ مذكورةٌ في فنّ البديع. وما نقله من الرواة فهو كذبٌ عليهم، أواصطلاحٌ لم نعثر عليه / أبوالمجد ٢ محرم ٥٥(١٣).

مُـلقَّبٌ بكَ مَـا لُـقِّبت وَيكَ بِـه يَا أيُّها اللَّقَبُ المُـلقَى عـلَى اللَّـقَبِ

ولو طرح أبوالطيّب[٤]

شعر المتنبّي أيّام صباه يفوق حسناً على شعر كهول الشعراء وشيوخهم ؛ وناهيك شاهداً

---

١. الطبعة الحجريّة : ٤ ؛ طبعة برلين : ٦.

٢. الطبعة الحجريّة : ٥ ؛ طبعة برلين : ٧.

٣. الطبعة الحجريّة : ٥ ؛ طبعة برلين : ٧.

٤. الطبعة الحجريّة : ١٠ ؛ طبعة برلين : ١٧.

ما مرّ منه وما يمرّ عليك من القصائد الفريدة والمقاطع الجيّدة. نعم! يوجد فيه من الساقط البيت والبيتان كما يوجد في سائر شعره. فإن كان حكم الواحدي بطرح الجيّد الكثير للرديء القليل فلماذا لا يعمّ حكمه إلى جميع شعره؟! بل ولماذا يخصّ المتنبّي بهذا بين الشعراء؟!؛ إذ لا نابغة ولا فحل من شعراء الجاهليّة والإسلام إلّا وله الرديء الساقط! فليحكم باسقاط جميع شعر جميعهم فلايدوّن لشاعرٍ ديوانٌ أصلاً!! / أبوالمجد ٧ ربيع الأوّل ٣٥٥[١].

أَنَا مُبصِرٌ وأَظُنُّ أَنِّي نَائِمٌ مَن كَانَ يَحلُمُ بِالإِلهِ فأَحلُمَا

«ورُوي أنَّ ملكاً من الملوك»[١].

على ما في هذه القصّة من سوء الأدب الّذي ينبغي أن يؤدَّب الرائي والراوي وليس فيها رؤيةٌ ...[٢] واين رؤيةٌ! مات زيد في الرؤيا من رؤيته!

أَحيَى وأَيسَرُ مَا قَاسَيتُ مَا قَتَلا والبَينُ جَارَ علَى ضَعفِي ومَا عَدلَا

«أخبر عن نفسه بالحياة»[٣].

استفهامٌ انكاريٌ بحذف حرف الاستفهام. يقول: كيف أحيا والحال أنَّ أقلّ ما بي قتل غيري؟! والواحدي لاعوجاج فهمه قلّب المعنى وذهب بنضارة البيت وحُسنه! / أبوالمجد ٢٣ جمادى الثاني / ٥٤[١٣].

لَولَا مُفارَقَةُ الأَحبَابِ مَا وَجدَت لَهَا المَنَايَا إِلَى أَروَاحِنَا سُبُلا[٤]

على هذا البيت إشكالٌ نحويٌّ ذكره ابن هشام؛ وأحسن في جعله لفظة «لها» جمع:

---

١. الطبعة الحجريّة: ١١؛ طبعة برلين: ٢٠.
٢. كذا في المخطوط.
٣. الطبعة الحجريّة: ١٣؛ طبعة برلين: ٢٤.
٤. الطبعة الحجريّة: ١٣؛ طبعة برلين: ٢٤.

«اللهاة»، فعليه يرتفع الإشكال ويزيد بهذه الاستعارة الحسنة حُسناً على حسنٍ. / ابوالمجد ٢٣ رجب ٣٥٤[١].

يَـتَرشَّفنَ مِـن فَـمِـي رشَـفَاتٍ هُنَّ فِيهِ أحْـلَى مـنَ التَّـوحِيدِ

«في فمي من كلمة التوحيد»[١].

حلاوة التوحيد بهذا المعنى تناسب ذوق العرفان ومشرب التصوّف! ولو كان البيت للحلّاج أو ذي النُّون لكان له وجهٌ وإن كان قبيحاً مقايسة ترشُّف النساء بتوحيد الله ـ سبحانه ـ!؛ وأمّا المتنبّي فبعيدٌ مسلكه عن قصد أمثال هذا المعنى.

وببالي انّ بعض الشارحين قال: «إنّ التوحيد قسمٌ من الّتمر»؛ وعليه يصحّ المعنى ويحسن البيت ويخلص عن سماحه المقايسة ويخلص المتنبّي من تكفير الواحدي له. والظاهر انّه مثلٌ؛ قال في مجمع الأمثال[٢]: «أحلى من التوحيد». / أبوالمجد رجب ٣٥٤[١].

خَلِيلَيَّ مـا هـذَا مُـناخاً لِـمِثلِنا فَشُدَّا عَلَيهَا وارْحَـلَا بِـنَهارِ[٣]

«فشدًّا عليها» نوعان.

أمّا النوع الأوّل فليست بضرورةٍ؛ وصغار المشتغلين بالنحو يعلمون جواز حذف المفعول إذاكانت فضلةً، بل هو الأحسن إن كان معلوماً ـ كما ذكره علماء المعاني، يراجع[٤]؛ كما هنا ـ؛

وأمّا الثاني فليست بضرورةٍ، بل هو من المحسّنات البديعيّة، تسمّى شجاعة الفصاحة؛ راجع: ما ذكرته في حاشية صفحة ٦٥[٥]. / أبوالمجد ٢٧ جمادى الأولى ٣٥٦[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٦؛ طبعة برلين: ٣٠.

٢. مجمع الأمثال ١: ٢٣٨؛ وفيه: «أحلى من حياة معادة، ومن التوحيد».

٣. الطبعة الحجريّة: ١٩؛ طبعة برلين: ٣٧.

٤. راجع في هذا المجال تلخيص مفتاح العلوم: ٤٤٥، المطبوعة ضمن مجموع أمّهات المتون، في مطبعة الاستقامة بالقاهرة عام ١٣٧٤هـ.ق.

٥. الرقم يشير إلى رقم الصفحة في الطبعة الحجريّة.

وعَذَلتُ أهلَ الْعِشقِ حتَّى ذُقتُهُ فَعَجِبتُ كَيفَ يَمُوتُ مَن لَا يَعشَقُ[١]

المراد من هذا البيت يوضحه قوله في الرّائيّة:

لهَا المَنَايَا إلَى أَروَاحِنَا سُبُلا

فهذا التطويل لا طائل فيه!

إذَا عَرضَتْ حاجٌ إلَيهِ فَنَفسُهُ إلَى نَفسِهِ فِيهَا شَفِيعٌ مُشَفَّعُ[٢]

جمعها: حاجات وحِوَج.

وحوائج أيضاً، وقد وقع في فصيح الكلام؛ ولا وجه لانكار بعضهم له؛ والكلام فيه طويلٌ لايسعه المقام. / أبوالمجد ٢٦ جمادي الأولى ٣٥٦[١].

لَقَد تَصَبَّرتُ حتَّى لَاتَ مُصطَبَرٍ فَالآن أُقحِمُ حتَّى لاتَ مُقتَحَم

ظاهر كلامه انَّ هذا من القليل الشاذّ[٣].

لو قرأ اللفظان مضافين إلى «ياء» المتكلّم لخرج من الشذوذ. / أبوالمجد ١٩ رجب ٣٥٤[١].

أَو مَا وَجَدتُم فِي الصَّراةِ مُلُوحَةً مِمَّا أُرقْرِقُ فِي الفُراتِ دُمُوعِي

الصراة عينٌ يتشعَّب[٤].

نهرالصراة يتجاوز حدود بغداد ويصب في دحلة عند باب البصرة من أبواب بغداد

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٠؛ طبعة برلين: ٣٨.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٣؛ طبعة برلين: ٤٥.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢٨؛ طبعة برلين: ٥٦.

٤. الطبعة الحجريّة: ٢٩؛ طبعة برلين: ٥٩.

صحّحت هذه العبارة في طبعة برلين؛ حيث جاء فيها: «الصراة نهرٌ يتشعّب من الفرات».

ـ مدينة المنصور من بغداد ـ؛ ولكن جهل الواحدي مدَّه إلى الشام! / أبوالمجد ١٩ ذي‌الحجة ٣٥٤[١].

مِن كُلِّ أحوَرَ فِي أنيَابِه شَنَبٌ خَمرٌ يُخامِرُهَا مِسكٌ تُخامِرُه[١]

في معنى الخمر.

حقيقةً، ولكنَّه بمعناها مجازاً.

أُحبُّ ألَّتي فِي البَدرِ مِنهَا مُشابِهٌ وأَشكُو إلَى مَن لَايُصابُ لَه شَكلُ

وإنَّما شكى إليه[٢].

ما أبرد هذه الجملة!

إلى الثَّمَرِ الحُلوِ الَّذي طيِّبٌ لَهُ فُروعٌ وقَحطَانُ بنُ هودٍ لَهَا أَصلُ[٣]

المعروف أنَّ «قحطان» هم العرب البادية و«عدنان» عربٌ مستعربةٌ، ولازال شعراء اليمن يفتخرون بذلك. ولكنَّ الواحدي أخزع قبائل اليمن جميعاً ـ ومنها قبيلة الممدوح ـ منهم! ولاأدري بعد ذلك بمن يلحقهم!؛ ولعلَّها عنده من الزَّنج أو الرُّوم!! / أبوالمجد ٤ صفر ٥٦(١٣).

قَالت وقَد رأَتِ اصْفِرارِي مَنْ بِهِ وتَنهَّدَتْ فَأَجَبتُهَا المُتَنَهِّدُ

«تنهَّدت» أي: علا صدرها[٤].

الَّذي في خاطري انَّ «تنهَّدت» معناه: ضرب نهده؛ يراجع كتب اللغة. / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريَّة: ٣٠؛ طبعة برلين: ٦١.

٢. الطبعة الحجريَّة: ٣٣؛ طبعة برلين: ٦٨.

٣. الطبعة الحجريَّة: ٣٣؛ طبعة برلين: ٦٨.

٤. الطبعة الحجريَّة: ٣٥؛ طبعة برلين: ٧٣.

إذَا[١] امتلأَتْ عُيونُ الخَيلِ مِنِّي فَوَيلٌ فِي التَّيقُّظِ والمَنَامِ

لم يعرف التفسير أو لم يحسن التعبير ! أبوالمجد ٣ رجب ٣٥٧[١].

قَطَّعتِ ذيَّاكَ الخُمارَ بِسَكرَةٍ وأَدَرتِ مِن خُمرِ الفِراقِ كُؤُساً

أي: كنَّا مع قربك[٢].

أطال ولم يأت بطائلٍ ! وبين البيت وبين ما أتى به مراحل !! وليته حضرني غيره من الشروح لأرى كلام غيره من الشروح. ولعلَّ مراد المتنبّي أنَّه كان قبل سرورها في حال خمار العشق الَّذي هو دون مرتبة السكر ... فليتأمَّل ! / أبوالمجد ١٤ صفر ٣٥٩[١].

مَا كُنتُ أحسِبُ قَبلَ دَفنِكَ فِي الثَّرَى أنَّ الكَواكِبَ فِي التُّرابِ ثَغورُ

هذا من قول الآخر... [٣].

بل قول الآخر منه ! لأنَّه في رثاء الصاحب وهو متأخّرٌ عن المتنبّي ؛ يراجع. / أبوالمجد ١٥ صفر ٥٤(١٣).

أو يَرغَبُوا بِقُصورِهِمْ عَن حُفرَةٍ حَيَّاهُ مِنها مُنكَرٌ ونَكِيرُ

ما أبعد ما وقع[٤].

الإنصاف أنَّ المعنى الظاهر هو ما قاله ، وما ذكراه بعيدٌ لا يساعده ألفاظ البيت ؛ بل لا تناسبه إلَّا بتكلُّفٍ ! / أبوالمجد ٢٣ ربيع الثاني ٣٥٦[١].

---

١. الطبعة الحجريَّة : ٤٠ ؛ طبعة برلين : ٨٥.
٢. الطبعة الحجريَّة : ٤٤ ؛ طبعة برلين : ٩٣.
٣. الطبعة الحجريَّة : ٥٤ ؛ طبعة برلين : ١١٦.
٤. الطبعة الحجريَّة : ٥٥ ؛ طبعة برلين : ١١٨.

تُـدمَى خُـدُودَهُم الدُّمـوعُ وتَـنقَضِي سَـــاعَاتُ لَـيلِهِمُ وهُـنَّ دُهُـورُ

أي: أنَّهم يبكون عليه دماً[١].

لم يقل: «جرت الدموع دماً» ليكون تفسيره ما ذكر؛ بل قال: «تدمى الدموعُ الخدودَ»، وذلك لقرارتها وحرارتها، فتجرحُ الخدود ـ كما قيل:

وخدَّ الدَّمعُ في خدِّي خُدودًا ـ

وهذا أبلغ وأحسن من المعنى الساقط المبذول الَّذي حمله عليه!

وعلى توهُّمه فما الوجه في ذكر الخدود؟! وما إعرابه وموقعه؟! وليت هذا الإمام في النحو ـ بل في جميع العلوم العربيّة! ـ رجع إلى الأطفال المشتغلين بالنحو فيعربوا له البيت ويعرفوه بأنَّ «تدمى» من باب الإفعال و«الدموع» فاعلٌ و«الخدود» مفعولٌ، لئلَّا يقع في هذا الغلط!؛ واللّه العاصم. / أبوالمجد ٢٧ ربيع الثاني ٣٥٦[١].

ويَـومَ جَـلَبتُها شُـعْثَ النَّـواصِي مُـــعقَّدةَ السَّـــبائِبِ للـطِّرادِ

ولم يجر لها ذكرٌ ...[٢].

هذا كقوله ـ تعالى ـ ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾[٣]؛ وقول حاتم:

إذا حشرجت يوماً وضاق لها الصدر

ويسمَّى في علم البديع بـ«شجاعة الفصاحة»، وتعدُّ من نكاته. فإن كان الواحدي أراد الاعتراض على أبي الطيِّب فطالما قبح عنده الحسن!؛ وإن أراد توضيح الواضح فهذا دأبه!! / أبوالمجد ٢٧ ربيع الثانى ٣٥٤[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ٥٦؛ طبعة برلين: ١٢٠.

٢. الطبعة الحجريّة: ٦٥؛ طبعة برلين: ١٤٠.

٣. كريمة ٢٦ القيامة.

تَــرفَّعَ ثَـوبَهَا الأَردَافُ عَـنهَا فَيَبقَى مِن وِشـاحَيهَا شَسُـوعا

يريد بالوشاحين قلادتين[١].

القلادة محلُّها الجيد، وإطلاقه على الوشاح غير معهودٍ فـيما أعـلم. / أبـوالمـجد ١١ جمادى الأولى ٣٥٩[١].

ذِراعَــاهَا عَــدُوّا دِمــلجيها يَظنُّ ضَجيعُها الزَّندُ الضَّجِيعَا[٢]

لم يظهر لي إلى اليوم معنىً صالحاً يليق بالمتنبّي في الشطر الثاني؛ وما ذكره الواحدي بعيدٌ! / أبوالمجد ٨ ربيع الأوّل ٣٥٥[١].

غدَا بِك كُـلُّ خِـلوٍ مُسـتهَاماً وأصـبَحَ كُـلُّ مَسـتُورٍ خَـلِيعاً

الخليع: الَّذي يخلعه أهله[٣].

«الخليع» في هذا البيت مأخوذٌ من الخلاعة الّتي قد يذكر مع المُجون، وكأنَّ أصله من: خلع العذار للعريس؛ والمراد: أنَّها تجعل كلَّ مستورٍ متهتّكاً. وما ذكره إنَّما يـناسب الَّـذي يخاف عشريه من جنايته، لاالمستهام الَّذي ابتلى بصبابته. ولا أدري أيّ عاشقٍ خلعه قومه لأجل العشق!

ولعمر الفضل إنّي لا أحبُّ أن أنقض فاضلاً وأغمط حقَّه، ولكن من كان هذا بضاعته في فهم الشعر كيف يقدم على شرح هذا الديوان ويسيء القول في أئمّة الأدب الَّذين سبقوه إلى شرحه! ويكذِّب على الله في خطبة شرحه ويجعل هذه الأغلاط الواضحة ممَّا رزقـه اللّـه ويسَّر له من العلم والفهم؟! / أبوالمجد ١٥ ذي‌الحجّة ٣٥٩[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ٦٦؛ طبعة برلين: ١٤٤.

٢. الطبعة الحجريّة: ٦٦؛ طبعة برلين: ١٤٤.

٣. الطبعة الحجريّة: ٦٦؛ طبعة برلين: ١٤٥.

بَـنُو العـفرى مَحـطَّةَ الأسَـدِ الأسدُ ولكن رِمـاحُهَا الأجَـمِ

كأنَّهم والرِّماح شابكةٌ[١].

لكاتبه مخاطباً للدهر:

فـما قـلّمتُ مـن صبري وعـزمي وإن قـلّمتُ مـن ظـفري ونـابي

فـمختلف الرقـاق البـيض حسـبي ومشـتبك الرمـاح السـمر غـابي[٢]

/ أبوالمجد.

نَـاعِمَةُ الجِسمِ لاعِـظامَ لهَـا لهَـا بَـناتٌ ومَـا لهَـا رَحِـمُ

أراد ببناتها ما فيها من الحيوان[٣].

الَّذي كان في خاطري انَّ «بنات الماء»: السُّفن؛ وبهذا المعنى نظمها عبدالباقي شـاعر العراق في قوله:

بـنا مـن بـنات المـاء لكـوفة القـراء سبّوح سرت ليلاً فسبحان من أسـرى

وإذا صحَّ وجود هذا الإطلاق في زمان المتنبّي فهو المُعنى في تفسير البيت. / أبوالمجد ٢٦ جمادى الثاني ٣٥٦[١].

دَارُ المُـلمِّ لهَـا طَـيفٌ تَهـدَّدَنِي لَيلاً فَا صَدقَتْ عَينِي ولَا كـذَبَا

الطيف في تهدُّده إيَّايَ ...[٤].

لم يفهم معنى البيت فأتى فى شرحه بما لايُفهَم ... . / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٦٩؛ طبعة برلين: ١٥١.

٢. ديوان أبي المجد: ٣٨، مع اختلافٍ في بعض الكلمات.

٣. الطبعة الحجريّة: ٧٠؛ طبعة برلين: ١٥٣.

٤. الطبعة الحجريّة: ٧٠؛ طبعة برلين: ١٥٤.

كَرماً فلَو حـدَّثتَه عَـن نـفسِه بعَظيمِ مَا صَنعتْ لظَنَّك كَـاذِبا

قد أساء في هذا[١].

كلّا! ما أساء فيه وإنَّما المسيء فهم الواحدي وعـدم دركـه مـعنى البـيت؛ وهـو مـمَّا لايخفى على أقلِّ أهل الأدب! يقول: لو حدَّثتَه عن نفسه بأنَّك صنعتَ عـظيماً وأعـطيت خطراً كثيراً لظنَّك كاذباً، بـل يـرى ـ لفـرط كـرمه ـ انَّـه أعـطى قـليلاً وانَّك كـاذبٌ فـي دعواك عظمه.

وهذا ـ على وضوحه الَّذي لا يكاد يخفى إلَّا على بليدٍ جاهلٍ! ـ يشهد به البيت الَّذي قبله ويكاد أن يكون شرحاً له وتأكيداً. وانَّ الَّذي لفرط كرمه لايرى في العطاء خطيراً ويرى أنَّ دجلة لا يكفي شراباً فلابدَّ أن يكذِّب من يحدِّثه بانَّك صنعتَ عظيماً.

نشدتكم يا أهل الفضل والعلم! إلَّا أن تنظروا إلى قول الشارح: «جعله يستعظم فـعله» كيف قلّب المعنى وحمل البيت على عكس معناه، ثمَّ حكم على قائله بالإساءة! ولا أدري أيّ كلمةٍ في البيت دلّت على استعظام الممدوح فعلَه!؛ نعوذ بالله من الخذلان!! / أبوالمجد ١٠ شعبان ٣٥٥[١].

أَجدَّك مَا يَـنفكَ عَـانٍ تَـفُكَّهُ عُمَ بـنَ سُـليمَانٍ ومَـالٌ تُـقَسِّمُ

وإنَّما يجيزه الكوفيّون[٢].

النحو ولد في الكوفة ونشأ فيها وعن أهلها أخذ، ومنها سار إلى الصبرة، والبصريّون هم تلامذة الكلوفيّين. والواحدي لا يصلح أن يكون غلاماً لأدناهم!؛ فتلحينه المتنبّي فيما هو مذهب أهل بلاده من الجهل والخذلان! على أنَّ فيه كلاماً لايسعه المقام. / أبوالمـجد ٢٣ ذي‌الحجّة ٣٥٤[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ٧٨؛ طبعة برلين: ١٧٤.

٢. الطبعة الحجريّة: ٨١؛ طبعة برلين: ١٨١.

قِفْ عـلَى الدِّمـنَتَيْنِ بِـالدَّوِ مِـن رَ يَّـا كـخَالٍ فِي وَجـنَةٍ جَـنبِ خَـالِ

شبَّه دمنتيها بخالين في خدِّها[١].

ليس في البيت ما يدلُّ على تعيين موقع الخالين وأنَّهما على الخدِّ فضلاً عن خدٍّ ريَّا؛ فما ذكره هوسٌ وتخرُّصٌ! / أبوالمجد ٢٠ جمادى الأولى ٣٥٦[١].

ولَـه فِي جَمَـاجِمِ المَـالِ ضَرْبٌ وَقَـعْهُ فِي جَمَـاجِمِ الأَبْـطَالِ

وهذا فاسدٌ[٢].

إن كان قول ابن جنّيٍّ معنىً فاسداً وكلام من لم‌يعرف المعنى، فكـلام الواحـدي أشـدّ فساداً وأجدر بأن يكون كلام من لم يعرف المعنى!

والوجه: انَّ المتنبّي جعل للمال جماجماً، كما جعل غيره للشمال يداً، وللهمَّة جناحاً، وللمجد سناماً ـ إلى غير ذلك ممَّا لا يخفى في مـنثور الكـلام ومـنظومه، ويـعرفه صـغار المشتغلين بعلم البيان ـ. والَّذي زاد في حسنه أنَّه وقع جنب قوله: «في جماجم الأبطال».

وأظنُّ أنَّ الَّذي أوجب خفاء هذا الواضح توهُّم أنَّ الضرب في جماجم المال غير ما يقع في جماجم الأبطال؛ فليتأمَّل! / أبوالمجد ٥ جمادى‌الأولى ٣٥٩[١].

فـغَدوتَ واسمكَ فـيهِ غَـيرُ مشـارِكٍ والنَّـاسُ فِـيمَا فِي يَـديكَ سِـواءُ[٣]

لولا شيوع التسمية بهارون لكان المتعيَّن أن يكون معنى البيت: أنَّه لا سميَّ لك؛ والعرب تفتخر بالأسامي البديع ـ وبه فُسِّر قول الله تعالى: ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِـنْ قَـبلُ سَـمِيًّا﴾[٤] ـ. وإذا لم ترتض هذا التفسير للبيت فلاأظنُّك يرضيك قول الواحدي، لأنَّه لايكون للإنسان أكثر من

---

١. الطبعة الحجريَّة: ٨١؛ طبعة برلين: ١٨٧.

٢. الطبعة الحجريَّة: ٨٤؛ طبعة برلين: ١٨٩.

٣. الطبعة الحجريَّة: ٨٩؛ طبعة برلين: ١٩٩.

٤. كريمة ٧ مريم.

اسمٍ واحدٍ، إذ على كثرة المسمّين بأسماءٍ عديدةٍ أيّ فخرٍ في هذا الممدوح ؟!؛ تأمّل وراجع سائر الشروح. / أبوالمجد ١٤ صفر ٣٥٤[١].

يَجْـذِبُها تَحتَ خَـصرِها عَـجُزٌ كأنَّـهُ مِـن فِـراقِـها وَجِـلُ

والمعنى: انَّ عجزها بثقله[١].

ولقد أخطا الواحدي أيضاً في تفسيره كما أخطا أبوالفتح، بل غلط الواحـدي أوضـح وخطائه أفضح! ولا أدري لماذا يخاف العجز فراقها إذا نهضت وهو جزءٌ منها يصاحبها في كلّ حالةٍ ولا يفارقها ـ قاعدةً كانت أو ناهضةً ـ ؟! والواحدي وإن شدَّد النكير على ابن جنّيٍّ لا يبعد كلامه عن كلامه كثيراً. والتهكُّم الَّذي أورده على ابن جنّيٍّ واردٌ عليه بـعينه؛ وهـو أيضاً لم يعرف وجه تشبيه العجز بالرِّجل في فراقها. / أبوالمجد محمّد الرضا الأصفهاني.

بِجِسـمِي مَـن بَـرتهُ فـلَو أصـارَتْ وِشـاحِي ثَـقبَ لُـؤلُؤةٍ لجَـالاَ

حتَّى لو جعلت قلادتي[٢].

تفسير «الوشاح» بـ«القلادة» غلطٌ واضحٌ لا يخفى على من عرف! وأصحاب اللغة؛ إذ الوشاح موضعه الكشح، وبه يتمّ المعنى؛ والقلادة موضعه الرقبة والصدر. وحمله عـليها ـ على أنَّه غلطٌ لغةً ـ يفسد به المعنى. / أبوالمجد.

بَـدتْ قَـمراً ومَـالتْ خُـوطَ بَـانٍ وفَـاحَتْ عَـنبَراً ورَنَتْ غَـزَالاَ

يسمَّى التدبيج في الشعر[٣].

التدبيج ذكر الألوان في الشعر والنثر ـ كقوله: «الشامَّة الخضراء فوق الوجـنة الحـمراء

---

١. الطبعة الحجريّة: ٩٣؛ طبعة برلين: ٢١٠.
٢. الطبعة الحجريّة: ٩٥؛ طبعة برلين: ٢١٧.
٣. الطبعة الحجريّة: ٩٥؛ طبعة برلين: ٢١٨.

تحت المقلة السوداء»؛ نصّ عليه علماء البديع وجرى عليه أرباب البديعيّات. وما ذكره فهو إمّا لجهله بعلم البديع، أو اصطلاحٌ آخر لم‌نطّلع عليه. / أبوالمجد.

فَـيَابنَ الطَّـاعِنينَ بِكـلِّ لَـدنٍ مَواضِعَ يَشتَكي البَطَلُ السُّـعالا

صدور الأبطال بكلِّ رمحٍ[1].

وهذا النوع يسمّى الإرداف عند علماء البديع؛ ومثله قول القائل:

والطَّاعِنينَ مَجامِعَ الأضغانِ[2]

/ أبوالمجد ١٦ ذي‌القعدة ٥٤(١٣).

بِأبِي رِيحُكَ لا نَـرجِسـنَا ذَا وأحَـادِيثكَ لَا هـذَا الشَّرابُ

هذا ليس ممّا يمدح به الرجال[3].

إن صحَّ ما يقول في الشطر الأوّل فلا يصحُّ في الثاني. ولازال الرجـال تُـمدح بـحسن الحديث، والشواهد عليه من الشعر والنثر ممّا لا تُحصى. / أبوالمجد ٢ شوّال ٣٥٥[١].

مَضَى اللَّيلُ والفَـضلُ الَّـذِي لكَ لَايمـضى ورُؤياكَ أحلَى فِي العُيُونِ مِـن الغُـمضِ[4]

ويحتمل أن يكون المراد: أنَّـه إذا نـام يـراه فـي النـوم لشـدَّة حـبِّه له واشـتغال بـاله به؛ فله حـلاوة النـوم وحـلاوة الرؤيـا والرؤيـا أحـلاهما. فكأنَّـه يـريد الاعـتذار عـن مفارقته للنوم، وانَّه إذا نام يراه فهو غير مفارقٍ له.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٩٦؛ طبعة برلين: ٢٢٠.

٢. تمامه:

الضاربينَ بكلِّ أبيض مخذمٍ والطَّاعنينَ مجامعَ الأضـغان

البيت لعمرو‌ين معديكرب الزُّبيدي؛ راجع: السيف الصنيع، ص ٩٢.

٣. الطبعة الحجريّة: ٩٨؛ طبعة برلين: ٢٢٤.

٤. الطبعة الحجريّة: ١٠٥؛ طبعة برلين: ٢٤١.

وما ذكره في تفسير الآية فهو خلاف ظاهر الآيه، وخلاف ما ورد في سبب نزولها؛ يراجع. / أبوالمجد ٢٩ صفر ٥٤(١٣).

إنَّ الأميرَ أدَامَ اللَّهُ دُولتَهَ لفَاخِرٌ كُسِيتْ فَخراً بِهِ مُضَرُ

العرب كلُّها قد لبستْ فخراً[١].

«مُضر» بعض العرب، فما معنى قوله: «كلُّها»!؟ / أبوالمجد ٢ محرَّم ٥٥(١٣).

لَا افْتِخارٌ إلَّا لِمَن لَا يُضامُ مُدرِكٍ أو مُحارِبٍ لَايَنامُ

الأوَّل من الخفيف[٢].

لا أدري من أين تعيَّن عنده أنَّه على الرفع؟ ولو قرأ بالفتح لم‌يخرج من الوزن؛ بل كان في البيت زحاف الكفِّ، وهو زحافٌ صالحٌ في بحر الخفيف. / أبوالمجد.

ونَفسٍ لَا تُجِيبُ إلَى خَسِيسٍ وعَينٍ لَا تُدارُ عَلَى نَظِيرِ

لا تجيب إلى أمرٍ خسيسٍ[٣].

مناسب الشطر الثاني أن يكون المراد: لا يجيب إلى صحبته رجلٌ خسيسٌ. / أبوالمجد ٢٠ صفر ٥٤(١٣).

ألَا لَا أُرِي الأحدَاثَ حَمْداً ولَا ذمّاً فَمَا بَطشُهَا جَهلاً ومَا كَفُّها حِلماً

الفعل في جميع ذلك للَّه[٤].

لو كان هذا البيت لأبي‌الحسن الأشعري لكان معناه ما ذكره، وما أبعد المتنبّي من قصد ذلك! / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٠٦؛ طبعة برلين: ٢٤٤.
٢. الطبعة الحجريّة: ١٠٦؛ طبعة برلين: ٢٥٢.
٣. الطبعة الحجريّة: ١٠٩؛ طبعة برلين: ٢٥٢.
٤. الطبعة الحجريّة: ١١٣؛ طبعة برلين: ٢٦٠.

خَلائِقٌ لَـو حـوَاهَـا الزَّنْجُ لَانـقَلَبُوا ظُمْيَ الشِفاهِ جِعادَ الشَّـعْرِ غُـرَّانَـا

فسد معنى البيت[١].

حاشا أن يفسد، بل لا يصحُّ غيره! وليت الواحدي لم يشرح ديوان أبي الطيِّب، لأنّ ما يفسده باعوجاج فهمه أكثر ممَّا يصلحه بعلمه!!

وما أبـرد قـوله قـبيل هـذا: «لأنّ السـجايا الحسـان ـ... إلى آخـره ـ. / أبـوالمـجد ٦ صفر ١٣٥٠.

سِربٌ مَحـاسِنُه حـرمت ذواتهـا دَانِي الصِّـفاتِ بَـعيد مـوصوفاتِها

وأضاف ذوات إلى الضمير[٢].

غلطٌ واضحٌ لو صدر من أحد الأطفال الكُتَّاب لوجب على مؤدِّبه أن يـخفِّفه بـالسوط ويطرده عنه! إذ لفظ «ذواتها» في البيت ليس بمعنى الصاحب ـ الَّذي مُنع من إضـافته إلى الضمير ـ؛ بل هو بمعنى المهيّة والحقيقة. وتقابل به الصفات والعوارض، فـيقال: إنّ ذاتـه ـ تعالى ـ عين صفاته وهو مذوّت الذوات، و: الذاتي لا يتخلّف ـ... إلى غير ذلك ـ.

وهب! حملناه على غلط الشارح، فماذا يكون حـينئذٍ مـعنى البـيت؟! / أبـوالمـجد ٤ صفر ٣٥٦[١].

ذَرِ النَّفسَ تَأخُذ وُسـعَهَا قَـبلَ بَـينِهَا فَـُـفترقُ جَـارَانِ دَارُهمـا العُـمرُ

قال أرسطو: من أفرط ...[٣].

تأمَّل في المناسبة بين قول أرسطو ومعنى البيت!!/أبوالمجد ٥ جمادى الأولى ٣٥٩[١].

---

١. الطبعة الحجريَّة: ١٢٢؛ طبعة برلين: ٢٧٣ / ٢٧٤.

٢. الطبعة الحجريَّة: ١٢٣؛ طبعة برلين: ٢٧٥.

٣. الطبعة الحجريَّة: ١٢٨؛ طبعة برلين: ٢٨٤. والعبارة لم توجد في طبعة برلين.

وتَـركُكَ فِي الدُّنـيَا دَوِيّاً كأَنَّمَـا تَداوَلَ سَمعَ المَـرءِ أَنمُلَهُ العَشرُ[١]

الّذي أحفظه عن نسخةٍ صحيحةٍ: «الدهر» بدل «المرء»، وهو أحسن. / ٢٧ ربيع الثاني ٣٥٦[١].

ومَـن يُـنفِقِ السَّـاعَاتِ فِي جَمعِ مَـالِهِ مَخَـافَةَ فَـقرٍ فَـالَّذِي فَـعلَ الفَـقرُ

لأنّه إذا جمع منع[٢].

هذا أشبه باللُّغز الأحجية، ولا أدري لماذا يكون المنع فقراً! والوجه: انّ الجمع للمال لايكون إلّا بالتصبُّر والامساك في الأكل واللبس، فيكون فيهما وفي سائر سُننه كالفقير؛ وهذا كما قيل في الغنيّ: «المُمسك يعيش عيش الفقراء ويُحاسب حساب الأغنياء». / أبوالمجد ٢٧ ربيع الثاني ٣٥٩[١].

ولَـيلٍ وَصَـلنَا بِـيَومٍ كأَنَّمَـا عَلَى مَتنِهِ مِن دَجنِهِ حُللٌ خُضرُ

يريد أنّه مسافرٌ في الربيع[٣].

أظنُّ الواحدي عرف تأريخ مسافرة المتنبّي واستخرج من الزيج فصل مسافرة المتنبّي! وإلّا فليس في البيت إلّا وقوعها في فصل المطر، وهذا يمكن في أواخر شهور الخريف وجميع شهور الشتاء أيضاً. / أبوالمجد ١٤ جمادى الأولى ٣٥٦[١].

وإنِّي لَـتُغنِينِي مِـن المَـاءِ نُـغبَةٌ وأَصبِرُ عَنهُ مِثلَ مَا تَصبِرُ الرُّبْدُ

الربد: النعام[٤].

«الأربد» قسمٌ من الحيّات توصف بالخُبث، والحيّة معروفةٌ بعدم شربها الماء، وبها

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٢٨؛ طبعة برلين: ٢٨٥.
٢. الطبعة الحجريّة: ١٢٨؛ طبعة برلين: ٢٨٥.
٣. الطبعة الحجريّة: ١٢٩؛ طبعة برلين: ٢٨٧.
٤. الطبعة الحجريّة: ١٣٤؛ طبعة برلين: ٢٩٩.

يُضرب المثل فيه دون النعام ـ فيما أعلم ـ. / أبوالمجد ٨ ربيع الأوّل ٥٥(١٣).

فَـا لِي ولِـلدُّنيَا طِـلابِي نجـومها ومَسعَايَ مِنها فِي شُدوقِ الأَرَاقِـمِ[١]

معنى هذا البيت واضحٌ لايحتاج إلى التفسير، والّذي عند الواحدي في تفسيره عند كلّ من عرف متعارف لغة العرب!؛ ولابدّ من ملاحظة سائر الشروح. / أبوالمجد ٨ جمادى‌الأولى ٥٥(١٣).

وذِي لَجَبٍ لاذُوالجَـناحِ أَمـامَهُ بِـناجٍ ولَا الوَحشُ المُثارُ بِسالِمِ

قال ابن فورّجة[٢].

ما ذكره ابن فورّجة لايقصر في البُعد عمّا قاله ابن‌جنّي. والظاهر انّه أراد مدح الجيش بسرعة السير على خلاف ما هو المتعارَف في سير الجيوش العظيمة؛ وذلك لشوقهم إلى ملاقاة العدوّ [و] حبّهم للحرب، ومن أحبَّ شيئاً أسرع نحوه.

وصف سرعته بأنّها بحدٍّ تلحق الطير والوحش المثار ـ وأشدّ ما يكون الوحش عدواً إذا أثير ـ. ولازم ذلك قصد صيدها لما في الطِّباع من حبِّ القنص؛ فعبَّر المتنبّي عن سرعة السير بعدم نجاة الطير وسلامة الوحش المعروفين بالإسراع عن حبّهم للحرب بالإسراع نحوها. وهذا غاية المدح بأحسن تعبيرٍ وأوضحه! وهو اللائق بمقاصد المتنبّي ومحاسنه. فانظر بطرف الإنصاف إلى ما قلتُ وماقالاه، ولك الحكم بعده! / أبوالمجد ١٨ صفر ٣٥٤[١].

وَ إذا طَلَبتُ رِضَـا الأَمِـيرِ بِـشُربِها وأَخَـذتُها فَـلَقَد تَـركتُ الأَحـرَما

كذب فيما قال[٣].

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٤٦؛ طبعة برلين: ٣١٦.
٢. الطبعة الحجريّة: ١٤٦؛ طبعة برلين: ٣١٧.
٣. الطبعة الحجريّة: ١٤٧؛ طبعة برلين: ٣٢٠.

كلّا! ما كذب ولا فجر! لكن هذا الشارح الجارح بلغ لايفهم الواضح ولايقنع بذلك، بل يعكس المعنى! فصريحه ـ كما تراه ـ جعْلُ ترك الأحرم في طلب رضا الأمير وأخذها؛ فقلبه وقال: «فإذا تركت عصيانك فإنَّه أحرم»!

ولعمر الأدب إنَّ هذا الشرح أشدّ على المتنبّي من فتكه فاتك الأسديّ!! / أبوالمجد ٢٠ شوّال ٣٥٥[١].

خَضْرَاءُ جَمْرَاءُ التُّرَا بِ كأنَّها فِي خَدِّ أَغْيَد

بخضرة الشارب على الخدّ[١].

الشارب هو الشعر الذى على الشفة. ولا أدري هذا الإمام المنوَّه به في عامَّة علوم الأدب لا يعلم ما يعلمه أطفال العرب!؛ أو أنَّه لفرط حذاقته لايعرف الفرق بين الفم والخد. / أبوالمجد ٣٠ ربيع الثاني ٣٥٩[١].

أشار إليه بعض الحاضرين بمسكٍ[٢].

الظاهر أنَّه طاهر العلوي، أو غيره من الشرفا؛ ليصحّ الشطر الأخير. /أبوالمجد ١٣ صفر.

بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الجُفُونِ كأنَّما عَقَدتُم أعَالِي كُلِّ هُدْبٍ بِحاجِبِ[٣]

هذا البيت من محاسن المتنبّي المشهورة، وهو واسطة العِقد وبيت القصيد. ومعناه واضحٌ لا يحتاج إلى الشرح؛ وما أورده الواحدي من ألفاظ العموم والخصوص فهو هذيان محمومٍ!

وحمل «الحاجب» على المانع لايصدر إلَّا ممَّن حجب عن فهم الواضح وابتلى باعوجاج السليقه!! وفي قول المتنبّي: «أعالي كلّ هدبٍ» كالتصريح بأنَّ المراد أهداب

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٤٨؛ طبعة برلين: ٣٢١.
٢. الطبعة الحجريّة: ١٤٩؛ طبعة برلين: ٣٢٣.
٣. الطبعة الحجريّة: ١٥١؛ طبعة برلين: ٣٢٧.

أعلى الجفنين إذا لم يجمد على ظاهر اللفظ، لأنّ أسافل الأهداب معروزةٌ في الجفن، فلا يمكن عقدها؛ فيكون لفظ «الأعالي» حينئذٍ حشواً. / أبوالمجد.

كَـذَا الفَـاطميُّونَ النَّـدَى فِي بَـنانِهم أَعَـزُّ اقْتِنَـاءً مِـن خُـطوطِ الرَّواجِبِ

يقول: إنّ الجود مخلوقٌ فيها[١].

يقول: إنّ الندى ثابتٌ في أكفّهم لاتمحى، ومحوها أعزّ من محو خطوط الرواجب؛ ولا ربط له بالخلق الّذي أخلقه سوء فهم الواحدي! / أبوالمجد ١٣ جمادى الأولى ٣٥٩[١].

كَقَشرِكَ الحِبرَ مِـن المَـهارِقِ أَرودُهُ مِـنه بِكَـالشَّوذَانِـقِ

وهو معرَّبٌ من ساداتك، أي: نصف دراهم[٢].

تأمَّل هل غلط الكاتب أو هذى الشارح!

وكَم مِن عَـائِبٍ قَـولاً صَـحِيحاً وآفَـتُه مِـن الفَـهمِ السَّـقِيمِ[٣]

أخذه من قول ابي تمّام.

لا جامع بين البيت وبين قول أبي تمّام جامعاً يصحُّ فيه الأخذ. / محمّد الرضا أبوالمجد ١٧ صفر ٥٤(١٣).

لَا يَخـدَعَنَّك مِـن عَـدوٍّ دَمـعُهُ وارْحَمْ شَبَابَكَ مِن عَدُوٍّ تَرحَـمُ

وارحم نفسك من عدوٍّ ترحمه[٤].

المناسب للشطر الأوّل أن تكون القافية بياء حطّي. / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٥٢؛ طبعة برلين: ٣٣٠.
٢. الطبعة الحجريّة: ١٥٤؛ طبعة برلين: ٣٣٤.
٣. الطبعة الحجريّة: ١٥٦؛ طبعة برلين: ٣٣٩.
٤. الطبعة الحجريّة: ١٥٧؛ طبعة برلين: ٣٤٢.

يَـا بَـنِي الحـارِث بـنِ لُـقمَانَ لاتَـعدَ مكُـم فِي الوَغَـى مُـتونُ العِـتَاقِ

إنَّما يركبون الخيل لحرب[١].

ما خصَّ ركوبهم الخيل بحال الحرب، وأيّ مدحٍ لهم في ترك ركوبها في غيرها ؟!؛ فلوقصدوا مسافةً أ تراهم كانوا يركبون الحمير ؟!

ومن عادة الملوك الركوب للقنص والنزهة ؛ وإنَّما خصَّ الدعاء لهم بحال الحرب لأنّ غيرهم لايقوم مقامهم، وهذاكما تقول: لاعدمتك صديقاً في الشدائد، و: لاعدمتكم كنزاً في حال الفقر. وقد بنى المتنبّي هذا المعنى بلسان الدعاء وأجاد فيه. والواحدي نسيج وحده في حمل أبيات هذا الديوان على ما يضحك منه الصبيان ! / أبوالمجد ٢٢ شعبان ٣٥٥[١].

فـيَا بَحـرَ البُـحورِ ولَا أُوَرِّي ويَا بَدرَ البُـدورِ ولَا أُحـاشِي

أجهَر به ولا أحاشي[٢].

الظاهر انَّ المراد: انّي لا أتَّقي أحداً ولا[٣].

وطَـائِرَةٍ تـتبّعها المَـنَايَا عَلَى آثَارِهَا زَجِـلُ الجَـنَاحِ

يعني بالطائرة: الحجلة[٤].

هذا مذكورٌ في عنوان الأبيات، فما الفائدة في توضيح هذا الواضح ! ولكنّ الواحدي ـ كما نبَّهنا عليه مراراً ـ أستاذٌ في شرح الواضح من شعر المتنبّي ! وأكثر من نصف شرحه من هذا النمط !! / أبوالمجد رجب ٣٥٥[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٦٠؛ طبعة برلين: ٣٥١.

٢. الطبعة الحجريّة: ١٦٤؛ طبعة برلين: ٣٥٨.

٣. هكذا العبارة مبتورةً في المخطوط.

٤. الطبعة الحجريّة: ١٦٦؛ طبعة برلين: ٣٦١.

لَـو كَـانَ ضَـوءُ الشُّـمُوسِ فِي يَـدِه لَـضَاعَهُ جُـودُه وأَفـنَاهُ[١]

الَّذي أحفظه: «صاغ» ـ بالغين المعجمة ـ؛ فامعنى: أنَّه يصوغ ضوؤُها دارهـم ودنـانير ـ أي: يسبكها ويجود به ـ. وهذا هو الأنسب، لأنّ ضوء الشمس ليس مـمَّا يـنفع السـائل والَّذي يجود عليه. ولاحِظ قوله في «العضديَّات» في وصف ضوء الشمس: «دنانيراً تفرّ من البنان». ولاينافيه البيت الَّذي قبله، لأنّ الفرق واضحٌ. / ١٣ صفر ٣٥٤[١].

لَا يَـتَوقَّ أبُـوالعَشَـائِرِ مَـن لَيسَ معَانِي الوَرَى كـمَعنَاهُ[٢]

لمَّا لام النَّاسُ أبالعشائر في الجود أجابهم المتنبِّي بجوابين:

أحدهما: أنَّ اللَّه ـ تعالى ـ خلقه وخلقَ خُلقَه، ولا ملامة على ما لا قدرة على تركه ـ كما ذكره الشارح وأصاب ـ؛

وثانيهما: أنَّ الملامة على الجود لايكون إلَّا لخوف الفـقر عـلى المـظلوم، ولايُـخاف على أبي العشائر منه، لأنّه شجاعٌ يضرب هام العداة ويأخذ أموالهم، فيكسب مـن المـال ما يكسبه غيره بالملق للأغنياء. فالشحُّ عنده والحال هذه يكون من الجبن، لأنَّه لايكـون إلَّا بترك ضرب الهام، ولا يكون ترك ضـربه إلَّا للـجبن وهـو صـورةٌ للشُـحِّ. وهـذا مـن أعذب القول وأحسنه، وجميع ذلك واضحٌ بعد التأمُّل. ولكـنَّ الواحـدي بُـلِي بـالخذلان وحرم فهم الواضح، وطفق يذكر في خلال الأبيات ما يـملي عـليه وسـوسته وتسـوَّل له مخيِّلته!؛ فيقول في شرح البيت الرابع: «إنَّ الشُّجاع لايكون بخيلاً»؛ وأين هذا ـ إن تمَّ! ـ من قوله بربّه: «في الشُّحِّ صورة الفـرق»، لأنّ صـريحه انَّ تـرك الجـود ـ وهـو الشُّـحُّ ـ بـدا في صـورة الفـرق، لا أنَّـهما مـتلازمان أو نـاشئان عـن سـببٍ واحـدٍ. واسـتشهد عـليه بقول الجاحظ.

---

١. الطبعة الحجريَّة: ١٧١؛ طبعة برلين: ٣٦٩.

٢. الطبعة الحجريَّة: ١٧٢؛ طبعة برلين: ٣٧٠.

وقوله: «الشجاع لايفرق» غلطٌ! فكم حفظتْ صفحات التأريخ تراجم جبناء الأسخياء وشجعان الأشحاء؛ ولعلّه عدّ مطلق عدم الخوف شجاعةً. وهذا من أشنع القول وأسخفه! وعليه فخوف المَسَبّه والعارّ ودخول النار شجاعةٌ!

وبعد ذلك كلّه فأيّ معنىً لتأمين السيف من الفرق في لجّة السماح والسيف لايأمن إلّا من بأس العدوّ؟!

والطامّة الكبرى قوله في شرح البيت الخامس: «وكلّ أحدٍ يحبّه لشجاعته»، وأنّه كقوله: «ومن شرف الأقدام»؛ وقد ألجأه الغلط في تفسير البيت إلى التكلّف في الموصول وحمله على قبيح الكلام، ولاأثر لحبّ الناس له في البيت. وأنت إن أنصفتَ تعلم أنّه ليس من قوله: «ومن شرف الأقدام ـ... إلى آخره ـ»، بل هو من قبيل قول الشريف الرضي في وصف بني حملان ـ: عشيرة أبي العشائر ـ:

استنزلوا أرزاقَهم بسيوفِهم فعنوا بعسرٍ حدَّ له وصفاد

وبالجملة تفسير الواحدي لهذه المقطوعة خبطٌ وخلطٌ! ولايحضرني سائر شروح الديوان لأنظر إلى كلام غيره فيها؛ وأنا في مطمورة إصفهان غريب الوجه واليد واللسان، بعيدٌ من كتب الأدب وأهله!! والواحدي نسيج وحده في تفسير الواضحات وتبديل ألفاظ البيت بمثلها وأخفى منها!؛ وشاهد قولي تفسيره المقطوعة الّتي تلي هذه. / أبوالمجد.

بَليتُ بِلَى الأَطلالِ إن لَم أقِفْ بِها وُقوفَ شَحِيحٍ ضَاعَ فِي التُّربِ خَاتِمُه

وأورد ابن جنّيٍّ على هذا[1].

لايُنكر علوُّ مقام أبي الفتح في فنّي النحو والصرف؛ وأمّا في علوم البلاغة فلولا قلّة اطّلاعه عليها وهبوط درجته فيها لم يورد مثل هذا السؤال التافه، ولم يَحْوَج العروضي إلى الجواب البارد الّذي تكلّفه، ويقطع بأنّ أباالطيّب لم يخطر ذلك بباله!

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٧٣؛ طبعة برلين: ٢: ٣٧٤.

وظاهرٌ انَّ قول أبي الطيِّب من التشبيه النادر الَّذي يتهافت عليه الفصحاء ؛كقولهم: أقصر من جِلسة الخطيب ، وأطول من وقت العشاء الآخرة إلى غير ذلك ممَّا لايُحصى ... . / أبوالمجد ٢٤ ربيع الثاني ٣٥٤[١].

وأَحسَنُ مِن مَاءِ الشَّبِيَةِ كُلِّه حيَا بَارقٍ فِي فَازَةٍ أَنَا شَائِمُه

و«الفازة»: شراع ديباج[١].

«الفازة»: خيمةٌ صغيرةٌ معروفةٌ من القديم إلى اليوم ، ويعرفها الأطفال والنساء ، فتفسيرها بالشراع عجبٌ!

ثمَّ إنَّ المعهود[٢] من معاني الشراع هو شراع السفينة ، فهل كان سيف الدولة في البحر!؟

ثمَّ إنَّ سيف الدولة لم يكن في الشراع حيث يشبّهه المتنبّي ؛ ولايمكن الاعتذار للواحدي إلَّا أن يقال: إنَّه كان زمان اشتغاله بشرح البيت محموماً وهذا ما هذى به! / أبوالمجد ١٤ شعبان ٣٥٥[١].

رَواقُ العِزِّ فَوقَكِ مُسبَطِرٌّ ومُلكُ عَلِيٍّ ابْنِكَ فِي كَمالِ[٣]

قال ابن فورجّة[٤].

غفل ابن فورجّة عن قول الصاحب في مرثية النساء ، فزعم انّه أنكر مطلق اللفظ ، فاستشهد عليه بقول عمرو ؛ [و] ما درى أنَّ الصاحب أنكر على المتنبّي في ذكره هذا المورد ؛ وسببه واضحٌ لمن عرف معناه. / أبوالمجد ١٥ رجب ٣٥٤[١].

---

١. الطبعة الحجريّة : ١٧٦ ؛ طبعة برلين : ٣٧٩.

٢. الظاهر انَّ المحشّي عدل عن اعتراضه هنا على الواحدي ، لأنّه كتب في ذيل الحاشية هكذا : «الشراع للخيمة كان معروفاً في عصر المتنبّي ؛ قال القاضي التنّوخي : «فكان السماء خيمةٌ وشى وكان الجوزاء فيها شراعٌ» ؛ فلابدّ من المراجعة واصلاح الحاشية». / ابوالمجد ١٣ ربيع الأوّل ١٣٥٦.

٣. الطبعة الحجريّة : ١٨١ ؛ طبعة برلين : ٢ : ٣٩٠.

٤. الطبعة الحجريّة : ١٨١ ؛ طبعة برلين : ٢ : ٣٩٠.

قال العروضي: فإنَّما غيَّره عليه الصاحب[١].

من يصدق أحد الأنذال الَّذي مهنته مسح النعال لأخذ دراهم معدودة ثمَّ يفتري لأجل قوله على مثل الصاحب هذه الفرية الّتي يجلُّ عنها أقل أهل الأدب، فالواجب في شرع الفضل أن يُضرب ألف سوطٍ!! / أبوالمجد ١٥ صفر ٥٤(١٣).

وإنِّي لأَعشَقُ مِن عِشقِكُم نُحولِي وكُلَّ فَتىً نَاحِلِ

كلّ ناحلٍ في الحبِّ[٢].

ليس في البيت ما يدلُّ على تخصيص الناحل في الحبِّ؛ فهذا تخرُّصٌ من الواحدي! / أبوالمجد ٢٩ ربيع الثاني ٣٥٩[١].

تَتلُو أَسنَّتُه الكُتْبَ الَّتِي نَفَذَتْ ويَجعَلُ الخَيلَ أبدَالاً مِن الرُّسُلِ

يقول: أسنَّته تتبع كتبه[٣].

تفسيرٌ حسنٌ لولا أنَّه قد شوَّهه بتخرُّصاته الّتي لا أثر في البيت لها، ولا يتوقَّف تفسيره عليها. وأحسن منه أن يكون «نفذت» بصيغة المجهول ـ أي: الكتب الّتي ترسلها الملوك وغيرهم ـ، ويكون «تتلو» من التلاوة؛ والمعنى: إنَّه لا يعبأ بها ولا يتلوها، بل يتلوها أسنَّته، كنايةً عن أنَّها لاتبنى عزائمه ولايصدُّه عن حربهم. ونسبة التلاوة إلى الأسنَّة في الدرجة العليا من الحُسن والبلاغة. وينافي تفسير الواحدي قوله في هذا الممدوح:

ولاكتبٌ إلَّاالمَشرَفيّة عنده ولارسلٌ إلَّاالخميس العَرَمرَم

/ أبوالمجد غرَّة جمادى الأولى ٣٥٦[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٨٢؛ طبعة برلين: ٣٩١.

٢. الطبعة الحجريّة: ١٨٤؛ طبعة برلين: ٣٩٥.

٣. الطبعة الحجريّة: ١٨٧؛ طبعة برلين: ٤٠٣.

بِنَفسِي وَلِيدٌ عَادَ مِن بَعدِ حَملِهِ إلَى بَطنِ أُمٍّ لَا تُطَرِّقُ بِالحَملِ[١]

هذا من باب نفي الشيء بايجابه، على حذوقوله: لايمسح عينيه من الكحل، أي: لايكتحل. ... ونفي الشيء بإيجابه من أحسن التعبير وألطف نكات البديع؛ وهذا هو الَّذي أراده المتنبّي. ولا أدري كيف خفي هذا ـ على وضوحه! ـ على الواحدي وغيره ممَّن نقل كلامه فأطال وجاء بما لاطائل فيه!؛ وكفَّره الآخرون على غير ذنبٍ صدر منه إلَّا سوء فهم الشارحين! إنْ عُدَّ هذا ذنباً له!! / أبوالمجد.

إنِّي لأُبغِضُ طَيفَ مَن أحبَبتُه إذْ كَانَ يَهجُرُنَا زَمَانَ وِصَالِهِ

ولكنّه قلَّب الكلام[٢].

لا قلب في الكلام والقلب في فهم الواحدي! والضمير في «يهجرنا» يرجع إلى من أحب؛ وفي «وصاله» إلى «الطيف». ولا أدري من لايفهم واضح الشعر كيف يقدم على تفسير الكتاب الكريم! وما ذكره في البيت الَّذي بعده ـ وهو قوله: «مثل هجر هذه الأشياء» ـ هجرٌ كلُّه!! / أبوالمجد ٧ ربيع الأوَّل ٥٥(١٣).

يَا أَيُّهَا القَمَرُ المُبَاهِي وَجهَهُ لَا تَكذَبَنْ فَلَستَ مِن أشكَالِهِ

للقمر لاتسمعنَّ الكذب[٣].

فهي القمر عن كذبه في ادِّعائه أنَّه مثل الممدوح. والواحدي جرى على ما جُبِّل عليه من الإعوجاج! فقرأ لفظ «لاتكذبنَّ» بضمِّ «التاء» وفتح «الذال»، فلفَّق ماترى!!

وقوله: «زيادته كلّ ليلهٍ» زيادةٌ باردةٌ. / أبوالمجد ٢٢ شوَّال ٣٥٥[١].

---

١. الطبعة الحجريَّة: ١٩٢؛ طبعة برلين: ٤١١.

٢. الطبعة الحجريَّة: ١٩٥؛ طبعة برلين: ٤١٨.

٣. الطبعة الحجريَّة: ١٩٧؛ طبعة برلين: ٤٢١.

وبَينَ القَرعِ والقَدَمَينِ نُورٌ يَقُودُ بِلا أزِمَّتِها النِّيَاقَا

يقال: ناقةٌ ونوقٌ[١].

انظر قوله في صفحة ٣ سطر ١٢[٢]: «ومِن حقِّ المصنِّف ـ... إلى آخره ـ» وأخذه على ابن جنِّيٍّ ذكرَه ما لا حاجة إليه في شرحه، ثمَّ انظر إلى ذكره جموع الناقة وسَلْه عن الحاجة إليها في شرح الديوان!؛ ومثله كثيرٌ في شرحه. / أبوالمجد ٢٢ رجب ٣٥٥[١].

وحَاشَا لِارْتِياحِكَ أن يُبارَى ولِلْكَرَمِ الَّذي لكَ أن يُباقَى

وكرمك لا يباهي بالبقاء[٣].

تفسير «يباقى» بما ذكر ركيكٌ لفظاً ومعنىً. و«البوق» بمعنى السرقة لغةٌ عراقيةٌ شائعةٌ من القديم إلى اليوم مذكورةٌ في أمَّهات الكتب اللغويّة؛ فلو حمل عليه لكان مناسباً لقوله بعد هذا: «ولم أظفر به منك استراقاً». وعليه فـ«يُباقى» فعلٌ مجهولٌ كيُقال، ونسبتها إلى الكرم شبيه مجازٍ في الإسناد؛ وهو شائعٌ جدّاً.

السرقة لايكون إلّا ممَّن يشحُّ بالعطاء، ويكون المسروق ممّا له موقعٌ عند المسروق منه. / أبوالمجد ١٠ شعبان ٣٥٥[١].

وإنْ جَـزِعنَا لَـه فـلَا عَـجَبٌ وذَا الجَزرُ فِي البَحرِ غَـيرُ مَـعهُودِ

يريد أنَّ البحر لا جزر له[٤].

رحم اللّه من عرف معنى هذه العبارة وفهَّمني به! وإذا كان البحر لا جزر له فيكون للبرِّ على قول الواحدي!

---

١. الطبعة الحجريّة: ١٩٨؛ طبعة برلين: ٤٢٥.

٢. الرقم يشير إلى الطبعة الحجريّة المحشّاة من قبل المحشّي.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢٠٠؛ طبعة برلين: ٤٢٨.

٤. الطبعة الحجريّة: ٢٠١؛ طبعة برلين: ٤٣١.

ثمَّ ما معنى قوله: «وإنَّما يعرف»؟! ولعلَّ معنى البيت: انَّ جزر المعهود هو ما يكون موتنا ونقضه المدُّ، وهذا جزرٌ لا مدَّ بعده. / أبوالمجد ١٢ شعبان ٣٥٥[١].

فإذَا رأَيتُكَ دُونَ عِرْضٍ عَارِضاً أَيقَنتُ أَنَّ اللَّه يَبغِي نَصرَهُ

وهذه القافية فيها خللٌ[١].

أطال القول في أنَّ القافية «راءٌ» لا «هاءٌ»، وهذا أمرٌ واضحٌ لا يحتاج إلى بيانٍ فضلاً عن هذا الاطناب الَّذي فيه!

وأمّا العُذر في اشباع «الهاء» ـ أوالحاق «الواو» كما يقول ـ فهو إن كلّاً من شطري البيت قد يُعامل معاملة التامّ، ولهذا يصرَّع الأوَّل ويُقطع همزة الوصل في أوَّل الثاني ويقع فيه الجزم الممنوع في الحشو. / أبوالمجد.

ولو اقتصر على قوله: «أوتقول: أشبع ضمَّة الهاء» لكان أولى.

بِغُرَّتِهِ فِي الحَربِ والسِّلمِ والحِجَى وبَذلِ اللُّهَى والحَمْدِ والمَجدِ مُعلَمُ[٢]

يقول: إنَّ الكماة يعلِّمون أنفسهم في حال الحرب خاصّةً بعلامةٍ واحدةٍ خارجيةٍ لا شرف فيها، فإنَّها تُفارقهم؛ والممدوح يعلِّم بوجهه وصفاته وأفعاله بما لا تُفارقه في حالَي الحرب والسِّلم كلُّها شريفٌ في نفسها؛ هذا مراده قطعاً من غير فرقٍ بين الروايات. [و] ما ذكره تطويلٌ لا يرجع إلى طائلٍ؛ تأمَّل وانصف! / أبوالمجد غرّة صفر ٣٥٦[١].

حَوالَيهِ بَحرٌ لِلتَّجَافِيفِ مَائِجٌ يَسيرُ بِه طَودٌ مِن الخَيلِ أَيهَمُ

«الأيهم»: الَّذي لايهتدي[٣].

«الأيهم»: صفةٌ للطود، فلا مناسبة بينه وبين ما حمله عليه؛ بل ولا معنى له! والمراد منه

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٠٤؛ طبعة برلين: ٤٣٥.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٠٦؛ طبعة برلين: ٤٤١.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢٠٨؛ طبعة برلين: ٤٤٣.

هنا الجبل الصعب الأملس الَّذي لا يُرتقى. ولمَّا جعل المتنبِّي الخيل طوداً جعله أيهماً ـ أي: صعباً لا يُرام ـ. / أبوالمجد ٤ صفر ٣٥٦[١].

ولَـو بِـتُّ عِـندَ قَـدرَيْكُمَا لَـبِتُّ وأعْـلَاكُـما الأسْـفَلُ[١]

ولي تضمينٌ بديعٌ لهذا البيت أمازح به رجلاً يصاحب غلاماً، يمنعني الحياء عن ذكر تمامه؛ وصدر البيت الَّذي قبله: «فعلت»، وقافيته: «يفعل»؛ وعلى الأديب لايخفى تمامه. / أبوالمجد ٦ صفر ١٣٥٦.

عَـرَفتُكَ والصُّـفُوفُ مُـعبَّيَاتٌ وأَنتَ بِـغَيرِ سَـيفِكَ لَا تَـعِيجُ

أشار إلى قلَّة حفله بجُنده[٢].

من المعلوم أنَّ الرئيس الشجاع لايحارب بغير السيف، وهذا عليٌّ أميرالمؤمنين وأشجع الأوَّلين والآخرين لم يُنقل في خبرٍ يُوثق به أنَّه ترك قوساً أو اعتقل رمحاً. ولمَّا رُئيَ سيف الدولة وبيده رمحٌ حمل ذلك على أنَّه يريد اخفاء نفسه؛ ولهذا قال البيت: «ووجه البحر ـ... إلى آخره ـ. وقول الشارح: «أشار إلى قلَّة حفله بجنده» من وساوسه الَّذي لم‌يخطر ببال المتنبّي! / غرَّة ربيع الثاني ٣٥٦[١].

وإنْ يُـقدِمْ فَـقَد زُرنَـا سَمَـندُو وإنْ يُحـجِمْ فَـوعِدُنَا الخَـلِيجُ

فقد لحقناه بالخليج[٣].

من لا يعرف معنى الخليج ويفسِّره بالنهر كيف يقدم على شرح هذا الديوان! / أبوالمجد. وقوله: «بقرب قسطنطنيّه» يضحك منه أطفال المكاتب!!

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٠٩؛ طبعة برلين: ٤٤٩.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢١٠؛ طبعة برلين: ٤٥٠.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢١٠؛ طبعة برلين: ٤٥١.

يَـرُدُّ يَـداً عَـن ثَـوبِها وهْـوَ قَـادِرٌ ويَعصَى الهَوَى فِي طَـيفِهَا وهْـوَ رَاقِـدُ

ردُّ اليد عن ثوبها يعني إزارها[١].

إذا ردَّ يداً عن سائر ثيابها فإزارها أولى بردِّها عنه؛ فقول الواحـدي: «يـعني إزارهـا» لا وجه له! و«الثوب» في لغة العراق ـ وأبو الطيِّب عراقيٌّ ـ خصوص ما يستر أعالي البدن. فإن شئتَ التخصيص فحمله عليه أولى، لأنّه أدلُّ على التعفُّف. / أبو المجد ٢٧ شعبان ٣٥٥[١].

شَنَنتَ بِهـا الغَـارَاتِ حَـتَّى تَـركْتَهَا وجَفْنُ الَّذي خَلفَ الفَـرَنجَةِ سَـاهِدُ

و«الفرنجة» قريةٌ بأقصى الروم[٢].

كان الأجدر بالواحدي أن يترك شرح هذا الديوان ويكتب كتاباً في فنّ الجغرافيا وفي المسالك والممالك، فإنَّه يعرف منها ما لا يعرفه أحدٌ من علمائها! يقول: «إنَّ فرنجة قريةٌ»!؛ و: «الخليج نهرٌ بقرب قسطنطنيّة»!؛ و: «الصراة ينتهي إلى الشام»!؛ وهكذا!! / أبو المـجد ١٧ محرَّم ٣٥٥[١].

وحَمـدَانُ حَمـدُونٌ وحَمـدُونُ حَـارِثٌ وحَـــارِثُ لُـقمَانٌ ولُـقمَانُ رَاشِـدُ

لجمع الأسامي في الشعر[٣].

يسمَّى عند علماء فنّ البديع بـ: «الاطِّراد».

وكُـنتُ إذَا أَبـصَرتُهُ لَك قَـائِماً نَـظَرتُ إِلَى ذِي لِـبدَتَينِ أَدِيبُ

لو قال «مهيب» لكان أحسن[٤].

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢١٥؛ طبعة برلين: ٤٦٠.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢١٦؛ طبعة برلين: ٤٦٣/ ٤٦٤.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢١٧؛ طبعة برلين: ٤٦٦.

٤. الطبعة الحجريّة: ٢١٨؛ طبعة برلين: ٤٦٩.

لو قال ذلك كان توضيحاً للواضح ـ كقولك: عسلٌ حلوٌ وصَبِر مرٌّ ـ، إذ كلّ أسدٍ مهيبٌ، ولم يكن في البيت سوى تشبيه مُهاب بالأسد، وهو تشبيهٌ مبذولٌ يعرفه العوام ويجري في كلمات الأطفال والنسوان. والّذي يحسن البيت وصفه مع ادّعاء كونه أسداً بما ليس من طباع الأسد ولا في صفاته، وهو الأدب؛ فكأنّ أباالطيّب إذا أبصره تعجّب من ذي لِبدَتين متّصفٍ بأحسن صفات الإنسان. فلا دَرَّ ابن الوكيع ولا الواحدي إن كان ارتضاه. / أبوالمجد ١٤ صفر ٣٥٠[١].

وخَلَّى العَذَارَى والبَطارِيقَ والقُرَى وشُعثَ النَّصَارَى والقَرَابِينَ والصُلْبَا

«القرابين»: خاصّة الملك، واحدهم قربان[١].

«القربان»: ما يناوله الكاهن أتباعه من النصارى. وما حمل عليه الواحدي لايناسب شعث النصارى والصليب. / ابوالمجد.

فَحُبُّ الجَبَانِ النَّفسَ أَوردَه البَقَا وحُبُّ الشُّجاعِ النَّفسَ أورَدهُ الحَربَا

يقول: فالجبان إنّما اتّقى الحرب[٢].

هذا المعنى صحيحٌ في نفسه، ولكن الأنسب بمقاصد المتنبّي ـ ويشهد به كثيرٌ من شعره ـ أن يكون مراده: أنّ الجبان والشجاع يحبّان النفس والعيش لها ويحبّان ما تحبّ؛ والفرق أنّ نفس الجبان تحبّ الحياة وإن كانت مع الذلّة والخمول، والشجاع تحبّ نفسه المعالي وتراها عيشاً لها ولا يعبأ بالحياة ـ كما قال:

فموتي في الوغى عيشٌ لأنّـي رأيتُ العيش في أرب النُّفوس

/ أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٢٢؛ طبعة برلين: ٤٧٧.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢١٨؛ طبعة برلين: ٤٧٧.

وجَـيشٍ يُـثَنِّي كـلَّ طَـودٍ كأنَّـهُ خَريقُ رِياحٍ واجَهتْ غُصُنا رَطباً[١]

أي: يعطفه ويميل به شأن كلِّ ثقيلٍ إذا علا ما هو أخفُّ منه؛ ومنه: تثني القصن وتثنيَت المرأةُ عطفَها. وأمّا جعل الطود اثنين كما يقول الواحدي فمِن المضحك للـناظر والمـبكي للديوان الَّذي أفسده بفساد طبعه!

وهل سائلٌ عنه عن السبب الَّذي يجعلونه اثنين؟ فإن كان المراد نسفه ودكه فلم يثلفوه ولم يفسّره؛ وهكذا. / أبوالمجد ٢٥ جمادى الأولى ٣٥٤[١].

فـالخيل والليـل في البـيداء تـعرفني والطعن والضرب والقرطاس والقلم

ومن اتى بضد هذاالبيت[٢]

رحم اللّه صاحبنا القريشي حيث قال ـ بتصرّفٍ منّي ـ:

الخـبز واللـحم والكـرّاث يـعرفني وشـلّة المـاش والأكـراش والكَـلَم

صَـحِبتُ فِي الفَـلَواتِ الوَحشَ مُـنفَرداً حـتَّى تَـعجَّبَ مِـنِّي الفُـورُ والأَكَـمُ

حتَّى لو كانت الجبال[٣].

ما أبرد هذه الجملة! وكأنَّ الواحدي لا يعرف واضحات علم الأصول والبيان، ولو عرفها لعلم أنَّ نسبة التعجُّب على نحو الحقيقة ولو ادِّعائيَّةً؛ وعليه يتوقَّف حسن البيت. ونظائره الّتي لا تُعدُّ في منثور الكلام ومنظومه راجع كتابنا: سمط اللآل في الوضع والاستعمال[٤]. / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٢٣؛ طبعة برلين: ٤٧٩.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٢٥؛ طبعة برلين: ٤٤٨.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢٢٥؛ طبعة برلين: ٤٤٨.

٤. «سمط اللآل في مسألتي الوضع والاستعمال» من مؤلّفات المحشّي، طُبع في مقدّمة كتابه وقاية الأذهان ـ في علم الأصول ـ، التحقيق والنشر بواسطة مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، بقم المقدّسة.

بِأيِّ لَـفظٍ تَـقُولُ الشِّـعرَ زِعـنِفَةٌ تَجـوزُ عِـندَكَ لَاعُـربٌ ولَاعَـجمُ

وهو غير صحيح في المعنى[١].

لا أدري لماذا؟!؛ وهو أنسب بسياق البيت، لأنّه يكون حينئذٍ صفةً للفظ الّذي قبله. وقول الواحدي قبل ذلك: «ولا تسليم العجم ـ... إلى آخره ـ» لا معنى له! والظاهر انّ أباالطيّب أراد انّ هؤلاء ليس لشعرهم فصاحة العرب ولادقائق معاني العجم، فكأنّهم ليسوا بعربٍ ولاعجمٍ. / أبوالمجد.

أَ هذَا جَـزاءُ الصِّـدقِ إنْ كُـنتُ صَـادِقاً أَ هَـذَا جـزَاءُ الكِـذبِ إنْ كُـنتُ كـاذِباً

إن كنتُ صادقاً في مديحك[٢].

تأمَّل فيما أورده في معنى البيت!

ومعنىً آخر هو: إنّي إن كنتُ صادقاً فيما عاقبته في «الميميّة» وإنّه صدر منه التقصير في حقّي فجزائي رفع ذلك والإحسان إليَّ، وإن كنت كاذباً فجزائي القتل والصلب مـثلاً؛ أمّـا العتاب من مثله والمعاملة بما ذكره في «الرائيّة» من قوله: «أرى ذلك القرب صار ازواراً ـ... إلى آخره ـ» فليس جزاءً للصادق ولا للكاذب. / أبوالمجد.

وقَـد أرَانِي الشَّـبابُ الرُّوحَ فِي بَـدنِي وقَـد أَرَانِي المَشِـيبُ الرُّوحَ فِي بَـدلِي[٣]

لمَّا رُئي الفرق البيِّن والبون البعيد بين بدنه في حال الشباب وبينه في زمن المشـيب، ادَّعى أنَّ الثاني بدل بدنه الأوَّل والروح واجدة؛ وهذا معنىً واضحٌ جيِّدٌ؛ ولعلّه الّذي أراده ابن جنّيٍّ وإن قصرت عبارته.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٢٦؛ طبعة برلين: ٤٨٦.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٢٧؛ طبعة برلين: ٤٨٧.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢٢٨؛ طبعة برلين: ٤٨٩. والعبارة لم توجد في طبعة برلين.

وحينئذٍ ما أورده عليه ابن‌فورجّه هذيان محمومٍ!

وما جعله أحسن ما يُحمل عليه من أقبح الوجوه، إذ لا ذكر للولد في البيت لا تصريحاً ولا تلويحاً؛ فهو تخرّصٌ صرفٌ! كيف وقد ذكر الشباب والمشيب، فمعناه: إنّ الشيب في تبدُّل المشيب؛ وأين هذا من الوجه الَّذي ذكره؟!؛ أللهمَّ إلَّا بتكلُّفاتٍ باردةٍ. / أبوالمجد ٣صفر ٣٥٦[١].

لعلَّ عَتبَكَ مَحمودٌ عواقِبُه فرُبَّما صَحَّتِ الأجسَامُ بِالعِلَل

فأتأدبّ بعد عفوك[١]

الظاهر أنّ الواحدي عكس بفهمه المعكوس معنى البيت!؛ والمراد: أنّ عتابك يعضه رضاً ونائلاً ويزيدني قُرباً منك.

وقوله: «أتأدّب... بعفوك ـ... إلى آخره ـ» بعيدٌ سمجٌ! / أبوالمجد ٢٠ جمادي الأولى ٣٥٦[١].

وأَشنَبَ مَعسُولِ الثَّنِيَّاتِ واضِحٍ سَتَرتُ فَمِي عَنهُ فَقَبَّلَ مَفرِقِي[٢]

لا أدري لماذا ستر المتنبّي فمه عنه إلَّا أن يكون أبخر فستر فمه للِنتِنه! فأين هو من قولي:

أُقَبِّل فاهَا عِندَ تَقبِيلِها فَمِي وذَا فِي بَدِيعِ الحُبِّ يُدعَى تَقَابُلاً[٣]

/ أبوالمجد ١٠ صفر ٣٥٤[١].

ابيضّ الوجه تعفَّفت عنه[٤].

لا وجه لجعل «الواضح» صفة «الوجه»، ولا ذكر له في البيت؛ والظاهر أنَّه صفةٌ لـ«لأشنب».

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٣٠؛ طبعة برلين: ٤٨٠.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٣٢؛ طبعة برلين: ٤٩٩.

٣. راجع: ديوان أبي المجد، ص ١١٩.

٤. الطبعة الحجريّة: ٢٣٢؛ طبعة برلين: ٤٩٩.

ووصف الثغر بالوضوح ومرادفاته في الشعر أكثر من أن تُحصى. / أبوالمجد ١٠ صفر.

ضَرُوبٌ بِأطرَافِ السُّيُوفِ بَنانُهُ لَعُوبٌ بِأطرَافِ الكَلَامِ المُشَقَّقِ

انَّه يأتي بالتجنيس[١].

الكلام المشقَّق ما أُخرج أحسن مخرجٍ؛ وعليه حمل علماء اللغة حديث البيعة: «تشقيق الكلام عليكم شديدٌ» ـ أي: إخراجه أحسن مخرجٍ.

وما حمله عليه الواحدي من خصوص التجنيس حمل جاهلٍ بواضحات اللغة، بليدٍ لايفهم واضحات المعاني! / أبوالمجد ١٠ صفر ٣٥٤[١].

ولمازحٍ أن يقول: بحمله على التجنيس نجَّس البيت! على أنَّ اثبات التجنيس ممَّا يُمدح به الشاعر، لا سيف‌الدولة!! / ١٠ شعبان ٣٥٥[١].

ومَا بِكَ غَيرُ حُبِّكَ أنْ تَراهَا وعِثْيَرُهَا لأرجُلِهَا جَنِيبُ

وهي تمشي في ظلِّ ذلك[٢].

ظلُّ العثير عبارةٌ قبيحةٌ؛ حاشا أباالطيِّب أن يقصد ما قاله! / أبوالمجد ١٣ جمادى الأولى ٣٥٩[١].

لِكُلِّ امْرِءٍ مِن دَهرِهِ مَا تَعوَّدَا وعَادَاتُ سَيفِ الدَّولَةِ الطَّعنُ فِي العِدَا

جعله سيفاً ثمَّ وصفه[٣].

لم‌يجعله المتنبّي سيفاً، بل هو لقبه قبل أن يعرفه. وما قاله اجتهادٌ باردٌ لم يخطر بخاطر أبي‌الطيِّب. / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٣٣؛ طبعة برلين: ٥٠١.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٤٦؛ طبعة برلين: ٥٢٤.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢٤٨؛ طبعة برلين: ٥٢٩.

أَجِــزني إذا أُنشِــدتَ شِعراً فَـإنَّما بِشــعرِي أتَــاكَ المَادِحُونَ مُـردَّدَا

فانَّ ذلك المنشد شعري يأتيك[١].

وله تفسيرٌ آخر لعلَّه أقرب إلى مقاصد المتنبّي؛ وهو: انّ مدائحي فيك أوجب اشتهارك بالجود واعطائك جزيل الصِّلاة للمادحين، فقصدوك. ويقرب هذا البيتُ الَّذي قبله، كما انَّ البيت الَّذي بعده يقرب التفسير المذكور في المتن. / أبوالمجد ٨ جمادى الأولى ٣٥٩[١].

إذَا مَــا سِرتُ فِي آثَـارِ قَـومٍ تَخَــاذَلتِ الجَـمَاجِمُ والرِّقَـابُ

وعندي في معنى هذا البيت غير ما ذكره[٢].

الوجه ما قاله ابن فورجّة. والَّذي عنده ليس بشيء! إذ لا أثر في البيت من خوفهما منه. / أبوالمجد ٦ جمادى الأولى ٣٥٩[١].

يُكــلِّفُ سَـيفُ الدَّولةِ الجَـيشَ هَمَّـهُ وقَد عَجَزتْ عَنهُ الجُيُوشُ الخَـضَارِمُ[٣]

لا تصحُّ هذه الرواية إلَّا أن يكون جيش الممدوح قليلاً، وهذا بالذمِّ أشبه منه بـالمدح. ولازال المتنبّي في قصائده «السيفيّات» وغيرها يمدح الجيش بالكثرة والعظم، وهذا هـو الوجه في الرواية الّتي زعم أنَّه لا وجه لها في المعنى، وهو أحسـن وأصـحُّ مـن الروايـة الأخرى. / أبوالمجد ١٢ جمادى الأولى ٣٥٦[١].

إذَا بَـرقُوا لَم تُـعرَفِ البِـيضُ مِـنهُمُ ثِـيَابُهُمُ مِــن مِــثلِهَا والعَــمَائِمُ[٤]

يعني الروم.

تأمَّل وراجع شرحاً آخر غير هذا.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٥٠؛ طبعة برلين: ٥٢٩.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٥٤؛ طبعة برلين: ٥٤٤ / ٥٤٥.

٣. الطبعة الحجريّة: ٢٥٦؛ طبعة برلين: ٥٤٨.

٤. الطبعة الحجريّة: ٢٥٧؛ طبعة برلين: ٥٥١.

ولَـيلاً تَـوسَّدنَا الثَّـويَّةَ تَحـتَهُ كَأنَّ ثَراهَا عَـنبَرٌ فِي المَـرَافِـقِ

قال العروضي فيما استدرك[١].

ألَا ينظر العروضي إلى قوله: «توسَّدنا» و«الوسادة» تناسب الخدَّ والرأس ؟! فأيُّ مناسبةٍ بين جعل الرأس أو الخدِّ فوق الثوية وبين كون ثراها عنبراً في مرافق اليد ؟!

ثمَّ إنَّ الوسادة تناسب اللين، فكان عليه أن تُشبَّه بشيءٍ لينٍ كالريش ونحوه؛

وأيضاً: أيّ مناسبةٍ بين مرافق اليد والعنبر وما استفادتها منها إلَّا أن يرى العروضي انتقال قوّة الشم من الأنوف إليها! وهذا بخلاف المرفقه؛ فإنَّ المترفين يختارون المرافـق اللـيّنة المطيبة لقربها من مشامّهم.

وعليه فمراد أبي الطيّب: أنّ الثرى على خشونتها وصلابتها طيّب الرائحة ونحن صعاليك كان لنا بمنزلة أحسن مُرافقٍ أرباب النعمة والثروة وهي اللُّبنَة المطيبة.

وبحفظي ـ وأظنُّ أنّي حفظتها من نسخةٍ صحيحةٍ ـ: المفارق، بدل المرافق؛ فليلاحظ! / أبوالمجد ٢٤ ربيع الثاني ٣٥٤[١].

بِـــلَادٌ إذا زَارَ الحِســانَ بِـغَيرهَا حَـــصَى تُـربِها ثَـقَينة للـمخانِقِ

من قول البُحتري: حصاها لؤلؤٌ[٢].

البحتري استعار اللؤلؤ للحصا، والمتنبّي وصف حصا الثوية بأنَّها تـجلب إلى غـيرها، وأنَّها تبقت للمخانق. وهو وصفٌ مطابقٌ للواقع، لأنّها حصى الغَريِّ الَّذي يُعرف الآن بالدُّرِّ، وهي فصوصٌ في نهاية الحسن تشبه الماس يُجلب إلى سائر البلاد ويَـتزيَّن بـها الرجـال والنساء وتباع بقيمةٍ غاليةٍ؛ وقد نسبه لذلك غيره من الشارحين كالعُكبري.

وهذا الشارح لجهله بذلك جعله مثل قول البحتري أو مأخوذاً منه، وهو أجنبيٌّ عنه! / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٦٠؛ طبعة برلين: ٥٦٠.

٢. الطبعة الحجريّة: ٢٦١؛ طبعة برلين: ٥٦٠.

سُهـادٌ لِأَجفَانٍ وشَمسٌ لنَـاظِرٍ وسُـقمٌ لأَبـدَانٍ ومِسكٌ لِـناشِقِ

قال العروضي: البيت من صفة[١].

لو كان كما قال العروضيُّ لكان اللازم أن يكون الأوصاف بالنصب، لا بالرفع، إلَّا بتكلُّفٍ لا يرتضه الأديب. هذا؛ مع أنَّ سياق الشطر الثاني في البيت الَّذي قبله يشـهد لأبـي الفـتح بالإصابة وللعروضي بالغلط. / أبو المجد.

يُحـدِّثُ عـنَّا بَـينَ عـادٍ وبَـينَهُ وصُدغَاهُ فِي خَدَّي غُلامٍ مُراهِـقِ[٢]

ما قاله ابن جنِّيٍّ هو المراد قطعاً، وما ذكره الواحدي بعيدٌ جدّاً!؛ وأيـن التـحديث مـن الغناء! / أبو المجد.

طِـوالٌ قَـناً تُـطاعِنُها قِـصارٌ وقُطرُكَ في نَدىً ووغَى بِحـارُ

قوله: وقطرك في ندىً إلى القليل[٣].

هذا تفسير قوله: «وقطرك في ندي»؛ وأين تفسير قوله: «في وغىً»؟! والظاهر يريد به الدماء الَّتي يريقها. / أبو المجد ٦ جمادى الأولى ٣٥٩[١].

وعـلَى الدروبِ وفي الرُّجـوعِ غَـضاضَةٌ والسَّـيرُ مُـتَتبِعٌ مـن الإمكَـانِ

قال العروضي: نعوذ باللَّه[٤].

ليته تعوَّذ باللَّه من الاجتهاد في قبال النصِّ ولم يجعل فهمه أصوب من قـائل الشـعر! وأعجب منه تصديق الواحديّ له!!؛ وما استدلَّ به لا يخفى فساده على صغار طلبة علم الإعراب.

---

١. الطبعة الحجريَّة: ٢٦١؛ طبعة برلين: ٥٦١.
٢. الطبعة الحجريَّة: ٢٦١؛ طبعة برلين: ٥٦١.
٣. الطبعة الحجريَّة: ٢٦٤؛ طبعة برلين: ٥٦٨.
٤. الطبعة الحجريَّة: ٢٧١؛ طبعة برلين: ٥٩٧.

يقول أبوالفتح: «سألت المتنبّي»؛ ويقول الواحدي: «لو كان كما قال أبوالفتح»! / أبوالمجد النجفي.

كَفَى بِكَ دَاءً أن تَرَى المَوتَ شَافياً وحَسبُ المَنَايَا أن يَكُنَّ أمَانِيَا[1]

أوّل الكافوريّات.

كَتَائِبَ مَا انْفَكَّتْ تَدوسُ عِمَائِراً مِن الأرضِ قَد جَاسَتْ إلَيهَا فَيافِيَا

قبائل للغارة[2].

تفسير «العمارة» بالقبيلة لايناسب قوله: «من الأرض»؛ وإنّما يناسبها بمعنى العامر فيها في مقابلة الصافي. / أبوالمجد ٥ شوال ٣٥٥[١].

مَن الجَاذِرُ فِي زِيِّ الأعَارِيبِ حُمرُ الحُلَى والمَطَايَا والجَلَابِيبِ

بالذهب الأحمر والفضة[3].

إن سئل عن موقع «الفضّة» في شرح هذا البيت، فالجواب: إنَّ في خزائن والد الواحدي كان قسمٌ من الفضّة لونها الحمرة!! / أبوالمجد ٢٠ صفر ٣٥٤[١].

أيُنَ المَعِيزُ مِن الآرَامِ نَاظِرَةً وغَيرَ نَاظِرَةٍ فِي الحُسنِ والطِّيبِ

أي: الظباء أحسن منها عيوناً[4].

تأمّل في مراد الشارح؛ وعندي تفسيره أصعب من تفسير الشعر! / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٨١؛ طبعة برلين: ٦٢٣.
٢. الطبعة الحجريّة: ٢٨٣؛ طبعة برلين: ٦٢٨.
٣. الطبعة الحجريّة: ٢٨٥؛ طبعة برلين: ٦٣٣.
٤. الطبعة الحجريّة: ٢٨٦؛ طبعة برلين: ٦٣٥.

ومَا كُـلُّ هَـاوٍ لِـلجَميلِ بِـفاعِلٍ ولَا كـــلُّ فَـعَّالٍ لهُ بِمُـتمِّمِ[١]

من بديع التضمين قولي:

هويتُ خليلاً زرَانـي بـعدَ هـجعةٍ من الليلِ مُذ نامَتْ عُيونُ العَـواذِلِ

عَـفَفتُ فـلَم أفعَلْ قَـبيحاً يُشـينُنا «وما كلُّ هـاوٍ للـجَميلِ بِـفاعِلِ»[٢]

/ أبوالمجد ٢٠ شوال ٣٥٥[١].

ومُـلوكاً كأَمسِ فِي القُـربِ مِـنَّا وكَـــطَنْمٍ وأَخـتها في البِـعادِ[٣]

جعلهم كطمسٍ في البعاد؛ ولم يبيّن وجهه الواحدي! لعلَّ معناه: انَّ ملوكاً كانوا قريبين من زمانها فانقرضوا بسبب الاختلاف، فلم تبق آثارهم ونسيت أخبارهم؛ فكأنَّهم كـطمسٍ وجديسٍ في البعاد الَّذي يكون سبباً لمحو الآثار. والغرض: إنَّ الاختلاف يوجب محو الآثار.

وإن لم يرضك هذا الوجه فتأمَّل عسى أن تظفر بأحسن منه؛ فانَّ الواحدي لم يأت في شرحه بشيءٍ، بل جرى على عادته من إعادته، وجعل الشرح صدي البيت! / أبوالمـجد ١٨ صفر ٣٥٦[١].

أمَـا تَـغلَطُ الأيَّـامُ فيَّ بأَنْ أرَى بَـغيضاً تُـنافِي أوحَـبِيباً تُـقرِّبُ[٤]

ولي تضمين هذا البيت مع التورية بالاِسم:

أقولُ وقد صـدَّ الحـبيبُ وزارَنـي بَغيضٌ إليه الثِّـقل يُـنمى ويـنسبُ

«أمَـا تَـغلَطُ الأيَّـامُ فـيَّ بأَنْ أرَى بَـغيضاً تـنافي أوحَـبِيباً تُـقرِّبُ»[٥]

أبوالمجد ٦ ربيع الأوَّل ٣٥٦[١].

---

١. الطبعة الحجريَّة: ٢٩٣؛ طبعة برلين: ٦٥١.

٢. راجع: ديوان أبي المجد، ص ١١٦. والشطر الأخير مثلٌ عراقيٌ معروفٌ.

٣. الطبعة الحجريَّة: ٢٩٦؛ طبعة برلين: ٦٥٨.

٤. الطبعة الحجريَّة: ٢٩٧؛ طبعة برلين: ٦٥١.

٥. راجع: ديوان أبي المجد، ص ٣٩.

أبـا المِسكِ هَـل فِي الكَأسِ فَـضلٌ أنـالُهُ فَـانِّي أُغـنِّي مُـنذُ حـين وتَـشرَبُ

هل تعطيني شيئاً[١].

يطلب منه الإمارة والولاية، كما أشار إليه في البيت الَّذي بعده وصرّح به في ما يـليه. واعتذار كافورٍ عن عدم انجاح مسؤوله معروفٌ. وتعبير الواحدي تناسب سـائلي أبـواب الجامع، ولا يليق بالمتنبّي! / أبوالمجد.

أحِـنُّ إلى أهـلِي وأهـوَى لِـقائَهُم وأَينَ مِـن المُشـتَاقِ عَـنقاءُ مُـغرِبُ

اشتاق إليهم[٢].

عبارة سوقيٍ لاعبارة أديبٍ. / أبوالمجد ١٨ صفر ٣٥٦[١].

تَشـابَهتِ البَهـائِمُ والعِبِدَّى عَـلَينا والمَـوالِي والصَّـمِيمُ

يقول: عمَّ الجهلُ الناسَ كلَّهم[٣].

لاشكَّ أنَّ كلَّهم عبيداللَّه، ولكن لاربط لهذه الجملة بهذا البـيت؛ وإنَّـما يـريد المـتنبّي التعريض بالأسود بأنَّه عبدٌ. / أبوالمجد ٢٠ شوال ٣٥٥[١].

فَـليتَهُ خَـلَّى لنَـا طُـرقَنا أعَـانَهُ اللَّـه وإيَّـانَا

أردا: أعانه اللَّه[٤].

كلَّا! لايريد هذا المعنى البارد بل الَّذي لا محصَّل له!؛ وإنّما يريد بأنَّه فقيرٌ معدمٌ مثلنا، وهذا كلامٌ يقال لمن يسأل بالكفِّ وأشابهه. / أبوالمجد ٢٠ شوال ٣٥٥[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ٢٩٨؛ طبعة برلين: ٦٦٤.
٢. الطبعة الحجريّة: ٢٩٨؛ طبعة برلين: ٦٦٤.
٣. الطبعة الحجريّة: ٣٠٩؛ طبعة برلين: ٦٨٩.
٤. الطبعة الحجريّة: ٣٠٩؛ طبعة برلين: ٦٩١.

مَا كُنتُ أَحسِبُنِي أحيَا إلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلبٌ وهُو مَحمُودُ[١]

من بديع التضمين قولي في رجلٍ يُسمَّى «محمود»:

كيفَ المعيشةُ فِي أرض الغَريِّ ولِي مِن أَرذَلِ النَّاسِ تَوعيدٌ وتَهديدُ

مَا كُنتُ أَحسِبُ أن أبقى إلَى زَمَنٍ يُسِيءُ بِي فِيهِ كَلبٌ وهُو مَحمُودُ[٢]

/ أبوالمجد ٢٠ شوال ٣٥٥[١].

وكُلُّ نَجَاةٍ بجاوية خُنوفٍ ومَا بِيَ حُسنُ المِشا

يقول: لا أحبُّ حُسن مشية النساء[٣].

لما ذكر تفضيله مشي النوق على مشية النساء وقدَّها بهنَّ ركزاً بيَّن انَّ ذلك ليس لحُسن مشيها وانَّه لا يحبُّ المشيَ، بل ذلك لما ذكره في البيت الَّذي بعده. فقول الواحدي: «يقول ـ... إلى آخره ـ» لا ربط له بمراده! وهو أحد أغلاطه الواضحة الفاضحة! ولم أفهم معنى ما نقله عن ابن جنِّيٍّ؛ ولعلَّ في النسخة غلطٌ يراجع إن شاء اللَّه. /أبوالمجد ٦ ربيع الأوَّل ٣٥٦[١].

وشِعرٍ مَدحتُ بِه الكَركَدَ نَّ بَينَ القَريضِ وبَينَ الزُّقَّ[٤]

لعلَّه بـ«الراء» المعجمة، فمعناه غير ما ذكره؛ يلاحظ!

يقال: هو الحمار الهنديّ، وهو بالفارسيّة: گرگ.

قفْ على هذه الأغلاط واعجَب من تفسير الكركدن بـ«گرگ» ـ وهو الذئب ـ! ؛ ثمَّ جعْله طائراً!! / أبوالمجد شوّال ٣٥٥[١].

---

١. الطبعة الحجريَّة: ٣١١؛ طبعة برلين: ٦٩٤.

٢. راجع: ديوان أبي المجد، ص ٥٦ / ٥٧.

٣. الطبعة الحجريَّة: ٣١٣؛ طبعة برلين: ٦٩٩.

٤. الطبعة الحجريَّة: ٣١٤؛ طبعة برلين: ٧٠٣.

الحُزنُ يُـقلِقُ والتَـجَمُّلُ يَـردَعُ والدَّمـعُ بَـينَهُما عَـصِيٌ طَـيِّعُ

يقول: الحزن لأجل المصيبة[١].

غلط الواحدي في تفسير هذا البيت! والظاهر انّ مراد المتنبّي: انَّ الدمع طوراً يطيع الحزن ويعصى التجمّل فيجري، وطوراً يعصيه ويطيع التجمّل فلايجري. وشاهد ما قلت البيت الَّذي بعده، إذ المجيء بالدموع والرجوع بها لا يكون إلَّا بما فسَّرتُه؛ أللّهمَّ إلَّا بتكلُّفٍ لايدعو إليه إلَّا سوء الفهم!

ولا أدري من أين علم الواحدي أنَّ الدَّمع عاصٍ للتجمّل ومطيعٌ للقلق دون العكس؟! وكما يجوز أن يصف نفسه بالبكاء لعظم المصاب يجوز أن يصف نفسه بالتجلُّد؛ وهذا مسلكٌ سلكه الشعراء، قال إبراهيم قتيل باخمرى:

وإنَّـــا أنـــاسٌ لاتـــفيض دمـــوعنا ..... ـإلى آخره ـ

وقال ابوفراس:

أراك عـصيَّ الدمـع شـيمتك الصـبر [أما للـهوى نـهيٌ عـليك ولا أمـر]

إلى غير ذلك؛ وهو كثيرٌ. ولازال المتنبّي يصف نفسه في شعره بالتجلُّد وعدم الإكتراث بالمصائب. وحاصل ما فسَّره الواحدي: إنَّ الحزن يغلب على التجلُّد، وهذا معنىً مبذولٌ، بخلاف ما مرَّ. /أبوالمجد ٣٠ رجب ٣٥٤[١].

وكَـانَ حَـالُهُما فِي الحُكـمِ واحِـدَةً لَواحْتَكَمَا مِـنَ الدُّنـيَا إلى حَكَـمِ[٢]

قوله: «من الدنيا» متعلَّقٌ بقوله: «احتكمنا»؛ والمعنى: الشكاية من الدنيا إلى حكمٍ يحكم بينه وبينها. والواحدي لإعوجاج فهمه جعل قوله: «من الدنيا» متعلَّقٌ بـ«الحكم»، ثمَّ ذكر فصلاً من التوحيد صحيحاً في أصله، لكنَّه لا يرتبط بالمقام ولم يخطر ببال أبي الطيِّب!؛ بل

١. الطبعة الحجريّة: ٣١٨؛ طبعة برلين: ٧١١.

٢. الطبعة الحجريّة: ٣٢١؛ طبعة برلين: ٧١٨.

ولا يصحُّ له معنىً إلَّا أن يريد رفع الشكاية من اللّه ـ تعالى ـ إلى حاكمٍ من أهل الدنيا ويعترض عليه ـ تعالى ـ بأنّه لِمَ حكّم على الشمس بأن يفعل ذلك؛ وهذا ممّا يضحك منه الجاهل ويعوّذ باللّه منه العاقل! أبوالمجد.

وسَمِعتُ بَطلَميُوسَ دارسَ كُتبِه مُتَمَلِّكاً مُتبَدِّياً مُتَحَضِّرا

بطليموس حكيمٌ من حكماء الرُّوم[1].

أظنُّ الواحدي سمع بـ«جالينوس» وأنَّ له مصنَّفاتٍ في الطبِّ، وبـ«أرسطو» وأنَّ له كتباً في الحكمة؛ فركَّب بفرط حذاقته المعلومة واطِّلاعه الواسع شخصاً مركّباً منهما وهو بطليموس! وإلَّا بطليموس إمامٌ في الرياضيَّات وكتابه المعروف هو «المجسطي». ولم أطَّلع إلى الآن على كتابٍ له سواه؛ ولا ذكر له في الطبِّ والحكمة.

وما ذكره في شرح البيت لايخلو من خللٍ وفسادٍ! / أبوالمجد ١٤ صفر ٣٥٦[١].

فَإمَّا تَرينِي لَا أُقِيمُ بِبلدَةٍ فَآفَةُ عِندي فِي دُلوقِ وفِي حَدِّي

يقول: إن رأيتني منزعجاً[2].

بل ادَّعى أنَّه سيفٌ وبلده غَمَدٌ له؛ وهذا راجعٌ إلى ما ذكره الشارح. ولكنَّه من باب الاستعارة الّتي هي أفصح وأبلغ من التشبيه. / أبوالمجد ٩ صفر ٣٥٦[١].

مَغانِي الشعب طِيباً فِي المَغانِي بِمَنزِلَةِ الرَّبيعِ مِن الزَّمانِ[3]

درايتي ـ وإن لم تكن روايتي ـ: مغاني حيٌّ؛ أسأل اللّه الفرج وحسن العاقبة. / أبوالمجد.

---

١. الطبعة الحجريَّة: ٣٢٩؛ طبعة برلين: ٧٣٩.

٢. الطبعة الحجريَّة: ٣٣٥؛ طبعة برلين: ٧٥٢.

٣. الطبعة الحجريَّة: ٣٤١؛ طبعة برلين: ٧٦٦.

ولَكــنَّ الفَـتَى العَـربِيَّ مِـنها غَرِيبُ الوَجهِ واليَدِ واللِّسانِ[١]

ذكر لقوله: «غريب اليد» معنيين كلاهما بعيدان، أبعدهما ثانيهما. والظاهر انَّه يريد بغربة اليد غربته في السخاء، لأنّ العرب يُوصف بها كما تُوصف العجم بالشُّحِّ. / أبوالمجد.

غَدَونَا تَـنفُضُ الأغـصَانَ فِـيهَا عــلَى أَعـرافِـها مِـثلَ الجُـمَانِ[٢]

هذا المعنى بعيدٌ من البيت! وأقرب منه أن يكون مراده من «الجـمان»: النـور والزهـر المتعارف سقوطها من الأشجار؛ وعلى ذكر الشيء بالشيء ما أحلى قول القائل:

وشَهِدنا خَواتِمَ الزّهرِ لمَّـا سقطَتْ مِن أنامِلِ الأغصَانِ

/ أبوالمجد.

لَهَـا ثَمَـرٌ تُشـيرُ إليكَ مِـنهَا بِأشرِبَـةٍ وَقَـفْنَ بِـلَا أَوانِي

هذا من قول البحتري[٣].

في حفظي إنَّ البيت لأبي التمّام؛ يُراجع.

أَ زَائِـرٌ يَـا خَـيالُ أَم عَـائِد أَم عِندَ مَـولَاكَ أَنَّـنِي رَاقِـد

ظنَّ مولاك أي: صاحبك الَّذي[٤].

ما ذكره صحيحٌ لوكانت الرواية: «أم ظنَّ مولاك» ـ كما يؤيِّده البيت الَّذي بعده ـ؛ وأمّا على هذه النسخة وسائر نسخ الديوان الّتي اطَّلعتُ عليها فهو على منوال قول الأوَّل:

وقمتُ للطَّيف مـرتاعاً فأرَّقـني فقلتُ أ هي سرت أم عاذلي حلم

/ أبوالمجد ١٠ صفر ٣٥٦[١].

---

١. الطبعة الحجريّة: ٣٤١؛ طبعة برلين: ٧٦٦.
٢. الطبعة الحجريّة: ٣٤١؛ طبعة برلين: ٧٦٧.
٣. الطبعة الحجريّة: ٣٤١؛ طبعة برلين: ٧٦٧.
٤. الطبعة الحجريّة: ٣٤٩؛ طبعة برلين: ٧٨٦.

عُـدْ وأَعِـدْها فَـحبَّذَا تَـلَفٌ أَلصَقَ ثَديِي بِـثَديِها النَّـاهِدِ

لكنَّه قلَّب الكلام[١].

انتقادٌ جيِّدٌ لوكان للقلب موضعٌ معروفٌ. وإذا عرَّفنا الواحدي موضع القلب في قول العرب: «خرق الثوب والمسمار»، وفي قول الأوَّل: «كما طينت بالفدن الشياعا» عرَّفناه موضع القلب في البيت!

ولك أن تقول: إنَّ هذا ليس من باب القلب، بل من باب طلب الشيء ممَّن لايقدر عليه، أوجعله قادراً عليه ادِّعاءً. ومثله في منثور كلام العرب ومنظومه ما لايُحصى، وتقول لمحبوبك: «ارجع شبابي ورُدَّ زماناً لهوتُ بك!».

وفي قوله: «الغشية كانت سبباً» استعمال لفظ السبب في غير موضعه على خلاف المصطلح. / أبوالمجد ١٠ صفر ٣٥٦[١].

فَـقيدَتِ الأَيِّـلُ فِي الحِـبالِ طَوعَ وُهوقِ الخَيلِ والرِّحَـالِ[٢]

«الأَيِّل» بضمِّ الهمزة.

انظر وتأمَّل في ربط هذه الجملة بمعنى البيت!؛ وإن كان استطرده فكيف يعيب بمثله على أبي‌الفتح في أوَّل شرحه وآخره وله من أمثاله أكثر ممَّا يُعدُّ!! / أبوالمجد ١٠ صفر ٣٥٦[١].

وليس ذلك إلَّا لتراجع الهِمَم وخلوِّ الزمان[٣].

بل ليس ذلك إلَّا لمعرفتهم الجيِّد من الرديء وفضل الدُّرِّ على المخشلب، وقولهم المموَّه لأجل صافي الذهب. والواحدي يعذر في عدم فهم فضل أبي‌الطيِّب، لأنَّه لا يفهم معاني

---

١. الطبعة الحجريَّة: ٣٤٩؛ طبعة برلين: ٧٨٦.

٢. الطبعة الحجريَّة: ٣٥٢؛ طبعة برلين: ٧٩٥.

٣. الطبعة الحجريَّة: ٣٧٥.

شعره! والمتنبّي ـ كما قيل فيه ـ: «ظهرت معجزاته في المعاني». وتقدَّم في حاشية الصفحة الأولى والثانية[1] ما يناسب المقام؛ راجع. / أبوالمجد ١٠ صفر ٣٥٦[١].

وحشَّاه بحكاياتٍ باردةٍ.

تقدَّم منه أوَّل الشرح مثل هذا الكلام، وتقدَّم أثناء الحواشي أنَّه شاركه في ذلك! وأمّا الحكايات الباردة فمهما بلغت برودتها فلاتبلغ برودة ما حكاه صفحة ١١[2] من أنَّ بعض الملوك رأى في نومه أنَّ اللَّه ـ تعالى ـ قد مات!! / أبوالمجد ١٠ صفر ٣٥٦[١].

* * *

[تمّت هذه التعليقات المنيفة بيد مؤلّفها إلى هيهنا؛
والحمد للّه أوّلاً وآخراً].

١. الأرقام تشير إلى رقم الصفحة في الطبعة الحجريّة.
٢. الرقم يشير إلى الصفحة في الطبعة الحجريّة.

قصيدة تَنَصَّر

للفقيه الأديب المتفنّن الشّيخ أبي المجد محمّدرضا الإصفهانيّ

اعداد: مجيد هادي‌زاده

كلمة المحقّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه، والصّلوة والسّلام على محمّدٍ رسول اللّه، وعلى آله آل اللّه.

وبعد؛ فهذه قصيدة «تنصَّر»، لمحشّي شرح الواحدي لديوان المتنبّي، الخرّيط في الفنون العقليّة والنقليّة والخبير في شتّى العلوم الإسلاميّة العلّامة الكبير الشّيخ أبي المجد محمّدرضا النجفيّ الأصفهانيّ؛ الّذي قضى برهةً من عمره في النجف الأشرف ـ رزقنا اللّه زيارتها ـ فلُقّب بها، ثمّ عاد إلىٰ موطنه فتوطّن به حتّى أجاب داعي اللّه فدُفن فيه ـ أعلى اللّه تعالى منزلته ـ. ونكتفي من ترجمته بما كتبتْه السّيّدة نجمي في التقديم على حاشية الشّيخ الأصفهانيّ على شرح الواحديّ.

وقصيدة «تنصَّر» من غرر قصائده، نظَمَها تهنئةً لزواج بعض أصدقائه ـ وهو العلّامة الشّيخ كاظم آل كاشف‌الغطاء ـ. وهي لطيفةٌ جدّاً، حتّى أنّ الشّيخ خزعل العربي أنكر أن يتمكّن شيخٌ اصفهانيّ من نظم قصيدةٍ تخلو عن العجمة وتكون بهذا المستوى من الرقّة واللّطافة![1].

---

١. انظر تاريخ علمى واجتماعى اصفهان در دو قرن اخير ـ للعلّامة المغفور له السّيّد مصلح‌الدّين مهدوى ـ، ج ٢ ص ٣٩٦.

وهي قد اشتهرت في الأوساط العلميّة، فبعث إلىٰ الناظم العلَّامةُ الحجَّة الآيـة الشَّـيخ هادي آل كاشف‌الغطاء رسالةً أدبيَّةً لطيفةً أشار فيها إلىٰ بعض آرائه في مباني النقد الأدبي؛ فشرح العلَّامة الإصفهانيّ الرسالةَ وألحَقَ بها القصيدة، وسمَّاه: «السـيف الصَّـنيع لرقـاب منكري علم البديع». وقد طُبع الشَّرح بتحقيقي وتعليقي عليه مع وضعِ الشَّكل والإعـجام بمدينة قم المقدَّسة في العام الحالي.

والقصيدة توجد في بعضٍ من المصادر؛ منها:

ديوان أبي المجد: ص ٧٦؛

معارف الرّجال: ج ٣ ص ٥٣؛

أعيان الشّيعة: ج ٧ ص ١٨؛

السيف الصَّنيع: ص ١٨٠.

وروايتي للقصيدة هيهنا قائمةٌ على أساس ما حقَّقتُه قبل سنتين المطبوع فـي مـختتم «السيف الصنيع».

وقد جرَّدتها منه لتكون نموذجاً صالحاً من أدب الشَّيخ الإصفهانيّ ـ أعلى اللَّه سبحانه وتعالى مقامه ـ.

والحمد للَّه ربِّ العالمين

ليلة القدر ٢١ من رمضان المبارك ١٤٢٧

مجيد هادي‌زاده

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قَـلْبِي بِشَـرْعِ ٱلْـهَوَى تَـنَصَّرْ ... شَـوقًا إِلَـى خِـصْرِهِ ٱلْـمُزَنَّرْ
كَـنِسَةٌ تِـلْكَ أَمْ كِـنَاسٌ ... وَ غِـلْمَةٌ أَمْ قَـطِيعُ جُـؤْذَرْ
وَكَـمْ بِـهِمْ مِـنْ مَـلِيكِ حُسْـنٍ ... جَـارَ عَـلَى ٱلنَّـاسِ إِذْ تَأَمَّـرْ
لَـهُ بِـأَجْفَانِهِ جُـنُودٌ ... تَـظْفَرُ بِـالْفَتْحِ حِـينَ تُكْسَـرْ
وَا حَـرَبَ ٱلْـقَلْبُ مِـنْ صَـغِيرٍ ... عَـلَيَّ مِـنْ تِـيهِهِ تَكَـبَّرْ
يَضْحَكُ مِـنْ لَـوعَتِي وَأَبْكِـي ... يَـنَامُ عَـنْ لَـيْلَتِي وَأَسْـهَرْ
وَدَدْتُ أَنِّـي لَـهُ وُشَـاحُ ... لَـو أَنَّ لِـلْمَرْءِ مَـا تَـخَيَّرْ
وُشَـاحَهُ كَـمْ هَـصَرْتَ غُـصْنًا ... مَـا كَـانَ لَـولَاكَ قَـطُّ يُـهْصَرْ
أَمَـا تَـرَى إِذْ تَـجُولُ لَـعْبًا ... إِزَارَهُ ٱلثَّـابِتَ ٱلْـمُوَقَّرْ
جَـارَانِ رِدْفٌ لَـهُ وَخِـصْرٌ ... أَنْـجَدَ هَـذَا وَذَاكَ غَـوَّرْ
كَـمْ ظَـاهِرٍ مُـضْمَرٍ لِـوَجْدِي ... لِـظَاهِرٍ مِـنْهُمَا وَمُـضْمَرْ
عَـلَيَّ مُسْـتَأْسِدٌ غَـزَالٌ ... إِنْ سُـمْتُهُ قُـبْلَةً تَـنَمَّرْ
إِنِّـي فَـقِيرٌ إِلَـيْهِ لَكِـنْ ... بِـقُبْلَةٍ قَـانِعٌ وَمُـعْتَرْ
وَرُبَّ وَغْـدٍ بِـلَثْمِ خَـدٍّ ... جَـادَ بِـهِ بَـعْدَ مَـا تَـعَذَّرْ
سَـقَاهُ مَـاءُ ٱلشَّـبَابِ حَـتَّى ... أَيْـنَعَ نَـبْتُ ٱلْـعِذَارِ وَٱخْـضَرْ
أَ لَـيْسَ مَـنْ هَـامَ يَـا عَـذُولِي ... بِـمِثْلِ هَـذَا ٱلْـعِذَارُ يُـعْذَرْ
أَخْفَيْتُ فِـي جُـنْحِهِ غَـرَامِـي ... فَـاللَّيْلُ أَخْـفَى لَـهُ وَأَسْـتَرْ
عَـرَّفَهُ لَامُ عَـارِضَيْهِ ... عَـلَيَّ لِـمْ بَعْدَهَا تَـنَكَّرْ
بِـجَنْبِ خَـطِّ ٱلْـعِذَارِ خَـالٌ ... كَـنُقْطَةٍ شُكِّـلَتْ بِـعَنْبَرْ

وَقَّعَ لِي خَالُهُ بِحَتْفِي ... لَمَّا تَلَا خَطُّهُ ٱلْمُزَوَّرْ
بِمُقْلَتَيْهِ يُرِيدُ قَتْلِي ... يَا رَبِّ سَهِّلْ وَلَا تَعَسَّرْ
أَخْفَيْتُ وَصْفَ ٱلْحَبِيبِ دَهْرًا ... وَ ٱلْيَوْمَ بِاسْمِ ٱلْحَبِيبِ أَجْهَرْ
هَوَيْتُ أَخْوَى ٱللِّثَاتَ ٱلْمَى ... أَهْيَفَ سَاجِي ٱلْجُفُونِ أَحْوَرْ
كَاللَّيْثِ وَ ٱلضَّبْيِ حِينَ يَسْطُو ... وَ حِينَ يَعْطُو وَحِينَ يُنْظَرْ
فَوَجْهُهُ جَنَّتِي وَحُورِي ... جُفُونُهُ وَ ٱلشِّفَاهُ كَوثَرْ
عَنَايَ مِنْهُ وَمِنْ عَذُولٍ ... يَهْجُرُ هَذَا وَذَاكَ يُهْجَرْ
يَسْأَلُ عَمَّنْ كَلِفْتُ فِيهِ ... وَ هُوَ بِهِ لَوْيَشَاءُ أَخْبَرْ
هَلْ رِيقُهُ ٱلشَّهْدُ قُلْتُ أَحْلَى ... أَو وَجْهُهُ ٱلْبَدْرُ قُلْتُ أَنْوَرْ
قَالَ فَذَا ٱلْغُصْنُ قَدْ حَكَاهُ ... فِي حُسْنِ قَدٍّ فَقُلْتُ قَصَّرْ
ٱلْغُصْنُ يَهْوِي لَهُ خُضُوعًا ... وَ ٱلضَّبْيُ مِنْ أَجْلِهِ تَعَفَّرْ
صَغَّرَهُ عَاذِلِي وَلَمَّا ... شَاهَدَ ذَاكَ ٱلْجَمَالَ كَبَّرْ
لَمَّا رَأَى صُورَةً سَبَتْنِي ... صَدَّقَ مَا مِثْلُهَا تُصَوَّرْ
يَا غُصْنَ بَانٍ وَدَعْصَ رَمْلٍ ... وَ جِيدَ رِيمٍ وَطَرْفَ جُؤْذَرْ
خِصْرُكَ هَذَا ٱلضَّعِيفُ يَعْيَى ... مِنْ حَمْلِهِ قَامَةٌ وَخَنْجَرْ
مُؤَنَّثُ ٱلطَّرْفِ مِنْكَ أَمْضَى ... شَبًّا مِنَ ٱلصَّارِمِ ٱلْمُذَكَّرْ
فَاتِرُهُ لَايُقَاسُ حَدًّا ... بِبَارِدٍ لِلسُّيُوفِ أَبْتَرْ
أَغْمِدْ شَبَاهُ فَأَيُّ قَرْمٍ ... مِنْ بَأْسِ جَفْنَيْكَ لَيْسَ يَدْعَرْ
يَا شَاهِرًا سَيْفَهُ ٱلْمحَلَّى ... جَفْنُكَ بِالْفَتْكِ مِنْهُ أَشْهَرْ
لِدَوْلَةِ ٱلْحُسْنِ نَحْنُ جُنْدٌ ... وَ أَنْتَ سُلْطَانُهَا ٱلْمُظَفَّرْ
فَانْشُرْ لَوَاءَ ٱلْجُعُودِ فِينَا ... تُكَسِّرُ كِسْرَى بِنَا وَقَيْصَرْ
يَا صَاحَ سُكْرُ ٱلشَّبَابِ إِثْمٌ ... بِالشَّيْبِ مِنْ بَعْدِهِ يُكَفَّرْ
جَرَى كُمَيْتُ ٱلشَّبَابِ حَتَّى ... أَنَارَ فِي عَارِضَيَّ عِثْيَرْ
أَقْبَلَ صُبْحُ ٱلْمَشِيبِ نَحْوِي ... يَسْعَى وَعَصْرُ ٱلشَّبَابِ أَدْبَرْ

مُذْ كَادَ غُصْنُ ٱلشَّبَابِ يَـذْوِي ... بِـعُرْسِ فَـرْعِ ٱلْكِـرَامِ أَثْـمَرْ
عُرْسٌ بِـهِ ٱلْـهَمُّ عَـادَ يُـطْوَى ... لَا بَـلْ بِـهِ ٱلْـمَيْتُ كَـادَ يُـنْشَرْ
عُـرْسٌ فَـتًى أَبْـهَرَ ٱلْـبَرَايَـا ... فِـي حُسْـنَيْ مَـنْظَرٍ وَمَـخْبَرْ
أَنْـــهَى إِلَـى عَـمِّهِ عَـلِيٍّ ... حَـدِيثِ مَـجْدٍ لَـهُ وَمَـفْخَرْ
وَمَـــا رَوَى لِـلْعُلَى عَـلِيٌّ ... أَصَـــحَّ أَخْـبَارِهَا وَأَشْـهَرْ
عَنِ ٱلرِّضَا عَـنْ أَبِـيهِ مُـوسَى ... مُسَـلْسَلًا عَـنْ أَبِـيهِ جَـعْفَرْ
إِنْ حُـدِّثُوا عَـنْ رَوَاءِ صَـادٍ ... فَـعَنْهُ يُـرْوَى وَعَـنْهُ يُـؤْثَرْ
يَشْـتَقُّ فِـعْلُ ٱلْـجَمِيلِ مِـنْهُ ... وَ هُـوَ لِـفِعْلِ ٱلْـجَمِيلِ مَـصْدَرْ
ذُوقَـــلَمٍ إِنْ جَـــرَى بِـــأَمْرٍ ... جَرَى عَـلَى ٱللَّـوحِ بِـالْمُقَدَّرْ
عَـجِبْتُ مِـنْ مُـدْيَةٍ بَـرَتْهُ ... وَ حَـــدُّهُ بِـــالسُّيُوفِ أَثَّـرْ
مَـا كَـادَ سِرٌّ عَـلَيْهِ يَـخْفَى ... وَ سِـــرُّهُ لَايَكَـــادُ يَـظْهَرْ
إِنْ سَالَ بِـالْحِبْرِ فَـوقَ طُـرْسٍ ... رَاقَكَ فِـي وَشْـيِهِ ٱلْـمحَبَّرْ
تَـرَى نَـظِيمَ ٱلْـجُمَانِ مِـنْهُ ... عَـلَى وُجُـوهِ ٱلطُّـرُوسِ يُـنْثَرْ
حَـبَاهُ غَـابَ حَـوَاهُ قِـدْمًا ... صُـورَةَ صَـلٍّ وَبَأْسَ قَسْـوَرْ
كَـــمْ حَـلَّ أَسْـرِ وَفَكَّ رِقٍّ ... خَـطَّ عَـلَى رَقِّـهِ وَحَـرَّرْ
مَـنَاقِبٌ لَاتَكَـادُ تُـحْصَى ... وَ سُـــؤْدَدٌ لَايَكَـادُ يُـحْصَرْ
قُـرْآنُهُ مَـا خَـتَمْتُ لَكِـنْ ... قَـرَأْتُ مِـنْهُ ٱلَّـذِي تَـيَسَّرْ
خُـــذْهَا أَبَـــاأَحْمَدَ فَـتَاةً ... جَـاءَتْ لِـفَرْطِ ٱلْـحَيَا تَـعَثَّرْ
مِـنْ قَـاصِرٍ مَـدْحُهُ عَـلَيْكُمْ ... وَ إِنْ يَكُنْ فِـي ٱلْـمَدِيحِ قَـصَّرْ
عَـــقِيلَةٌ أَهْـــدِيَتْ لِكُـفْوٍ ... لَـهَا بِـحُسْنِ ٱلْـقَبُولِ أَمْـهَرْ
لَـدَيْهِ أَلْـقَتْ قَـنَاعَهَا عَـنْ ... مَـحَاسِنٍ عَـنْ سِـوَاهُ تُسْـتَرْ
فَـرِيدَةٌ فِـي ٱلْـجَمَالِ فَـاقَتْ ... أَلْـفَ قَـصِيدٍ لِأَلْـفِ عَـنْتَرْ
مَـا حَـاكَ بَشَّـارُهُمْ نَـظِيرًا ... وَ هُـوَ ٱبْـنُ بُرْدٍ لَـهَا وَحَـبَّرْ
كَـمْ خَـطَبَتْهَا نُـفُوسُ قَـومٍ ... فَكُـنْتَ أَوْلَـى بِـهَا وَأَجْـدَرْ

الآيات المَنظُومة

للميرزا حبيب‌الله بن محمّدباقر النّيْر الإصفهانيّ

تصحيح: الدُّكتور سيِّد محمَّدرضا ابن‌الرَّسول

كلمة المحقِّق

بسم اللّه الرحمن الرحيم

حول الرّسالة ومؤلّفها

إنّ صاحب الرّسالة هو الميرزا حبيب‌اللّه بن محمّد باقر بن مولى حسن على بن محمّد بن ميرزا الملقّب بنيّر الأدباء كما يتخلّص في أشعاره بـ«نـيّر»، أديب شـاعر ذولسـانين مـن فضلاء اصفهان فى القرن الرّابع عشر (١٣٠٨ ـ ١٣٧٩ للهجرة). تـتلمذ عـند أبـيه العـالم الأديب الشّاعر المتخلّص في أشعاره بـ«واثق»، وعند أخوالهم الفضلاء القُدسيّين، وتلقّى لديهم مقدّمات العلوم والأدب وكتابة الخطوط الجميلة، وكانت له ذاكرة غريبة حفظ القرآن وكثيراً من الأدعية والأشعار العربيّة والفارسيّة، كما كتب بيده نسـخاً عـديدة مـن القـران الكريم، ثمّ تابع دراساته في المعقول والمنقول حتّى عيّن مدرّساً فى المدارس الجديدة في اصفهان آنذاك[1].

---

١. راجع ترجمته في نقباء البشر لآقا بزرگ الطّهراني، ج ١، ص ٣٥٤؛ وقد أشار المترجم له إلى حياته وآثاره فـي مواضع مختلفة من كتابه المعادن؛ انظر، ج ١، الصّـفحات ١، ٢، ٦، ١٥١ و١٧٤، و، ج ٢، ص ٢٢، ٧٠، و ٧١؛ هٰذا ولراقم هٰذه السّطور مقالة بالفارسيّة باسم «نيّر الأدباء وكتاب معادن» عالجت حياة الشّاعر واعتنت بدراسة كتابه تفصيلاً، راجعها إن شئت، وسنذكرها في فهرس المآخذ.

له كتاب معادن العلوم وهو شبه كشكول في ثلاثة أجزاء طبع الجزآن الأوّل والثّاني منه في تهران سنة ١٣٦٨ للهجرة، والجزء الثّالث ـ وهو مستدرك للجزئين السّابقين ـ في اصفهان بعد بضع سنوات؛ وله أيضاً ديوان شعر ورسائل مختلفة[١].

والرّسالة الّتي نحن بصددها هى رسالة فريدة في فنّها[٢] نظّمها ونسّقها بفضل حفظه للقرآن وتذوّقه لموسيقى الآيات وقريحته الشّعريّة، وقد سمّاها المؤلّف نفسُه تارةً بـ«الآيات المنظومة»، وتارةً بـ«الآيات الموزونة» أو «آيات موزونة» وعلى كلّ حال يمكننا النّقاش في كلّ من هٰذه التّسميات فإنّ ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة قد عبّر عن هٰذه الآيات بالآيات المتّزنة حيث قال: «الشّعر يقوم من بعد النّية من أربعة أشياء وهى اللّفظ والمعنى والوزن والقافية، فهٰذا هو حدّ الشّعر لأنّ من الكلام موزوناً مقفّىً وليس بشعر لعدم القصد والنّيّة، كأشياء اتّزنتْ من القرآن ومن كلام النّبيّ ﷺ وغير ذٰلك ممّا لم يطلق عليه بأنّه شعر. والمتّزن ما عُرِضَ على الوزن فقَبِلَه، فكأنّ الفعل صار له ...»[٣].

هٰذا وقد جعل نيّر الأدباء رسالته هٰذه في ضمن الجزء الأوّل من كتابه المعادن (الصّفحات ١٦١ ـ ١٦٦) وصدّرها بعنوان «فائدة اقتباسيّة»، ثمّ استدركها فى الجزء الثّالث (ص ٦١) بما فاته هناك.

وإنّي في هٰذا العمل المتواضع جدّاً قمت بتنسيق الرّسالة ودرج المستدركات في محلّها و تشكيل الأبيات وتعيين مواضع اقتباس الآيات وتعريب العبارات الفارسيّة منها وتصحيح

---

١. انظر الذّريعة لآقا بزرگ الطّهراني، ج ٩، ص ١٢٤١؛ و، ج ٢١، ص ٣٥٤.

٢. ولا يخفى أنّ كتاب معجم آيات الاقتباس لحكمت فرج البدري يُعدّ فصلَ الخطاب في هٰذا الفنّ لٰكنّه كُتب وطبع حوالي ثلاثين سنة بعد نشر رسالة النيّر، على أنّ في هٰذه الوجيزة موارد عديدة لم يذكرها البدري في كتابه المفصّل.

٣. ابن رشيق القيرواني، ج ١، ٢٤٥، باب حدّ الشّعر وبِنْيَتِه.

أخطائها المطبعيّة وتوضيح ما اشتبه منها على القارئ بالتّعليق عليها حتّى ظهرت في ثوبٍ قشيب كما يشاهَد الآن.

ولا يخفى أنّي ذكرت فى الهامش أوزانَ البحور صحيحةً وربما لم يوافق وما استخرجه المؤلّف من القرآن لوقوع العلل والزّحافات فيه وعلى الباحث أن يمعن النّظر في أمر التّطبيق لئلّا يقع فى الخطأ ولا يخطّئ المؤلّف والمحقّق، عصمنا اللّه من الزّلل ووفّقنا للسّداد.

سيّد محمّدرضا ابن الرّسول
جامعة إصفهان

[بسم اللّه الرحمن الرحيم]

الآيات الموزونة في القرآن

فائدةٌ اقتباسيّةٌ

البحور المنظومة بين متقدّمي شعراء العرب ستّةَ عشرَ بحراً كلُّها كان موجوداً في القرآن لٰكن لا يُفهم بعضُها في بادئ الرّأى لخفائها بل يظهر بعد التّعمّق لذوي القريحة الشّعريّة وعقيبَ الحدس الصّائب، كما في هٰذه[1]:

"(دوش در بزم خواجهٔ مستو)(في شنيدم كه در دل آمد سو) / (داى آن نازنين بكردم تحـ)(ـسين بر آن تُركهاى قافيه مو) / (زونِ حضرتْ خدايگانِ سلا)(طينِ اعظم، محمّدِ خسرو)

هر كه اين را به شعر، بر خوانَد بَخشَمش چيزِ قيمتى به گِرو "

واستخرجتُ هٰذه البحور مِن كلام الله بعونه تعالىٰ، ثمّ إنّي أنشأتُ لكلّ آية مفردة منها مصراعاً متناسباً مقدَّمةً أو إلحاقاً ليربطها في المعنىٰ ويوافقَها في الرّويّ والقافية، مثلاً صنعة ذي البحرين وذي القافيتين الّتي أشرنا إليها[2] في الجناس اللّفظيّ وأدرجنا بيتاً من ديوانِ اهليّ الشّيرازيّ[3]،

---

١. قطعة نثريّة مختومة ببيت شعر كلّها باللّغة الفارسيّة، يمكن تقطيعها إلى مصاريع موزونة وأبيات مقفّاة كما فعل المؤلّف نفسه فنثر المنثورةَ بدرج عدد من الهلالين فيها حتّى تصبح منظومةً في ثلاثة أبيات موافقةً في الوزن والقافية للبيت المذكور في آخرها.

٢. انظر معادن للمؤلّف، ج ١، ص ١١؛ وأيضاً، ج ٢، ص ١٠١.

٣. هو محمّد بن يوسف بن شهاب (٨٥٨ ـ ٩٤٢ للهجرة) شاعر صوفيّ له ديوان شعر ومنظومة «سحر حلال» تشتمل على سبعمأة بيت فارسيّ ذي بحرين وذي قافيتين لم يُنظم مثلُها بعدُ وأعجب بها كلّ من اطّلع عليها، وبها اشتهر الشّاعر، وأوّلها:

اى همه عالَم برِ تو بى شكوه شوكت خاكِ درِ تو بيش كوه

←

وجدتُ تلك الصّنعةَ في الفرقان فيُقرأ تارةً بهٰذا البحر: «مفتعلُن مفتعلُن مفتعلْ»، وتارةً علىٰ هٰذا الّذي طابَق المثنىٰ: «فاعلاتٌ فاعلاتٌ فاعلات»، فأنشأت في مقدّمة هٰذه الآية الّتي في تبيين كفّارة اليمين مِن تحرير الرّقبة أو إطعام ستّين مسكيناً أو صيام شهرين:

فِعْلُ إِحْدَى ٱلْجَمْعِ[1] مِنْ إيمانِكُمْ ﴿ذٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمانِكُمْ﴾[2]

(١) بحر المثنىٰ: الرّمل[3] المسدّس

رَطْب ويابس جمله در فرقان بود هست از اشعاری که در قرآن بود:[4]

﴿ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدون ثُمَّ أَنْتُمْ هٰؤُلاءِ تَقْتُلون﴾[5]

سورهٔ تحریم بنگر ای پسر! چند وصفی را ز پشت یکدگر:[6]

﴿مُسْلِماتٍ مُؤْمِناتٍ قانِتات تائِباتٍ عابِداتٍ سائحات﴾[7]

دل ز غیر حضرتِ حق کُن تهی[8] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمٰنُ آمَنّا بِهِ﴾[9]

سعی کُن باشی تو از اهل وفا[10] ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلّا ما سَعىٰ﴾[11]

← فيمكننا أن نقرأ كلّ بيت من هٰذه المنظومة تارةً على زنة «مفتعلن مفتعلن فاعلن»، وتارةً على زنة «فاعلاتن فاعلاتن فاعلن»، ولكلّ قافيتان كما يشاهَد في المطلع؛ راجع اهلى الشّيرازي، ص ٦٢٠ ـ ٦٥٠.

١. أي إحدىٰ الكفّارات الثّلاث.

٢. المائدة (٥): ٨٩.

٣. من البحور المتّفقة الأركان يحصل بتكرار «فاعلاتن»، له عروض واحدة (فاعلن)، وثلاثة أضرب (فاعلاتن، فاعلن وفاعلانْ)، وبالخبن يبدّل «فاعلاتن» إلى «فعِلاتن».

٤. يقول: ما من رطب ولا يابس الّا في الفرقان، فمِن الأشعار (أي الآيات المتّزنة) في القرآن.

٥. البقرة (٢): ٨٤ و ٨٥.

٦. يقول: وانظر يا ولد! إلى سورة التّحريم والأوصاف المتتابعة فيها:

٧. التّحريم (٦٦): ٥.

٨. يقول: أخلِ قلبك ممّا سوى الحقّ.

٩. الملك (٦٧): ٢٩.

١٠. يقول: اسعَ وحاوِل لأن تكون من أهل الوفاء.

١١. النّجم (٥٣): ٣٩.

نیز خـوان ایـن آیـه را بـی گـفتگو[١] ﴿لَـنْ تَـنالُوا ٱلْـبِرَّ حَـتّىٰ تُـنْفِقوا﴾[٢]
مِـصرعی بـین وآیـه‌ای را در قـمر:[٣] ﴿صَرْصَراً في يَوْمِ نَـحْسٍ مُسْـتَمِرّ﴾[٤]
بـاز گـویم مِـصرع دیگـر بـبین:[٥] ﴿إِذْ نُسَـوّيكُمْ بِـرَبِّ ٱلْـعالمين﴾[٦]
باز هم سـازم تـو را مـن رهـنمون:[٧] ﴿آلَ فِـرْعَوْنَ وَأَنْـتُمْ تَـنْظُرون﴾[٨]

* * *

قَـدْ أَراكَ ٱلْـخالِقُ مَـصَّ ٱللَّـبَنْ فِی ٱلصِّبیٰ فَـاسْتَكْفِ رَبِّـی ٱلْأَكْـرَما
﴿سَبِّحِ ٱسْـمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْـلَى﴾[٩] ٱلَّـذي ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنْسانَ مـا لَـمْ يَـعْلَمـ﴾[١٠]ـا

* * *

بِـالأَ قـانيمِ ٱلنَّـصارىٰ قـائِلون ﴿فَـتَعالَى ٱللّٰـهُ عَـمّا يُشْـرِكون﴾[١١]
﴿وَ ٱلْمجوس وَٱلَّـذينَ أَشْـرَكـوا﴾[١٢] ﴿أَبْـرَموا أَمْـراً فَـإِنّا مُـبْرِمون﴾[١٣]

* * *

قَـدْ أَقـولُ لِـلْعِبادِ ٱلْـمُؤْمِنين: ﴿إِنّـي آتـيكُمْ بِسُـلْطانٍ مُـبين﴾[١٤]

---

١. يقول: واقرأ أيضاً هٰذه الآيةَ بلا بحثٍ ولا جدال:
٢. آل عمران (٣): ٩٢.
٣. يقول: وانظر إلى المصراع أى الآية فى سورة القمر:
٤. القمر (٥٤): ١٩.
٥. يقول: وأقول مرّة أخرى انظرْ إلى مصراع آخر:
٦. الشّعراء (٢٦): ٩٨.
٧. يقول: وأدلُّك مرّة أخرى (على مصراع آخر):
٨. البقرة (٢): ٥٠.
٩. الأعلىٰ (٨٧): ١.
١٠. العلق (٩٦): ٥.
١١. الأعراف (٧): ١٩٠.
١٢. الحجّ (٢٢): ١٧؛ و«المجوس» فى الآية الشّريفة منصوب، وهٰهنا يقرأ بالرّفع ليستقيم المعنى.
١٣. الزّخرف (٤٣): ٧٩.
١٤. الدّخان (٤٤): ١٩.

لِـــلْخَليلِ «قـــالَ أَسْـــلِمْ رَبُّـــهُ»[١] ﴿قـــالَ أَسْـلَمْتُ لِـرَبِّ ٱلْـعالَمين﴾[٢]

* * *

مَكِّـــــنونا ســـادَتي فـــي دورِكُـــمْ ﴿أَنْـظُرونا نَـقْتَبِسْ مِـنْ نـورِكُمْ﴾[٣]

* * *

سَـــبِّحُو ٱللّـــهَ أَيُّـــهَا ٱلْـــمُسْتَغْفِرون ﴿حينَ تُمْسونَ وَحـينَ تُـصْبِحون﴾[٤]

* * *

إِنَّـــما «أَعْـــطَى ٱلإِلـــهُ رَبُّـــنا»[٥] ﴿كُـلَّ شَـــيْءٍ خَـلْقَهُ ثُـمَّ هَـدىٰ﴾[٦]

* * *

رَبَّـــنا لا تُـــخْلِنا مِـــنْ فـــائِدَهْ ﴿رَبَّـــنا أَنْـزِلْ عَـلَيْنا مـائِدَه﴾[٧]

* * *

لا تُـــراءِ فَـــالْمُرائـي جـاحِدُ ﴿إِنَّـــمَا ٱللّـــهُ إِلـــهٌ واحِـد﴾[٨]

* * *

لا تُـــفاخِرْ أَنْتَ فَـالرَّبُّ ٱلْـغَفور ﴿لا يُـحِبُّ كُـلَّ مُـخْتالٍ فَـخور﴾[٩]

* * *

---

١. العبارة مأخوذة من الآية الشّريفة الّتي أتى الشّاعر بالقسم الأخير منها في عجز البيت، ونصّها: ﴿إِذْ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعالَمينَ﴾.

٢. البقرة (٢): ١٣١.

٣. الحديد (٥٧): ١٣.

٤. الرّوم (٣٠): ١٧.

٥. العبارة مأخوذة من الآية الشّريفة الّتي أتى الشّاعر بالقسم الأخير منها في عجز البيت، ونصّها: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذي أَعْطىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدىٰ﴾.

٦. طه (٢٠): ٥٠.

٧. المائدة (٥): ١١٤.

٨. النّساء (٤): ١٧١.

٩. لقمان (٣١): ١٨.

رَبَّكَ لا تَـعْصِ فَـالرَّبُّ ٱلرَّحـيم ﴿لا يُـحِبُّ كُـلَّ كَـفّارٍ أَثـيم﴾[١]

* * *

﴿وَ أَحَـلّوا قَـوْمَهُمْ دارَ ٱلْـبَوار﴾[٢] «فِي ٱلسَّقَرْ يَصْلَوْنَها بِـئْسَ ٱلْـقَرار»[٣]

بحر الرّمل المثمّن

﴿أوتيَتْ مِـنْ كُـلِّ شَـيْءٍ وَلَـها عَـرْشٌ عَـظيم﴾[٤]

﴿أُدْخُـلوها بِسَـلامٍ ذٰلِكَ يَـوْمُ ٱلْـخُلود﴾[٥]

أَنْتَ سَبِّحْ فـي طُـلوعِ ٱلشَّـمْسِ رَبَّك وَٱلْـغُروب

﴿وَ مِـنَ ٱللَّـيْلِ فَسَـبِّحْهُ وَأَدْبـارَ ٱلسُّـجود﴾[٦]

* * *

وَ﴿اُعْبُدُوا ٱللّٰهَ﴾[٧] ٱلَّذي يَـغْفِر خَـطايا ﴿مـا لَكُـمْ

مِـنْ إِلٰـهٍ غَـيْرُهُ إِنْ أَنْـتُمْ إِلّا مُـفْتَرون﴾[٨]

---

١. البقرة (٢): ٢٧٦.

٢. ابراهيم (١٤): ٢٨.

٣. عجز البيت مأخوذ من الآية التّالية للآية الّتي وقعت صدر البيت، نصّها: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَها وَ بِئْسَ ٱلْقَرارُ﴾.

٤. النّمل (٢٧): ٢٣.

٥. ق (٥٠): ٣٤.

٦. (ق (٥٠): ٤٠)؛ هٰذا وانظر في موضع آخر إلى الآية الشّريفة: ﴿ومن اللّيل فسبّحه وإدبـارَ النّجوم﴾ (الطّور (٥٢): ٤٩).

٧. هود (١١): ٥٠.

٨. الآية الشّريفة نفسها؛ هٰذا وقد نرىٰ العبارة: ﴿اعبدوا ٱللّٰه ما لكم من إله غيره﴾ في مواضع عديدة في القرآن الكريم (الأعراف (٧): ٥٩، ٦٥، ٧٣، و٨٥؛ هود (١١): ٦١، و٨٤؛ والمؤمنون (٢٣): ٢٣، و٣٢)، كما جاءت العبارة: ﴿إن أنتم إلّا مبطِلون﴾ في القرآن الكريم (الرّوم (٣٠): ٥٨). ولا يخفى أنّ العبارة: «الّذي يغفر خطايا» مأخوذة من الآية الكريمة: ﴿إنّا نطمع أن يغفر لنا خطايانا﴾ (الشّعراء (٢٦): ٥١).

بحر الرّمل المجزوء

﴿الَّذي أَنْقَضَ ظَهْرَك * وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَك﴾[١]

أيضاً: ﴿وَ جِفانٍ كَالْجَوابِ / وَقُدورٍ راسياتٍ﴾[٢]

بحر السّريع[٣]

﴿هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنَصْرِه﴾[٤]: ﴿عَلىٰ رَسولِنَا الْبَلاغُ الْمُبين﴾[٥]

﴿أَلا إِلَى اللّهِ تَصيرُ الأُمور﴾[٦] ﴿أُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقين﴾[٧]

﴿وَ بَشَّروهُ بِغُلامٍ عَليم﴾[٨] ﴿وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمين﴾[٩]

﴿لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُم﴾[١٠] ﴿إِنّي لَكُمْ مِنْهُ نَذيرٌ مُبين﴾[١١]

﴿إِلَيْهِ أَدْعوا وَإِلَيْهِ مَآب﴾[١٢] ﴿لِأَنْ أَكونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمين﴾[١٣]

﴿نَحْنُ وَلا أَنْتَ مَكاناً سُوىً﴾[١٤] ﴿وَ لا تَكونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكين﴾[١٥]

---

١. الشّرح (٩٤): ٣ ـ ٤.

٢. سبأ (٣٤): ١٣.

٣. من البحور المختلفة الأركان: «مستفعلن مستفعلن مفعولات»، له عروضان (فاعلن وفعِلن)، وأربعة أضرب (فاعلن، فعْلن، فاعلانْ وفعِلن)، وبالخبن والطّيّ يبدّل «مستفعلن» إلى «مفتعلن» و«مفاعلن» على التّرتيب.

٤. الأنفال (٨): ٦٢.

٥. المائدة (٥): ٩٢؛ وأيضاً التّغابن (٦٤): ١٢.

٦. الشّورىٰ (٤٢): ٥٣.

٧. الشّعراء (٢٦): ٦٤؛ وأيضاً ق (٥٠): ٣١.

٨. الذّاريات (٥١): ٢٨.

٩. آل عمران (٣): ٣٣.

١٠. المائدة (٥): ٩٥.

١١. الذّاريات (٥١): ٥١.

١٢. الرّعد (١٣): ٣٦.

١٣. الزّمر (٣٩): ١٢.

١٤. طه (٢٠): ٥٨.

١٥. الأنعام (٦): ١٤؛ ويونس (١٠): ١٠٥؛ وأيضاً قصص (٢٨): ٨٧.

﴿وَ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبينٌ﴾[١] ﴿فَأَصْبَحوا في دارِهِمْ جاثِمين﴾[٢]

﴿إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِع﴾[٣] ﴿فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكافِرين﴾[٤]

﴿قالَ فَما خَطْبُكَ يا سامِرى﴾[٥] ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمين﴾[٦]

﴿وَ إِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾[٧] ﴿فيما اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خالِدون﴾[٨]

﴿زِلْزَلَةَ السّاعَةِ شَىْءٌ عَظيم﴾[٩] ﴿مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنون﴾[١٠]

﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ ما يَغيظ﴾[١١] ﴿فَهُمْ عَلى آثارِهِمْ يُهْرَعون﴾[١٢]

﴿اِتَّخَذوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً﴾[١٣] ﴿وَ يَحْسَبونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدون﴾[١٤]

﴿وَ لا هُدىً وَ لا كِتابٍ مُنير﴾[١٥] ﴿عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبون﴾[١٦]

﴿لَنْ يَجِدوا مِنْ دونِهِ مَوْئِلاً﴾[١٧] ﴿أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلون﴾[١٨]

---

١. الصّافّات (٣٧): ١١٣.
٢. الأعراف (٧): ٧٨، و ٩١؛ وأيضاً العنكبوت (٢٩): ٣٧.
٣. الطّور (٥٢): ٧.
٤. البقرة (٢): ٨٩.
٥. طه (٢٠): ٩٥.
٦. الأعراف (٧): ٤٤.
٧. الأعراف (٧): ١٧١.
٨. الأنبياء (٢١): ١٠٢.
٩. الحجّ (٢٢): ١؛ كلمة «زلزلة» فى الآية الشّريفة منصوبة بـ«إنّ»، ولكن هٰهنا يقرأ بالرّفع لأنّ النّاصب غير موجود.
١٠. النّمل (٢٧): ٨٩.
١١. الحجّ (٢٢): ١٥.
١٢. الصّافّات (٣٧): ٧٠.
١٣. المجادلة (٥٨): ١٦؛ وأيضاً المنافقون (٦٣): ٢.
١٤. الأعراف (٧): ٣٠؛ وأيضاً الزّخرف (٤٣): ٣٧.
١٥. الحجّ (٢٢): ٨.
١٦. الطّور (٥٢): ٤١.
١٧. الكهف (١٨): ٥٨.
١٨. الطّور (٥٢): ٤٠؛ وأيضاً القلم (٦٨): ٤٦.

﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[١] ﴿أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾[٢]

* * *

﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[٣] ﴿هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولاً﴾[٤]

﴿عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾[٥] ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً﴾[٦]

* * *

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾[٧] ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[٨]

قَدْ أَنْزَلَ اللّٰهُ تَعالىٰ: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٩]

* * *

لِكُلِّ يَوْمٍ مَلَكٌ شَهِيدٌ ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾[١٠]

* * *

وَقَالَ رَبِّي: ﴿أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ﴾[١١] ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾[١٢]

* * *

---

١. إبراهيم (١٤): ٧.
٢. الشّعراء (٢٦): ٧٦.
٣. الحجّ (٢٢): ٣٠.
٤. الإسراء (١٧): ٩٥.
٥. النّحل (١٦): ١٠٠.
٦. الإسراء (١٧): ٩٥؛ هذا وفي درج الآية في البيت وحذفِ شطرٍ منها، خفي وجهُ نصب «ملكاً» كما لا يخفى.
٧. البقرة (٢): ٢٥٩.
٨. العلق (٩٦): ١٦.
٩. البقرة (٢): ١٩٥.
١٠. هود (١١): ٧٨.
١١. الانشقاق (٨٤): ١٦.
١٢. الانشقاق (٨٤): ١٩.

فـارَقْتني أَنْت ﴿فَـصَبْرٌ جَـميل﴾[١] وَ ﴿حَسْبُنَا ٱللَّـهُ وَنِـعْمَ ٱلْـوَكـيل﴾[٢]

* * *

أَعـــوذُ بِـــاللهِ ٱلسَّـــميعِ ٱلْـعَليمْ مِـنْ شَرِّ إِبْـليسِ ٱللَّـعينِ ٱلرَّجـيم[٣]

* * *

أَمـــا تَـــرَى ٱلرَّحْـمٰنَ سُـبْحانَهُ ٱلْـــمخْرِجُ ٱلْـــمَيِّتَ مِـنْ حَـيٍّ
يَـقولُ: ﴿لا إِكْـراهَ فِـى ٱلدّينِ قَـدْ تَـــبَيَّنَ ٱلرُّشْـــدُ مِـنَ ٱلْـغَيِّ﴾[٤]

* * *

أَقـــولُ وَٱلْـــعُشّاقُ مِـنْ حَـوْلِهِ كَأَنَّـهُمْ مِـنْ ﴿حَدَبٍ يَـنْسِلون﴾[٥]
وَرِدْفُـــهُ يَـــقْرَأُ مِـــنْ خَـلْفِهِ لِـــمِثْلِ ذا ﴿فَـلْيَعْمَلِ ٱلْـعامِلون﴾[٦]
تَـــــقولُ عَـــيْناهُ لِـــعُشّاقِهِ ﴿ٱلْـيَوْمَ تُـجْزَوْنَ﴾[٧] بِـما تَـعْمَلون
وَهَـــجْرُهُ يَـــبْدوا لَـهُمْ قـائِلاً ﴿هَـيْهاتَ هَـيْهاتَ لِما تـوعَدون﴾[٨]

بحر الوافر[٩]

﴿فَـذَكِّـرْ إِنَّـما أَنْتَ مُـذَكِّر﴾[١٠] ﴿وَإِنْ لَـمْ يَـنْتَهواعَـمّايَقولون﴾[١١]

---

١. يوسف (١٢): ١٨، و٨٣.
٢. آل عمران (٣): ١٧٣.
٣. ليس في البيت شاهدٌ من الآيات المتّزنة، ولٰكنّ فيه إشارةٌ إلى الآية الشّريفة: ﴿فإذا قرأتَ القرآن فاستعذْ بـالله من الشّيطان الرّجيم﴾ (النّحل (١٦): ٩٨).
٤. البقرة (٢): ٢٥٦.
٥. الأنبياء (٢١): ٩٦.
٦. الصّافّات (٣٧): ٦١.
٧. الأنعام (٦): ٩٣؛ والجاثية (٤٥): ٢٨.
٨. المؤمنون (٢٣): ٣٦.
٩. من البحور المختلفة الأركان: «مفاعلَتن مفاعلَتن فعولن»، له عروض واحدة وضرب واحد (فعولن)، وبالعصب تبدَّل تفعيلةُ «مفاعلَتن» إلى «مفاعيلن».
١٠. الغاشية (٨٨): ٢١.
١١. المائدة (٥): ٧٣.

﴿أَلا بُـــعْداً لِـعادٍ قَـوْمِ هـودٍ﴾[١] ﴿فَإِنْ كـانَتْ لَكُـمْ كَـيْدٌ فَكـيدون﴾[٢]

* * *

﴿فَأَوْحَينا إِلىٰ موسىٰ أَنِ ٱضْـرِبْ﴾[٣] ﴿عَـلىٰ وَجْـهِ أبـي يَأْتِ بَـصيرا﴾[٤]

﴿وَ فَـوْقَ كُـلِّ ذي عِـلْمٍ عَـليمٌ﴾[٥] ﴿وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَـيْرٌ وَأَبْـقىٰ﴾[٦]

* * *

لَكُـمْ فِـى ٱللَّـيْلِ فَـيْضُ ٱلرَّبِّ جـارِ ﴿وَ يَـعْلَمُ مـا جَـرَحْتُمْ بِـالنَّهارِ﴾[٧]

* * *

فَزَكُّـوا ٱلزَّرْعَ وَٱخْشَـوْا مِـنْ فَسـادِهْ ﴿وَ آتـوا حَـقَّهُ يَـوْمَ حَـصادِه﴾[٨]

* * *

سَكَتُّ وَفِى ٱلسُّكوتِ خَشـيتُ لَـوْما فَقُلْتُ: ﴿نَـذَرْتُ لِـلرَّحْمٰنِ صَـوْما﴾[٩]

* * *

" أَنِـلْنِي بِـالَّذِى ٱسْـتَقْرَضْتَ خَـطّاً وَ أَشْـهِدْ مَـعْشَراً هُـمْ شـاهِدوهُ

فَـإِنَّ ٱللّـهَ خَـلّاقُ ٱلْـبَرايـا عَـنَتْ لِـجَلالِ هَـيْبَتِهِ ٱلْـوُجوهُ

يَـقولُ: ﴿إِذا تَـدايَـنْتُمْ بِـدَيْنٍ إِلىٰ أَجَلٍ مُسَـمّىً فَـاكْتُبوهُ﴾[١٠ و١١]

---

١. هود (١١): ٦٠.
٢. المراسلات (٧٧): ٣٩.
٣. الشّعراء (٢٦): ٦٣.
٤. يوسف (١٢): ٩٣.
٥. يوسف (١٢): ٧٦.
٦. طٰه (٢٠): ١٣١.
٧. الأنعام (٦): ٦٠.
٨. الأنعام (٦): ١٤١.
٩. مريم (١٩): ٢٦.
١٠. البقرة (٢): ٢٨٢.
١١. الأبيات منسوبةٌ إلى الحسين بن الحسن الواساني الدّمشقي كما في معجم الأدباء لياقوت، ج ٩، ص ٢٥٥؛ ولكنّ الزّركشي في البرهان، ج ١، ص ٤٨٣، نسبها إلى الإمام الشّافعي وإن لم توجد في ديوانه المطبوع.

بحر المتقارب[١]

﴿وَ كُنّا نَخوضُ مَعَ ٱلْخائِضين﴾[٢] ﴿وَ لِلْكافِرينَ عَذابٌ مُهين﴾[٣]

﴿وَ أَنْتَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهيد﴾[٤] ﴿وَ أُمْلي لَهُمْ إِنَّ كَيْدي مَتين﴾[٥]

* * *

﴿لَوَلَّوا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحون﴾[٦] ﴿وَ كانوا بِآياتِنا يَجْحَدون﴾[٧]

* * *

﴿وَ لا تَبْخَسُوا ٱلنّاسَ أَشْياءَهُمْ﴾[٨] مِنَ ٱلشُّرْبِ لا تَمْنَعوا ماءَهُمْ

* * *

﴿وَ أَنَّ إِلىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنْتَهىٰ﴾[٩] وَ قُلْ ﴿مَخْرَجاً﴾ بَيْنَ هٰذا تُصِبْ:

﴿وَ مَنْ يَتَّقِ ٱللّٰهَ يَجْعَلْ لَهُ وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبْ﴾[١٠]

---

١. من البحور المتّفقة الأركان يحصل بتكرار «فعولن»، له عروض واحدة (فعولن)، وأربعة أضرب (فعولن، فعولْ، فَعَلْ وفعْ)، وبالقبض يبدّل «فعولن» إلى «فعولُ».

٢. المدّثّر (٧٤): ٤٥.

٣. البقرة (٢): ٩٠؛ وأيضاً المجادلة (٥٨): ٥.

٤. المائدة (٥): ١١٧.

٥. الأعراف (٧): ١٨٣.

٦. التّوبة (٩): ٥٧.

٧. فصّلت (٤١): ١٥.

٨. الأعراف (٧): ٨٥؛ وهود (١١): ٨٥؛ وأيضاً الشّعراء (٢٦): ١٨٣.

٩. النّجم (٥٣): ٤٢.

١٠. الطّلاق (٦٥): ٣.

بحر الخفيف[١]

﴿شَـهِدَ ٱللَّـهُ﴾[٢] دائِـماً بِـالْقِسْط ﴿وَ أُولُـوا ٱلْـعِلْمِ قـائِماً بِـالْقِسْط﴾[٣]

* * *

عَـلِّمُوا ٱلنِّسْـوَةَ مِـنَ ٱلآداب ﴿وَ لِـيَذَّكَّـرَ أُولُـوا ٱلأَلْـباب﴾[٤]

﴿فَـاتَّقُوا ٱللَّـهَ يـا أُولِـى ٱلأَلْبـاب﴾[٥] ﴿فَـاسْأَلوهُنَّ مِـنْ وَراءِ حِـجاب﴾[٦]

* * *

جَـعَلَ ٱللهُ مَـقْتَ مَـنْ فِـى ٱلْـغَىّ وَ ﴿مِـنَ ٱلْـماءِ كُـلَّ شَـىْءٍ حَـىّ﴾[٧]

* * *

﴿حَـضَرَ ٱلْـقِسْمَةَ أُولُـوا ٱلْـقُرْبىٰ﴾[٨] ﴿رَفَـعَ سَـمْكَها فَسَـوّيٰها﴾[٩]

* * *

صادِقُ ٱلْقَوْلِ لوطُ[١٠] فِـى ٱلْكَـلِماتِ ﴿قـالَ يـا قَـوْمِ هٰـؤُلاءِ بَـناتي﴾[١١]

* * *

آخَـرٌ يَشْـتَكي أُنـاساً خَـبيثا[١٢] ﴿لا يَكـادونَ يَـفْقَهونَ حَـديثا﴾[١٣]

* * *

---

١. وزنه: «فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن» له عروضان (فاعلاتن وفاعلن)، وضربان كهما، وبالخبن يبدّل «فاعلاتن» و «مستفعلن» إلى «فعِلاتن» و«مفاعلن» على التّرتيب، وبالطّيّ يبدّل «مستفعلن» إلى «مفتعلن».

٢. آل عمران (٣): ١٨.

٣. الآية الشّريفة نفسُها.

٤. إبراهيم (١٤): ٥٢.

٥. المائدة (٥): ١٠٠؛ وأيضاً الطّلاق (٦٥): ١٠.

٦. الأحزاب (٣٣): ٥٣.

٧. الأنبياء (٢١): ٣٠.

٨. النّساء (٤): ٨.

٩. النّازعات (٧٩): ٢٨.

١٠. كلمة «لوط» في البيت تقرأ غير منصرفة لاستقامة الوزن.

١١. هود (١١): ٧٨.

١٢. يوجّه إفرادُ النّعت (خبيثاً) باعتبار «قوماً» أو «جمعاً».

١٣. النّساء (٤): ٧٨.

﴿أَرَأَيْتَ ٱلَّذي يُكَذِّبُ بِالدّين﴾[١] لا يَحُضُّ عَلىٰ طَعامِ ٱلْمِسْكين﴾[٢]

* * *

﴿فَإِذَا ٱنْشَقَّتِ ٱلسَّماءُ فَكانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهانِ﴾[٣] قامَتْ قيامَتْ

بحر الأرجوزة[٤]

ٱلْمُذْنِبونَ حَسْبُهُمْ هٰذَا ٱلشَّرَف: ﴿إِنْ يَنْتَهوا يُغْفَرْ لَهُمْ ما قَدْ سَلَف﴾[٥].

* * *

وَٱتْرُكْ لِعادِي ٱلْمُصْحَفِ مِنْ خَيْرِهِ ﴿حَتّىٰ يَخوضوا في حَديثٍ غَيْرِهِ﴾[٦]

بحر الطَّويل[٧]

﴿يُحَلَّوْنَ فيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَب﴾[٨] ﴿فَلا تَحْسَبَنَّ ٱللّٰهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ﴾[٩]

* * *

وَآمَنْتُ فَاغْفِرْلي يا سَيِّدي وَٱنْصُرْ ﴿فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[١٠]

---

١. الماعون (١٠٧): ١.

٢. الحاقّة (٦٩): ٣٤؛ وأيضاً الماعون (١٠٧): ٣.

٣. الرّحمن (٥٥): ٣٧.

٤. الرّجز من البحور المتّفقة الأركان يحصل بتكرار «مستفعلن»، له عروض واحدة (مستفعلن)، وضربان (مستفعلن ومفعولن)، وبالخبن والطّيّ يحوّل «مستفعلن» إلى «مفاعلن» و«مفتعلن» على التّرتيب.

٥. الأنفال (٨): ٣٨.

٦. النّساء (٤): ١٤٠؛ وأيضاً الأنعام (٦): ٦٨.

٧. من البحور المتناوبة الأركان يحصل بتكرار «فعولن مفاعيلن»، له عروض واحدة (مفاعيلن)، وثلاثة أضرب (مفاعيلن، مفاعلن وفعولن)، وبالقبض يحوّل «فعولن» و«مفاعيلن» إلى «فعولُ» و«مفاعلن» على التّرتيب، وبالكفّ يبدّل «مفاعلن» هذا إلى «مفاعلُ».

٨. الكهف (١٨): ٣١؛ والحجّ (٢٢): ٢٣؛ وأيضاً فاطر (٣٥): ٣٣.

٩. ابراهيم (١٤): ٤٧؛ هٰذا وأظنّ أنّ العجز للمصراع: «يحلّون ...»، والصّدر للمصراع «فلا تحسبنّ ...» قد حُذفا في النّسخة المطبوعة.

١٠. الكهف (١٨): ٢٩.

بحر المجتثّ[١]

سَـبيلَ كَـعْبَةَ فَـاذْهَبْ بِأَحْسَنِ ٱلْفَجِّ ﴿فَـمَنْ تَـمَتَّعَ بِـالْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾[٢]

* * *

مَـفاعِلُنْ فَـعِلاتُنْ مَـفاعِلُنْ فَـعِلاتْ ﴿مُطَوَّعينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنينَ فِى ٱلصَّدَقات﴾[٣]

بحر المجتثّ المجزوء

مُـفْتَعِلُنْ فَـاعِلاتُنْ ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرا﴾[٤]

بحر السّالم البسيط[٥]

ذو هِـمَّةٍ عـاليَهْ ﴿فـي عـيشَةٍ راضـيَه فـي جَـنَّةٍ عـاليَه * قُـطوفُها دانـيَه﴾[٦]

جَزاءُ قَـوْمٍ عَـنودْ ﴿ٱلنّـار ذات ٱلْـوَقود إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعود﴾[٧] كانَتْ لَـهُمْ خـاليَهْ

---

١. من البحور المتناوبة الأركـان يـحصل بـتكرار «مـستفعلن فـاعلاتن»، وله عـروض واحـدة وضـرب واحـد (فاعلاتن)، وبالخبن والكفّ والشّكل يحوّل «مستفعلن» إلى «مفاعلن» و«مستفعلُ» و«مفاعلُ» على التّرتيب، وبالخبن والتّشعيث يبدّل «فاعلاتن» إلى «فعِلاتن» و«مفعولن» على التّرتيب.

٢. البقرة (٢): ١٩٦.

٣. التّوبة (٩): ٧٩؛ ولا يخفى أنّ الكلمة الأولى فى المصراع الثّانى جاءت فى القرآن الكريم محلّاةً بالألف واللّام، مشدّدةَ الطّاء والواو.

٤. الشّرح (٩٤): ٦.

٥. من البحور المتناوبة الأركان يحصل بتكرار «مستفعلن فاعلن»، له عروضان (فاعلن وفعِلن)، وثـلاثة أضـرب (فاعلن، فعِلن وفعْلن)، وبالخبن والطّيّ والخبل يحوّل «مستفعلن» إلى «مفاعلن»، «مفتعلن» و«مُـتَعِلن» عـلى التّرتيب.

٦. الحاقّة (٦٩): ٢١ ـ ٢٣.

٧. البروج (٨٥): ٥ ـ ٦؛ الكلمتان «النّار» و«ذات» فى الآية الشّريفة مجرورتان، وهُهنا تُقرأان بـالرّفع لاسـتقامة المعنى.

أيضاً بحر البسيط

دَعِ ٱلْمُلوكَ ٱلسَّلَف تَمَّتْ خَزائِنُهُمْ ﴿فَأَصْبَحوا لا يُرىٰ إِلّا مَساكِنُهُمْ﴾[١]

* * *

كُلُّ ٱمْرِئٍ فِي ٱلْعَمَل قَدْ كانَ مَسْؤولا ﴿لِيَقْضيَ ٱللّٰهُ أَمْراً كانَ مَفْعولا﴾[٢]

* * *

لُوّامَ حُبّي عَلِيّاً اكُنَّ فِي ٱلنّيه ﴿فَذٰلِكُنَّ ٱلَّذي لُمْتُنَّنِي فيه﴾[٣]

بحر الهزج[٤]

قالوا لِأَخيهِمْ لَقَدْ آحْسَنْتَ إِلَيْنا ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ آثَرَكَ ٱللّٰهُ عَلَيْنا﴾[٥]

أيضاً يسمّى بالرّباعيّ[٦]

لا تُشْرِكْ لِلرّيا بِرَبِّي ٱلْأَكْبَرْ ﴿لا تَدْعُ مَعَ ٱللّٰهِ إِلٰهاً آخَر﴾[٧]

أيضاً بحر الهزج[٨]

قَدْ شابَهَ بِالْوَرىٰ حِمارُ ﴿عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوار﴾[٩]

---

١. الأحقاف (٤٦): ٢٥.

٢. الأنفال (٨): ٤٢، و٤٤.

٣. يوسف (١٢): ٣٢.

٤. البيت الشّاهد من الهزج الأخرب المكفوف المحذوف ووزنه: «مفعول مفاعيل مفاعيل فعولن».

٥. يوسف (١٢): ٩١.

٦. أي الدّوبيت، والقالَب العام لوزنه عبارة «لا حولَ ولا قوّةَ إلّا باللّه»، وكثير من العروضيّين يعدّونه من أصل الهزج، فالبيت الشّاهد من الهزج الأخرب المكفوف الأبتر ووزنه: «مفعولُ مفاعيلُ مفاعيلن فعْ».

٧. القصص (٢٨): ٨٨.

٨. هو الهزج المسدّس الأخرب المقبوض المحذوف ووزنه: «مفعولُ مفاعلن فعولن».

٩. الأعراف (٧): ١٤٨؛ وأيضاً طه (٢٠): ٨٨.

بحر الهزج المربّع المكفوف (مفاعيلن مفاعيلُ)

﴿عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمانَ / وَما كَفَرَ سُلَيْمانُ﴾[١]

بحر الكامل[٢]

لا يُـبْغِضُ ٱلْـمَوْلىٰ سِوَى ٱلْـمُرْتاب[٣] ﴿سَـيَعْلَمونَ غَـداً مَـنِ ٱلْكَـذّابُ﴾[٤]

* * *

قُـلْ لِـلَّذينَ رَجَـوْا شَـفاعَةَ أَحْـمَدا ﴿صَـلّوا عَـلَيْهِ وَسَلِّموا تَسْـليما﴾[٥]

* * *

لَـمْ يُؤْتِ وَصْـفَ ٱللّٰـهِ مَـنْ هُـوَ مـادِحُ ﴿يـا أَيُّـهَا ٱلْإِنْسـانُ إِنَّكَ كـادِح﴾[٦]

* * *

وَيَقْرَأُ فِي ٱلْـمِـحْرابِ وَٱلنّـاسُ حَـوْلَهُ ﴿وَ لا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتي حَرَّمَ ٱللّٰـهُ﴾[٧]

* * *

---

١. البقرة (٢): ١٠٢.

٢. من البحور المتّفقة الأركان يحصل بتكرار «متفاعلن»، له عروضان (متفاعلن وفعِلن)، وأربعة أضرب (متفاعلن، فعِلاتن، فعِلن وفعْلن)، وبالإضمار والقطع يحوّل «متفاعلن» إلى «مستفعلن» و«مفتعلن» على التّرتيب.

٣. كسر الباء في «المرتاب» لا يلائم «الكذّاب» المرفوع، إلّا أن نقول إنّ الشّاعر أراد رفع «المرتاب» توهّماً منه أنّه قد أتى بـ«إلّا» مكانَ «سِوىٰ».

٤. القمر (٥٤): ٢٦.

٥. الأحزاب (٣٣): ٥٦.

٦. الانشقاق (٨٤): ٦.

٧. الأنعام (٦): ١٥١؛ والإسراء (١٧): ٣٣.

بحر الأكمل[١]

سُبُلُ ٱلضَّلالَةِ وَٱلْهُدىٰ كُتِبَتْ مِنَ ٱلرَّبِّ ٱلرَّحيم

﴿وَ ٱللّٰهُ يَهْدي مَنْ يَشاءُ إِلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيم﴾[٢]

* * *

وَطَرْفُهُ ٱلسّاحِرُ إِنْ شَكَكْتُمُ في أَمْرِهِ

﴿يُريدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾[٣]

بحر الموالیا

مُفْتَعِلُنْ مَفْعولُنْ مُفْتَعِلُنْ مَفْعولُنْ ﴿وَ ٱلطَّيْرَ مَحْشورَةً كُلٌّ لَهُ أَوّاب﴾[٤]

---

١. وهو البحر الكامل المثمّن يشبه فى العروض العربيّ بالبحر الكامل المجزوء، وعليه فله عروض واحدة متفاعلن)، وأربعة أضرب (متفاعلن، فعِلاتن، متفاعلان ومتفاعلاتن)، وبالإضمار يبدّل «متفاعلاتن» إلى «مستفعلاتن».

٢. البقرة (٢): ٢١٣؛ وأيضاً النّور (٢٤): ٤٦.

٣. الشّعراء (٢٦): ٣٥.

٤. ص (٣٨): ١٩.

المآخذ

١. آقابزرگ الطّهراني، محمّد محسن، *الذّريعة إلىٰ تصانيف الشّيعة*، ٢٦ ج (في ٢٩ مج)، ط ٣، دار الأضواء، بيروت، ١٤٠٣ هـ. = ١٩٨٣ م.

٢. ـــــــــــ، *نقباء البشر في القرن الرّابع عشر*، تعليقات سيّد عبدالعزيز طباطبائي، ١٢ ج، ط ٢، دار المرتضى، مشهد، ١٤٠٤ هـ.

٣. ابن‌الرّسول، سيّد محمّد رضا، «نيّر الأدباء و كتاب معادن»، *آينهٔ پژوهش*، س ١٤، ش ٥، آذر ـ دى ١٣٨٢، ش پياپى ٨٣، صص ٥١ ـ ٦١.

٤. ابن‌رشيق القيرواني، أبوعلي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشّعر وآدابه*، تحقيق محمّد قرقزان، ٢ ج، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٨ هـ. = ١٩٨٨ م.

٥. اهلى الشّيرازي، محمّد بن يوسف، *كلّيّات اشعار مولانا اهلى شيرازى*، سنايى، تهران، ١٣٤٢.

٦. البدري، حكمت فرج، *معجم آيات الاقتباس*، دار الحرّيّة، بغداد، ١٤٠٠ هـ. = ١٩٨٠ م.

٧. الزّركشي، بدرالدّين محمّد بن عبدالله، *البرهان في علوم القرآن*، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم، ٤ ج، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ١٣٧٦ هـ. = ١٩٥٧ م.

٨. نيّر، حبيب اللّٰه بن محمّد باقر، *معادن*، ٣ ج، ج ١ و ٢: تهران، ١٣٦٨ هـ؛ ج ٣: اصفهان، چاپخانهٔ پروين، [لا ت].

٩. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبداللّٰه، *معجم الأدباء*، ٢٠ ج (في ١٠ مج)، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، [لا ت].

Texts and Essays

from Permanent Scientific Legacy of Isfahan

by: A group of scholors in Arabic Literature

Editor in chief: Majīd Hādī Zādih

provided by: the center of Islamic propaganda
of Qom seminary, unit of Isfahān

Hastinama
Tehran, 2007
Tel: 09121521038
E-mail: Hastinama@mail.com